تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

964.2:D23A

داود، محمد،

مختصر تاريخ تطوان،

MAY 2 MAR 1 A806

G141

964.2
D23A

MY 10'55

APR 1

JAFET LIB.
* 11 JAN 2016 *
Circulation Dept. 4

964.2
D23A

محمد داود

964.2
D23A

مختصر تاريخ تطوان

جائزة معهد مولاي الحسن لسنة 1953

معهد مولاي الحسن

LIBRARY

مختصر

تاريخ تطوان

تأليف

محمد داود

الطبعة الاولى

المطبعة المهدية 1375 ـ 1955 تطوان ـ المغرب

إهداء الكتاب

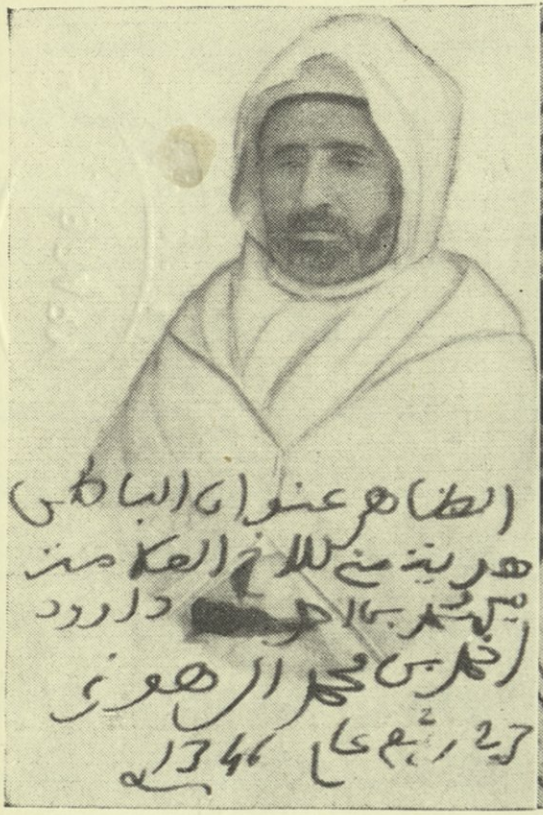

الى روح استاذي الاول الفقيه العدل الوجيه سيدي الحاج احمد بن محمد داود[1] والدي العزيز الذي بذل في سبيل تربيتي وتعليمي، وارشادي وتهذيبي، ما شاء الله ان يبذل من الماديات والادبيات، رحمة الله عليه.

والى روح والدي الروحي وشيخي في مختلف العلوم والمعارف، ومرشدي في ميدان التاريخ والاجتماع، الفقيه العلامة الكبير المشارك مؤرخ تطوان وعالمها ومدرسها ومفتيها وقاضيها ابي العباس احمد بن محمد الرهوني[2] رحمه الله.

أقدم باكورة تآليفي وثمرة جهودي المتواضعة التي يرجع الفضل الكبير في جلها لهذين الشيخين الجليلين رحمهما الله وجزاهما افضل الجزاء.

تطوان (المغرب) يوم الجمعة 24 ربيع الثاني عام 1373 فاتح يناير سنة 1954. محمد داود

---

(1) ولد الحاج احمد داود عام 1277 وتوفى عام 1341 وقبره فوق ضريح سيدي المنظري خارج باب المقابر من تطوان.

(2) ولد الفقيه الرهوني عام 1288 وتوفى عام 1373 وقبره في الزاوية العيساوية التي بحومة العيون من تطوان.

كلمة تعريف

أصبح لزاما علي بصفتي مدير معهد مولاي الحسن للابحاث ، ان اكتب مقدمة او تصديراً او كلمة تعريف على الاقل للكتب المجازة من هذا المعهد اي التي يقدمها اصحابها لمبارا ةالتاليف السنوية فى الموضوعات المقترحة من ادارته فتحصل على اجازة اللجنه التحكيمية المكـونة من خيرة العناصر الفكرية والثقافية في عاصمة المنطقة الخليفية تطوان .

وهذا العمل وان يكن مجرد التزام التزمته منذ اول كتـاب صدر عن المعهد على هذه الصفة ، فانه تقليد حسن لا تجمل مخالفته وربمـا كان في التخلي عنه فتح لباب القيل والقال من الذين تعودوا ان يقرأوا في اول كل كتاب حصل على جائزة المعهد كلاما عن ظروف تقديم ذلك الكتاب واجازته وعن مشاركة غير المؤلف في المباراة او عدمهـا وعن الموضوعات الاخرى المقترحة التي لم تحظ باهتمام الكتاب فبقيت مطروحة كالاسئلة التي تنتظر الجـواب الى غير ذلك مما قد تحتويه كلمة المعهـد المقدمة للكـتاب .

ولـكنني حين التزمت هذا العمل واخذت بهذا التقليد لم افـكرأنني سأكون مضطرا فى يوم من الايام لتقديم نفسي بنفسي والكتابة عن شخصي انا لا في معرض الاعتراف والتسجيل للحقيقة والتاريخ الذي قد تغتفر لي الكـتابة فيه ، بل في معرض التقريظ الذي يذكر الفضائل ويبرز المحاسن ويجعلني من قبيل ما يقال «مادح نفسه يقرئك السلام» .

لم افكر في هذا الموقف الذي اضطررت الـيه الان ، لاني لم يدر بخلدي قط ان ازاحم المتبارين من المؤلفين الراغبين في الحصـول على جائزة المعهد ، لا ترفعا عن النزول الى تلك الحلبة . وهي حلبة لا يشارك

فيها الا أجاود السباق ولا يفوز فيها إلا المجلون ، والمجلون فقط بحيث لا يكون للمصلين فمن دونهم من طبقات المتبارين سبق الامجرد الاعتراف بأنهم حضروا السباق ، ولكن دفعا للتهمة التي قد تلصق بمدير المعهد المتسابق من ادعاء كونه قد يحكم لنفسه وقد يراعيه المحكمون فلايميلون بالجائزة عنه ، وان كان هو والمحكمون من ابعد الناس عن هذه التهمة وما يؤدي اليها ، وانما المومن لا يقف مواقف التهم .

وقد اضطررت الى هذا الموقف الآن ، لان الكتاب الذي حاز جائزة المعهد في هذه السنة (1) وانا اكتب كلمة تعريفه هذه ، هو كتاب لاخ كريم وصديق حميم اعده مثل نفسي ويعرف الناس ما بيني وبينه من مودة اكيدة ومحبة شديدة بحيث ينظرون الى كتابتي عند ككتابته هو عن نفسه وقد يحملون ما أقوله عنه على المبالغة والاطراء وعلى اني امدحه واثني عليه لمجرد ما بيننا من الصداقة والاخاء ، والواقع انه اهل لكل مدح وجدير بكل ثناء فهل تمنعني مراقبة الناس التي يموت صاحبها غما ـ كما يقول الشاعر ـ من أن أقول كلمة الحق فيه وان اوفيه ما له علي من ديون فى هذا الصدد بالخصوص ؟

وما رأي القاريء المنصف في سكوت العارفين حين يتكلم غيرهم اليس هو وكتمان الشهادة سواء ؟

وازيد هذه النقطة بيانا لانها مسألة تاريخية ، ونحن بصدد تقديم كتاب تاريخي ؛ فأقول : هؤلاء أصدقاؤنا ، نحن اعرف الناس باحوالهم ، بماضيهم وحاضرهم ، وبأدق المعلومات عن حياتهم ، وربما ورب للتكثير عرفنا دخائل نفوسهم ، وهم شخصيات تاريخية ان كنا نغفل عنها الآن فانه سينتبه لها غدا كثير من المهتمين برجالات هذا العهد وبناة صرح نهضته

1) سنة 1953

العتيد، فلا شك اننا اذا لم نعرفهم للناس ولم نطلعهم على ماجريات احوالهم نكون قد جنينا جناية تاريخية وادبية معا ؛ جنينا على التاريخ بحرمان الابناء والاحفاد من تسجيل مآثر الآباء والاجداد، وجنينا على اصدقائنا أدبيا بغمط حقهم وهضم فضلهم لمجرد انهم اصدقاء، في حين ان الصداقة كانت احرى ان تبعثنا على عدم الوقوع في هذا المحظور ، واذا كان ما يبعث على هذا هو تحري النزاهة ، فان الانسان يستطيع ان يكون نزيها من غير ان يضر باحد . وضرر السكوت هنا عن التنويه بفضل الاصدقاء مهما كان باعثه، ظاهر للعيان ، فما هذه نزاهة بل خيانة او قل ان الصداقة المدخولة التي تبطن الحقد وتظهر الود، هي التي تمنع صاحبها من عرفان الفضل لذويه متستراً بستر النزاهة الرقيق الذي يشف عما وراءه ، ونعوذ بالله من الجحود .

على اننا لا نقول بعدم تحري النزاهة فيما نكتب عن القرباء والبعداء على السواء، وبكيل اوصاف المدح جزافاً للاصدقاء لمجرد انهم اصدقاء، وعلى العكس بنكران فضائل غير الاصدقاء لكونهم غير اصدقاء ، فان هذا طمس للحقائق ومسخ للتاريخ ، والذي تسول له نفسه ارتكاب مثل هذا الخطة العوجاء فانه انما يفضح نفسه ويدل على سوء قصده من حيث يريد ان يظهر بمظهر البراءة التي تبرأ منه .

والحمد لله على انه لا يكون في الوقت الواحد والبلد الواحد مؤرخ واحد حتى يكون هو المصدر الوحيد لجميع الاخبار ، ولكن الدنيا منذ كانت قد حفلت بالمؤرخين وسجل العلماء اقوال الجميع وقاسوا بعضها ببعض ونقدوها فبرزت لهم الحقيقة جلية واضحة بقدر ما تعمد المغرضون لبسها واخفاءها - وهذ هو الميز العادل الذي تظهر به نزاهة المؤرخ او عدمها لا ادعاؤه اياها او اتهامه فيها ، وهو ميزان خالد بخلود الحقيقة

فما على الكاتب الا ان يتجرد من جميع الاغراض ، والايام كفيلة بان تظهر ما اذا كان الحق بجانبه اولا «والحق يظهر من معنى ومن كلم»!

وبعد فان الكتاب الذي بين يدي الآن هو «مختصر تاريخ تطوان» للاستاذ محمد داود ، ولا ازيد على الاستاذ شيئا من الصفات ، فان هذه الصفة لمن يحقق مدلولها نهاية في التقدير ، وقد غبرنا مدة في جميع انحاء المغرب لا نطلقها الا على داود . لم تكن هناك صحافة وطنية ولا أندية ادبية ولا مجال آخر تظهر فيه هذه الصفة مستعملة في أحد غيره ، وانما في المجتمعات الخاصة والرسائل المتبادلة بين هذه الفئة من الاخوان العاملين في ميادين التعليم والوطنية اذ ذاك، كان الجميع يحلي الصديق السيد محمد داود بالاستاذ !

هذه واحدة ، واخرى لا تقصر عنها وهي ان الاستاذ داود من اول المؤسسين للتعليم الحر في المغرب، فان المدرسة الاهلية بتطوان التي كان يشرف عليها والتي تخرج فيها الفوج الاول من المثقفين بعاصمة الشمال، كانت هي ثانية المدرسة الناصرية التي انشأها اخونا الاستاذ محمد غازي بمدينة فاس .

ثم لا ننسى ان الاستاذ داود كان من الرواد الاولين في عالم الصحافة الادبية ، ومجلة السلام التي اصدرها بتطوان منذ اكثر من عشرين سنة كانت في ذلك الوقت لا تقصر عن كثير من المجلات الادبية التي تصدر في العالم العربي سواء من الناحية المادية او المعنوية. هذا الى أن الاستاذ داود يعتبر دائما مثال الوطنية الصادقة والعمل الصامت ، وانه تقلب في وظائف سامية فما حفظت عليه هناة ولا اخذ بفلتة، وكانت الحركة الوطنية تعتمده وتستشيره في المهام ، وكثيرا ما تعمل باشارته لما اوتيه من أصالة النظر وقوة الحجة، فضلا عن اخلاصه الذي لا يمترى فيه أحد.

وهذه الصفات والسجايا الكريمة تظهر أتم ظهور بل إنها تكاد تلمس في تاريخه الكبير لمدينة تطوان ومختصره هذا الذى يعد كالفهرس المجمل له. وقد كتبه بروح وطنية عليا وتحلى فيه بحلية النزاهة فكان وكده هو اثبات الحقيقة من دون تحيز ولا تحامل، واستقصى في البحث الشاذة والفاذة مما لم يتأت لغيره حتى ظفر بكثير من المعلومات وحقق كثيرا من الاستنتاجات بالحجج والادلة ، وكون من العدم ـ عدم المصادر ـ تاريخا لمدينة ليست من كبريات المدن يحتوي على ثمانية مجلدات ضخام ويعد الآن من أهم مصادر تاريخ المغرب ، فهل هذا الا دليل قاطع على ما للاستاذ داود من الغيرة الوطنية وما اوتيه من سعة النظر وعمق الفكر ؟

واني لقد شهدت ميلاد هذا التاريخ ، وهو صغير ضئيل ، ثم شاهدت نموه وكبره حتى صار الى ما هو عليه الان من العظم والضخامة . ومع ذلك لا اكاد اقضي العجب من صبر الاستاذ داود وجلده، وكلما تصفحت جزءا من اجزائه المليئة الاوتمثلت بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في فرس ابي طلحة : «إن وجدناه لبحراً» وحسبي بهذه الكلمة النبوية تقريظا بليغا لهذا الكتاب أستعيره من قول افصح من نطق بالضاد. وعندي ان مباراة معهد مولاى الحسن للتاليف فى هذه السنة كانت محظوظة ، لانها ظفرت بكتاب قيم هو في نفس الوقت تاريخ مغربي حافل أهنىء عليه صديقى الاستاذ داود والمعهد نفسه، وازفه إلى القراء هدية ثمينة متمنيا ان يتيح الله للمؤلف الفرص والاسباب لطبع الاصل ونشره حتى تعم الفائدة به ويملأ الفراغ الذى ينتظره فى خزانة المصادر المغربية المهمة. والكريم اذابدأ تمم .

عبد الله كنون

فهرس إجمالي

يشتمل مختصر تاريخ تطوان على مقدمة وسبعة فصول

1 الفصل الاول - اسم تطوان ، ووضعيتها .
من ص 1 الى ص 5

2 الفصل الثاني - تطوان القديمة (قبل اواخر القرن التاسع للهجرة)
من ص 6 الى ص 12

3 الفصل الثالث - بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة .
من ص 13 الى ص 26

4 الفصل الرابع - ولاة تطوان وحوادثها .
من ص 27 الى ص 242

5 الفصل الخامس - قضاة تطوان وعدولها .
من ص 243 الى ص 271

6 الفصل السادس - تراجم رجال تطوان
من ص 272 الى ص 328

7 الفصل السابع - عائلات تطوان .
من ص 329 الى ص 339

الفهرس التفصيلي في آخر الكتاب

فهرس الصور

صفحة

0 خريطة الاندلس والمغرب وبها مدينة تطوان .
0 صورة الحاج احمد داود والد المؤلف
0 صورة الفقيه سيدي احمد الرهوني شيخ المؤلف
13 منظر عام لتطوان وموقعها من جبل درسة .
18 من أسوار تطوان وأبراجها القديمة .
19 أحد الابراج القديمة بتطوان .
20 القسم الاعلى من أحد الابراج القديمة بتطوان .
21 باب العقلة .
22 باب التوت .
23 باب النوادر .
24 ساحة الفدان - وتظهر بالصورة قصبة تطوان .
38 ضريح القائد ابي الحسن المنظري .
47 المقدم الخضر غيلان .
61 رسالة من قائد تطوان الى ملك فرنسا .
91 قناة باب العقلة .
92 برج القائد لوقش في قصبة تطوان .
94 برج مرتيل على شاطيء البحر .
111 صومعة الجامع الكبير .
112 باب الجامع الكبير .
113 صحن الجامع الكبير .
113 داخل الجامع الكبير .
121 الحاج عبد القادر اشعاش قائد تطوان .
135 مولاي العباس قائد الجيش المغربي في حرب تطوان .
150 الخنرال ادونيل قائد الجيوش الاسبانية .
151 الخنرال بريم القائد الاسباني الشهير .
153 جيش الاحتلال بتطوان سنة 1860 .
161 مولاي العباس مع الخنرال ادونيل عند عقد الصلح .
211 الناحية الشرقية من تطوان .
212 صورة عامة لقلب مدينة تطوان .
213 وسط تطوان والناحية الجنوبية منها .
214 الناحية الغربية من تطوان .

215 شارع الوسعة .
216 شارع الخرازين .
217 شارع السوق الفوقي .
218 شارع العيون .
219 قوس الطرافين .
220 القائد قدور ابن الغازي .
223 القائد عبد الكريم اللبادي .
227 ظهير تولية القائد ابن الحسين على تطوان .
228 القائد عبد السلام ابن الحسين .
229 رسالة من السلطان لاهالي تطوان .
231 القائد مصطفى ابن يعيش .
232 دخول الخنرال الفاو مدينة تطوان سنة 1331 ـ 1913 .
233 الخنرال الفاو ـ اول مقيم عام بتطوان .
234 الخنرال الفاو مع القائد مصطفى ابن يعيش .
235 الجيش الاسباني في ساحة الفدان .
235 وصول الخليفة مولاي المهدي الى تطوان .
235 الخليفة مولاي المهدي في ساحة الفدان سنة 1331 ـ 1913 .
236 الخليفة مولاي المهدي بلباسه الرسمي .
237 وزراء تطوان وعلماؤها واعيانها .
238 الخليفة مولاي المهدي مع وزيره ابن عزوز .
239 السلطان مولاي الحسن بطنجة .
268 القاضي سيدي التهامي افيلال .
308 باب الزاوية الحراقية بتطوان .
314 باب الزاوية الريسونية بتطوان .
315 صومعة الزاوية الريسونية بتطوان .
317 ضريح الشيخ عبد السلام بن ريسون بتطوان .
322 السفير الحاج عبد الكريم بريشة .
323 مؤتمر مدريد .
327 النائب السلطاني الحاج محمد الطريس .
341 مؤلف الكتاب محمد بن احمد داود .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وامام المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه الهادين المهتدين ، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فان مدينة « تطوان » قد ألف فى تاريخها كتابان أحدهما للفقيه العدل ابي محمد عبد السلام بن محمد سكيرج التطواني المتوفى بتطوان سنة 1250 . وقد سماه « نزهة الاخوان ، وسلوة الاحزان ، فى الاخبار الواردة فى بناء تطوان ، ومن حكم فيه او تقرر من الاعيان »[1] وهو كتاب وقفت على بعض فصوله ولا أدري هل تم تأليفه ام لا ولا أعلم انه توجد منه نسخة كاملة ، وانما المعروف منه لدينا نحو سبعين صفحة ضمنها استاذنا أبو العباس الرهوني كتابه « عمدة الراوين » .

والكتاب الآخر ألفه استاذنا الفقيه العلامة المشارك أبو العباس احمد بن محمد الرهوني التطواني المولود بتطوان فى ثامن جمدى الاخيرة عام 1288 . والمتوفى بها مساء يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الثاني عام 1373 . وقد سماه « عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين »[2] وهو تأليف تام يقع فى عشرة أجزاء وقد ضمنها من معلوماته وتقاييده وتلخيصاته ومذكراته ومعارفه عن تطوان وغيرها الشيء الكثير ، وقد طالعته واستفدت منه الا اني وقفت على معلومات ووثائق ومستندات مهمة غير موجودة فيه فرأيت من الفائدة ان أجمع ذلك كله فى تأليف خاص وألفت كتابي « تاريخ تطوان » الذي قضيت فى تأليفه عدة سنوات ، وقمت فى سبيل جمع محتوياته بعدة رحلات ، وقد كتبت منه حتى الآن (1373 - 1953) ثمان مجلدات ، فى نحو اربعة آلاف من الصفحات.

---

1) هذا الكتاب لم يطبع منه شيء حتى الآن.

2) كتاب «عمدة الراوين»، الى الآن لم يطبع شيء من اصله العربي، وانما طبع منه ما لخصه الكاتب السيد محمد بن عزوز في جزء واحد باللغة الاسبانية سنة 1373 هـ 1954 م

وقد كان بعض اخواني المعتنين ، وأصدقائي المخلصين ، أشار علي منذ مدة بان اختصره اختصارا يسهل معه طبعه ونشره ، وتعميم فائدته « ان كانت فيه فائدة » فاستصوبت رأيه اذ ذاك إلا أني ارجأت تنفيذ ذلك الاختصار الى ان يحل الوقت المناسب .

والآن وقد جعل معهد مولاي الحسن المحترم تاريخ تطوان من بين الموضوعات التي عرض على رجال العلم والادب التأليف فيها على ان يقوم هو بطبع الكتاب ونشره، فاني رأيت انها فرصة ينبغي انتهازها، واقتبست من تلك المجلدات هذا الجزء الذي أرجو ان ينظر فيه رجال المعرفة الحقيقية ، والثقافة العلمية ، بعين البحث والتمحيص ، وان ينبهوني لما يجدونه فيه من نواحي النقص ومواطن الخطإ لاصلح ذلك وأتدارك ما يمكن تداركه فى أصل الكتاب الذي أرجو الله الكريم ان يهيئ أسباب طبعه فى المستقبل القريب .

هذا وانني بكل تواضع واقرار صريح بالقصور والتقصير وقلة الاطلاع وضعف الذاكرة ، أتقدم بهذا العمل الضئيل راغباً من كل من يقف عليه ولديه من المعلومات او الوثائق ما يتعلق ببعض موضوعاته ، ان يفيدني بذلك او يرشدني الى موضعه لاستفيد منه وتعم الفائدة العلمية ويكون له الفضل فضل الافادة او الارشاد .

والله تعالى أسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه مصلحة أمتنا العزيزة ووطننا المحبوب ، وهو سبحانه المستعان .

الفصل الأول

اسم تطوان

أسماء المدن المغربية ينطق الناس بها ويكتبونها في الغالب بصيغة واحدة لا اختلاف فيها الا نادرا . اما تطوان فقد اختلف الناس قديما وحديثا في كيفية النطق باسمها وفي صفة كتابته حتى بلغ ذلك سبع صور . وذلك من الغرابة بمكان ، ودونك ما وقفت عليه من ذلك في الكتب والوثائق الرسمية .

1 ـ تطوان

بتاء مكسورة بعدها طاء ساكنة فواو فألف فنون . هكذا يكتب جل الناس اسمها الآن في الكتب والصحف والرسائل وغير ذلك. وهذه الصيغة ليست حديثة الاستعمال كما يظن بعض الناس، بل كانت مستعملة في القرن الثامن، اذ وردت في كتاب القرطاس[1] المؤلف عام نيف وعشرين وسبعمائة، ووردت أيضاً في كتاب دوحة الناشر لابن عسكر المتوفي سنة 986. وان شئت فانظر فيه ترجمة ابي عبد الله الكراسي[2] والشيخ الجاسوس[3] ووردت ايضاً في كتاب درة الحجال[4] لابن القاضي المتوفي سنة 1025. وفي كتاب نزهة الحادي[5] لليفراني المتوفي عام نيف وخمسين ومائة وألف كما وردت أيضاً في كتاب الدولة السعدية[6]

2 ـ تطاون

بطاء مشددة بعدها ألف فواو فنون وهذه الصيغة هي التي ينطق بها جميع اهل هذه المدينة كجل اهل البلاد المغربية في كلامهم العادي ، وقد وردت في كتاب «نزهة المشتاق»، للشريف الادريسي السبتي الجغرافي العالمي الشهير المتوفي سنة 560. وبهذه

---

1) ص 30. طبع فاس سنة 1305
2) ص 17. طبع فاس سنة 1309
3) ص 34. طبع فاس سنة 1309
4) ج 1 ص 167. و 227 طبع الرباط سنة 1934
5) ص 202 طبع فاس
6) ص 67. طبع الرباط سنة 1353 ـ 1934 م. وهذا الكتاب مؤلفه مجهول

الصيغة ذكرها ابو حامد الفاسي في مرآة المحاسن مرارا[1] ووردت ايضاً في درة الحجال[2] وفي كتاب الدولة السعدية[3] وفى نفح الطيب للمقري[4]

3 - تطاوين

بواو مكسورة بعدها ياء فنون. هذه الصيغة نجدها مكتوبة في جل الوثائق والرسوم العدلية القديمة، وهي التى اثبتها وأيدها العلامة أبو علي اليوسي واعترض على الذين يسمونها تطوان وسماهم متفصحين.

وابو العباس الناصري مؤلف كتاب الاستقصا لا يذكرها في الغالب الا بهذه الصيغة . واستاذنا الرهوني قد ارتضاها وبناء عليها سمى كتابه : «عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين».

4 - تيطاوين

بياء بين التاء والطاء ، واخرى بين الواو والنون ، وقد وردت هذه الصيغة في تاريخ ابن خلدون[5] وكتاب البيدق المؤلف في القرن السادس ، وكتاب النفحة المسكية[6] المؤلف في القرن العاشر .

5 - تطاوان

بتاء تليها طاء مشددة فألف فواو فألف فنون. هذه الصيغة ذكرها ابو عبيد البكري الاندلسي في كتابه المسالك والممالك ،[7] وهو من رجال القرن الخامس ووفاته سنة 487 .

6 - تيطاوان

مثل الصيغة التي قبلها بزيادة ياء بين التاء والطاء . وقد وردت في كتاب

1) ص 43 - 165 - 216
2) ج 2 . ص 465
3) ص 25 - 60 - 92
4) ج 2 . ص 617 طبع مصر سنة 1302
5) ج 4 . ص 14 - و ج 7 . ص 237
6) ص 11 طبع باريس
7) ص 106 - 107 - 130 - طبع الجزائر سنة 1911

البكري ايضا[1] وفي كتاب الاستبصار[2] المؤلف في القرن السادس ، وفي كتاب النفحة المسكية[3] .

7 ـ تيطاون

بياء بين التاء والطاء وعدم الفصل بين الواو والنون . هكذا ذكرها ابن عذاري المراكشي في حوادث سنة 347 من كتابه « البيان المغرب في اخبار المغرب »[4] ووردت ايضا في مواضع متعددة من جزء مختصر من كتاب مناهل الصفا للفشتالي[5] وفي كتاب لقطة الفرائد لابن القاضي[6] وكتاب النفحة المسكية[7]

وهذه الصيغ السبع كلها بربرية ولا يعرف لها معنى في اللغة العربية اما فى اللغة البربرية فمعناها عين ـ او عيون ولعل سكانها الاقدمين من البربر سموها بذلك لكثرة العيون التي بها والله اعلم .

اما النسبة الى هذه المدينة فهي تطاوني او تطواني. ولم اجد احدا ينسب اليها بغير احدى هاتين الصيغتين لا في القديم ولا في الحديث. واما الافرنج ففي اللغة الاسبانية والانجليزية والالمانية والايطالية تكتب هكذا. TETUAN. وفى اللغة الفرنسية تكتب TETOUAN .

وضعية تطوان

ومدينة تطوان ، مدينة اسلامية عربية مغربية ، وتقع في الشمال الغربي من

---

1) ص 100 ـ 108 ـ 115

2) كتاب الاستبصار مخطوط مؤلفه مجهول. وقد وقفت عليه بمراكش لدى صديقنا العلامة الاديب الاستاذ المختار السوسي حفظه الله

3) ص 12 ـ 184 ـ 188

4) ج 1 ـ ص 222 طبع ليدن سنة 1948

5) فى مجلد مخطوط لدى صديقنا العلامة المشارك الاستاذ عبد الله كنون حفظه الله

6) وقفت عليه مخطوطا بفاس لدى صديقنا الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام بن سودة حفظه الله

7) ص 13 .

بلاد «المغرب» التي كانت تدعى في القديم « المغرب الاقصى » وتدعى في الشرق « مراكش » (1)

والبحر الابيض المتوسط يقع في شرقيها، وبينهما نحو عشر كيلومترات، ومدينة سبتة المشرفة على بوغاز جبل طارق تقع في شمالها، وبينهما نحو اربعين كيلومترا، ومدينة طنجة الواقعة على المحيط الاطلسي واقعة غربها لجهة الشمال وتبعد عنها بنحو ستين كيلومترا، ومدينة اصيلا الواقعة على نفس المحيط تقع في غربها لجهة الجنوب وبينهما نحو تسعين كيلومترا.

وعرض تطوان بين الدرجة الخامسة والثلاثين، والستة والثلاثين(2) اما طولها فهي واقعة غرب العواصم الاوربية الشهيرة، اذ تقع غرب مدريد بنحو درجتين، ولندن بنحو خمس درجات ونصف، وباريس بنحو ثمان درجات، وروما بنحو ثمان عشرة درجة، وبرلين بنحو تسع عشرة درجة.

وهي في الاقليم الرابع حسب اصطلاح قدماء الجغرافيين، وهذا الاقليم هو الذي يصفه ابن خلدون بأنه اعدل العمران، ويصف سكانه بأنهم اعدل اجساما والوانا واخلاقا.

وتقع مدينة تطوان في سفح جبل درسة شمال النهر الكبير الذي يصب في البحر الابيض المتوسط.

وجبل درسة يعد قطعة من قبيلة «الحوز» المتصلة بالبحر الابيض المتوسط، وتجاورها قبيلة انجرة التي تحد بالبحر المذكور وببوغاز جبل طارق، كما تجاورها ايضاً قبيلتا بني حزمر(3) ووادراس.

---

1) لفظ مراكش، لا يطلق في جميع أنحاء المغرب الا على مدينة مراكش الواقعة في الجنوب المغربي. واطلاقه على جميع القطر المغربي غير معروف بجل المغرب وعليه فالصواب في نظرنا ان يكون لفظ «المغرب» هو الاسم الرسمي لوطننا العزيز، وان يعدل اخواننا الشرقيون عن اطلاق لفظ مراكش على هذا الوطن. ونرى ايضاً أنه لا لزوم الآن لوصف المغرب بالاقصى، لان كل واحد من القطرين الباقيين من أقطار الشمال الافريقي، قد صار له اسم خاص يطلق عليه - فالمغرب العربي الآن يشتمل على ثلاثة اقطار، هي تونس - الجزائر - المغرب. ولعل رجال الفكر في العالم العربي يعملون بهذا الاصطلاح هداهم الله.

2) كان المعروف لدى شيوخ تطوان ان هذه المدينة تقع في عرض 35،15 وكانو يرمزون لذلك بقولهم له - يه والذي ذكره لي صديقنا الاستاذ عبد اللطيف الخطيب ان التحقيق في عرض هذه المدينة هو 35،41.

3) هذه القبيلة كانت تسمى قديماً بني يجم بفتح الياء والجيم. ولا ندري متى تحول اسمها الى بني «حزمر» بضم الحاء وسكون الزاي وفتح الميم.

ولقد كانت تطوان فى جميع أطوارهـا المعروفة منذ بزوغ شمس الاسلام عليهـا وعلى ناحيتهافي القرن الاول للهجرة، مدينة اسلامية تعتبر جزءاً من المملكة المغربية الحرة المستقلة، فلم تحكم تطوان أية سلطة أجنبية عن الاسلام والعروبة الا بعد الحرب الاسبانيـة المغربية عـام 1276 هـ 1860 م. فلما انعقد الصلـح نهائيا بين المغرب واسبانيا جلت عنها القـوات الاجنبية وسلطتها بعد ان لبثت بها نحو العامين فقط، ثم عاد اليها الحكم الاسلامي المغربي الخالص، واستمرت كذلك الى ان نصبت الحماية الاجنبية على بلاد المغرب، فحلت بها السلطة الاسبانيـة عام 1331 ـ 1913. ومن ذلك الحين فصلت مع بقية الشمال المغربي عن منطقـة الحكم السلطاني وصارت السلطة النافذة بها لاسبانيا، وتكونت بها حكومة جديدة على رأسها خليفة عن جلالة سلطان المغرب، وبذلك صارت تطوان عاصمة الشمال المغربي الى الآن (سنة 1373 ـ 1954)

ونحن نرجو الله تعالى وهو القوي القادر ان يوحد الوطن المغربي العزيز كله قريبا بجمع اجزائه تحت سلطة واحدة اسـلامية عربية مغربية خالصة فيعيش المغرب بذلك بعد الآن كـما عاش قبل الآن نحو الف ومائتي سنة قطراً اسلامياً حرا مستقـلا عزيز الجانب صديقا مخلصا لكـل من عرف قدره واحترمه ومد اليه يد المساعدة للنهوض من نكبـة الانهيار، عضواً عامـلا نشيطـا في جسم الامة العربية الكريمة، وجزءا من أهم اجزاء العالم الاسلامي المجيد. وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الثاني

تطوان القديمة

تطوان الحديثة هي المدينة العامرة الموجودة الان، وهي التي بنيت في اواخر القرن التاسع للهجرة، الموافقة لاواخر القرن الخامس عشر للميلاد، وقد استمرت عمارتها من ذلك العهد الى تاريخنا هذا. اما تطوان القديمة فهي التي كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بقرون وقد مرت عليها اطوار مختلفة لا يعرف من اخبارها وحوادثها الا القليل، وسنلخص ما وقفنا عليه من ذلك بحول الله .

تطوان قبل الاسلام

من المحقق الثابت ان ناحية تطوان كانت عامرة قبل ظهور الاسلام، لان تربتها طيبة وبها مياه غزيرة جيدة، ولانه وقع العثور على آثار مختلفة تدل على ذلك. وغير مستبعد ان هذه الناحية من بلاد المغرب كانت بها في ذلك العهد مدينة او مدن عديدة، اما عن مدينة تطوان بالخصوص، فهذا ليون الافريقي «الاندلسي الغرناطي، المغربي الفاسي، الذي عاش في اواخر القرن التاسع للهجرة، يذكر في كتابه «وصف افريقيا» ان مؤسسي مدينة تطوان هم الافارقة الاقدمون، وان المسلمين افتتحوها عندما افتتحوا مدينة سبتة - (في القرن الاول للهجرة)

تطوان في القرن الثالث للهجرة

ولم نقف على اي شيء عن حالة تطوان واخبارها في القرنين الاول والثاني للهجرة، واقدم تاريخ ذكرت فيه هذه المدينة في المصادر العربية هو اوائل القرن الثالث الهجرى، قال ابن خلدون [1] في تاريخه ما نصه: [2] «وهلك ادريس سنة ثلاث عشر» [3] وقام بالامر من بعده ابنه محمد بعهده اليه فاجمع امره بوفاة [4] جدته كنزة ام ادريس على ان يشرك اخوته في سلطانه ويقاسم ممالك ابيه فقسم المغرب

1) توفي ابن خلدون سنة 808
2) ج 4 ص 14 طبع مصر سنة 1284 .
3) يعنى عام 213 هـ .
4) هكذا في النسخة المطبوعة من تاريخ ابن خلدون ولعل صوابه باشارة جدته.

بينهم اعمالا اختص القاسم منها بطنجة والبصرة وسبتة وتيطاوين وقلعة حجر النسر وما الى ذلك من البلاد والقبائل» ومثل ذلك في القرطاس[1] والاستقصا[2]

فتطوان كانت فى القرن الثالث للهجرة، تذكر من بين المدن الموجودة فى شمال المغرب.

تطوان في القرن الرابع

وورد ذكر تطوان فى حوادث سنة 338 - و - 341 . ففى كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكري الاندلسى[3] ما نصه[4] « ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة اجمع بنو محمد بن القاسم على هدم تطاوان فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وارادوا بنيانها فضج اهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا انها تضر بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فاعجل عبد الرحمن امير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم وذلك سنة احدى واربعين وثلاثمائة والقائد احمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يعلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر باحمد بن يعلى على حرب بنى محمد واجتمع العسكران فسفر حميد بن يعلى الى بني محمد على بن معاذ فاجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على ان يبعثوا بابنائهم الى امير المومنين »

وذكرت تطوان ايضا في حوادث سنة 347 . ففى البيان المغرب لابن عذارى المراكشى[5] ما نصه[6] .

« وفي سنة 347 . دخل جوهر قائد تميم الى الغرب واستولى على مدينة فاس ثم توجه الى تيطاون ووصل الى مضيق سبتة فلم يقدر عليها ورجع عنها وقصد بعساكره الى سجلماسة» الخ.

وذكرت ايضا في حوادث سنة 369 . ففى الاستقصا ما نصه[7] « ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجى صاحب افريقية بعد العبيديين الى المغرب الاقصى واناخ على مدينتى فاس وقتل عامليها محمد بن ابى على بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس

1) ص - 30 - طبع فاس سنة 1305 .
2) ج 1 - ص 75 .
3) توفى البكري سنة 487 .
4) ص 130 - طبع الجزائر سنة 1911 .
5) ابن عذارى من رجال القرن السابع للهجرة .
6) ج 1 ص 222 طبع ليدن سنة 1948 .
7) ج 1 ص 90 .

واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسى واجفلت ملوك زناتة من بنى خزر المغراويين وبنى محمد بن صالح اليفرنيين امامه وانحازوا جميعا الى سبتة وعبر محمد بن الخير من آل خزر البحر الى المنصور بن ابى عامر صريخا فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء ممدا لهم بنفسه وعقد لجعفر بن على بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجى واجازه البحر وامده بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة وجاء بلكين الصنهاجى حتى صعد جبال تطوان وتسنم هضابها واطل على عساكر زناتة واهل الاندلس بساحة سبتة فرأى ما لا قبل له به ، ويقال انه لما عاين ذلك قال ، هذه افعى فغرت الينا فاها ، وكر راجعا على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية اهل الاندلس وبها يومئذ عمارة عظيمة فهدمها ثم صمد الى برغواطة ببلاد تامسنا فجاهدهم وقتل ملكهم عيسى بن ابى الانصار واستولى على المغرب اجمع ومحى دعوة بنى امية من نواحيه » فتطوان كما رأيت في كلام البكري كانت في اواسط القرن الرابع ، مدينة فهدمت ثم وقع العزم على اعادة بنائها الخ .

تطوان في القرن الخامس

ورد اسم تطوان مرارا مع وصفها في كتاب البكري فمن ذلك قوله[1] « ومدينة تطاوان على أسفل وادي راس وقال محمد وادي مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاف من البحر الى ان تصل تطاوان . ومسافة ما بين البحر وبينها عشرة اميال وهى قاعدة بنى سكين بها قصبة للاول ومنار وبها مياه كثيرة سائحة عليها الارحاء وبجوفيها جبل يعرف ببلاط الشوك ، يركب لبنى سكين مائة فارس ، وبين مدينة تطاوان وجبل الدرقة سكة وهو قاعدة بنى مرزوق بن عون من مصمودة وسكناهم منه بموضع يقال له صدينة قرية ذات مياه سائحة وهي اطيب تلك البلاد مزارع ، وهذا الجبل في غاية المنعة وفي اعلاه مسارح واسعة وخروج خصبة للماشية وهذه القرية المذكورة في قبلي الجبل وبين القبلة والغرب منه الجبل المنسوب الى حاميم المفتري . وجبل الدرقة يتصل ببلاد غمارة ويسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر ، وبجبل الدرقة يتصل جبل حبيب بن يوسف الفهري » الخ .

فتطوان كما ترى يصفها البكري الذي عاش وتوفى في القرن الخامس بانها كانت في عصره مدينة وانها كانت قاعدة بنى سكين وكانت بها قصبة قديمة الخ .

تطوان فى القرن السادس

وورد اسم تطوان ووصفها ايضا في جغرافية الشريف الادريسى الذي عاش وتوفى

1) ص 107 - طبع الجزائر سنة 1911 .

في اواسط القرن السادس[1] قال في كتابه نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق» ما نصه[2] «ومن مدينة سبتة السابق ذكرها بين جنوب وشرق الى حصن تطاون مرحلة صغيرة وهو حصن فى بسيط الارض وبينه وبين البحر الشمالى خمسة اميال وتسكنه قبيلة من البربر تسمى مجكسة » .

وجاء فى كتاب الاستبصار، فى عجائب الامصار، المؤلف فى القرن السادس ما نصه[3] « مدينة تيطاوان. وهى مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء» فتطوان كما ترى ، كانت توصف فى القرن السادس بانها مدينة قديمة .

غزو الموحدين لنواحي تطوان حوالي سنة 540

وورد ذكر تطوان ايضا اثناء الكلام على غزوة الموحدين لهذه النواحى، فقد ذكر الناصري فى الاستقصا[4] ان الذي قام بهذه الغزوة الكبرى هو السلطان عبد المومن بن على وانه مكث فيها سبع سنين الخ وانه خرج لها فى صفر سنة 534 فلم يزل يتقرى بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حماتها ويذلل صعابها الى سنة 541 . وقد عقد البيدق[5] فى تاريخه فصلا عنوانه « خروج الخليفة للغزو الى المغرب ، ومما جاء فيه قوله[6] .

« بلغنا منه الى تامغريت متاع ابى بكر بن سحنون وقلعنا من ثم الى بنى سناد ثم قلعنا منه الى وادى لو ونزلنا في بنى سعيد عند دار كرناز بن منصور فامتنعوا وهربوا الى جبل يكاتل ثم هبط الابرتير[7] ونزل فى تيطاوين »

1) توفي الشريف الادريسي سنة 560

2) من الحلل السندسية ج 1 ص 68

3) من النسخة المختارية المخطوطة بمراكش

4) ج 1 ص 141

5) البيدق لقب للشيخ ابي بكر بن علي الصنهاجي مؤلف كتاب المهدي بن تومرت وابتداء دولة الوحدين

6) ص 92

7) الابرتير هو قائد الافرنج المرتزقة الذين كانوا في جيش تاشفين بن علي اللمتوني وكانوا يحاربون في صفه ضد الموحدين الذين قاموا ضد اللمتونيين - والتاريخ شأنه عجيب فقديما كان المغربيون يستأجرون الاجانب ليقاتلوا خصومهم ويموتوا في سبيل مصالحهم مقابل ملء بطونهم او جيوبهم، اما في عصرنا هذا فقد انقلب الحال والامر لله، اصلح الله الاحوال - وقد قتل الموحدون ذلك القائد مع جماعة من اصحابه (وان شئت فانظر الاستقصا ج 1 ص 142

قتل الموحدين لثمانمائة شخص في تطوان سنة 544

وفي الفصل الذي عنوانه «ذكر الاعتراف »[1] من البيدق ما نصه « ودفع جريدة اخرى لغمارة لابى محمد عبد الله بن سليمان ويحيى بن توكرورين وقتلا في تيطاوين ثمانمائة»[2] ثم ذكر فى هذا الفصل نفسه[3] ان ذلك كان سنة 544.

انتقال الشيخ عبد القادر التبين من غرناطة الى تطوان

هذا الشيخ هو صاحب الضريح المشهور تحت سور البلد بين باب العقلة وباب الرموز ، والعامة يدعونه « سيدى عبد القادر التبى » وقد وجدنا فى ترجمته انه خرج من بلده غرناطة سنة 540 ومر بسبتة ثم قصد تطوان فوجد ناحيتها عامرة بالقرى فاختار الاقامة بها واشترى من اهل ناحيتها ارضا بنى فيها مسجدا ودارا فاقبل الناس عليه وبنوا حوله فعمر الموضع ثم بنى السوق والعيون التي في ارضه وصنع ارحى لطحن الحبوب الخ .

وقد توفى الشيخ المذكور بتطوان ودفن بضريحه المذكور سنة 566 .

انتقال الشيخ ابى عبد الله الفخار من سبتة الى تطوان

وفي هذا العهد ايضا انتقل الشيخ ابو عبد الله الفخار من بلده سبتة الى تطوان وظل بها الى ان توفى ودفن بضريحه المشهور حتى الآن بين المدينة والنهر المار بجنوبها جهة باب الرموز . وهو المعروف لدى عامة الناس بسيدي عبد الله الفخار ، وهو شيخ الشيخ الكبير سيدي ابي العباس السبتي الشهير دفين مراكش رحم الله الجميع .

تطوان في القرنين السابع والثامن

بناء قصبة تطوان سنة 685

جاء في الاستقصا[4] ان من حوادث سنة 685 بناء قصبة تطاوين ، اي في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني الذي تولى الملك بعد وفاة والده المتوفى في محرم السنة المذكورة.

1) ص 109
2) ص 111
3) ص 112
4) ج 2 ص 43

بناء جديد لتطوان في اوائل القرن الثامن

بنيت تطوان بناء جديدا في اوائل القرن الثامن فصارت بذلك مدينة عامرة محصنة وظلت كذلك الى ان خربت في اوائل القرن التاسع. وقد جاء فى «القرطاس» اثناء كلامه على دولة ابى ثابت عامر بن عبد الله بن ابى يعقوب المرينى ما نصه(1)

« ولما فرغ من اهل جبل علودان ارتحل فدخل طنجة فى اول المحرم عام ثمان وسبعمائة ثم اخذ فى بعث الجيوش الى احواز سبتة وشرع فى بناء مدينة تطوان وبعث الفقيه ابا يحيى بن ابى الصبر رسولا الى ابن الاحمر يطلب منه ان يتخلى له عن سبتة واقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما ياتى به رسوله ففاجأه الموت فتوفى بها فى يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة » .

وذكر المؤرخ الاسبانى « منويل كاسطيانوس » فى كتابه « تاريخ المغرب »(2) انه بعد ان توفى ابو ثابت وقام مقامه اخوه ابو الربيع سليمان ، رفع الحصار عن سبتة وامر بالاستمرار فى بناء تطوان والسرعة فى ذلك فلم تمض مدة حتى كانت مبنية كاملة الاسوار. وفى الاستقصا ما نصه(3) .

« ثم امر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وللاخذ بمخنق سبتة هكذا عند ابن ابى زرع وابن خلدون(4) واعلم ان تطاوين هذه هى تطاوين القديمة وقد تقدم لنا ان قصبتها بنيت فى سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ثم بنى السلطان ابو ثابت هذه المدينة عليها فى هذا التاريخ الذي هو فاتح ثمان وسبعمائة. وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة»

فتطوان قد مضى عليها القرن الثامن وهى مدينة مبنية كاملة الاسوار وبها قصبة وثيقة محكمة البناء .

---

1) ص 287 طبع فاس 1305 .

2) ص 34 طبع طنجة (بالاسبانية) سنة 1898 .

3) ج 2 ص 46 .

4) عبارة ابن خلدون هكذا « وامر باختطاط بلد تيطاوين لنزول معسكره والاخذ بمخنق سبتة » ج 7 ص 237 .

تطوان في جل القرن التاسع

قال الناصرى في الاستقصا[1] ما نصه .

« وفي هذه المدة (اى فى حدود سنة ثمانمائة) خربت تطوان القديمة ايضا فزعم منويل[2] في تاريخه ان قراصين المسلمين من اهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اصبانيا وتغنم مراكبها ولما كانت سنة الف واربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكى الثالث شكوادرة لغزو تطاوين ومراكبها فانتهت الى وادى مرتيل وافسدت قراصين المسلمين التى به ثم نزلت عساكر الاصبنيول للبر فاقتحمت مدينة تطاوين بعد ان جلا اهلها عنها وخربت وعاثت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس ابى الحسن على المنظري الغرناطى»

وذكر المؤرخ الاسبانى مارمول كارباخال MÁRMOL CARVAJAL «في كتابه المؤلف في القرن السادس عشر للميلاد الموافق للقرن العاشر للهجرة » ان تطوان كانت في ذلك العهد عامرة جدا بالسكان وانهم كانوا يرسلون قراصينهم للغارة على سواحل المسيحيين وان اسطول قشتالة خرب المدينة المذكورة وسقط معظم سكانها ارقاء وانها بقيت فارغة مدة تسعين سنة حتى اجتاز المنظري الى افريقية الخ وفي « الارشيف ماروكان » ان العساكر الاسبانيين خربوا تطوان عن آخرها وقبضوا على كل من بقى بها واخذوه اسيرا ورجعوا به الى بلادهم واضمحل اثر البلد حتى صار احراشا وغابات الخ .

ومن هذا نعرف ان جل القرن التاسع قد مر على تطوان وهي مخربة .

---

1) ج - 2 - ص 146 .

2) منويل هذا هو الراهب الاسبانى منويل كاسطيانوس Manuel P. Castellanos وكان مقيما بطنجة وقد الف بلغته الاسبانية كتابا سماه « تاريخ المغرب » HISTORIA DE MARRUECOS وقد طبع بطنجة فيما يقرب من سبعمائة صفحة .

الفصل الثالث

منظر عام لمدينة تطوان - ماخوذ من جبل بقبيلة بني حزمر جنوبي المدينة
ويظهر الى اليسار جبل «درسة» وموقع مدينة تطوان منه

بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة

مدينة تطوان الحديثة «كما قلنا» هى تطوان الموجودة الآن ، وهى التي بناها المسلمون المهاجرون من الاندلس على انقاض تطوان القديمة .

وذلك انه لما ضاق الحال بمسلمى الاندلس عند استيلاء الافرنج على جل بلادهم ، صار كثير منهم يفضلون المحافظة على دينهم ولو بمغادرة اوطانهم المحبوبة التى قضى فيها اجدادهم نحو ثمانية قرون ، فأخذوا يتركون بلادهم الاندلسية الجميلة الزاهرة ويهاجرون الى غيرها من بلاد الاسلام ليعيشوا بين اخوانهم المسلمين متمتعين بحريتهم الدينية التى كان المتعصبون من الاسبانيين يقضون عليها فيما يحتلونه من بلاد الاندلس المسالمة .

ولقد كانت هجرات المسلمين الاندلسيين متقطعة في فترات مختلفة التواريخ ، وكان من بين اولئك المهاجرين عدد من اهل غرناطة الفيحاء التي كانت عاصمة آخر دولة اسلامية بالاندلس .

ركب اولئك اللاجئون الغرناطيون البحر قاصدين بلاد المغرب « الجارة الوفية لبلاد الاندلس» وسرعان ما وصلوا الى الشاطئ المغربى المقابل لاندلسهم فنزلوا امام مدينة تطوان القديمة التي ذكرنا سابقا ان الغزاة الاسبانيين كانوا قد خربوها وانها بقيت خالية نحو تسعين سنة .

وبعد ان اتخذوا الاجراءات التى سنبينها ، بنوا تطوان الحديثة ، وهذا البناء الاندلسى بتقسيماته ومنعرجاته هو الموجود الى يومنا هذا مع ما اضيف اليه في فترات مختلفة الى هذا التاريخ .

عدد الاندلسيين الذين بنوا تطوان

اما عدد المهاجرين « الاولين » الذين وفدوا على المغرب وجددوا بناء تطوان فنجد فيه ثلاث روايات .

ففى كتاب ابى محمد السكيرج انهم كانوا نحو الثمانين شخصا .

وفى تقييد سيدي العربى بن يوسف الفاسى انهم كانوا ستة واربعين رجلا وعشر نسوة .

وفى تقييد قديم انهم كانوا نحو الاربعين دارا .

ولا نرى اختلافا بين هذه الروايات . فعددهم الاول كان نحو الثمانين شخصا منهم ستة واربعون رجلا وعشر نسوة وباقى الثمانين اطفال وكانوا يسكنون نحو الاربعين دارا.

ولعل بعض الرجال هاجروا اولا منفردين لانهم كانوا يجهلون مستقبلهم فلما استقربهم الحال لحق بهم اهلهم واقاربهم . وعلى كل الروايات فان عدد المهاجرين الاولين انما كان يعد بالعشرات لا بالمآت ، ولكن مما لاشك فيه انه وصل باثر ذلك عدد كبير من الغرناطيين وغيرهم خصوصا بعد ان اكمل بناء المراكز الاولى بتطوان واستقر بها اهلها وتم استيلاء الافرنج على غرناطة وقضي على آخر دولة اسلامية بالاندلس، الفردوس الاسلامى المفقود . وهذا ليون الافريقى يذكر لنا في كتابه[1] ان المنظري الذي حكم تطوان عقب بنائها كانت تساعده في اعماله ثلاثمائة من نخبة فرسان غرناطة واشجعهم.

وليون هذا هو الحسن بن محمد الوزان الاندلسى المغربى . وقد ولد بغرناطة نفسها بعد استيلاء الافرنج عليها ببضع سنوات ، ونقل صغيرا الى المغرب فنشأ به وزار تطوان في ذلك العهد وحكى عما شاهده فيها بعينه .

وفى الارشيف ماروكان ان تطوان كانت ملجئا للمسلمين والاسرائليين الذين

---

1) ج 2 ص 255 من الطبعة الفرنسية بباريس سنة 1897

كانوا يفرون من عقاب محاكم التفتيش الظالمة الجائرة ذات الاعمال السوداء التي لطخت جبين الانسانية .

رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطوان

قد وقع الاتفاق على ان رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطوان هو القائد المجاهد ابو الحسن علي المنظري الغرناطي أحد قواد بني الاحمر وانه هو الذي أشرف على بنائها وتولى الحكم فيها وبقى قائما بالجهاد الى ان توفى بها ودفن خارج باب المقابر منها ولا زال قبره مشهورا يزار الى الآن .

الاجراءات التي اتخذها الاندلسيون قبل بناء تطوان

قد وجدنا عدة روايات حول الاجراءات التي اتخذها الاندلسيون للتوصل الى بناء تطوان الحديثة .

فأبو محمد السكيرج ذكر انهم شرعوا فى تجديد بنائها فقاومهم سكان الناحية فرفعوا أمرهم لامير الوقت فساعدهم بالمال ووجه معهم قوة لتحميهم من كل اعتداء .

ومنويل كاسطيانوس المؤرخ الاسباني ، ذكر أنهم لم يقدموا شيئا على الوفادة على سلطان المغرب فاذن لهم فى تجديد تطوان المهدمة. وفى المخطوط القديم[1] أنهم بعد ما جاءوا من الاندلس تفرقوا أولا فى قرى الجبل ثم ذهبوا الى مولاي علي بن راشد بشفشاون وطلبوا منه إصلاح مدينة تطوان .

وسيدي العربي الفاسي ذكر فى تقييده ان نزولهم هنالك كان على يد السيد المجاهد سيدي علي بن راشد الشريف العلمي وهو أمير الجبل وباني شفشاون . . . .

والذي نستخلصه من مختلف الروايات ان المهاجرين الاندلسيين الاولين الذين كان عددهم دون المائة ، بعد ان نزلوا بالشاطئ المغربي ، « اي فى وادي مرتيل شاطئ تطوان على البحر الابيض المتوسط » قصدوا دواخل البلاد المغربية ونزلوا فى مختلف قراها الجبلية القريبة من الشاطئ ثم اتصلوا بأمير هذه النواحي فى ذلك العهد وهو باني شفشاون مولاي علي بن راشد العلمي الذي سبق ان وفد عليه بعض مهاجري الاندلس ومنهم القائد المجاهد ابو الحسن المنظري ، فاتفقوا على ان يجدد المهاجرون الغرناطيون المتحضرون بناء مدينة تطوان المتهدمة وان يقوموا بعمارتها الا ان عملا كهذا كان لا بد فيه من اذن سلطان المغرب ، فتوجهوا اليه بفاس وهو

---

1) المخطوط القديم، نطلقه على تقييد مخطوط كتبه أحد قضاة تطوان فى أوائل القرن الثالث عشر وفيه معلومات مهمة عن هذه المدينة. وأصله محفوظ فى «الخزانة الداودية»

اذ ذاك محمد الشيخ الوطاسي فاستقبلهم أحسن استقبال وساعدهم على ما طلبوا وأمدهم بالمال والرجال ، كما ساعدهم ايضا مولاي علي بن راشد صاحب شفشاون وحاكم هذه النواحي الجبلية فى ذلك العهد .

تاريخ بناء تطوان الحديثة

وتاريخ بناء تطوان الحديثة نجد فيه روايتين أولاهما للسكيرج وصاحب المخطوط القديم الذي هو أقدم من السكيرج وهما معا تطوانيان .

والرواية الثانية للجغرافي ليون الافريقي الشهير الذي ولد بعد بناء تطوان ببضع سنوات ، والمؤرخ الاسباني منويل كاسطيانوس. فالسكيرج ذكر ان بناءها كان عام 888 . ورمز لذلك بـ « تفحة » وسلفه صاحب المخطوط القديم ذكر انه كان عام 889 ورمز له بـ «تفاحة» على الاصطلاح القديم بجعل كل حرف من الحروف الهجائية يدل على رقم خاص ، فكل من التائين باربعمائة والفاء بثمانين والحاء بثمانية والالف بواحد . ولا منافاة بين كلام السكيرج وسلفه ، لان بناء مدينة ولو كانت صغيرة لا يتم فى عام واحد، خصوصا فى ذلك العهد الذي كانت فيه وسائل النقل بطيئة او عسيرة ولعل من أرخ بعام 888 قصد سنة الشروع فى بنائها، ومن أرخ بعام 889 قصد تاريخ الفراغ من أهم بناياتها الاولى .

اما ليون الافريقي فبعد ان ذكر أنها بقيت فارغة خمسة وتسعين عاما ، ذكر أنه بعد انتهاء هذه المدة جدد بناءها وسكنها القائد الغرناطي الذي جاز الى سلطان فاس بعد ان نفاه ضون فرناندو ملك اسبانيا من مملكته. وقال صاحب الاستقصا ما نصه :[1]

« قال منويل (يعني منويل كاسطيانوس المؤرخ الاسباني) لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها الى المغرب فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي فاجل مقدمهم ورحب بهم فقالوا ان ضيافتنا عندك ان تعين لنا موضعا نبني فيه بلداً يكننا ونحفظ فيه عيالنا من أهل الريف فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخ» .

اي ان بناء مدينة تطاوين كان بعد استيلاء الاسبانيين على غرناطة ومعلوم ان ذلك الاستيلاء انما كان فى سنة 897 وبالتدقيق كان فى اليوم الثاني من ربيع الاول من السنة المذكورة وهو موافق لليوم الثاني من يناير سنة 1492 فالفرق بين التاريخين كما ترى نحو تسع سنين . وهو فى الحقيقة غير كثير . وأنا كنت أرجح

---

1) ج 2 ص 162

اولا رواية السكيرج وسلفه صاحب المخطوط القديم لامرين ، الاول انهما من أهل تطوان ، والشأن فى أهل كل بلد ان يكونوا أعرف من غيرهم بتاريخ بلدهم ، والثاني ان روايتهما هي التي يتناقلها الخلف عن السلف الى الآن حتى انهم زيادة فى التحقيق رمزوا لذلك التاريخ كما علمت بلفظ تفاحة اي 889 - او تفحة 888 . ولكنني توقفت أخيرا فى ذلك الترجيح لاني وقفت على تقييد فى كناش قديم بخط الفقيه الشريف سيدي التهامي بن محمد بن رحمون الذي عاش بتطوان فى النصف الاول من القرن الثاني عشر ، وهذا التقييد منقول من خط العلامة سيدي العربي الفاسي صاحب مرآة المحاسن وكان سيدي العربي المذكور ساكنا بتطوان وبها توفى عام 1052 . وقد جاء هذا التقييد المذكور ما نصه :

« ان هذا البناء الاخير كان على يد جماعة من الاندلس قدموا الى هذه العدوة حين استولى الكفرة دمرهم الله على الجزيرة أعادها الله للاسلام ، وذلك فى شعبان لسبع خلت منه عام 898 »

وهذا التاريخ يوافقه من التاريخ الميلادي فاتح يونيه سنة 1493 اي بعد سقوط غرناطة بسبعة عشر شهرا .

وسيدي العربي الفاسي كان ثقة صاحب تدقيق وهو اقدم من وقفنا على كلامهم فى هذا الموضوع ، وقد علمت انه عاش بتطوان قبل تاريخنا هذا بأكثر من ثلاثمائة سنة ، وقد حدد تاريخ وفود الاندلسيين على تطوان بالسنة والشهر واليوم وفى ذلك من التدقيق ما لا يخفى .

والذي يظهر والله اعلم ان المهاجرين الذين وفدوا على تطوان عام 898 عقب احتلال غرناطة كانوا من الكثرة والاهمية بحيث تنوسي عدد الذين سبقوهم سنة 888 فنسب البناء الى اللاحقين بدل السابقين، فالسابقون الاولون اختطوا المدينة وبنوا سورها الاول مع ما يكفى عددهم القليل من الدور وتوابعها فنسب اليهم تأسيسها وارخ ذلك بعام 889 ثم لما لحق بهم اخوانهم بعد احتلال غرناطة وبنوا دورهم الكثيرة بتطوان وعمروها وكان فيهم الوجهاء والفرسان ، نسبت اليهم، لوفرة عددهم وكثرة ما بنوا فيها من الدور والمعاهد وما ابرزوا فيها من مظاهر الحضارة والعمران، وأرخ ذلك بعام 898. وعلى ذلك تكون النتيجة ان الشروع في بناء تطوان الحديثة كان عام 888، والانتهاء من بناء سورها ودورها الاولى كان عام 889، وعمارتها بالبناء الكثير والحرف والصنائع والفرسان المجاهدين وغير ذلك. كان عام 898 والله اعلم.

من اسوار تطوان وابراجها القديمة

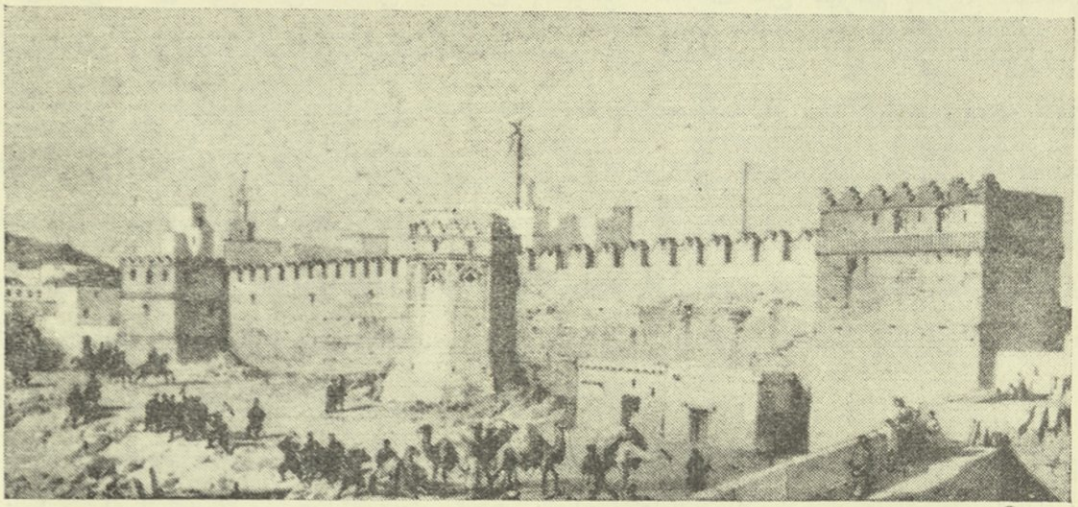

كانت تطوان التي بناها الاندلسيون في اواخر القرن التاسع للهجرة الموافقة لاواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، مدينة محاطة بالاسوار العالية المتقنة ، محصنة بالابراج الحصينة المختلفة الاضلاع.

وهذه صورة اخذت منذ نحو مائة عام ويظهر فيها قسم من اسوار تطوان وابراجها الواقعة في الجهة الغربية منها، اي القطعة التي بين الساقية الفوقية والغرسة الكبيرة. ويظهر فيها اعلى صومعتي جامع القصبة وجامع لوقش. وهذه الاسوار والابراج ما زالت قائمة كما تظهر في الصورة الى الآن الا انها قد بني حولها فصارت في وسط المدينة بسبب الزيادات التي وقعت فيها قديماً وحديثاً.

صفة تطوان الحديثة في اول امرها

اما صورة تطوان الحديثة في أول امرها فقد وصفها سيدي العربي الفاسي في تقييده المخطوط بما نصه:

«انها بلد مربع وقصبتها في ركنها ولها ثلاثة من الابواب، وسورها في عرضه سبعة اذرع ودار با بالسور الاول سور ثان وبعده دارت به الحفائر واعظمها حفير القصبة ويعلو البلد من جهة الجوف جبل بنى عليه المنظري قصبة اكملها في عشرين سنة»

ويعنى بالقصبة التي في ركن المدينة، المكان المعروف الآن بجامع القصبة، اذ كانت فيه القصبة التي بناها المنظري داخل المدينة وجعلها مقراً له ومركزاً للحكم وادارة شؤون المدينة ونواحيها. وما زال بعض ابراج هذه القصبة قائما الى الآن. ومقتضى كون المدينة مربعةوهذه القصبة في ركنها «اي الجنوبي الغربي» ان تكون حدودها من جهة الغرب،

سور سوق الحوت القديم فسور الغرسة الكبيره فالصباغين الخ ومن جهة الشمال، سور المدينة المطل على المقابر من جهة الصياغين. ومن جهة الجنوب آخر المطمر الى ما يقرب من الجامع الكبير الى ما يشرف على حومة الجنوي الى قوس فندق النجار. ومن جهة الجنوب الخط الممتد من برج سوق الحوت القديم الى قوس فندق النجار.

ومن المعلوم ان حارة اليهود «الملاح» كانت قرب الجامع الكبير في المكان المعروف الآن بالملاح البالي. اما الملاح الحالي فلم يبن الا في اواخر الربع الاول من القرن الماضي كما سيأتي بيانه بحول الله.

اما الابواب الثلاثة فلم يذكر محلاتها كما رأيت والذي يظهر والله اعلم ان احدها كان في القوس المتصل بفندق النجار جنب الزاوية الناصرية، والثاني في القوس الواقع فى آخر الشارع الذاهب من الجامع الكبير الى زاوية سيدي السعيدي اي الذي على رأس العقبة الصاعدة من جهة سيدي السعيدي، والثالث اما في القوس الواقع بين شارع الصياغين والخرازين متصلا بالتربيعة التي هناك واما في قوس السفاجين الواقع قرب جامع القصبة بين الوسعة و الغرسة الكبيرة. اما الاسوار فجلها قد اضمحل عندما وقع توسيع المدينة الاولى ببناء ارباضها.

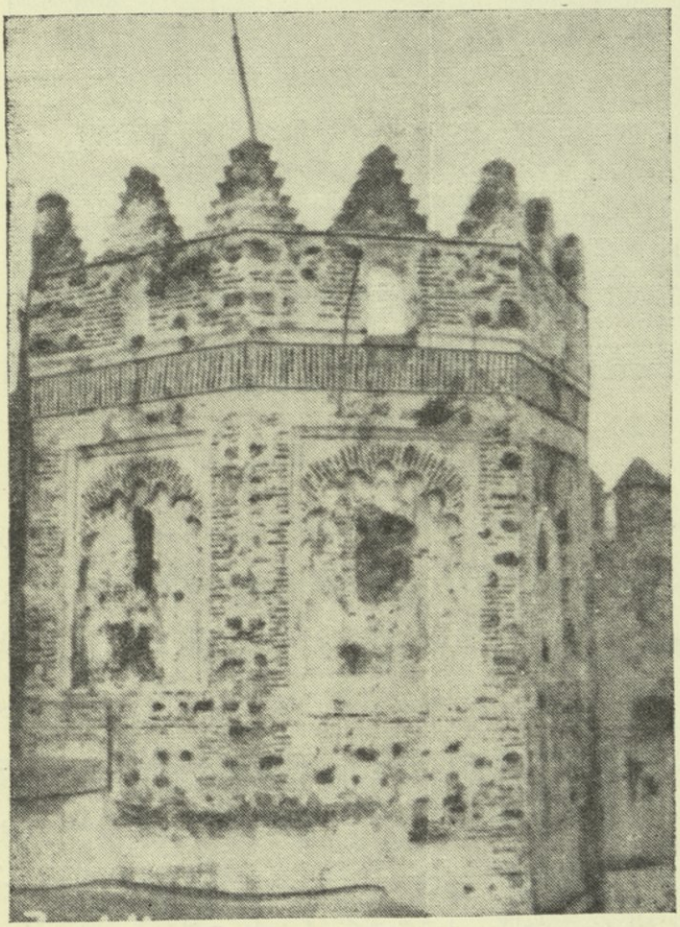

احد الابراج التي بناها القائد ابو الحسن المنظري حاكم تطوان في اواخر القرن التاسع للهجرة. ولا يزال هذا البرج حتى الآن قائما كما يظهر في هذه الصورة

والجبل الذي ذكر انه يعلو البلد من جهة الجوف اي الشمال هو جبل درسة، والقصبة التي ذكر ان المنظري بناها فيه واكملها في عشرين سنة. هي البناء المعروف الى الان بالقصبة مع ما اتصل بذلك من الاسوار والابراج، ولقد كانت تلك القصبة

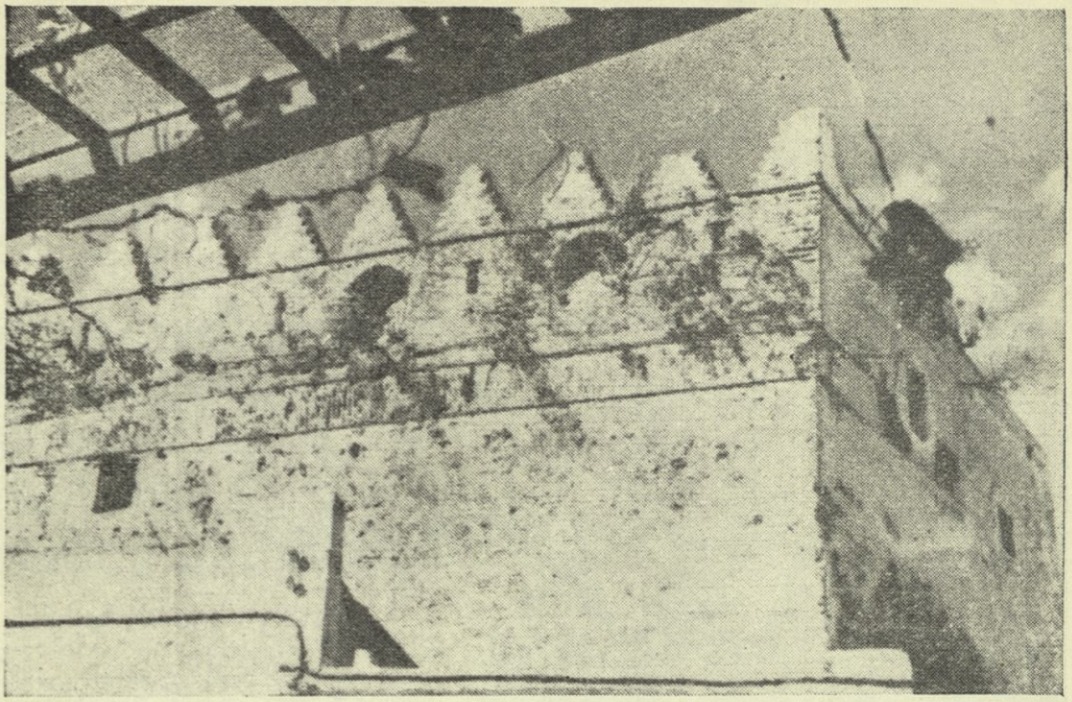

صورة القسم الاعلى من احد الابراج القديمة التي بناها المهاجرون الاندلسيون بتطوان عام 889

بابراجها من اهم حصون المدينة وكانت مركزا مهما للحراسة والدفاع بما كان فيها من المدافع الكبيرة وان كانت في العهد الاخير لم تبق بها الا المدافع العتيقة التي تطلق عياراتها البارودية في الجمع والاعياد والمواسم. والحفائر التي ذكر انها كانت محيطة باسوار المدينة، قد زالت كلها او جلها وامتلأت اماكنها بالبنيان وربما كان الحفير الذي كان متصلابالسور الفاصل بين حومة الصياغين والمقابر، من بقايا تلك الحفائر، ومن الممكن ان بقاءه على حالته مدة طويلة، كان ناشئا عن اتصاله بالمقابر وعدم البناء حوله. ومن المعلوم ان ما زاد على الاماكن المذكورة هو الارباض التي زيدت في المدينة عند ما ضاقت بأهلها بكثرة توارد المهاجرين الاندلسيين عليها وانضمام اهالي المدن والقبائل المغربية اليهم وسكناهم معهم[1] وبذلك انشيء ربض اعلى وربض اسفل وغير ذلك، فجهة زنقة المقدم والسوق الفوقي والطالعة المتصلة به والخرازين، هي الربض الاعلى كما نجد ذلك في الرسوم القديمة، وجهة الجنوي كجهة المصدع والسويقة الى باب العقلة وما

1) ولا ينبغي ان يغض النظر عن اهل سبتة وطنجة بعد احتلال البرتغال لهاتين المدينتين، فمن الضروري ان يختار عدد كبير منهم السكنى في تطاون لقربها من بلدتيهم الاصليتين، ت. و.

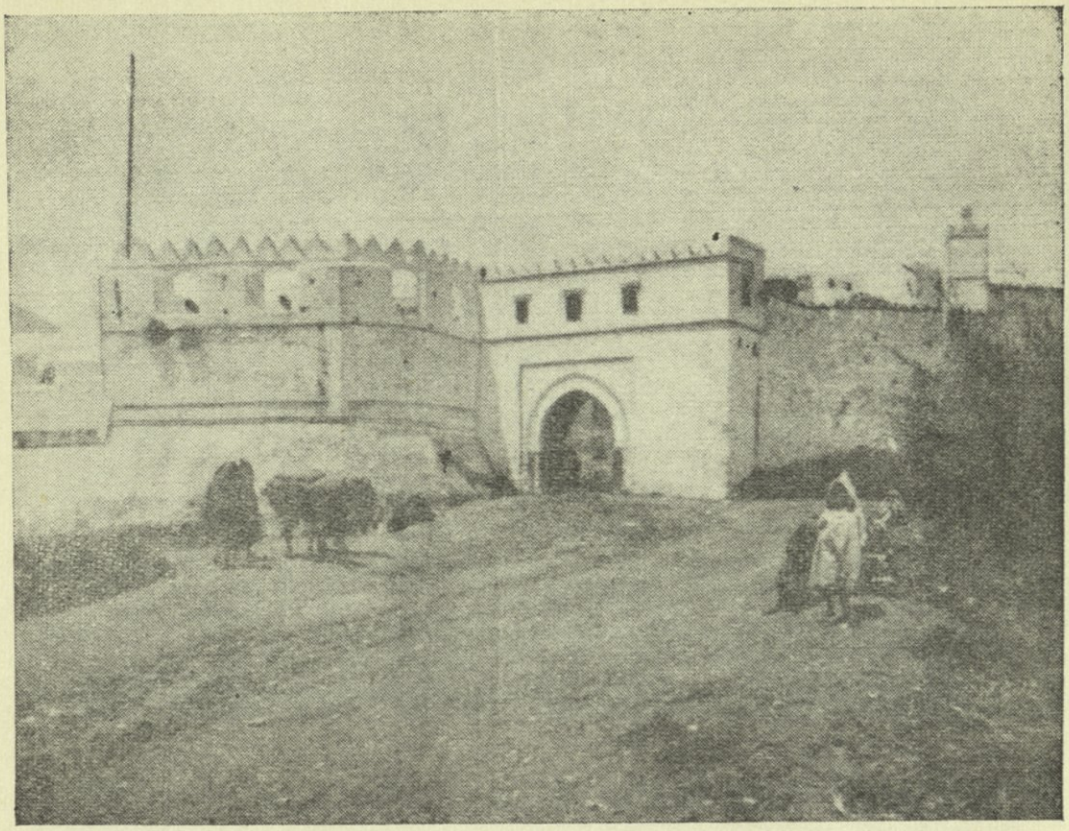

صورة قديمة لباب العقلة احد ابواب مدينة تطوان ، وهو الباب الواقع في الربض الاسفل المشرف على البحر الابيض المتوسط
ويرى الى جانبه احد ابراج هذه المدينة ، ويظهر به بعض المدافع

اتصل بذلك، هي الربض الاسفل، وما زالت جهة من هذه الناحية تدعى حتى الآن (الرباط السفلي) اي الربض الاسفل.

ثم من المعلوم ان حومة السانية التي بالعيون اي الطالعات التي بين السوق الفوقي وباب النوادر هي من بناء آخر المهاجرين الاندلسيين بعد الالف، ولعل جل حومتي الطرنكات والعيون من ذلك القبيل ايضاً، وباقي جهات تطوان قد بني فى فترات مختلفة حسب الاحتياج والدواعي الى ان احيطت جميع حوماتها في القرن الثاني عشر بالاسوار التي جعلت فيها سبعة ابواب ولم يكن من الممكن في ذلك العهد الدخول الى المدينة او مغادرتها الا من تلك الابواب السبعة كما ادركناه في صغرنا قبيل الاحتلال الاسباني الاخير.

ثم ان المؤرخ السكيرج ذكر ان الموضع القريب من جامع الربطة كانت به عين ماء اسمها عين السنابل وكان عليها مدشر ينزل به المسافرون بين سبتة وغيرها، (اي قبل البناء الاخير لتطوان) وكان بالقرب من ذلك مدشر آخر كانت مقابره هي الموضع الذي فيه الجامع الكبير الآن الخ.

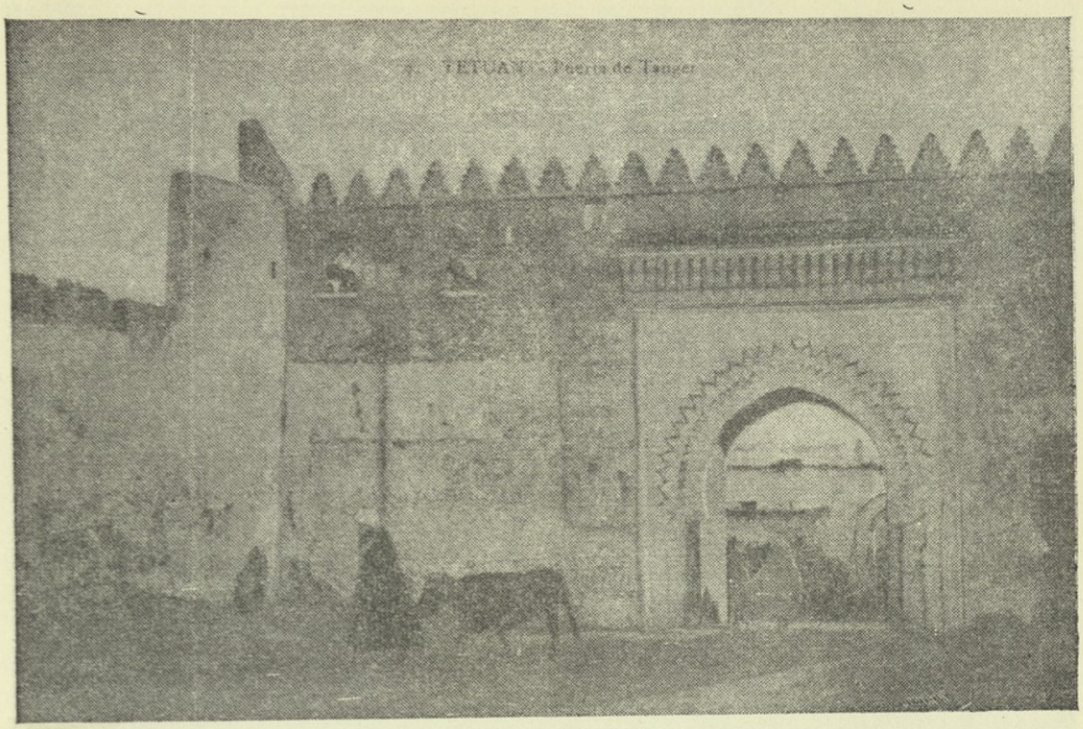

باب التوت ، احد ابواب تطوان ويقع في الجهة الغربية منها متصلا بحومة الطرنكات ومنه كان المسافرون يخرجون الى طنجة والقصر الكبير وفاس الخ.

ولقد كان سور المدينة من اول ما بناه الاندلسيون وذلك للتحصن بداخله من غارات الجبليين الذين كانو متضايقين من ذلك البناء فكانوا يعاكسون الاندلسيين وربما كانوا يهدمون بالليل ما يبنيه الآخرون بالنهار، وكان ذلك السور عريضا، وقد ذكروا ان عرضه يبلغ سبعة اذرع كما سبق، وما زال قسم كبير منه ظاهرا الى الآن وهو الموجود بسوق الحوت القديم والغرسة الكبيرة والصباغين الخ.

وبنوا ايضاً المسجد الجامع وهو جامع القصبة الذي ما زال معروفا بهذا الاسم الى الآن وقد جدد بناؤه في العهد الاخير.

والحمام المعروف الآن بحمام سيدي المنظري او الحمام السطيطو بين الزاوية الريسونية وساحة الوسعة، هو ايضاً من بناء الاندلسيين، وكذلك الفرن الذي قرب جامع القصبة هو من بناء سيدي المنظري، وبعضهم يذكر ان الحمام الذي بناه سيدي المنظري كان متصلا بجامع القصبة وانه لا يزال قسم منه موجودا الى الآن وهو الحانوت التي بين المحكمة الشرعية والجامع، ويستدلون بسقفها على انها كانت قطعة من الحمام الذي اضيف الى المسجد لتوسيعه. والله اعلم بالحقيقة.

والابراج الموجودة على السور الكبير الذي في ناحية سوق الحوت القديم وما يتصل به، جلها من بناء سيدي المنظري واصحابه الاندلسيين، والقسم الاعلى من احد تلك

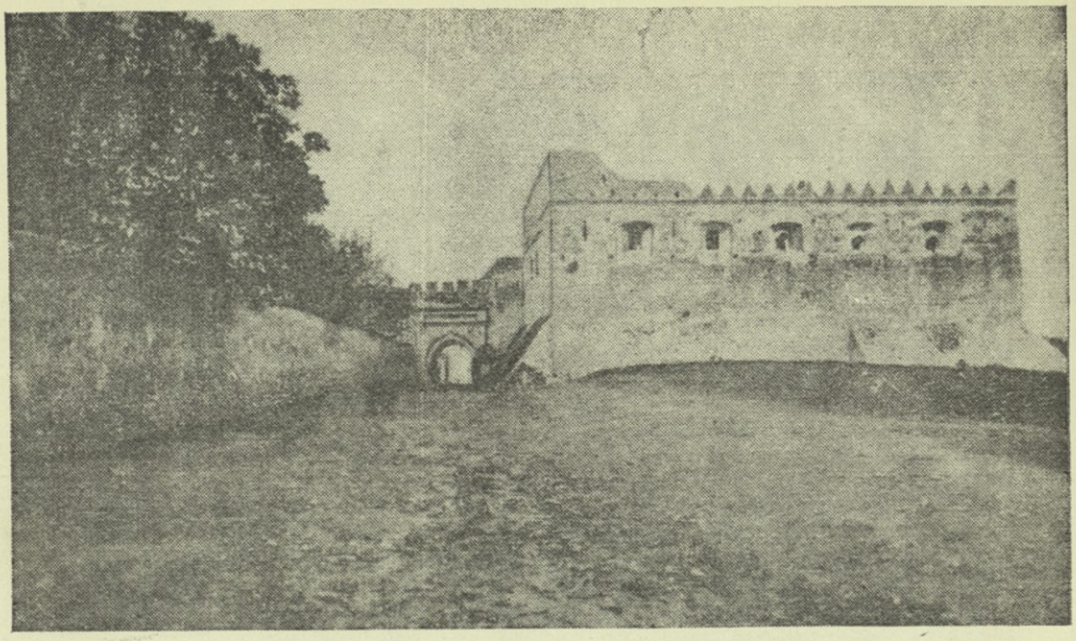

باب النوادر ، احد ابواب تطوان وهو واقع في آخر حومة العيون في الجهة الغربية من المدينة . ويرى الى جانبه البرج الكبير الذي تهدم منذ بضع سنوات بسبب الاهمال

الابراج (وهو قائم الذات الى الآن ويرى كاملا من جهة الصباغين) كان مخصصا للحراسة الدائمة لانه كان مشرفا على جميع الضواحي المحيطة بالمدينة وعلى السهل الفسيح الذي ينتهي عند البحر المتصل ببلاد اعداء ذلك العهد.

وهناك ايضاً اماكن اخرى من بناء ذلك العهد وما قرب منه .

واذا كان ما بداخل الدور محجوبا لا يراه الناس، فان بعض الاقواس المؤلفة من القطع الحجرية الكبيرة المنحوتة، ما زال قائما الى الآن ومنها القوس الذي خلف جامع القصبة من جهة باب المقصورة ، وقوس آخر في وسط الزنقة التي تصل بين شارع المطامر وجامع بن صالح «الشحيت» ، واخر في درب صمعان ، وهو الدرب المنحني الذي يواجه النازل من زنقة حمام امحلي وغير ذلك .

ومن المعروف ان الشوارع والدروب والمنعرجات التي فى هذه النواحي كلها ما زالت على الصفة التي اختطها الاندلسيون، ومن الطبيعي ان جملة من بناءاتهم كانت متينة فقويت على مقاومة الحوادث وبقيت اعيانها قائمة نراها الى الآن ، وان البعض الآخر كان بناء عاديا قد استغل مائة سنة اومائتين او ثلاثا ثم تداعى فبني غيره مكانه وتلك سنة الله الذي انفرد بالبقاء والداوم.

اما الدار التي كان القائد المنظري يسكنها فلا نتحقق الآن مكانها وان كان الشأن ان تكون حول جامع القصبة ، لان تلك الناحية كان بها المسجد الجامع

هكذا كانت ساحة الفدان ، التي كانت هي السوق العمومي بتطوان فى اوائل هذا القرن
ويرى في جهة اليمين قصر المشور الذي كان مقرا لحكام البلد وباعلى
الصورة تظهر القصبة القديمة واسوارها المشرفة على هذه المدينة

والفرن وكان بها مركز الحكم ومصعد الابراج التي كانت المركز الدائم للحراسة، وقد ذكر السكيرج ان المنظري المذكور بني داخل السور دارا له وانها كانت في زمنه (اي زمن السكيرج المتوفي في اواسط القرن الماضي) تدعى دار السكة قرب سوق الحوت، وبعض الناس يرى ان مكان الدار المذكورة هو البقعة التي كانت في السنوات الماضية فندقا للحواتة ثم بنيت المحكمة الشرعية في مكانها سنة 1354 وشيخنا ابو عبد الله المرير يظن ان محلها هو الدار المجاورة للمسجد وهي التي جدد بناءها الناظر المرحوم السيد محمد بن عبد السلام القناوي وهي الآن في ملك ابنائه، والله اعلم بالحقيقة.

موقف سكان القبائل من المجددين لبناء تطوان

ثم كيف كان موقف سكان القبائل المغربية من الاندلسيين المهاجرين الذين جددوا بناء تطوان ؟ هذا السؤال اجابنا عنه ابو محمد السكيرج وسلفه صاحب المخطوط القديم. فقد ذكرا ان سكان القبائل المجاورة لارض تطوان قد استاءوا من بناء هذه

المدينة بدعوى ان ارضها تقع في بلادهم، وان مرافقها هي مراعي لمواشيهم، وان بناءها وعمارتها يضيقان عليهم ويضران بمصالحهم، والسكيرج قد سمى من اولئك الجوار بني حزمر، وسلفه سمى منهم بني صالح وبني سالم وهذه الاسماء ومسمياتها كلها ما زالت موجودة ومجاورة لتطوان الى الآن، وزاد السكيرج ان بني حزمر كانوا بالفعل يناوشون الاندلسيين ويهدمون لهم ما يبنون من الدور وغيرها بل ذكر سيدي العربي الفاسي في تقييده ان بعض سكان تلك القبائل قد استصرخ النصارى ولكن الله سلم المسلمين الخ.

على ان الاندلسيين لم يكن عددهم عظيما فى بادئ الامر كما رأيت ولم يكن مجيئهم الى هذه النواحي بصفة الحرب والفتح، وانما جاءوا اليها فارين بدينهم من الافرنج وحكمهم، قصدوها لاجئين قانعين من اخوانهم المسلمين المغربيين بالسماح لهم بالسكنى الى جانبهم والتعاون معهم على تكاليف الحياة، وعلى الجهاد في سبيل الله، ومضايقة البرتغاليين الذين لم يكتفوا بمطاردة اهل الاندلس في بلادهم بل عبروا البحر وتراموا على اراض اسلامية مغربية صميمة. ولعل بعض الاندلسيين لمرونتهم كانوا يعذرون الجبليين البسطاء الذين كانوا لا يرون فيهم الا اناسا جاءوا لمضايقتهم في مراعيهم ومرافق قبائلهم، ولعل اولئك الاندلسيين لحضارتهم ونباهتهم وبعد نظرهم كانوا يرون انهم لا بد من ان يتمكنوا في يوم ما من استجلاب قلوب اولئك الجوار، وذلك بالتعاون معهم واستخدامهم في مصالحهم وشراء المحصولات منهم ومساعدتهم بتقديم الاشياء اللازمة لهم من المصنوعات المدنية التي كانوا محرومين منها او على الاقل ما كانوا يحصلون عليها الا بالتعب الشديد او السفر البعيد، والاندلسيون فى ذلك العهد لم يكونوا في حاجة الى نضال وكفاح، او انتصار على الجوار، وانما كانوا فى حاجة الى قوة يرهبون بها من يروم الاعتداء على ضعفائهم، من سكان القبائل او من الاجانب، ثم الى تفرغ الزراع والصناع منهم لاعمالهم، والمقاتلين منهم الى نضالهم وكفاحهم، ولقد كانت القوة الكافية لحراسة البلد والعجزة من اهلها متوفرة لديهم بالفعل، والسكيرج يحدثنا بان امير الوقت بعث مع الذين وفدوا عليه اربعين من اعيان فاس واربعين من اهل الريف ليحرسوهم من اعتداء المجاورين لهم، وصاحب المخطوط القديم يذكر لنا ان المنظري اشتكى لمولاي علي بن راشد من تعسف الجوار فبعث مولاي علي الى قبائل الريف فجاء منهم نحو اربعمائة فارس، وبوجودهم ساد الامن وتمكن المنظري من اتمام البناء. هكذا كان موقف سكان القبائل المغربية من مهاجري غرناطة. البعض يتضايق منهم ويناوشهم، والبعض يعطف عليهم ويحميهم ويسكن معهم، على انه لم تمض مدة طويلة حتى زال الخلاف واستأنس الجبليون بالاندلسيين وصاروا يستفيدون من معارفهم ومصنوعاتهم، ومن تبادل التجارة

معهم في محصولاتهم ومنتوجاتهم القروية، ثم لما رأوا شجاعتهم ونجدتهم صاروا يتشاركون جميعا جنباً لجنب في محاربة البرتغاليين الذين كانوا بسبتة .

واخيرا استقر بتطوان نهائيا عدد من الريفيين والجبليين الى جانب اخوانهم الاندلسيين ومن سكن معهم من الفاسيين فتصاهرت العائلات وامتزجت المصالح ومرت السنون فتنوسيت الفوارق التي بين العناصر لدى كثير من الناس، ثم توالت الهجرات الفردية الى تطوان من مختلف الجهات، الا ان جميع الذين وفدوا على هذه المدينة سواء من فاس او من مختلف القبائل الريفية والجبلية، قد تخلقوا باخلاق الاندلسيين في عاداتهم وملابسهم ومئاكلهم ولهجة كلامهم واصطبغ الجميع بالصبغة التطوانية الخاصة حتى صار من المتعذر التفريق بمجرد المظاهر بين من أصله اندلسي ومن أصله فاسي او ريفي او جبلي بل زاد صاحب المخطوط القديم ما يفيد ان عددا من أولئك الواردين على تطوان من مختلف القبائل بعد ان استقروا بها وتمتعوا بنعمة الحضارة والتمدن والعدل والامان ، ورأوا من الاندلسيين ما رأوا من حسن اخلاق وطيب أعراق ، ومعرفة واتقان ، ورزانة وبعد نظر وحسن تدبير ، اعجبوا بكل ذلك وتناسى عدد منهم أصلهم البدوي وصاروا يانفون من الانتساب الى قبائلهم بل صرح بان عددا منهم صاروا يدعون الاندلسية .

ولعل تلك هي سنة الله فى أهل البوادي عند ما يستقرون بالحواضر فلا يتعجل المستعجلون فى اي زمان او مكان .

نعم لقد امتزجت العناصر فى المدينة الجديدة ولكن الرئاسة مع الزعامة انما كانت فى الغالب بيد العائلات الاندلسية العريقة فى الحضارة والثروة والوجاهة ، وان زالت من يدهم فى بعض الاحيان بسبب الفتن والثورات فانها كانت لا تلبث ان تعود اليهم حينما يستتب الامر ويحتاج الناس الى سديد الرأي وحسن التدبير. كذلك كان الحال ، ولكن دوام الحال من المحال .

الفصل الرابع

ولاة تطوان وحوادثها

سنذكر في هذا الفصل بحول الله، اسماء الاشخاص الذين تولوا حكم تطوان الحديثة مع ما عرفناه من الحوادث التي وقعت في عهدهم منذ تأسيس هذه المدينة سنة 888 الى تاريخ نشر الحماية الاسبانية عليها وعلى بقية الشمال المغربي، وهو عام 1331هـ. 1913م. والله سبحانه المستعان .

في القرنين التاسع والعاشر

القائد ابو الحسن المنظري الغرناطي التطواني

هو القائد المجاهد الشيخ الصالح ابو الحسن علي المنظري الاندلسي الغرناطي التطواني، كان رحمه الله من ابطال جند ابن الاحمر بغرناطة وقد ابلى البلاء الحسن في الجهاد بوطنه الاول ثم هاجر الى المغرب وتولى رئاسة المهاجرين الغرناطيين الذين بنوا مدينة تطوان الحديثة، وقد اشرف على بناء هذه المدينة وحصونها وتولى حكمها فكانت في ايامه شبه ولاية مستقلة، فهو اول حاكم بتطوان بعد بنائها الاخير .

وبعد ان شيد الاسوار والمباني الضرورية، توجه لناحية الجهاد لمقاومة عدوان البرتغاليين الذين كانوا يقومون بغارات متوالية على نواحي تطوان، وقد احتلوا مدينتي سبتة وطنجة وهما اقرب مدن المغرب الى تطوان ، ولعل المنظري كان يرى ان خير انواع الدفاع هو الهجوم، فجند الجنود وخاض المعارك واسر الاسرى وجمع الغنائم واستخدم الجميع في مصالح قومه ومدينته، واسمع ما يقوله ليون الافريقي «الحسن بن محمد الوزان الاندلسي الفاسي» الذي ادرك اواخر ايام المنظري وزار تطوان في عهد حفيده الذي كان حاكما بها ايضا فحدثنا عما عرفه فيها بنفسه وشاهده بعينه، فقد ذكر في كتابه «وصف افريقيا»[1] ان المنظري لم ينقطع عن محاربة البرتغاليين وتكبيدهم الخسائر

1) ص 255 طبع باريس (بالفرنسية) سنة 1897م .

صورة مقابر تطوان وفي وسطها شجرة كبيرة تحتها لجهة اليسار حوش متواضع به قبر القائد المجاهد ابي الحسن علي المنظري الاندلسي الغرناطي رئيس المهاجرين الاندلسيين الذين جددوا بناء مدينة تطوان سنة 888

الجسيمة في سبتة والقصر «يعني القصر الصغير» وطنجة وانه كان يعتمد في اعماله على ثلاثمائة من اخير فرسان غرناطة واشجعهم، وانه كان في غالب المعارك يقبض من اعدائه اسارى فيستخدمهم في بناء حصون المدينة الخ.

وحدث ليون المذكور عن نفسه، انه لما زار تطوان رأى فيها بعينه من اولئك الاسارى ما يزيد على ثلاثة آلاف، وذكر انهم كانوا لابسين اكياسا صوفية (لعلها قشاشب) وانهم كانوا ينامون ليلا في بعض المطامير مصفدين بالسلاسل. ويقول مارمول (المؤرخ الاسباني) بعد ان ذكر ان المنظري اجتاز الى افريقية، انه عمر تطوان من جديد وبنى اسوارها وشيد بها قلعة ومنها كان يخرج على رأس الاربعمائة من الفرسان الذين اتى بهم من الاندلس مع من ينضم اليهم من المغاربة من اهل الجبال لمهاجمة حدود سبتة والقصر وطنجة، وكان يهاجم الاسبانيين من البر والبحر لانه كان يملك بعض السفن الصغيرة وبواسطتها كان يهاجم الشواطئ الاسبانية بنجاح حتى اجتمع لديه نحو ثلاثة آلاف من الارقاء كان يجبرهم على العمل طول النهار في بناء الاسوار ويسجنون ليلا في مطامر بايديهم الحديد.

وفي تقييد سيدي العربي الفاسي مانصه:

«ويعلو البلد من جهة الجوف جبل بنى عليه المنظري قصبة اكملها في عشرين سنة ولم يكلف في بنائها اهل البلد بشيء انما كان يبنيها الاسارى من النصارى الذين تحت يده. . . وكان يفدي اسارى المسلمين بأخماس الغنائم»

وفي الاستقصا نقلا عن منويل كاسطيانوس ما نصه :(1)

«ولما عقد له الشيخ الوطاسي على اصحابه (اي المنظري) رجع بهم الى تطاوين وشرع في بناء اسوار البلد القديم فجدده وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته ثم اخذ في جهاد البرتغال بسبتة وبلاد الهبط الى ان اسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتمام ما بقي عليه من بناء تطاوين واتصلت الحرب بينهم وبين برتغال سبتة كاتصالها بين اهل آزمور وبرتغال الجديدة».

وقد بقي ابو الحسن المنظري قائما باعمال الجهاد الى ان توفي رحمه الله. ونحن لم نقف على تاريخ وفاته، ونقدر تقديرا (فقط) انها كانت في حدود عشرة وتسعمائة والله اعلم. وقد دفن رحمه الله بتطوان خارج باب المقابر وقبره الى الآن مشهور يزوره الناس وعليه حوش مربع الشكل بغير سقف وفوقه شجرة خروب كبيرة تظله. ورحمة الله ورضوانه على ابي الحسن المنظري ورفقائه المجاهدين الاحرار.

القائد المنظري الحفيد

ذكر ليون الافريقي ان الذي كان حاكما بتطوان في عهده، هو حفيد المنظري ولم يذكر اسم هذا الحفيد الا انه وصفه بانه شديد اليقظة عظيم الشجاعة.

ومارمول المؤرخ الاسباني (الذي عاش في القرن العاشر للهجرة) بعد ان سطر تاريخ ابي الحسن المنظري واعماله الحربية، ذكر ان الذي خلفه في الحكم هو حفيده الذي لم يكن اقل منه شجاعة، وذكر الباحث الفرنساوي م. ريكار. M. RICARD «ان المنظري (يعني الحفيد) كان متزوجا بالست الحرة (عائشة) ابنة علي بن راشد، وان ابن راشد لما مرض سنة 1511 م. (اي عام 917 وهو العام الذي توفى فيه) استخلف على الجيش ولده مولاي ابراهيم وصهره المنظري قائد تطوان وتارغة، فهجما على اصيلا وقاتلا البرتغاليين الذين كانوا بها»

فمن هذا نعرف ان المنظري الحفيد كان عام 917 حاكما على تطوان وعلى القبائل القريبة منها الى تارغة التي هي قطعة من قبيلة غمارة في الجنوب الشرقي من تطوان

1) ج 2 ص 162

كما نعرف انه كان كجده قائدا شجاعا يقود الجيوش ويجاهد الافرنج الذين كانوا قد تراموا على الشواطيء المغربية في عهده.

ونقول ان المنظري الحفيد هو الذي كان موجودا في ذلك التاريخ لاننا نعرف ان المنظري الجد توفي في حياة الشيخ علي بن راشد وقد ذكر السكيرج في تاريخه حكاية تدل على ذلك.

وقد علمت انه كان قد اجتمع بتطوان في عهد المنظري الحفيد عدد من الاسارى الاجانب وقد وجدنا في بعض التواريخ الاسبانية ان بعض المحسنين من الاسبانيين كانوا يتبرعون بالاموال لافتداء الاسارى المسيحيين من أيدي ملاكهم المسلمين بتطوان، وقد فصلنا فى اصل هذا الكتاب اخبار افتداء اسارى من هذا القبيل سنة 1523 م. عام 929 هـ.

وقد كانت وفاة المنظري الحفيد عام 935 كما رأيته بخط العلامة سيدي محمد ابن شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي نقلا من خط العلامة سيدي العربي الفاسي عن الشيخ سيدي علي الشلي. رحم الله الجميع.

اهمية عمل المنظري واصحابه

ونحن اذا رجعنا الى تاريخ المغرب في ذلك العهد، وعرفنا الحالة التي وصل اليها من الضعف حتى ترامى الافرنج على سواحله واستولوا على جل مدنها، وعرفنا ان المنظري وحفيده واصحابهما لم يقتصروا على المحافظة على تطوان والحيلولة دون استيلاء الافرنج عليها، بل كانوا ابطالا يهاجمون اولئك الافرنج في معاقلهم ويأخذون منهم آلاف الاسرى ويستخدمونهم في مصالحهم، عرفنا فضل السيد المنظري وسكان تطوان في ذلك العهد، وادركنا قدر المهمة العظيمة التي كانوا قائمين بها.

ولايضاح ذلك نذكر انه في ذلك العهد كان الافرنج قد استولوا على سبتة وطنجة واصيلا، ثم استولوا على ارض الجديدة سنة 907. وعلى العرائش سنة 910 كما استولوا على سواحل سوس واسفي وازمور والمهدية والدار البيضاء ولم يبق بيد المسلمين من الثغور البحرية بالمغرب الا القليل مثل سلا ورباط الفتح كما في الاستقصا.

كل هذا وتطوان التي كانت اقرب الى بلاد الافرنج من جميع تلك المدن، بقيت محفوظة بيد المسلمين تحت حكم سلطان المغرب بفضل جهاد المنظري وأصحابه اهل تطوان ونواحيها. ورحم الله من اهل المغرب من عرف كيف يعيش حرا عزيزا محترما.

الست الحرة حاكمة تطوان

نجد اسم الست الحرة[1] في بعض المصادر الاجنبية وقد ورد ذكرها ايضاً في كتاب دوحة الناشر[2]

وهذه السيدة هي عائشة ابنة السيد علي بن راشد الشريف العلمي باني شفشاون وحاكمها. وامها اسبانية اسلمت. وكانت الست الحرة اولا زوجة للمنظري الحفيد ثم تزوجها وبنى بها في تطوان سلطان المغرب احمد الوطاسي[3]

وقد تولت هذه السيدة حكم تطوان كما يستفاد من كلام ابن عسكر في دوحة الناشر، ومن المصادر الاجنبية، وكانت لها علاقات خارجية مع بعض الدول.

وقد وقع بينها وبين حاكم سبتة البرتغالي خلاف فانقطعت المواصلات بين تطوان وسبتة، وتدخل في ذلك سلطان فاس وكلف ضون سباستيان دي برگاس‌ان يكتب رسالة الى خوان الثالث ملك البرتغال للتوسط بين حاكم سبتة والست الحرة سنة 1552 م (عام 949) وكانت هذه المرأة الحاكمة قد سمحت للمراكب التركية بالدخول الى ميناء تطوان.

ويظهر ان حكم الست الحرة لتطوان كان حوالي سنة 949-950- اي بعد زواجها بالسلطان الوطاسي المذكور.

ومن المعروف ان بني راشد الذين هم حكام مدينة شفشاون والقبائل الجبلية، كانت بينهم وبين المنظري والاندلسيين علاقة ودية متينة منذ هاجر اولئك الاندلسيون من غرناطة الى هذه الناحية، ويظهر ان ذلك كان من اهم الاسباب فيما حصل بين آل المنظري واصحابه اهالي تطوان من ناحية، وبني راشد من ناحية اخرى من الانسجام والتعاون حتى ادى الحال اولا، الى المصاهرة بين العائلتين المنظرية والراشدية، وثانيا، الى تولي «الست الحرة» الراشدية المنظرية لحكم مدينة تطوان نفسها، بالرغم من كون ولاية المرأة للحكم شيئا غير معروف بالمغرب في عهد الحكم الاسلامي الا ان مكانة العائلتين وذكاء الست الحرة ودهاءها وقوة شخصيتها، كل ذلك سوغ للمرأة ان تحكم الرجال اداريا وتقودهم سياسيا واجتماعيا. وذلك من اغرب ما حدث في تاريخ تطوان.

---

1) لشيوع التسري بين القواد ورجال الدولة كانت ازواجهم الحرائر ذوات منزلة خاصة حتى كن يكرمن بان ينص على انهن حرائر ولسن بامهات اولاد. ت و

2) ص 34.

3) ذكر ذلك سيدي العربي الفاسي فى مرآة المحاسن(ص 216) وذكر ان زواجه‌وبناءه بها، كان بتطوان في شهر ربيع النبوي عام 948 ومثل ذلك في الاستقصا ج. 2 ص. 177

اضف الى ذلك زواج الست الحرة بالسلطان الوطاسي المذكور الذي يظهر ان الباعث عليه كان سياسيا اكثر منه عاطفيا. والمعلومات عن الست الحرة في المصادر العربية قليلة جدا، ولم نقف منها على ما يشفي الغليل .

وقد ذكر بعض المستشرقين ان الست الحرة هذه هي والدة ابن عسكر مؤلف كتاب «دوحة الناشر» وذلك خطأ كبير، اذ ان الست الحرة كما رأيت، هي عائشة ابنة السيد علي بن راشد الشريف العلمي، اما والدة صاحب الدوحة فهي السيدة عائشة بنت احمد بن عبد الله بن علي كما ذكره ولدها في ترجمتها من كتابه المذكور[1]. وقد ذكر فيه (في معرض الكلام على كراماتها) حكاية وقعت لها مع زوجة ابراهيم بن راشد شقيق الست الحرة، كما ذكر أنه وقع خلاف بينه وبين القائد محمد بن راشد (اخ الست الحرة ايضاً) حتى ادى به الحال الى ان خرج من بلده شفشاون واستقر بمدينة القصر الكبير فلحقت به امه وتوفيت هناك، ولم يعرج في كل ذلك على ان بين امه وبني راشد اية قرابة وقد وقع في هذا الخطإ بعض من تبع المستشرق المذكور مما اضطرنا للتنبيه على ذلك والكمال لله.

القائد الحاج علي الذيب

ذكر ابو محمد السكيرج وابو العباس الرهوني ان القائد الحاج علي الذيب تولى حكم تطوان بعد المنظري (ولم يذكرا تاريخ ذلك) وانه بقي حاكما مدة ثم عزل وطرد من المدينة فخرج منها وشرع في بناء المحل المتصل بها من جهة الشمال وهو المعروف بحومة الطالعة ولم يكن في تلك الناحية بناء قبل ذلك، وان الذيب المذكور بنى هناك اولا ثم بنى الناس حوله وفي مدة يسيرة بلغ عدد الدور هناك نحو خمسمائة دار ثم شيد الذيب باعلى تلك الناحية قصبة نسبها الناس اليه واطلقوا عليها اسم قصبة الذيب ولا زالت معروفة بهذا الاسم الى الآن»

والمظنون ان حكم هذا القائد كان في اواسط القرن العاشر والله اعلم.

وفي سنة 964 كان بتطوان وباء مات فيه عدد كبير من الناس ومن جملتهم الشيخ سيدي على الفحل صاحب الضريح المشهور خارج باب المقابر.

ومن حوادث تطوان عام 972 - 1564 م. ما جاء في كتاب مارمول (المؤرخ الاسباني الذي كان حيا في ذلك التاريخ) من ان قوة تطوان في ذلك العهد كانت ترتكز اولا على اربعمائة من خيرة الفرسان والف وخمسمائة من المشاة، وان هذا العدد زاد بعد ثورة المسلمين الغرناطيين الذين تخلفوا باسبانيا، ثم ذكر «انه زيادة على

1) ص 19

ذلك كانت توجد بعض السفن للقرصان الجزائريين الذين كانو يلتجئون الى ميناء هذه المدينة للتزود بالماء والطعام، تضاف اليها خمس عشرة سفينة صغيرة كان السكان يملكونها ويهاجمون بها سواحل اسبانيا، وبواسطتها استطاعوا منذ قريب ان يحركوا الثورة في بعض جهات غرناطة، وقد اهتم بذلك ملك اسبانيا فليب الثاني فامر قائد قواته البحرية باشبيلية ان يذهب ويغلق مصب نهر تطوان فذهب واخذ من جبل طارق سفنا مشحونة بالحجارة واغرقها في مصب النهر فاصبح من المتعذر على السفن ان تجتاز ذلك المكان، واذا كان البحر متراجعا فان تلك السفن تظهر على سطح الارض، وقد تم هذا العمل دون ان يستطيع اهل البلاد ان يحولوا دون ذلك رغم المعركة التي دارت بين الفريقين على الشاطيء والتي سقط فيها قتلى من الطرفين»[1]

ومن حوادث سنة 974-1567 م. انقسام سكان تطوان على انفسهم وقيام الفتنة بينهم حتى ارسل السلطان الجيش من فاس لقمع تلك الفتنة، وقد ذكر مارمول المذكور[2] (وكان حيا فى ذلك العهد) ان سكان تطوان انقسموا فرقتين فكانت كل واحدة منهما تقاتل الاخرى وان احدى الفرقتين طردت الاخرى من المدينة وانه في سنة 1576 م. (وهي توافق عام 974) دخل قائد المطرودين الى البلد في غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولاصحابه فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لارسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من الف فارس والفي راجل، وان جند السلطان دخل المدينة وقبض على رئيس الثوار وارسله سجينا الى فاس ثم طارد انصاره، وان قائد اولئك الفرسان بقى بالمدينة، اما قائد المشاة فقد رجع الى فاس ليبلغ الخبر الى السلطان الخ.

وقد وقفنا على اسم هذا القائد الثائر القاتل الذي اخذه السلطان سجينا الى فاس، فقد جاء في كتاب «لقطة الفرائد» لابن القاضي، انه «في تاسع محرم الحرام سنة 975[3] اخرج الامير ابو محمد عبد الله الشريف الحسني القائد حسين من قيادة تيطاون» فعلى هذا يكون القائد حسين هو رئيس احدى الطائفتين، ويكون رئيس الطائفة الاخرى هو الحاج علي الذيب والله اعلم.

---

1) قد شارك في هذه المعركة من اهل تطوان اربعمائة فارس والف راجل وقد اصيب منهم ما بين قتلى وجرحى نحو مائة شخص.

وقد اثبتنا في اصل هذا الكتاب رسائل رسمية فيها تفاصيل مهمة حول هذا الموضوع.

2) في كتابه «وصف افريقيا» ج. 2 ص. 242-244.

3) هذه السنة كما رايت توافق سنة 1567 م التي ذكر مارمول ان الحوادث المذكورة وقعت فيها.

اربعة قواد.

ذكر ابو محمد السكيرج هنا ثلاثة قواد تولوا الحكم بالتوالي على تطوان وهم القائد الوسخ ثم القائد محمد بوردان ثم القائد عبد الرحمن العلج.

ولا شك ان «الوسخ» انما هو لقب عارض لشخص، وهذا الشخص لم يذكر اسمه ونسبه.

وذكر ابو العباس الرهوني هؤلاء الحكام الثلاثة وزاد رابعاً هو محمد الصبان وذكر انه تولى بين القائدين الوسخ وبوردان.

وقد ذكر السكيرج والرهوني ايضاً ان كل واحد من اولئك القواد قد بقي في الحكم الى ان توفي. ولم يذكرا شيئا من تاريخ ولايتهم او وفاتهم.

ومن حوادث تطوان في سنة 995، انقاذ الاديب المؤرخ احمد ابن القاضي (مؤلف كتاب جذوة الاقتباس، ودرة الحجال وغيرهما) من الاسر، فانه ركب من ميناء تطوان فاعترضت الركب الذي كان به اساطيل للعدو واسرته فكتب السلطان الى قائد تطوان والى امينها السيد احمد المفضل فبذلا من الجهود ما تمكنا به من انقاذ ابن القاضي والاتيان به من سبتة الى تطوان[1] وقد كان اسره عام 994 وانقاذه عام 995. وتوفى بفاس سنة 1025.[2]

ومن حوادث تطوان عام 996. (1588 م) ما جاء في الاستقصا[3] ونصه:

«وفي هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة» (1588م) في ذي الحجة منها سافر المنصور الى فاس، وبينما هو في الطريق (اي بعد دخول سنة 997) وافته البشرى بالفتك بنصارى سبتة وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم احمد بن عيسى النقسيس التطواني كمن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع فخرج النصارى باولادهم وحشمهم فحال النقسيس بينهم وبين سبتة واوقع بهم وكاد يفتحها وسر المنصور بهذا الخبر وانشده في ذلك الكاتب ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بيتين زجر له منهما الفال لاستيلائه عليها وهما.

هذه سبتة تزف عروسا ... نحو ناديك في شباب قشيب
وهي بشرى وانت كفؤ اللواتي ... كافأت بعلها بفتح قريب

---

1) قد اثبتنا في الاصل نص فذلكة طويلة كتبها في هذا الموضوع معاصره الفشتالي في كتابه مناهل الصفا.

2) ترجمته في نيل الابتهاج والصفوة ص. 77 والسلوة. ج. 3 ص. 133 وفهرس الفهارس ج. 1 ص. 77. والاعلام. ج 2 ص. 93

3) ج 3 ص 57

(قلت) والذي وجدته بخط الفقيه الاديب سيدي مفضل افيلال مانصه: «وفي يوم الجمعة 22 محرم 997. كانت وقعة عظيمة وغزوة جليلة جسيمة بنصارى سبتة على يد المقدم احمد النقسيس الذي تنسب اليه زنقة المقدم من تطوان».

وفي لقطة الفرائد مانصه: «في سنة 997 كانت غزوة عظيمة بظاهر سبتة صدرت من اهل تيطاون»

وقد عقد الفشتالي في مناهل الصفا فصلا تحت عنوان، «ذكر خبر غارة المجاهدين على النصارى اهل سبتة وما افاء الله عليهم فيها من السبي والغنائم»[1] وقد اطنب في في هذا الفصل وفصل فيه تفصيلا وذكر ان الوقعة كانت يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم الحرام عام 997 وقال في آخره عن المجاهدين ما نصه: «ونظم المسلمون من تخطاه الاجل من المشركين في السلاسل والحبال، وحملوا رؤوس القتلى على عجلات اكتسحوها مع السرح للنصارى وقفل المسلمون اعزاء ظاهرين فرحين مستبشرين واستاقوا السبي بين ايديهم الى تطاون فبرز الناس لمشاهدته فكان يوما مشهودا. . . الى ان قال: ثم وصل قائد الثغر (يعني ثغر تطوان) والمقدمون على الغزاة بسبي سبتة وشقوا به فاسا على التعبية والالوية وبرز العذارى والمخدرات لمشاهدة ذلك من وراء حجابها فكان يوما مشهودا عند اهل فاس وعرض السبي على السلطان ايده الله، وسلم عليه اهل الثغر وفرح بهم السلطان غاية الفرح ودعا لهم باحسن الادعية وحرضهم وكافأهم ووصاهم فكان من الايام التي اعز الله تعلى فيها الاسلام واذل فيه عبدة الاصنام».

في القرن الحادي عشر

وانتهى القرن العاشر ودخل القرن الحادي عشر وحالة تطوان لم يطرأ عليها تغيير، فولاتها المحليون قائمون بشؤونها، والمجاهدون من اهلها يقومون باعمال الجهاد والغارات على الاطراف التي اقتطعها الافرنج من بلاد المغرب، وسلطة السلطان كانت اسمية اكثر منها عملية، وسترى ان جل هذا القرن قد مر على تطوان وهي مستقلة في اعمالها واحكامها عن نفوذ سلطان المغرب، وكان المتولون للحكم بها هم المقدمون المجاهدون من اولاد النقسيس التطوانيين، وقد بقى حكم تطوان مع زعامتها متوارثين بين افراد هذه العائلة عشرات السنين الى ان كان من امرهم ما سياتي بيانه بحول الله.

فهذا القرن يصح ان يقال فيه انه قرن اولاد النقسيس بتطوان، وتاريخ تطوان فيه هو تاريخ اولاد النقسيس.

---

1) قد اثبتنا في الاصل نص هذا الفصل برمته.

اولاد النقسيس

كان لاولاد النقسيس ظهور كبير بتطوان، وقد تولى عدد منهم حكم هذه المدينة. ونحن نجد أسماءهم مقرونة بلقب المقدم ، ولا يزال بتطوان شارع كبير يعرف بزنقة المقدم الى الآن ، وهذا الشارع به مساكن ودروب ومتاجر وحرف، والمقدم الذي ينسب اليه هو المقدم المجاهد أبو العباس احمد بن عيسى النقسيس رئيس المجاهدين التطوانيين فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للهجرة . ولقب المقدم كانوا يطلقونه على رؤساء المجاهدين فى تطوان ونواحيها فهذا المقدم النقسيس، وذاك المقدم ابو الليف ، وذاك المقدم الخضر غيلان الخ .

وقد ذكر الناصري فى الاستقصا اسم واحد من أولاد النقسيس وهو ابو العباس احمد بن عيسى المذكور ، وذكر السكيرج اسم اثنين اخرين منهم وهما المقدم محمد واخوه عبد الكريم وذكر ان هناك اشخاصا اخرين لم يعرف أسماءهم، ونحن قد استطعنا ان نعرف ان ثلاثة عشر شخصا من أولاد النقسيس قد تولوا الحكم بتطوان او على الاقل كان لهم نفوذ وسلطة بها وكانوا يوصفون بالمقدم ، وقد عرفنا أسماء وتواريخ عشرة منهم وهم:

1 ـ المقدم عيسى والد احمد (الاول) بن عيسى
2 ـ المقدم محمد عام 1006 ـ (1597 م)
3 ـ المقدم احمد « الاول » بن عيسى عام 1019 ـ (1610 م)
4 ـ المقدم عيسى بن احمد ، مع أخوته ومنهم عبد الله ـ 1032 ـ
5 ـ المقدم عبد الله بن احمد عام 1038 ـ (1629 م)
6 ـ المقدم محمد بن عيسى عام 1050 ـ (1640 م)
7 ـ المقدم عبد الكريم بن عيسى عام 1063 ـ (1653 م)
8 ـ المقدم احمد بن عبد الكريم عام 1070 ـ (1659 م)
9 ـ احمد (الثاني) بن عيسى عام 1071 ـ (1660 م)
10 ـ مفضل . . . . عام 1083 ـ (1672 م)

المقدم عيسى (الاول)

وجدنا اسمه مقرونا بلقب المقدم فى الحجر المنقوش على قبر ولده المقدم احمد الشهير المتوفى عام 1031 ومعنى ذلك أنه كان من رؤساء المجاهدين فى عصره ، ولم نعرف عنه أكثر من ذلك .

المقدم محمد النقسيس عام 1006 هـ (1597 م)

ذكر المستعرب الاسباني كليمنطي سرديرة ، في بحث نشره سنة 1926 ان محمداً النقسيس قضى في حكم تطوان ثلاثة عشر عاما من سنة 1597 م (1006 هـ) الى سنة 1610 م (1019) وأنه لما توفى في العام المذكور (1610م - 1019) خلفه ابن عمه المقدم احمد بن عيسى النقسيس. وذكر أبو محمد سكيرج اسم المقدم محمد النقسيس ولكن في تاريخ غير التاريخ المذكور ، ولم نقف على مستند صحيح نرجح به احدى الروايتين على الاخرى .

المقدم احمد (الاول) بن عيسى النقسيس 1019 (1610 م)

المقدم المجاهد ابو العباس احمد بن عيسى النقسيس هو أشهر أفراد هذه العائلة، وهو أقدم من ذكر اسمه منها في كتب التاريخ الصحيحة الموثوق بأخبارها، وقد تقدم لنا في حوادث سنة 996 - (1588 م) ما قام به هذا المقدم مع مجاهدي تطوان من الايقاع بنصارى سبتة الخ وجاء في مجموعة الكونت هنري دي كاستري ان المقدم احمد هذا كان ذا سلطة بتطوان في 11 غشت سنة 1608م ، وهذه السنة يوافقها عام 1017 ولعل سلطته في ذلك التاريخ كانت بصفته رئيس المجاهدين والله أعلم .

احتلال الشيخ المامون السعدي لتطوان

من حوادث تطوان في عهد المقدم احمد النقسيس، احتلال الشيخ السعدي لهذه المدينة، وذلك انه وقع الخلاف بين الشيخ المذكور واخيه زيدان وتقاتل الاخوان فاندحر الشيخ فحل بالعرائش ثم قصد اسبانيا وطلب من ملكها فيليب الثالث ان يعينه على اخيه ليقضي عليه فقبل فيليب ذلك واشترط على الشيخ ان يسلم له مدينة العرائش بعد ان يخليها من المسلمين، فقبل الشيخ ذلك واراد النزول بتطوان فخابر المقدم احمد النقسيس محاولا منه ان يشاركه في خيانته، فرد عليه المقدم اقبح رد فتوجه الشيخ الى باديس من بلاد الريف عام 1018 ثم سار الى ان اتصل باهل الفحص فاعطاهم اموالا كثيرة فاطاعوه وخدموه. وفي نزهة الحادي[1] والاستقصا[2] انه اجتمعت عليه امة من اهل الذعارة والفساد والعتو والعناد على شاكلته فعتا في البلاد على عادته ووصل الى تطوان فاستولى عليها وخرج منها المقدم احمد النقسيس»

1) ص. 169

2) ج. 3 - ص. 106

ثم سعى الشيخ في قتل المقدم النقسيس وخصص لمن ياتيه برأسه مالا عظيما ولكنه لم يتم له ما اراد.

القائد حمو بودبيرة حاكم بتطوان

لما تم الامر في هذه الناحية للشيخ المامون السعدي اسند حكم تطوان الى قائده «حمو بودبيرة» الذي كان من اكبر انصاره وكان حاكما على فاس قبل هذا التاريخ.

ومن اعمال الشيخ السعدي بتطوان ما جاء في كتاب تاريخ الدولة السعدية [1] من انه دفع بعض اعوانه لقتل «مراد برتقيش» المجاهد التركي الذي كان من سكان هذه المدينة وكان له مركب حربي يغير به على سواحل الافرنج ويعود الى تطوان بالغنائم اربع مرات او خمسا في كل شهر، فتضايق من اعماله سكان سبتة وجبل طارق وكلموا الشيخ السعدي في شأنه فاوعز بقتله فقتل ليلا واخفيت جثته فارسل الافرنج الى الشيخ هدية نفيسة جزاء له على إراحتهم من حارس البحر «مراد بر تقيش» رحمه الله.

ومن اعمال هذا الشيخ بتطوان انه اعلن انه عقد مع الافرنج هدنة لمدة اربعين سنة وامر الناس بالكف عن الجهاد فامتثل بعض المقدمين امره ومنهم بعض اولاد بو الليف واولاد حسينو فوزع عليهم اراضي للحراثة ثم صار يغري بعضهم ببعض فكثر الهرج بينهم واحتدم القتال ومات بسبب ذلك من المقدمين والمجاهدين رجال وابطال.

ومن اعماله بها ايضاً، انه قبض بعض المجاهدين المسلمين الذين فروا من اسر برتغال طنجة الى تطوان فردهم مع عبيده الى البرتغاليين.

وقد بينا في الاصل كيف كتب مسلمو الاندلس الى هذا الشيخ باسرارهم وما يحاولون القيام به من اعمال لمصلحة المسلمين، فأبلغ تلك الاسرار الى الاسبانيين وكان ذلك سببا في اجلاء من بقى بالاندلس من المسلمين «الجلاء الاخير» فجاء عدد منهم الى تطوان وكان ذلك بين سنتي 1017 و 1020 هـ.

وذكر ابو محمد السكيرج ان هؤلاء المهاجرين الاندلسيين هم الذين بنوا الناحية المعروفة بالسانية في حومة العيون «بسفح جبل درسة»

تسليم العرائش للاسبانيين عام 1019

ومن اعمال الشيخ في هذه النواحي تسليمه مدينة العرائش للاسبانيين عام 1019

1) ص. 95

وقد ذكر ذلك في تاريخ الدولة السعدية[1] وفي نشر المثاني[2] وفي نزهه الحادي[3] وفي الاستقصا[4] وكان الشيخ قد راود قواده ورؤساء جيوشه على ان يساعدوه على ذلك التسليم ليفي له اولئك الاسبانيون بما وعدوه به من النصرة بالمال والرجال فامتنع الناس من ذلك ولم يوافقه على غرضه الا قائده الجرني فبعثه اليها وامره بان يخليها ولا يدع بها احدا من المسلمين فامتنع اهلها من اخلائها فقتل بعضهم وخرج الباقون تخفق على رؤوسهم ألوية الذل والصغار وهم يبكون واحتلها النصارى في رابع رمضان عام 1019 (نوفمبر 1610)

وقد بينا في الاصل ان الشيخ قد استفتى بعض العلماء في شأن تسليم العرائش فكانت فتنة ضل فيها الخونة والمغفلون من العلماء، ونجى الله منها اهل الخير والصلاح.

قتل الشيخ السعدي في نواحي تطوان عام 1022

وضج اهل تطوان ونواحيها من اعمال الشيخ المامون السعدي وخيانته، فتمالأوا على قتله واتفق على ذلك المقدم احمد النقسيس والمقدم محمد الصغير بو الليف وغيرهما فاصبح المقدم النقسيس على تطاون فقتل فيها القائد حمو بودبيرة واخوانه وسبى اموالهم واصبح المقدم ابو الليف على المحلة فقتل السلطان الشيخ في وسط محلته فانتهبت تلك المحلة وتفرقت جموعه، وكان قتله بمحل يعرف بفج الفرس يوم الثلاثاء سادس وعشري رجب الفرد الحرام عام 1022 ـ [5] وبقى الشيخ مطروحا مكشوف العورة خمسة ايام بلياليها والناس يترددون عليه لمشاهدته على تلك الحال والتحقق ممن خان الله والرسول وباع ارض المسلمين للعدو الكافر حتى خرج جماعة من اهل تطوان فحملوه مع من قتل معه كالدبيريين (رهط القائد حمو بودبيرة) وبعض أولاده ودفنوهم خارج تطوان الى ان حمل الشيخ الى فاس الجديد مع أمه الخيزران فدفنا به .[6]

---

1) ص. 96

2) ج. 1 ص. 108

3) ص. 168

4) ج 3 ص. 105

5) كذا فى تاريخ الدولة السعدية ص 97. والذي فى نزهة الحادي ونشر المثاني والتقاط الدرر والاستقصا ان قتله كان فى خامس رجب 1022 .

6) ويذكر المؤرخون الاسبانيون ان أبناء الشيخ ظلوا فى اسبانيا بعد ان ارتدوا عن دينهم، وكان الناس لا يثقون بهم ولكن الملك كان واثقا من صحة نصرانيتهم. ت. و.

وفى نزهة الحادي والاستقصا ان السلطان الشيخ كان له مال كثير قد انتهب كله ، ومن جملته نحو مد من الياقوت وانه بقى من أثاثه نحو وسق سفينة كان قد تركه بطنجة فاستولى عليه نصاراها من البرتغاليين عند موته .

حصار عبد الله بن الشيخ لتطوان عام 1027

وجاء فى نزهة الحادي[1] والاستقصا[2] ان السلطان عبد الله ابن الشيخ السعدي لما عادت دولته بفاس الى شبابها واستتب أمره وتمهدت له البلاد ودانت له العباد ، وذلك فى جمدى الاولى عام 1027 - (مايو 1618) بعث بعض جنوده الى تطوان لحصارها والاخذ بثار أبيه من الذين قتلوه ، وكان حاكم تطوان فى ذلك العهد هو المقدم احمد بن عيسى النقسيس ولم يكن راضيا بحكم عبد الله المذكور ، ولم نجد فى المصادر العربية التي بين أيدينا كيف كان ذلك الحصار وكيف انتهى ، والمستعرب الاسباني سرديرة ذكر أن المقدم احمد النقسيس رد جميع الهجمات التي قام بها جند السلطان عبد الله المذكور ، الا أنه يظهر ان العلاقات بين الطرفين قد تحسنت فى الجملة بعد ذلك التاريخ وصار المقدم النقسيس يعترف بالسلطة الاسمية «فقط» للسلطان عبد الله كما يفهم من المستندات الانجليزية .

وهكذا لا يحترمك خصمك الا اذا رأى منك القوة والشهامة ، والعكس اذا وجد فيك الضعف والاستكانة .

من أحوال تطوان فى هذا العهد

قد أثبتنا فى الاصل نقلا عن المجموعة الانجليزية للكونت هنري دي كاستري نصوصا منها بعض تقرير كتبه م . جون سميت الانجليزي JOHN SMITH سنة 1604 م (1012 هـ) ومنها بعض مذكرات كتبها م هنرى ماينوارينج HENRY MAINWARING الانجليزي سنة 1618 . (1027 هـ) وبينا كيف سطت مراكب انجليزية على بعض مراكب تطوان وأسرت من كان بها من المسلمين الاندلسيين التطوانيين ، وان بعض أولئك المسلمين بيع كالعبيد فى بعض مدن اسبانيا ، ثم كيف أسر المقدم النقسيس بعض الاشخاص الانجليزيين على سبيل الانتقام ، وبينا أنه وقعت بعد ذلك مفاوضات بين أهل تطوان والانجليز ثم عقدت بين الطرفين معاهدة أثبتنا موادها فى الاصل ، كما

1) ص 202.

2) ج 3 ص 121

اثبتنا به وثائق ومستندات كثيرة وتقارير مطولة عن تطوان وبقية بلاد المغرب(1)

كما اثبتنا ايضا نصوص رسائل تبودلت بين المقدم احمد النقسيس حاكم تطوان وارباب السلطات الانجليزيةالخ والذي يقرأ تلك المستندات والوثائق والتصريحات الصادرة من تطوان وحاكمها ابي العباس النقسيس، يدرك مدى المرونة السياسية والكرامة القومية والعزة الوطنية التي كانت لدى اهل تطوان في ذلك العهد جدد الله عليهم سحائب الرحمات.

وفاة المقدم احمد النقسيس عام 1031

توفي المقدم المجاهد ابو العباس احمد «الاول» بن عيسى النقسيس في ثامن عشر ذي الحجة الحرام عام 1031 موافق يوم الاثنين 24 اكتوبر سنة 1622 وقبره معروف في اعلى مقابر تطوان وعليه حجر نقش فيه اسمه ولقبه واوصافه وتاريخ وفاته وقد اثبتنا في الاصل تلك الكتابة بتمامها.

ابناء المقدم احمد النقسيس

لما توفي المقدم احمد بن عيسى النقسيس فى التاريخ المذكور كان بالمغرب سلطانان احدهما بفاس وهو عبد الله بن الشيخ السعدي والآخر بمراكش وهو عمه زيدان بن احمد المنصور ولم تكن تطوان خاضعة عمليا لاي واحد منهما.

وجاء في تقرير كتبه م. جون هاريسون الانجليزي سنة 1625م (1034 هـ.) انه لما وصل الى تطوان وجد ان حاكمها القديم قد توفى وان الحكم فيها بقي بيد اربعة من اولاده منهم عيسى وعبد الله الخ. وقد اثبتنا فى الاصل ترجمة تقرير كتبه هاريسون المذكور ومما جاء فيه انه اشار على دولته بان تحتل سبتة وجبل طارق من يد الاسبان الخ. وكان هاريسون هذا من الانجليز الذين يخدمون المصالح السياسية لدولتهم تحت ستار التبشير بالمسيحية، وقد اتصل باندلسيي تطوان وتفاوض معهم وكان كل من الطرفيين يريد استغلال الآخر لمصالحه فكانت بينهما مناورات وتعهدات وتحفظات.

وتقارير هاريسون وامثاله من سياسيي ذلك العهد من اهم ما كتب عن تطوان واحوال بلاد المغرب في ذلك التاريخ ومنها تقرير كتبه الى ملك انجلترا شارل الاول سنة

---

1) تلك الوثائق ترجم لنا بعضها عن الانجليزية صديقنا الاستاذ محمد بن تاويت شيخ المعهد الديني العالي الان بتطوان والبعض الآخر ترجمه لنا عن الاسبانية صديقنا الاستاذ حسن عسيران القنصل اللبناني الان .

1627 (1036 هـ) وفيه من اخبار المغرب عموما وتطوان بالخصوص ومن مساعي الشيخ المجاهد سيدي محمد العياشي ومواقف السلطان زيدان واماني اندلسيي تطوان والرباط، ومغامرات الانجليز ومساعيهم، مالا نجد له مثيلا في مصادرنا العربية، وقد اثبتنا في الاصل اهم ما في ذلك التقرير.

قتل ثلاثة من اولاد النقسيس

ومما جاء في تقرير هاريسون المذكور ان جماعة من خصوم ابناء النقسيس قتلوا ثلاثة من الاربعة الذين كانوا يحكمون منهم بتطوان وهم عيسي واخوان له وسلم اخوهم الرابع وهو عبد الله. وقد وقعت بسبب ذلك فتنة وقتال.

المقدم عبد الله النقسيس عام 1038

لما قتل الاخوة الثلاثة الذين كانوا يشاركون عبد الله في حكم تطوان، استقل هو بحكمها بعد ان طرد خصومه الذين استولوا على الحكم بها بعض الزمن.

وقد وقفنا في المجموعة الانجليزية للكونت دي كاستري على رسالة كتبها ملك انجلترا الى عبد الله المذكورو قد وصفه فيها بحاكم تطوان وارسلها اليه مع مندوب خاص سنة 1629 (1039 ه) ومما جاء فيها قول الملك المذكور. «مؤكدين لكم ان كل ما تامرون به من بضاعة مهما تكن في أية ناحية من نواحي مملكتنا فهي في خدمتكم الخ وقد اثبتنا ترجمتها الكاملة في الاصل كما اثبتنا ايضا ترجمة تقرير اخر كتبه جون هاريسون ايضا الى ملك انجلترا في اكتوبر سنة 1630 - (ربيع النبوي عام 1040) وفيه الكثير من اخبار تطوان في ذلك العهد.

استيلاء اصحاب المجاهد العياشي على تطوان عام 1040.

وقفنا في مجموعة الوثائق الفرنسية للكونت هنري دي كاسطري[1] على تقرير رسمي كتب في 31 اكتوبر سنة 1631 (5 ربيع الثاني 1041) ومما جاء فيه ان حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسيس لم يكن خاضعا لحكم المجاهد العياشي الذي كان بسلا، ولم يقبل ان يسلم له تطوان فكان العياشي يتأسف لبقاء هذه المدينة خارجة عن حكمه وقد اراد ان يضمها الى مطقة نفوذه بدون اراقة دماء فبعث بعض انصاره اليها وقاموا بدعاية سرية للثورة ضد المقدم عبد الله النقسيس والانضمام الى العياشي، ولم تعدم هذه الدعاية انصاراً

1) ج 3 ص 422 من سجلات فرنسا

فانضم الى اصحابها خصوم عبد الله النقسيس وتمت المؤامرة وفتح المتآمرون ابواب المدينة فدخلها اصحاب العياشي وعلى رأسهم سليمان بن يوسف مقدم الخروب واحمد ابو علي الذي كان من اكبر خصوم النقسيس المذكور.

فرار عبد الله النقسيس الى غمارة

وقد فر المقدم عبد الله النقسيس الى تارغة من بلاد غمارة في الجنوب الشرقي لتطوان (ووجدت في كناش بخط الفقيه سيدي التهامي بن رحمون التطواني ان عبد الله المذكور اخرج من تطوان عام1040) وأمر ابو عبد الله العياشي قائده سليمان بن يوسف ان يجمع من اهل تطوان ونواحيها نحو ثمانية آلاف شخص ويبعثهم لقبض عبد الله النقسيس او قتله، وفعلا جمع هذا الجيش وخرج لتنفيذ ذلك الامر في 25 اكتوبر سنه 1631 (29 ربيع الاول 1041) ثم لا ندري ما آل اليه امر تلك الحركة الا ان من المحقق ان اصحابها لم يتمكنوا من القاء القبض على النقسيس المذكور.

النقسيس ملتجيء عند اسبان سبتة

ثم ان عبد الله النقسيس لم يبق مقيما بتارغة من أرض غمارة ولعله توقع القاء القبض عليه وتسليمه لخصومه بتطوان فانتقل الى سبتة والتجأ بها عند الاسبانيين، وقد وقفت في الكتاب المسمى LIBRO DE LOS VEEDORES DE CEUTA[1] على نص رسالة بعثها ملك اسبانيا من مدريد الى حاكم سبتة فى ذلك العهد بتاريخ 11 مايو 1633 م (2 ذي القعدة 1042) والمفهوم من تلك الرسالة ان عبد الله النقسيس ومن معه قد لجأوا الى سبتة فأمر ملك اسبانيا حاكمها بأن يحسن استقبالهم ويدفع لهم المال من المصاريف السرية ولكن مع الاحتراس منهم الخ .[2]

مهاجرو الاندلس والمسيحية

وقد أثبت فى الاصل تقريراً آخر كتبه جون هاريسون الانجليزي عن أحوال تطوان والمغرب فى ذلك العهد، وقد تكلم فيه على الموريسكوس اي الاندلسيين الذين كانوا قد أخرجوا من اسبانيا وهاجروا بدينهم الى المغرب وعلقت على ذلك بما نصه :

---

1) لمؤلفه JOSE DE ESAGUY وقد طبع بطنجة سنة 1939 . وهذه الرسالة موجودة فى صفحة 147 منه .

2) ترجم لنا هذه الرسالة صديقنا الاستاذ التهامي الوزاني وقد أثبتنا نص ترجمتها الحرفية فى الاصل .

«ان هذا السياسي الراهب الجاسوس كاتب هذا التقرير، كثيرا ما يتهم أندلسيي المغرب بالحنين الى المسيحية والعطف عليها وتمني دخولهم فيها الخ وعمله هذا لا يخرج عن كونه صادرا عن بلادة وغباوة ، او تدجيل وتضليل ، والذي نرى انه ان كان قد وقع شيء من ذلك ظاهريا فانما هو ناشيء عن السياسة التي كان اولئك الاندلسيون المسلمون يعاملون بها هذا الراهب الذي كان يسره ان يسمع الثناء على الدين الذي يسعى لنشره والعقيدة التي يدعو اليها ، لقد شعر اولئك السياسيون المرنون بنقطة الضعف فى هذا المبعوث السياسي من دولته لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وغير ذلك فصاروا يضربون على وتره الحساس لاستجلاب عطفه عسى ان يتمكن من حمل دولته على تأييدهم فيما كانوا يرغبون فيه من محاربة اعدائهم الذين حاربوهم فى دينهم وطردوهم من وطنهم .

لقد كان اولئك الاندلسيون يعملون بكل ما في وسعهم لاضعاف قوة خصومهم واخراجهم من المراكز التي كانوا قد احتلوها بالمغرب، ثم العمل على تأليب الدول عليهم لخضد شوكتهم واضمحلال دولتهم لعل الحكم الاسلامي يعود الى الاندلس فيعود اولئك المهاجرون الى وطنهم الذي عاشوا فيه كما عاش به قبلهم آباؤهم واجدادهم ما يزيد على ثمانمائة عام واذا كان لديهم حنين، فانما هو الى ذلك الوطن المحبوب لا الى الديانة التي فروا منها ومن طغيان المتعصبين من اهلها الى بلاد الاسلام.

وانظر كيف يصرح هذا السياسي فى تقريره بان اولئك الاندلسيين «يعرضون خدماتهم باسم جميعهم اذا كانت هناك اية حرب ضد اسبانيا» وليت شعري كيف يتفق مع هذا ما جاء فى كتاب الاستقصا من ان اندلسيي سلا «يعني بهم اهل رباط الفتح كانوا ناصحين للكفر واهله الخ» حاشا ثم حاشا ومعاذ الله ان ينصح للكفر واهله من ترك وطنه ووطن آبائه واجداده واهله واصحابه وجميع ما يملك من متاع الحياة الدنيا لا لشيء سوى ان يتمكن من المحافظة على دينه الاسلامي الحنيف والعيش في وسط اسلامي يؤدي فيه شعائره الدينية بحرية ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين.

نعم قد يكون هناك رعاع لا يهمهم دين ولا وطن، «وفي كل امة وفي كل جيل رعاع» ولكن العبرة انما هي برجال الامة وقادتها من الابطال المجاهدين واهل العلم والمعرفة واصحاب الثروة والجاه، لا بالرعاع والاذناب الذين لا قيمة لهم.

وقبح الله الاغراض التي تعمي وتصم وتوقع فى شراكها المغفلين ولو من المنتمين للعلم او الصلاح.

بين حاكم تطوان وملك انجلترا عام 1041. (1632 م)

وسعى حاكم تطوان الجديد الذي هو سليمان بن يوسف في ربط علاقات ودية مع الحكومة الانجليزية فارسل الى شارل الاول ملك انجلترا رسالة كتبها بتطوان في 30 مارس 1632. (9 رمضان 1041) وقد اثبتنا في الاصل اهم ما فيها، وقد تعهد فيها باسم رئيسه (المجاهد ابي عبد الله العياشي) بمعاملة الرعايا الانجليزيين باحسن مما كان يعاملهم به المقدم النقسيس

ثم ان نفوذ ابي عبد الله العياشي ظل قائما بتطوان الى ان وقع الخلاف بينه وبين الدلائيين وقامت الحرب بينهما فضعفت شوكة العياشي واستقلت هذه المدينة بحكم نفسها وباشر الحكم فيها مجلس من اهلها الذين كان جلهم من مهاجري الاندلس ثم بعد مدة عاد الامر فيها الى اولاد النقسيس.

المقدم محمد بن عيسى النقسيس 1050. (1640م)

محمد هذا هو ابن المقدم عيسى ابن المقدم احمد الاول ابن عيسى النقسيس وقد وجدت بخط الفقيه بن رحمون انه تولى امر تطوان عام 1050 وانه توفي عام 1063. وذكر من حوادث عهده، ان الغزوة التي اسر فيها ابن القبطان بفحص سبتة كانت على يده عام 1058 - (1648 م)

وفي عهد محمد هذا ظهر اول ملوك الدولة العلوية الشريفة وهو المولى محمد بن الشريف، الا ان نفوذه لم يمتد الى ناحية تطوان فبقيت الحالة فيها على ما كانت عليه قبل من الاستقلال.

المقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس 1063 (1653 م)

عبد الكريم هذا هو أخو محمد السابق الذكر، وقد ذكر أبو محمد السكيرج اسمه وانه تولى بعد أخيه المقدم محمد الذي سبق لنا عن ابن رحمون انه توفى عام 1063 . وقد وجدت بخط ابن رحمون ايضا ان عبد الكريم هذا تولى أمر تطاون عام 1063 وذكر السكيرج أنه بقي حاكما بها تسعة أعوام - وفى بحث المستعرب الاسباني سرديرة انه حكم تطوان سبع سنوات وعلى ذلك تكون نهاية حكمه حوالي عام 1070.

وقد وقفت في المجموعة الانجليزية[1] على رسالة جاء فيها انه في يونيه سنة 1656 (1066 هـ) وصل بعض الانجليزيين الى ميناء تطوان وكان حاكمها اذ ذاك هو المقدم

1) فى المجلد الثالث ص 552 فما بعد

عبد الكريم النقسيس فسمح لهم بأخذ الماء واللحم وعاملهم معاملة حسنة ثم كانت له معهم علاقات ودية الخ .

وسيأتي لنا بعض ما وقع فى عهد عبد الكريم هذا من أعمال .

الغزواني صاحب الخضر غيلان يحكم تطوان عام 1070

يقول سرديرة فى بحثه ان عبد الكريم النقسيس بعد أن حكم سبع سنوات توفي فخلفه الغزواني صاحب الخضر غيلان ، وقد قدرنا ان وفاة عبد الكريم المذكور كانت حوالي عام 1070 . فتطوان قد دخلت فى حكم المقدم الخضر غيلان ، والذي كان حاكما بها نيابة عنه هو الغزواني هذا، ولا نعرف شيئا من تفاصيل هذا الحكم ومدته بالتدقيق الا ان سرديرة ذكر أن هذه المدة كانت قليلة وان احمد بن عبد الكريم النقسيس خلف الغزواني المذكور فى حكم تطوان .

احمد بن عبد الكريم النقسيس عام 1070 ـ (1659 م)

نقلنا عن بحث سرديرة ان الغزواني صاحب الخضر غيلان بعد ان حكم مدة قليلة حل محله احمد بن عبد الكريم النقسيس ، فان صح ذلك فمن المحتمل ان أهل تطوان لم يرضوا بحكم الغزواني فعزلوه وولوا النقسيس المذكور مكانه، ومن الممكن ان اولاد النقسيس وأنصارهم تغلبوا على الغزواني وطردوه واسندوا الحكم الى أحدهم، وقد نشأ عن طرد الغزواني ، ان رئيسه المقدم الخضر غيلان ، عاد لمهاجمة تطوان من جديد ، الا ان الخلاف بين الطرفين لم يطل وانعقد الصلح بينهما .

بين الخضر غيلان وأبناء النقسيس

كانت العلاقات بين المقدم الخضر غيلان والمقدمين من أبناء النقسيس بتطوان سيئة فى أول الامر ، لان غيلان كان من أصحاب ابي عبد الله العياشي وأولاد النقسيس لم يكونوا من أنصاره ، فكان غيلان يهاجم تطوان وكان المقدم عبد الكريم النقسيس يقاومه ويرد هجماته ، واستمر الحال على ذلك الى ان توفى عبد الكريم المذكور فاذ ذاك دخلت تطوان تحت حكم غيلان ثم تغلب احمد بن عبد الكريم النقسيس كما سبق فاغتاظ غيلان من ذلك وعاد لمهاجمة تطوان من جديد، ويظهر ان غيلان لما يئس من التغلب على تطوان واقتحامها عنوة كما فعل في مدينة القصر الكبير ، وذلك لمناعة أسوار تطوان وشدة بأس أهلها ، عقد الصلح مع اولاد النقسيس ، وفى بحث سرديرة ان الذي باشر عقد الصلح مع غيلان هو احمد بن

عبد الكريم النقسيس والذي وجدته بخط الفقيه ابن رحمون ان هذا الصلح كان عام 1072. وان ولاية احمد بن عيسى النقسيس (الذي سياتي ذكره) كانت عام 1071 ورواية ابن رحمون اقدم واصح عندنا، وعليه فان الذي عقد الصلح مع غيلان هو احمد بن عيسى لا احمد بن عبد الكريم والله اعلم وزاد سرديرة ان هذا الصلح كان على اساس ان يبقى النقسيس حاكما بتطوان ولكن بشرط ان يقبل نائباً مراقباً من قبل الخضر غيلان وان يقدم لغيلان رجالا يعينونه على مقاتلة الانجليزيين بطنجة، وهذا الشرط يظهر منه ان قوات الطرفين كانت متكافئة.

ثم ان الحال لم يقتصر على عقد الصلح بين الخضر غيلان وابناء النقسيس بل ان كلا من الطرفين اعترف بمكانة الآخر وتحولت العلاقات الى صداقة ومصاهرة.

صورة المجاهد المقدم الخضر غيلان الذي دخلت تطوان تحت حكمه حوالي عام 1070

المقدم احمد (الثاني) بن عيسى النقسيس 1071 - (1660)

احمد هذا هو حفيد احمد الاول المتوفى عام 1031 كما سبق، فهو عم احمد بن عبد الكريم خلافا لما ذكره سرديرة من انه ابن عمه وقد وجدت بخط سيدي التهامي بن رحمون انه تولى حكم تطوان عام 1071. كما قلنا. وقد بقى حاكما بهذه المدينة الى ان قبض عليه السلطان المولى رشيد كما سياتي بحول الله.

تطوان في عهد الدولة العلوية

اول من تولى الحكم من الاشراف العلويين هو المولى محمد بن الشريف وكانت بيعته بتافيلالت «سجلماسة» في حياة والده المولى الشريف بن على سنة 1050. فقام بقتال خصومه وتغلب عليهم واستولى على فاس ثم خرج منها.

وكانت تطوان في ذلك التاريخ وقبله كما علمنا غير خاضعة لحكم السلطان لان الزمن كان اذ ذاك زمن فترة فكان حكمها مستقلا ويتولى السلطة فيها زعماؤها ومقدموها. وقد تقدم لنا ان الشيخ المجاهد ابا عبد الله العياشي قد امتد نفوذه اليها مدة ثم لما ضعف امره عاد حكمها لاولاد النقسيس وقلنا ايضاً ان المقدم الخضر غيلان قد صار له بها بعض نفوذ ايضاً وخصوصا حينما تعاهد مع ابناء النقسيس وتصاهر معهم.

وفي تاريخ بيعة المولى محمد بن الشريف «اول ملوك هذه الدولة» كان حاكم تطوان هو المقدم محمد بن عيسى النقسيس كما سبق ثم كان حاكم البلاد الهبطية هو المقدم الخضر غيلان وهكذا كانت تطوان والشمال المغربي بسبب بعدهما عن عاصمتي فاس ومراكش يتأخر امتداد النفوذ السلطاني اليهما ثم قام المولى الرشيد في ناحية تازة فقصده اخوه المولى محمد والتقى الاخوان وتقاتل الجمعان فقتل المولى محمد رحمه الله عام 1075. وبوفاته بايع الناس المولى الرشيد فتصدى لفتح بلاد المغرب واحتل مدينة فاس سنة 1076 ثم خرج منها لفتح بقية البلاد المغربية، وهنا تبتدئ علاقة تطوان بالدولة العلوية.

مولاي رشيد يقبض على المقدم النقسيس عام 1078

قلنا ان السلطان المولى الرشيد تولى الحكم عام 1075 ثم فتح فاسا عام 1076. ثم خرج منها لفتح بلاد المغرب، وقد حكى الناصري ذلك في الاستقصا، وبعد ان ذكر عدة حوادث قال ما نصه[1] «ثم مال المولى الرشيد الى تطاوين فقبض على رئيسها ابي العباس النقسيس فى جماعة من حزبه وقدم بهم الى فاس فسجنهم بها اوائل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين والف (1667 م)، ومثل ذلك في كتاب الجيش لاكنسوس[2] والتقاط الدرر للقادري، الا ان حكم تطوان قد عاد بعد ذلك ليد بعض اولاد النقسيس.

وقد اثبتنا في الاصل نص رسم كتب بتطوان في ثاني وعشري شوال سنة 1078. وقد شهد فيه عدد من العدول والاعيان وغيرهم بظلم اولاد النقسيس واستبدادهم وان ذمتهم مستغرقة لبيت المال الخ، كما اثبتنا نص رسم آخر حكم فيه قاضي تطوان في ذلك التاريخ

1) ج. 4 ص. 17

2) ص. 59

وهو محمد بن سعيد بن قريش باستغراق ذمتهم لبيت مال المسلمين. وشهد عليه بذلك عدلان في نفس التاريخ.

ثم اثبتنا نص رسالة كتبها السلطان المولى الرشيد الى ناظر المواريث بمملكته وهو الفقيه محمد بن علي بن سودة وقد امره فيها ببيع جميع الاملاك التي كانت لابناء النقسيس بتطوان وغيرها، وتاريخ هذه الرسالة خامس ذي القعدة عام 1078. واثبتنا نص بعض الشهادات التي وقعت على ابن سودة المذكور ببيع بعض تلك الاملاك وقد وصف فيها بانه ناظر المواريث السعيدة، بسائر المملكة الرشيدية المديدة، محمد بن علي بن سودة، وقد كتبت بتطوان في اوائل رجب عام 1079.

وفي سنة 1078. كان حاكم تطوان هو القائد احمد بن يعقوب وهو الذي بنى برج «مسا» في قبيلة بني سعيد شرقي تطوان.

وفي سنة 81 1. كان القائد قاسم فرشيش هو حاكم تطوان ومن المعلوم ان السلطان المولى الرشيد قد توفي عام 1082. فخلفه اخوه المولى اسماعيل.

مفضل النقسيس حاكم تطوان عام 1083

ذكر سرديرة في بحثه ان بعض اولاد النقسيس عاد مرة اخرى الى حكم تطوان مدة قصيرة سنة 1672. (1083هـ) وهذا هو التاريخ الذي عاد فيه الخضر غيلان من الجزائر الى تطوان ثم ذكر سرديرة ان مفضل النقسيس هو الذي ساعد صهره الخضر غيلان على النزول بتطوان حين عاد من الجزائر في البحر وانه فتح له ابواب تطوان فاعاد تنظيم جيوشه واستعد لقتال السلطان الجديد المولى اسماعيل.

وفي المصادر الانجليزية ان الخضر غيلان لما عاد من الجزائر جاء معه عدد من الاتراك.

وفي الاستقصا[1] انه لما توفي المولى رشيد عام 1082. وتولى اخوه المولى اسماعيل انتقض عليه اهل فاس فزحف اليهم وحاصرهم واستمر القتال بين الطرفين اياما ثم بعثوا الى ابن اخيه المولى احمد بن محرز لياتيهم فيجتمعوا عليه فقدم دبدو وانزل على ملوية وبعث اليهم رسوله يعلمهم بمجيئه فاعلنوا بنصره وذلك يوم الخميس عشري جمدى الاخيرة عام 1083. وفي سلخ الشهر المذكور بعثوا عشرة من الخيل للقائه بتازا ثم اصبح عليهم رسول الخضر غيلان يعلمهم بانه قدم من ثغر الجزائر في البحر وانه نزل بتطاوين مع رؤسائها اولاد النقسيس. وفي نشر المثاني والتقاط الدرر انه في يوم الثلاثاء ثاني

1) ح. 4 ص. 22 ومثله في الجيش ج. 1 ص. 64

رجب سنة 1083. اصبح رقاص الخضر غيلان بفاس وانه وصل تطوان ودخلها مع اولاد النقسيس في بعض السفن من الجزائر.

قتل الخضر غيلان وفرار اولاد النقسيس الى سبتة عام 1084

ذكر الناصري في الاستقصا[1] ان السلطان المولى اسماعيل نهض الى ابن اخيه احمد بن محرز الثائر عليه فحاصره في تازا ففر ابن محرز ودخل الصحراء، ولما علم السلطان بفراره عدل الى ناحية الهبط فقصد الخضر غيلان فحاربه الى ان ظفر به وقتله يوم الاحد عشري جمدى الاولى سنة 1084. ثم ان من الثابت أن اولاد النقسيس الذين كانوا بتطوان في ذلك العهد فروا منها ولجأوا الى سبتة وبقوا بها اما مقيمين بها واما مترددين عليها تحت رعاية الاسبانيين ثم خرجوا منها اخيرا، وقد حكى ابو محمد السكيرج ذلك باختصار فذكر انه لما انتصر السلطان المولى اسماعيل كان الباقي من اولاد النقسيس اربعة هربوا لمدينة سبتة، وقال سرديرة في بحثه انه في سبتمبر سنة 1673 مات الخضر غيلان وانهزم حلفاؤه اولاد النقسيس الاربعة فالتجأوا مع اهلهم واقاربهم الى سبتة حيث اكرم وفادتهم حلفاؤهم المحكام الاسبانيون الذين كانوا قد عقدوا معهم هدنة منذ عام 1661 (1072) وجددت سنة 1672 (1083) من قبل الحاكم الماركيس دي طريس فدراس. وزاد ان ان ابناء النقسيس واقاربهم قد صحبوا معهم الى سبتة ستين رجلا وثمان عشرة امرأة، وهذا العدد نفسه هو الذي ورد في تاريخ منويل كاسطيانوس[2] وقد اثبتنا في الاصل نقلا عن كتاب Relaciones de africa رسالة كتبها احد الضباط الاسبانيين الى أحد اصدقائه بتاريخ 23 سبتمبر 1673 (11 جمدى الاخيرة 1084) وفيها تفاصيل عن حركات هذه النواحي وقتل الخضر غيلان وفرار اولاد النقسيس من تطوان ووصولهم الى سبتة في 17 سبتمبر 1673 (5 جمدى الاولى 1084) الخ

مهمة اولاد النقسيس وعلاقاتهم الخارجية

كتبت في اصل هذا الكتاب فصلا في المهمة التي كان ابناء النقسيس قائمين بها في الشمال المغربي وعلاقاتهم الخارجية بالدول الاجنبية. واني خلافا للعادة التي سرت عليها حتى الان من الاقتصار على تلخيص ما في الاصل والاحالة على ما فيه من النصوص والفصول المطولة، ارى من المناسب ان اثبت هنا ذلك الفصل برمته

1) ج. 4 ص. 22 ومثله في الجيش ج. 1 ص. 64

2) ص 441

كنموذج للكيفية التي سرت عليها في كتابتي لتاريخ تطوان ولابحاثي وتعليقاتي الخ ودونك نص الفصل المذكور:

«عرفنا ان تطوان كانت في عهد اولاد النقسيس غير خاضعة لحكم سلاطين المغرب الذين كانوا في جل ذلك العهد كملوك الطوائف لا هم للكثيرين منهم الا الانغماس الشخصي في الملذات والملاهي، وارسال الجيوش الوطنية لمحاربة جيوش وطنية اخرى في سبيل الاغراض الخاصة، وكان من نتيجة ذلك ان استغل الاجانب تلك الاختلافات وذلك الضعف وصاروا يقتطعون مما بقى من اطراف المغرب شيئا فشيئا الى ان كادوا ياتون على جميع الشواطئ البحرية في المغرب[1] اما ابناء النقسيس فانهم لم يشاركوا في تلك الاختلافات الداخلية وحروبها الاهلية، بل احتفظوا بقوتهم المادية والادبية واستبدوا بتطوان ونواحيها وبقوا قائمين باعمال الجهاد والرباط على الحدود حفظا لناحيتهم من الاحتلال الاجنبي فكانت نتيجة عملهم هذا ان تطوان بالرغم من قربها من الحدود الاجنبية برا وبحرا، بقيت كما كانت في ايام المنظري محتفظة بحكمها الاسلامي الوطني فكان مقدموها وحكامها هم الذين يباشرون جميع شؤونها الداخلية وكانت لهم مع الدول الاجنبية علاقات ومعاملات ومكاتبات. ومن الاسف ان المصادر العربية التي بين ايدينا لا نجد فيها شيئا من الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع، اما المصادر الافرنجية فقد عثرنا فيها على بعض معلومات يمكننا استنادا عليها ان نحكم بان علاقات اولاد النقسيس واهالي تطوان بالدول الاجنبية، قد مرت عليها في ذلك العهد اطوار اربعة نلخص ما عرفناه عنها فيما يلي:

الطور الاول - في عهد المقدم احمد بن عيسى النقسيس مع اسبانيا.

كان السلطان زيدان بن احمد المنصور بمراكش، وكان اخوه محمد الشيخ المأمون يحاربه، وانهزم محمد الشيخ فلجأ الى فيلب الثالث وطلب منه ان يساعده على اخيه زيدان. وكان المقدم احمد بن عيسى النقسيس ضد محمد الشيخ فنشأ عن ذلك ان صارت بين السلطان زيدان والمقدم النقسيس علاقات وصداقة لمصلحة الطرفين ضد عدوهما محمد الشيخ، وفي هذا الوقت حاول المقدم احمد النقسيس ان

1) كان الاجانب في ذلك العهد مستولين على مليلية وحجر باديس جنوبي تطوان، وعلى سبتة شماليها، وعلى طنجة غربيها وعلى اصيلا والبريجة (الجديدة). وفي سنة 1019 استولوا على العرائش، وفي سنة 1022، استولوا على المعمورة «المهدية» الخ

يربط علاقات ودية بين صديقه السلطان زيدان وملك اسبانيا فليب الثالث كما في المصادر الافرنجية، وكأن النقسيس كان يقول لملك اسبانيا، ان كان ولابد من ان تكون لدولتكم علاقات وصداقة مع حكام المغرب، فلتكن مع مولاي زيدان السلطان الشرعي صاحب القوة والسلطة، لا مع محمد الشيخ الثائر الضعيف الملتجيء الخ. ولكن ملك اسبانيا كان كجل ساسة الدول في هذا العصر، لا يفكرون لا في الحق أو الباطل، ولا في العدل أو الظلم، ولا في المباديء السامية والمثل العليا من الانسانية والشفقة والرحمة، اوضد ذلك من الاستعمار والاستعباد والوحشية، كل ذلك لا يهمهم، وإنما يزنون الاشياء بميزان مصالحهم الخاصة لا غير، انما يؤيدون بمقابل ويخذلون بعوض، فلذلك كان فليب يرى خلاف ما كان النقسيس يراه. لان السلطان زيدان لا يسمح باكثر من تبادل المصالح العادية بين الطرفين، اما محمد الشيخ فقد وعده بتسليم مدينة العرائش وبغير ذلك من الاشياء التي كانت كلها في مصلحة الملك فيلب ودولته اسبانيا دون المغرب، وهكذا فشل النقسيس في محاولته السياسية وكانت نتيجة ذلك انه صار يعمل ضد مصالح اسبانيا التي صادقت عدوه محمداً الشيخ، وصديق العدو عدو، كما يقول العرب .

مع انكلترا

والمعروف عن المقدم احمد بن عيسى النقسيس انه كانت له مع الانجليزيين مراسلات وعلاقات ودية، وقد سبقت لنا الاشارة الى شيء من ذلك، والى انه قد وقعت بين الطرفين مفاوضات انتهت بعقد معاهدة صداقة وتبادل المصالح بينهما، ومن المعلوم ان انجلترا كانت في ذلك العهد في خصومة مع اسبانيا .

وقد وقفت في مجموعة الكونت دي كاستري على رسالة كتبها حاكم طنجة الاسباني [1] بتاريخ 9 ابريل سنة 1622. (1031هـ) وفيها انه عثر على رسائل تبودلت بين حاكم تطوان المقدم احمد النقسيس وسفير انجلترا وتاجر انجليزي كان مقيما بقادس في اسبانيا، ومضمنها المخابرة في شأن تأسيس دار تجارية انجليزية بتطوان وقد اشار الحاكم الاسباني المذكور بمقاومة ذلك المشروع بكل ما في الامكان لان فيه تأييدا للنفوذ الانجليزي وضررا بمصالح اسبانيا الخ .

1) من المعلوم ان طنجة كانت بيد البرتغاليين منذ سنة 876 هـ (1471) فلما انضمت البرتغال الى اسبانيا سنة 989 ـ (1581) صارت طنجة تحت حكم اسبانيا، وبقيت كذلك الى ان انفصلت البرتغال عن اسبانيا سنة 1050 ـ (1640) فاذ ذاك عادت الى حكم البرتغال الى ان سلموها للانجليز سنة 1072 ـ (1662م).

مع هولندا

وكانت للمقدم المذكور علاقات تجارية مع التجار الهولنديين ومراسلات مع حكومة هولندا، وفي مجموعة م دي كاستري رسائل تبودلت بين النقسيس المذكور وحكومة لاهاي وخصوصا في شان قضية رفعها النقسيس الى الحكومة المذكورة ضد تاجر هولندي هرب بمركب فيه زيت لاهل تطوان، وقد عرضت القضية المذكورة على مجلس امسطردام فحكم فيها للنقسيس ضد التاجر الهولندي، وانظر ان شئت تفاصيل ذلك بالمجموعة المذكورة في رسائل سنة 1615 - و 1616.

الطور الثاني - في عهد المقدم عبد الله النقسيس

مع انجلترا

بقيت العلاقات حسنة بين انجلترا واولاد النقسيس بقية مدة المقدم احمد النقسيس، واستمرت كذلك في عهد المقدم عبد الله بن احمد النقسيس وقد وقفت على رسالة[1] كتبها عبد الله المذكور بتطوان في 30 يونيه 1629 (1038ه) وبعثها الى شارل الاول ملك انجلترا وفيها ان المقدم المذكور كان يعامل الانجليزيين في بلده خير معاملة الخ. ووقفت ايضاً على جواب تلك الرسالة من شارل الاول الى عبد الله المذكور وقد كتب في اكتوبر سنة 1629 (1039ه) وفيها شكر ملك انجلترا للنقسيس على حسن معاملته للانجليزيين وعلى الهدايا التي بعثها اليه ويطلب منه ان يسمح للانجليزيين بشراء الخيل من بلاده وان يواصل التجار الانجليزيون تعاطي التجارة فيها الخ. ويعلمه بان الرسول حامل تلك الرسالة سيبلغه الاشياء التي لا تمكن كتابتها الخ. وذلك يدل على ان العلاقات كانت متينة وانها كانت ذات اسرار لا تمكن كتابتها، وكيفما كان الحال فانه لا يخرج عن كون كل واحد من الطرفين كان يستعين بالآخر على توطيد مركزه وعلى محاربة خصومه وذلك شان الدول والساسة في كل زمان ومكان.

ويظهر ان تلك العلاقات الودية قد استمرت بعد المقدم عبد الله النقسيس، وسياتي لنا ان المقدم محمد بن عيسى النقسيس كان يرحب بالبحارة الانجليزيين الذين يردون على ميناء تطوان ويمد اسطولهم بالمواد الغذائية وغيرها، وكان ذلك عام 1061 ه (1651 م)

مع اسبانيا ضد ابي عبد الله العياشي

وفي عهد عبد الله النقسيس نفسه تحولت عداوة اسبانيا الى صداقة، فالصديقان

1) سجلات انجلترا م. 3 ص. 85.

القديمان محمد الشيخ المامون وفليب الثالث قد دخلا في ذمة التاريخ واصبح اولاد النقسيس امام حاكم جديد قد انضم اليه خصومهم وصاروا يعملون للاستيلاء على ما بايديهم فلم يكن لهم بد من مقاومة خصومهم، وان يكونوا ضد هذا الحاكم الجديد الذي هو ابو عبد الله العياشي.

وابو عبد الله هذا واصحابه لم يكونوا على وفاق مع الاسبانيين فاتحدث مصالح ابناء النقسيس مع مصالح اسبانيا وصار الجميع يقاوم اصحاب ابي عبد الله العياشي، وهكذا تحول الاعداء الى اصدقاء، والمواطنون الى خصوم واعداء، وهكذا هي السياسة لا يعرف اصحابها الا مصالحهم قبل كل شيء، الا من رحم ربك، وقليل ماهم. ولكن هذه الصداقة الجديدة لم تفد اصحابها كثيرا، لان اصحاب المجاهد الناصح ابي عبد الله العياشي، احكموا مؤامرتهم واستولوا على تطوان فهرب منها المقدم عبد الله النقسيس والتجأ الى الاسبانيين بسبتة فزال بذلك حكم تطوان من يد اولاد النقسيس مدة ثم عاد اليهم كما تقدم بيانه .

الطور الثالث - في عهد محمد وعبد الكريم النقسيس

مع انجلترا ضد اسبانيا

وجدنا في مجموعة الكونت دي كاستري[1] ملخصا عن العلاقات بين انجلترا والمغرب من عام 1642 - الى - 1660 . (1052 - 1070 ه) وفيه بيان العلاقات بين الانجليزيين وحاكمي تطوان فى تلك المدة وهما المقدم محمد بن عيسى النقسيس والمقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس ، وقد جاء في ذلك الملخص ما مضمنه ان العلاقات بين انجلترا والمغرب لم تنقطع في المدة المذكورة وان كرومويل حاكم انجلترا في ذلك العهد قد اضطرته سياسته في البحر الابيض المتوسط لان يعين قنصلا لدولته في تطوان (عند مقدميها اولاد النقسيس) وقد عقد معاهدة مع محمد الشيخ الاصغر ، ولكن تلك المعاهدة قد نقضها التجار الانجليز عقب عقدها ببيعهم الاسلحة للثوار، ثم ذهب القائد محمد بن عسكر الى لندن سفيرا عن دولة المغرب ولكنه لم يصل الى نتيجة مع الانجليزيين .

وفي سنة 1646 (1056ه) دفعت العواصف بعض المراكب الى سواحل المغرب فاسر من كان فيها من الانجليزيين، وفي سنة 1656 (1067ه) استطاع احد التجار الانجليزيين انقاذ عشرة من الاسرى الانجليز بمبلغ 580 لبرة انجليزية. وقد بقيت العلاقات متوترة بين الطرفين الى ان انعقد الصلح بينهما وتم تسليم الاسرى في سنة

1) سجلات انجلترا م 3 ص 552 فما بعد

1657 الخ ثم جاء في الملخص المذكور ما معناه انه بينما كانت العلائق بين الانجليز وداخلية المغرب متوترة كما ذكرنا، كان الحال بعكس ذلك بين انجلترا وتطوان، وكانت السياسة الدولية هي السبب في ربط العلاقات الودية بين الطرفين المذكورين، فحرب اسبانيا التي اعلنت في شهر فبراير 1656. (1066هـ) وحصار قادس الذي كان اهم حادثة في الحرب المذكورة، قد اظهرا لانجلترا ان الحاجة تدعوها للاستيلاء على مركز مهم في البوغاز للتوصل بذلك الى تموين الاسطول الانجليزي، ولاجل هذه الغاية خرج بلاك ومونتاغو BLAKE MOUNTAGU تحت اوامر كروميل للاستطلاع على الحالة في جبل طارق وجزيرة الحسيمة ALHUCEMAS ولكن نظرا لضيق الوقت وفقدان الوسائل اللازمة لاحتلال المركزين المذكورين فان الانجليزيين قد فضلوا على ذلك ربط علاقات ودية مع حاكم مدينة تطوان، هذه المدينة التي عادت بعد موت العياشي الى يد اولاد النقسيس بمساعدة الدلائيين، وقد كانت دائما تستقبل البحارة الانجليز استقبالا حسنا. وقبل هذه المدة بخمس سنوات كان القائد محمد بن عيسى النقسيس قد قدم مواد غذائية الى القبطان وليام بن الذي كان قد أرسل الى البوغاز ليمنع السفن المعادية من اجتيازه. وعند ما ظهر بلاك ومونطاغو امام ميناء تطوان في شهر يونيه 1656 (1066 هـ) لاجل تموين سفنهما، استقبلها خلفه المقدم عبد الكريم النقسيس احسن استقبال، ولم يكتف بان يقدم اليهما اللحم والماء اللذين كانا في حاجة اليهما بل اقترح عليهما عقد معاهدة ودادية تجارية بين الطرفين، وعرض عليهما ان يتركا في تطوان نائبا عن انجلترا للسهر على تنفيذ تلك المعاهدة[1] الا ان اضطرار الاسطول الانجليزي لمغادرة ميناء تطوان بسرعة، حال دون عقد تلك المعاهدة، ولكن مع ذلك لم تنس اقتراحات حاكم تطوان، فبمجرد رجوع الرئيس باديلى BADILEY في آخر السنة الى انجلترا - وقد كان مصاحبا للرئيس بلاك في البحر الابيض - اقترح على الحكومة الانجليزية ان تعين قنصلا لها في تطوان لاستغلال الاستعداد الموجود في اهلها، وضمانة تموين السفن الانجليزية ما دامت الحرب مع اسبانيا. وهذا الاقتراح الذي قدم الى الحكومة

---

1) لا نستغرب سعى النقسيس والانجليزيين في ابرام مثل هذه المعاهدة، فالانجليزيون كانوا في حالة حرب ضد اسبانيا وكانوا في حاجة الى مراكز قريبة لتموين اسطولهم بالماء والطعام وغيرهما، وميناء تطوان كفيل لهم بمرغوبهم، ومن جهة اخرى كان المقدم النقسيس في خصام عنيف مع المقدم الخضر غيلان الذي كانت هجماته متوالية على تطوان فكان النقسيس في غاية الحاجة لدولة قوية صديقة تمده بما يحتاج اليه من السلاح والمعدات الحربية وغيرها ليستطيع مقاومة خصمه الذي كان يحاول الاستيلاء على مدينته.

الانجليزية قد حول في 18 يناير 1657 . الى مفوضي الاميرالية لابداء رأيهم فيه ، وبالرغم من كون اعضاء شركة الشرق لم يبدوا ارتياحهم لذلك المشروع فان الرئيس مونطاغو قد ايد اقتراحات باديلى وانتصر في النهاية رأى البحارة على رأى التجار وكان الشخص الذي اقترح تعيينه قنصلا لانجلترا بتطوان هو المستر ناثانيل لوك NATHANIEL LUKE احد التجار القدماء بتطوان ، وفعلا وقعت المصادقة على تعيينه وتلقى من الاميرالية الانجليزية تعليمات مكتوبة كلفته فيها بان يقوم في تطوان بمهمة الحارس لمصالح انجلترا وادارة قسم الاستعلامات للاسطول الانجليزي الذي كان يحارب اسبانيا .

واجابة لرغبة المقدم عبد الكريم النقسيس حاكم تطوان تلقى القنصل المذكور امرا بتحرير الاتفاق[1] الذي امضاه الدلائي الحاكم الاسمى للبلاد . والنقسيس حاكم تطوان في 19 غشت 1657 . (1067هـ) وهذا الاتفاق ضمن للانجليزيين الحرية فى اشخاصهم واموالهم واعطاهم من جديد مقاما ممتازا في المغرب بالسماح لهم بتنمية التجارة وبان يجدوا من المغرب مساعدة ضد اسبانيا التي كانت في حالة حرب معهم الخ ولكن هذه الحالة قد تغيرت تماما بسبب احتلال الانجليز لطنجة ، اذ صارت تطوان صديقة لخصميها السابقين وهما الخضر غيلان ودولة اسبانيا ، كما صارت عدوة محاربة لانجلترا في طنجة .

الطور الرابع - في عهد المقدم احمد (الثاني) بن عيسى النقسيس

محاربة انجلترا وصداقة اسبانيا

كان البرتغاليون محتلين لطنجة، وكان الوطنيون المغربيون وعلى رأسهم المقدم الخضر غيلان يحاصرونهم ويحاربونهم باستمرار، ويئس البرتغاليون من انقطاع تلك الحروب المضنية فسلموا طنجة للانجليزيين فكان احتلال الانجليز لطنجة بالاتفاق مع البرتغاليين. والصداقة السياسية كالخصومة تدور مع المصلحة حيثما دارت، وقبل هذا العهد كان اولاد النقسيس يصادقون الانجليز للاستعانة بهم على خصومهم، وكان الانجليزيون يبادلونهم الصداقة للاستعانة بهم على حرب اسبانيا، والان وقد امتدت مطامع الانجليز الى الاستيلاء على قطعة من الارض المغربية، فانه لامناص لاهل تطوان من تغيير السياسة بازاء هؤلاء

---

1) النص الانجليزي لهذا الاتفاق موجود في ص 588 من المجلد الثالث من سجلات انجلترا من مجموعة دي كاستري وعليه امضاءات عبد الله (لعله الغزوانى) ومحمد بن بوبكر ملك الزاوية وعبد الكريم النقسيس « حاكم تطوان» والحسين انهادى (عدل).

الاجانب المحتلين لقطعة من الوطن، وكانت بين اولاد النقسيس ومواطنهم الخضر غيلان خصومات فتداركوها وانعقد الصلح بين المقدم الخضر غيلان وحاكم تطوان المقدم احمد بن عيسى النقسيس عام 1072 (1661 م) اي في نفس السنة التي احتل الانجليز فيها طنجة، وكان من جملة ما وقع الاتفاق عليه بين المتصالحين ان يمد اولاد النقسيس حليفهم غيلان برجال يحاربون معه الاجانب الجدد وهم الانجليزيون الذين احتلوا مدينة طنجة اخيراً.

وفي نفس هذه السنة (1072 ـ 1661) عقد اولاد النقسيس مع الاسبانيين هدنة بقي الطرفان محافظين عليها الى ان لجأ الباقون من اولاد النقسيس مع عائلتهم واصحابهم الى سبتة حينما خافوا من قبض السلطان عليهم وعقابهم فاستقبلهم الاسبانيون احسن استقبال ولبثوا عندهم بضع عشرة سنة الى ان غادروا سبتة باختيارهم وكان من امرهم ما كان. وهكذا صار اولاد النقسيس اعداء للانجليز واصبح الاسبانيون اصدقاء لاولاد النقسيس ، وقبل ذلك استغل الانجليز، عواطف اهل تطوان ـ كما قالوا ـ واستخدموا صداقتهم في محاربة الاسبانيين ، وهكذا هى السياسة ، وهكذا هي معاملة السياسيين فلا عهود ولا مواثيق الا حيث المصلحة، والا فالاعداء اصدقاء، والاصدقاء والمواطنون اعداء.

ولاية القائد أحمد على تطوان عام 1084

كان القائد احمد بن حدو الريفى التمسماني من كبار القواد المجاهدين في عهد السلطان المولى اسماعيل ، وقد تولى حكم تطوان بعد القضاء على اولاد النقسيس بامر السلطان المذكور عام 1084. والقائد احمد هذا هو الذي تنسب اليه الزنقة المعروفة في حومة الطرنكات بزنقة القائد احمد ، ولا نعلم بالتدقيق المدة التي قضاها القائد احمد في حكم تطوان ، ولعلها كانت نحو سبع سنين والله اعلم. ويظهر ان اهل تطوان لما شعروا باستقرار الاحوال واستتباب الامن في ناحيتهم وقوة حكومتهم وجهوا وجههم نحو الاصلاح والتعمير والاستعداد للجهاد جهاد اعداء الوطن المحتلين له، لا قتال اخوانهم المواطنين .

وقد اشتهر الى جانب القائد احمد هذا اخوه القائد عمر بن حدو وكان هو الرئيس الاكبر للمجاهدين، كما اشتهر معهما ابن عمهما القائد المجاهد علي بن عبد الله فكان السلطان المولى اسماعيل يعتمد على هؤلاء القواد الثلاثة في قيادة جيوش التحرير الوطني ورئاسة المجاهدين لاسترجاع ما اغتصبه الافرنج من موانئ المغرب .

السلطان يقطع رؤوس مساجين تطوان بفاس عام 1088

قال الناصري في الاستقصا بعد ان ذكر حوادث سنة 1088 ما نصه[1] «وفي هذه الايام - يعنى من سنة 1088 - ولى قضاء فاس الخ وامر بقتل اهل تطاوين الذين كانوا بسجن فاس وهم عشرون فضربت اعناقهم ورفعت على الاسوار . . . الخ ويظهر ان هؤلاء المساجين هم احمد « الثانى » بن عيسى النقسيس واصحابه الذين قبض عليهم السلطان المولى رشيد عام 1078 والله اعلم .

الوباء بتطوان سنة 1088 ـ 1089

ذكر الشيخ محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثانى[2] انه وقع طاعون بتطوان وحوز بنى زيات[3] عام 1088 ثم ذكر بعد ذلك[4] انه كان بالمغرب طاعون عام سنة 1089 وان عدد الموتى بتطوان بلغ خمسين شخصا في اليوم الواحد . . . وقد وقفت على قصيدة للشيخ سيدي الحاج على بركة في التوسل الى الله تعالى لرفع هذا الوباء ومطلعها .

يا ربنا يا كاشف البلواء ⁂ يا رافع الغماء واللأواء .

ووقفت ايضا على قصيدة اخرى فى هذا الموضوع للشيخ احمد بن عبد الحي الحلبى دفين فاس ومطلعها .

يارب بالمصطفى عجل لنا فرجا ⁂ من الوبا ومن الطاعون والسقم

ولاية القائد علي بن عبد الله عام 1090

القائد على بن عبد الله الحمامي التمسماني الريفي، من عائلة القائد احمد بن حدو السابق الذكر، وهو ايضاً «كما قلنا» من ابطال المجاهدين الريفيين، ومن اكبر القواد الذين كان السلطان المولى اسماعيل يعتمد عليهم في المهمات الحربية. وقد وجدت في كناش بخط سيدي التهامي بن رحمون ما نصه: «تولى امر تطاون وما والاها وجميع البلاد الهبطية والجبال الى رأس ورغة الى الريف وما اتصل بذلك من المدن على يد مولانا اسماعيل الشريف نصره الله، القائد علي بن عبد الله في منتصف جمدى الاخيرة عام 1090»

---

1) ج 4 ص 25 ومثله فى الجيش العرمرم لاكنسوس ج 1 ص 67 .
2) ج. 2 ص. 29.
3) بني زيات احدى قبائل غمارة.
4) ج. 2 ص. 44.

فولاية القائد علي لحكم تطوان كانت كما ترى عام 1090، ولم تكن خاصة بها بل كانت عامة على جميع شمال المغرب الذي يسمى الآن بالمنطقة الخليفية، وكان زيادة على حكمه لهذه النواحي يتولى رئاسة المجاهدين ويقوم باعمال الجهاد.

من السياسة الوطنية في هذا العهد

كل من طالع تاريخ المغرب يعلم ان السلطان المولى اسماعيل لما تولى الملك عام 1082 كان عدد من البلاد المغربية تحت الحكم الاجنبي، فمدن مليلية وسبتة وطنجة واصيلا والعرائش والمهدية، كلها كانت خاضعة لنفوذ الاجانب محتلة بقواتهم، ولم يسلك المولى اسماعيل في سبيل انقاذ تلك البلاد من الاحتلال الافرنجي ما يسلكه بعض الساسة من طريق المفاوضات الكلامية والمؤتمرات الفارغة التي قلما توصل للغاية المقصودة ما دام في الدنيا اغتصاب ومغتصبون لا يعتمدون الا على قوتهم، بل سلك سبيلا واضحا هو سبيل القوة، وانتهج سياسة رشيدة كانت نتيجتها استرجاع تلك المدن من يد مغتصبيها ما عدا سبتة ومليلية فانهما ما زالتا بيد الاسبان الى الان كما لاتزال انجلترا مغتصبة لمدينة جبل طارق حتى الان ايضا. ذلك ان المولى اسماعيل اسند حكم هذه النواحي الى رجال عرفوا بالجهاد والجد والمروءة، وبالبعد عن ترف الحواضر وعدم التطلع الى الاستبداد بالحكم، وكلفهم بالجهاد والرباط على تلك المدن الواحدة بعد الاخرى، والتضييق على من بها من الاجانب الى ان يسلموا او يفروا. وقد عرفنا مما سبق ان السلطان المذكور اسند حكم تطوان اولا الى القائد احمد بن حدو ثم اسند حكم هذه النواحي كلها الى القائد علي بن عبد الله، وعلمنا ايضا ان القائد عمر بن حدو «اخ القائد احمد» هو الذي كان اولا رئيس القواد المجاهدين من بلاد الريف واهل الفحص، فلما توفي قام مقامه قريباه اللذان هما اخوه القائد احمد وابن عمه القائد علي فكانت هذه الناحية كلها مجموعة الكلمة موحدة السلطة تحت رئاسة اولئك القواد المجاهدين الذين كانوا من قبيلة واحدة بل من عائلة واحدة، ولم يبق للناس في ذلك العهد شيء اهم من الرباط والجهاد، وكان السلطان يمد اولئك القواد والمجاهدين بما يحتاجون اليه من القوات والتنشيط، اما هو نفسه فقد اقتصر على تنظيم داخلية مملكته والقضاء على كل حركة منازعة لنفوذه وسلطته.

واما تطوان فكانت في ذلك العهد هى مركز السلطة الاسلامية الوطنية في جميع الشمال المغربي، وكانت هى المركز الرئيسي الذي تجتمع فيه قوات الجهاد القومي وتصدر عنه حركات التحرير الوطني، كما كانت هى مع مدينة الجزائر المركزين الرئيسيين لصد الحملة الصليبية بالمغرب وبجميع الشمال الافريقي، كما كانتا صاحبتي السيادة الكبرى فى سائر انحاء البحر الابيض المتوسط.

مقاتلة الوطنيين للانجليز بطنجة عام 1090

قال الناصري في الاستقصا[1] «وفي اواخر المحرم من هذه السنة (يعني سنة 1090) أوقع جيش المسلمين بنصارى طنجة فقتلوا منهم نحو ثلاثمائة وخمسين وانتزعوا منهم قصبة باربعة ابراج واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رحمهم الله» ومثل ذلك في نشر المثاني[2] الا انه ذكر ان ذلك كان في رابع المحرم لا في اواخره، ووجدت في كناش الفقيه الرافعي التطواني الذي كان معاصرا لتلك الحوادث «ان ابراجا اربعة هدت بطنجة عام 1091 وانه قتل ممن كان بها مائة ونيف وخمسون واسر نيف وخمسون، وتوفى من المسلمين اخلاط من الناس» وفي نشر المثاني[3] ايضا انه في اواسط ربيع الثاني سنة 1091. وصل لفاس خبر اخذ المسلمين لقصبة في طنجة على يد قائد القصر عمر بن حدو البطوئي

وقد اثبتنا في الاصل ما جاء في هذا الموضوع مسهبا من كتاب زهر البستان للوزير ابن العياشي[4]

حاكم تطوان يرسل سفيرا الى ملك فرنسا عام 1092

كان حاكم تطوان بالخصوص عام 1092 هو الحاج محمد تميم التطواني وذلك تحت نظر الحاكم العام لهذه النواحي وهو القائد علي بن عبد الله، وقد ارسل تميم المذكور سفيرا من السلطان المولى اسماعيل الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا سنة 1681 (1092هـ) وقد افاض القول في هذه السفارة م. شارل بنز CHARLES PENZ في كتابه ملوك فرنسا والمغرب، LES ROIS DE FRANCE ET LE MAROC وقد لخصه لنا صديقنا الاستاذ عبد الغفور الفقاي التطواني واثبتنا تلخيصه بتمامه في الاصل، ومما جاء فيه ان الحاج محمد تميم تولى منصب باشا بتطوان وبسلا، وانه اول سفير من المولى اسماعيل الى ملك فرنسا وانه وصل باريس في 30 ديسمبر سنة 1681 واجتمع بلويس الرابع عشر في رابع يناير 1682. ثم ابتدأت المفاوضات بين تميم والوزيرين الفرنسيين كولبير دوكرواسي COLBERT DE CROISSY وسنيلي SEGNELAY وانتهت بابرام المعاهدة المعروفة بمعاهدة 29 يناير 1682 (20 محرم 1093هـ).

1) ج 4 ص 28

2) ج 2 ص 57

3) ج 2 ص 71

4) هذا الكتاب مخطوط في خزانتنا الداودية بتطوان

واثناء اقامة تميم بباريس اقام مأدبة غذاء تكريما لملك فرنسا لويس المذكور.

وقد قضى تميم المذكور في هذه السفارة نحو ثلاثة اشهر ثم عاد الى تطوان وكتب الى ملك فرنسا المذكور رسالة مؤرخة بسابع وعشري ربيع الثاني عام 1093.

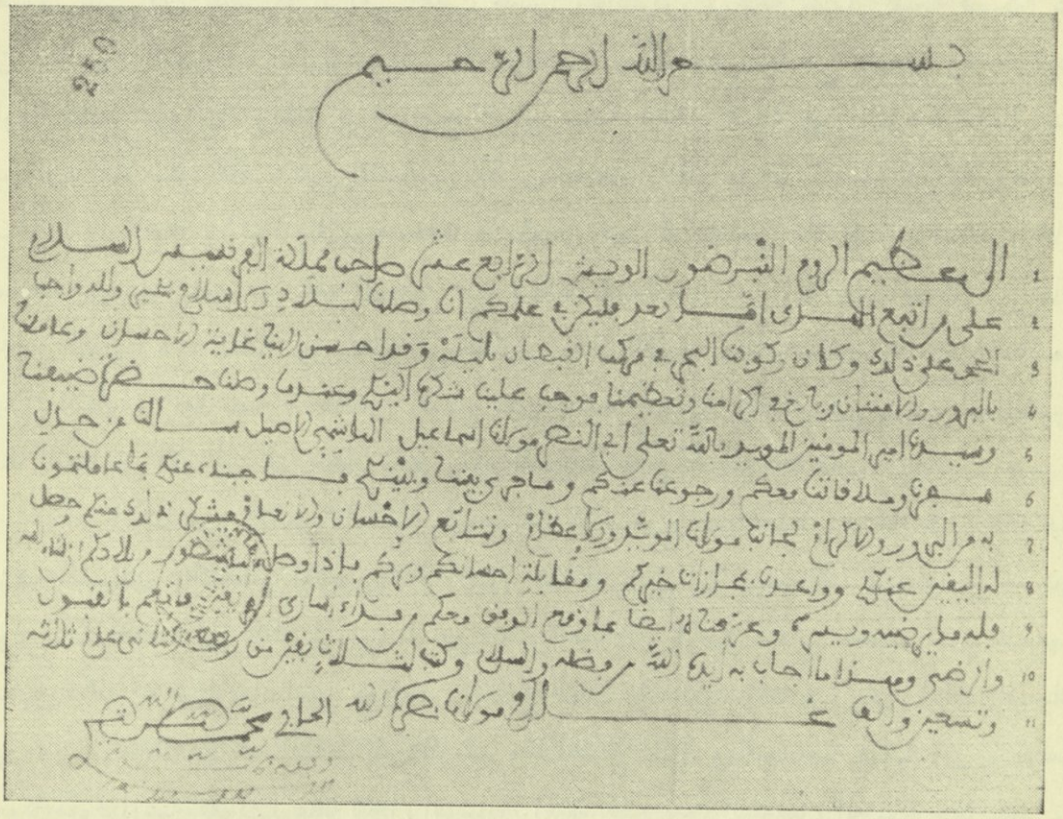

صورة الرسالة التي بعثها قائد تطوان الحاج محمد تميم الى ملك فرنسا الشهير لويس الرابع عشر بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1093

كما كتب ايضا رسالة اخرى لوزير فرنسا في نفس التاريخ، وكتب القائد علي بن عبد الله الى ملك فرنسا المذكور رسالة اخرى في نفس الموضوع، وكتب السلطان المولى اسماعيل نفسه الى الملك المذكور رسالة اخرى في نفس الموضوع ايضا، وجميع هذه الرسائل كتبت بعد عودة السفير المذكورالى تطوان وابلاغ نتيجة سفارته الى السلطان.

ومما جاء في رسالة المولى اسماعيل مخاطبا لويس الرابع عشر ملك فرنسا ما نصه: «اعلم انه بلغنا اصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك ومباشرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا بروزك بهم وفرحك بجميعهم فكذلك ينبغي لك ان تكون الخ.» وقد وقفت في الخزانة الكتانية بفاس على صور اصلية فتوغرافية للرسائل المذكورة كلها واخذت منها نسخا اثبتها في الاصل، كما اثبت فيه ملخص المعاهدة المنعقدة بين المغرب وفرنسا سنة 1093 - 1682 م

فتح المجاهدين لطنجة عام 1095

ذكر الناصري في الاستقصا [1] ان السلطان المولى اسماعيل عقد للقائد ابى الحسن علي بن عبد الله الريفي على جيش المجاهدين ووجهه لحصار طنجة فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم الى ان ركبوا سفنهم وهربوا في البحر وتركوها خاوية على عروشها، وذلك في ربيع الاول سنة 1095. قاله في النزهة، وقال في البستان، لما ضاق الامر على النصارى الذين بطنجة وطال عليهم الحصار خربوها وهدموا اسوارها وابراجها وركبوا سفنهم فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب وشرع قائد المجاهدين علي بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من اسوارها ومساجدها في فاتح جمدى الاولى من السنة. ووجدت في كناش بخط الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي افيلال التطواني ما نصه « كان افتتاح مدينة طنجة عمرها الله تعلى بذكره لما خرج عنها النصارى الانجليز في محل شهر ربيع الاول النبوي[2] عام 1095» .

وقد اثبتنا في الاصل ما كتبه الوزير ابن العياشي عن احتلال طنجة في كتابه (زهر البستان) كما اثبتنا نص رسالة كتبها القائد علي بن عبد الله، في اواخر جمدى الاولى عام 1098 الى الملك لويس الرابع عشر بعد ان ارسل الحاج محمد تميم «السفير السابق» الى فرنسا فعاد منها دون ان يقابل الملك المذكور، وقد جاء في اولها، السلام على من اتبع الهدى وسلك طريق الرشد وما اعتدى الخ. وطلب منه فيها ان يرسل مبعوثا مفوضا عنه تفويضا عاما لتحل المسائل المشتركة بين الطرفين الخ.

نهاية اولاد النقسيس عام 1098

ذكر الناصري فى الاستقصا[3] ان السلطان المولى اسماعيل لما بلغه ان أخاه المولى الحران وابن أخيه المولى احمد بن محرز اللذين كانا ثائرين عليه، قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات ، نهض اليهما ، وبعد حروب كثيرة اقتحم المولى اسماعيل تارودانت عنوة بالسيف واستباحها ، واستولى عليها فى جمدى الاولى عام 1098 ، ولما اتصل خبر الفتح بأهل فاس عينوا وفدا من كبرائهم وأشرافهم وعلمائهم فقدموا على السلطان بقصد التهنئة يقدمهم ولده المولى محمد بن اسماعيل

1) ج 4. ص 31.

2) لعل مبالغة اهل طنجة في الاحتفال بايام المولد النبوي يرجع السبب فيها الى انهم كانوا في اول الامر يحيون هذه الذكرى. تـ . و.

3) ج 4 ص 32. ومثله في كتاب الجيش ج 1 ص 74

فأكرم وفادتهم وخرج أولاد النقسيس من سبتة وكانوا قد لجأوا اليها بعد مقتل الخضر غيلان فقدموا على السلطان (يعني المولى اسماعيل) بعسكره من تارودانت فأمر بردهم الى تطاوين وقتلهم بها وأمر بقتل من كان منهم مسجونا بفاس فقتلوا أجمعون رحمهم الله .

وقال ابن الحاج فى الدر المنتخب[1] ما نصه :

« ولما أصلح من أحوال أهل تارودانت ما أراده ، وقطع دابر كل من عانده ، وقدم عليه أولاد النقسيس من سبتة وكان كبيرهم عيسى بن عبد الله مات فى ربيع الاول وتنصر بعض من كان معهم ، ولما وصلوا اليه أمر بردهم لتطوان ويقتلون كما سبق فى الازل ، وذلك فى رمضان العام ، وفى يوم الخميس خامس شوال من هذا العام ، قتل اربعة من أولاد النقسيس كانوا بسجن تطوان وفعل بهم ذلك خوفا من ان يفعلوا كما فعل من كان معهم من العوام »

ووجدت فى تقييد قديم بخط أحد قضاة تطوان فى أوائل القرن الثالث عشر ، ان أولاد النقسيس فروا الى نصارى سبتة فقدم بعض خدام السلطان وتحت يده أمر بأخذهم وقتلهم ولكنه أظهر لهم الامان حيلة منه ، وخدع الفقيه الولي الصالح سيدي الحاج علي بركة وأخذه معه الى سبتة فاغتر أولاد النقسيس وعادوا الى تطوان صحبة الخديم المذكور مع سيدي علي بركة فلما دخلوا باب المقابر ، وهي الباب المقابلة لسبتة ، القي القبض عليهم ثم سيقوا الى باب القاعة بالغرسة الكبيرة وقتلوا هناك وكانوا سبعة ومعهم عبد لهم فلما رءا العبد المذكور ما وقع باسياده واجه خديم السلطان بانه غادر فألحقوه باسياده، ثم ذكر صاحب التقييد المذكور ان اولاد النقسيس انقرضوا بذلك ولم يبق منهم احد. «قلت» هذا الانقراض انما وقع من تطوان فقط والله اعلم.

وهكذا كانت نهاية هذه العائلة التي طالما قام ابطالها بواجب الجهاد، ودافعوا عن استقلال البلاد، والدوام لله.

من اخبار تطوان في اواخر هذا القرن

جاء في ديوان العلامة الاديب ابي علي الحسن اليوسي انه لما زار تطوان عام 1083 طلب منه ان ينظم قصيدة ترغب في الجهاد فقال قصيدته التي مطلعها.

طوبى لعبد خاشع يتقلب ✻ في طاعة المولى وفيها يدأب

وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل وابياتها ثمانية وثلاثون. وفي الديوان المذكور ايضا انه زار تطوان عام 1085 ومدحها واهلها بقصيدة بديعة مطلعها:

1) ج 6 في حوادث سنة 1098

تطاون شفت الفؤاد المسقما ✻ وجلت من الاحزان ليلا مظلما

وقد اثبتناها في الاصل ايضا

وقد كان الشيخ اليوسي يزور تطوان من حين لآخر ويتفقد احوالها وكان له بها تلاميذ ومريدون، وعند ما كتب رسالته المشهورة الى السلطان المولى اسماعيل ناصحا له ومرشدا، تعرض فيها لتطوان وقارن بين حالاتها، وذكر ان اهلها كانوا في عهد السلطان المولى الرشيد، اذا سمعوا الصريخ تهتز الارض فيها خيلا ورماة الخ ونبه على وجوب الاعتناء بهذه المدينة واهلها، وبين ان الضعف الحاصل لهم انما جاءهم من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركات واعطاء العدة كسائر الناس الخ وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل.

ومن اخبار تطوان في اواخر هذا القرن، زيارة العلامة الاديب محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي لها وتتلمذه فيها لعالمها واديبها وصالحها الشيخ سيدي الحاج علي بركة. وقد الف في ذلك تاليفا عاميا ادبيا سماه (نشر ازاهر البستان، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان) وقد عقدنا في الاصل فصلا مطولا عن هذا الكتاب ونقلنا منه ماقاله الاديب ابن زاكور في هذه المدينة واهلها وبعض علمائها وادبائها وما وصف به بساتينها ومنتزهاتها من شعر ونثر الخ.

كما اثبتنا في الاصل ايضاً فصلا آخر لخصنا فيه حالة تطوان في القرن الحادي عشر من الناحية السياسية ثم من الناحية العلمية والادبية ثم من الناحية الاجتماعية الخ وبذلك تم المجلد الاول من اصل هذا الكتاب.

في القرن الثاني عشر

ودخل القرن الثاني عشر بدخول سنة 1101. وحاكم تطوان ونواحيها هو القائد علي بن عبد الله، واستعدادات المجاهدين بهذه المدينة قائمة على ساق وقدم لاسترجاع المدن المغربية المغتصبة من ايدي الاجانب المحتلين لها.

فتح مدينة العرائش[1] عام 1101 (1689 م)

ذكر الناصري في الاستقصا[2] ان القائد احمد بن حدو البطوئي سار في جماعة من المجاهدين لحصار العرائش في آخر شوال سنة 1100، وان القائد المذكور نزل عليها

1) كان دخول الاسبانيين لمدينة العرائش بتسليمها لهم من الشيخ المامون السعدي بدون حرب عام 1019. (1606) ومن ذلك التاريخ وهي بيدهم الى ان استرجعها منهم المجاهدون في هذا العام (1101).

2) ج. 4 ص. 34.

وضيق على الكفار الذين بها وحاصرهم نحواً من ثلاثة اشهر ونصف، ونقل عن المؤرخ منويل الاسباني ان لويس الرابع عشر ملك فرنسا قد اعان السلطان المولى اسماعيل على فتح العرائش وحاصرها بحرا بخمس فراقط (مراكب حربية) وقطع عنها المادة مدة ثم اقلع عنها ثم بعد ذلك كان الفتح.

ووجدت في كناش ابن رحمون مانصه: «خرج قائد السلطان مولاي اسماعيل، علي بن عبد الله لاخذ مدينة العرائش في شهر شوال 1100 وفتحوها واسروا من فيها بعد حرب عظيمة يوم الجمعة 17 محرم 1101» وهذا التاريخ يوافقه فاتح نوفمبر 1689م وقد اثبتنا في الاصل ما كتبه الوزير ابن العياشي عن فتح العرائش فى كتابه «زهر البستان» وقد بين فيه عدد شهداء المسلمين وعدد القتلى والاسرى من الافرنج وعدد المدافع التي وجدت بها الخ

وفى هذا العام نهى السلطان عن لبس النعال السود وأمر بلبس النعال الصفر لما قيل من ان الناس اتخذوا النعال السود منذ استولى الافرنج على العرائش على يد الشيخ المامون السعدي.

فتح مدينة أصيلا عام 1102

جاء في الاستقصا[1] ما ملخصه «ان المجاهدين لما فرغوا من أمر العرائش عمدوا الى مدينة أصيلا فنزلوا عليها وحاصروا النصارى الذين بها ثم ملكوها سنة 1102. وعمرها أهل الريف وبنى قائدهم مسجدين ومدرسة وحماما وبنى داره بقلعتها»

رسالتان من المغرب الى ملك فرنسا سنة 1103

كتب القائد علي بن عبد الله حاكم تطوان ونواحيها الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا رسالة مطولة ذكر له فيها ان السلطان أسند اليه أمر المفاوضات مع الدول الاجنبية الخ وتعرض فيها لعداوته الصريحة للاسبانيين بسبب احتلالهم لبعض الموانئ المغربية، وطلب منه ان يرسل اليه مندوبا مفوضا من أعيان دولته ورجال بلاطه للمذاكرة معه فى شأن فكاك الاسرى الذين بالمغرب وغير ذلك. وتاريخ هذه الرسالة أوائل ربيع النبوي عام 1103 موافق اواخر نوفمبر 1691. وقد أثبتنا نصها الكامل فى الاصل وهي من الوثائق الدبلوماسية المغربية.

كما أثبتنا فى الاصل ايضا نص رسالة أخرى أرسلها السلطان المولى اسماعيل

1) ج 4 ص 36

الى ملك فرنسا المذكور فى شأن ما يريده الفرنسيون من فداء أسراهم الذين بالمغرب ، وهي رسالة قوية اللهجة على عادة المولى اسماعيل رحمه الله فى رسائله الى ملوك الافرنج ، وتاريخ هذه الرسالة غرة ربيع المذكور.

حصار المسلمين لسبتة عام 1106 (1694 م)

جاء في كتاب الاستقصا[1] ما نصه:

«ثم سار المجاهدون بعد الفراغ من اصيلا الى سبتة فنزلوا عليها وحاصروها واستأنفوا الجد فى مقاتلتها وأمدهم السلطان بعسكر من عبيده وأمر قبائل الجبل ان تعين كل قبيلة حصتها للمرابطة على سبتة وكذلك أمر أهل فاس ان يبعثوا بحصتهم اليها فكان عدد المرابطين عليها خمسة وعشرين ألفا. وتقدم السلطان اليهم فى الجد والاجتهاد فكان القتال لا ينقطع عنها صباحا ومساء وطال الامد حتى ان السلطان رحمه الله اتهم القواد الذين كانوا على حصارها بعدم النصح فى افتتاحها ليلا يبعث بهم بعدها الى حصار البريجة فيبعدوا عن بلادهم مع أنهم قد سئموا كثرة الاسفار ومشقات الحروب ، واستمر الحال الى ان مات القائد ابو الحسن علي بن عبد الله الريفي وولي بعده القائد ابو العباس احمد والقتال لا زال، والحال ما حال، وفى كل سنة يتعاقب الغزاة عليها » .

وقد نقلنا فى الاصل كلام ابن الحاج فى الدر المنتخب على ما فيه من إسهاب، ومما جاء فيه ان استئناف حصار سبتة كان بأمر من السلطان للقائد علي بن عبد الله والقائد احمد بن حدو ، وان وصولهم اليها كان فى صفر عام 1106 .

ووجدت في كناش الفقيه ابن رحمون ان حصار سبتة طال أكثر من عشرين عاما ، وان القائد علي بن عبد الله كان هو المتولي لرئاسة الجيش المحاصر لها فلما توفي سنة 1125 تولى ولده الباشا احمد حصارها الخ .

وقد كان الرباط على سبتة اجباريا على سكان تطوان ، فكان الواجب على كل واحد من أهلها ان يرابط مدة معلومة ، اما بنفسه واما ان ينيب عنه غيره من أقاربه او من أشخاص يستأجرون لذلك .

فتح حصن بادس بالريف عام 1113

ذكر ابن العياشي فى « زهر البستان » ما ملخصه «ان السلطان المولى اسماعيل

1) ج 4 ص 37 ومثله في كتاب الجيش ج 1 ص 76

آمر القائد علي بن عبد الله ان يعين من ينوب عنه فى حصار سبتة ، وان يترأس المحلة الجديدة التي جهزها له السلطان المذكور، ويذهب بها لحصار حصن بادس بالريف فتوجه اليها فى شعبان سنة 1113 ، فوصل ساحة ثغر بادس فى أوائل رمضان وحشر قبائل الريف واحاط بالحصن الذي اختطه الافرنج ثم نصبوا السلالم على اسواره واقتحموه على النصارى الذين كانوا به فمات بعضهم واسر الباقون واستولى المجاهدون على الحصن ثم امرهم السلطان بهدمه فهدموه تهديما وارسلوا السبي الى حضرة السلطان.

(تطوان وجيش عبيد البخاري)

وقد عقدنا في الاصل فصلا مطولا تكلمنا فيه على الجيش الاسماعيلي المسمى بالبخاري، وقدوم القائد اعليلش المشهور الى تطوان لجمع الحراطين منها، وافتتان الناس بها وفرار بعضهم الى رؤوس الجبال الخ. وكان وصوله اليها في ربيع الاول عام 1121 وخروجه منها فى رجب[1] ثم وصلها القائد بكور لنفس الغرض عام 1122 و 1123. واثبتنا نماذج من شهادات وقعت في تطوان لشراء قائدها الباشا احمد لبعض العبيد نيابة عن السلطان عام 1122. وقد نقلنا ذلك من اصل كناش السلطان المذكور وهو محفوظ في الخزانة الكتانية بفاس.

واثبتنا ايضاً نص ظهير اسماعيلي لشرفاء جبل العلم بتاريخ 26 جمدى الاخيرة عام 1121. وقد قال فيه السلطان للقائد سعيد الزيراري مانصه: «وعلي بالمشي الى مكة حافيا راجلا ان ضيعت لهم قلامة ظفر حتى نحسك رقبتك الخ» وكان القائد الزيرارى المذكور قد نزل على عزائب اولئك الشرفاء ونهبها ليرغمهم على تسليم السود الفارين من التجنيد المحتمين بضريح جد الشرفاء الشيخ عبد السلام بن مشيش .

وقد نقلنا ذلك الظهير من كتاب «الروض المنيف» لسيدي عبد الله الوزانى دفين غمارة ، ورأيت نسخة منه بكناش ابن رحمون ايضا، كما اثبتنا ايضا نقلا عن كناش ابن رحمون نص رسالة كتبها قاضى شفشاون الشريف سيدي علي بن عيسى العلمي الى القائد علي بن عبد الله ومنها يعلم ان بعض الولاة كانوا يلزمون الناس بشهادة الزور واستعباد الاحرار الخ .

وفاة القائد علي بن عبد الله عام 1125

وجدت فى كناش الفقيه بن رحمون ان القائد علي بن عبد الله توفي بمدينة

1) كان الناس يفرون من التجنيد الحكومي بمقدار ما كانوا يرغبون في التطوع للجهاد والرباط، لان الجند الحكومي لم يكن جندا محترما احترام الجند العصري ت. و.

طنجة ودفن بعد عشاء ليلة الثلاثاء سادس شعبان سنة 1125. وقد اثبتنا في الاصل وصف ابي محمد السكيرج التطواني لهذا القائد وحكايات حكاها عنه مما يدل على حسن سيرته وانه كان من اهل الخير والفضل والصلاح رحمه الله.

وقد كان له رحمه الله تفويض من السلطان في تولية الموظفين وعزلهم في ناحيته فكان يصدر مراسيم يستهلها بقوله:

من فضل الله سبحانه وبركة سيدنا ايده الله ونصره يستقر مسطورنا بيد ماسكه فلان ليعلم الواقف عليه من اصحابنا ومن الى نظرنا من المدائن والقرى والمداشر والبوادي والحواضر اننا وليناه الخ وقد اثبتنا نموذجا من ذلك في الاصل.

ولاية الباشا احمد على تطوان عام 1125

تولى الباشا احمد مكان ابيه القائد علي بن عبد الله بامر السلطان المولى اسماعيل وكان ذلك باثر وفاة القائد علي عام 1125 وعصر الباشا احمد في تطوان عصر كثير الحوادث غزير المادة، وقد استغرق من اصل هذا الكتاب نحو ثلاثمائة صفحة، وسنلخص هنا بعض ذلك تلخيصا ونحيل على الباقي في اصل الكتاب، لمن يهمه الاطناب.

لقد ألقينا في الاصل نظرة عابرة على حياة الباشا احمد منذ ان كان شابا ابنا لحاكم الشمال المغربي نيفا وثلاثين عاما، وابناء الباشاوات والوزراء وكبار التجار والاعيان والاشراف ومن في معناهم من الرؤساء والموظفين، وان كان ابناؤهم من اخير الناس يشبون في الغالب معرضين للغرور وما يجر اليه من اوصاف واعمال، ولقد قضى الباشا احمد زهرة شبابه بين تطوان وطنجة فنشأ بعيدا عن اخلاق قومه من اهل البادية الذين كانوا يميلون الى الخشونة والزهد والقناعة والتفاني في خدمة الدين والوطن، ولم يقتف الباشا احمد سيرة والده الذي كان رجلا متقشفا متدينا همه الجهاد في سبيل الله والاخلاص للسلطان القائم بامر الله يحكم بين الناس بالعدل عفيفا بعيدا عن الرفاهية والطمع والظلم.

ولما توفي القائد علي وتولى مكانه ابنه الباشا احمد وجد امامه قضية الرباط على سبتة، وهى مشكلة طالت مدتها، ولم تحل عقدتها، ووجد تحت حكمه مدنا وقبائل وجنودا، ووجد فوقه سلطانا قويا عنيدا، ووجد نفسه مطالبا بمصاريف باهظة ففرض على اهل تطوان وغيرهم ضرائب وغرامات، واستغل اراضي ومساحات، ووطد مع بعض الاجانب علاقات تلتها تجارات ومبادلات، فكثر ماله، وامتد جاهه، وان للمال والجاه والسلطة لطغيانا قد يدعو صاحبه لاهمال الاشراف واهانة الاعيان، فكان بينه وبين اهل تطوان خلاف فاصطدام.

وتوفى السلطان المولى اسماعيل الملك الحازم الجبار المهوب، وتولى مكانه من ليس له

من اوصاف سلفه لا قليل ولا كثير، وترامى العبيد على السلطة، وسيطروا على الدولة، فانفتح باب الرشوة والفوضى والاهمال، وثار اهل قبائل تطوان على الباشا احمد وحاربوه، ثم قاومه اهالي تطوان وعاكسوه، فتولى عليهم باشا جديد ورد على تطوان من فاس، ثم تقاتل الباشا احمد واهل تطوان فانتصروا عليه ثم لعب الباشا ادواره مع رجال البلاط السلطاني بمكناس فولوه ثانيا على تطوان فتحكم وانتقم، واصلح وافسد، وبنى وهدم، وأخذ واعطى وكان رجلا نشيطا طموحا بعيد الآمال.

واتصل بالسلطان المولى عبد الله بن اسماعيل، وكان من الشذوذ بمكان، فاهانه اهانة، فغضب الباشا وصار يعمل لعزله والاستيلاء على فاس بالقوة لنصب سلطان جديد على العرش المغربي، وعمد الى طريق العنف فحشد الجنود وجمع المعدات وقصد عاصمة المغرب لاحتلالها فاصطدم بقوة المولى عبد الله فقطع رأسه وعلق على احدى ابواب فاس ثم استولى السلطان على مخلفاته وكانت ككنوز قارون والدوام لله.

وهكذا طويت حياة الباشا احمد كما يطوى الثوب، ومرت امام التاريخ كما تعرض اية رواية امام المتفرجين ، ويا ما اكثر غرور ذوي السلطة والجاه. وهكذا دخل هذا الباشا الجبار بخيره وشره ونفعه وضره في ذمة التاريخ غفر الله له ورحمه بفضله، ودونك بعض حوادث عهده باختصار.

بناء برج مرتيل عام 1132

وجدت بخط الفقيه سيدي مفضل افيلال ما نصه:

«في عام 1132 ، بنى القائد احمد بن علي الباشا، برج مرتيل باذن مولانا اسماعيل وعين للقنطار من الشمع الذي يخرج من المرسى اوقية، ولقنطار الجلد نصف اوقية، وامر ان يصرف ذلك على من يحرس في سبيل الله بالبرج المذكور».

وسياتي لنا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله امر بتجديد بناء هذا البرج عام 1173.

مواصلة الرباط على سبتة وقتال اهلها

وجدت بخط الفقيه بن رحمون ما ملخصه ان الباشا احمد بقي مرابطا على سبتة بعد وفاة ابيه ست سنين، وعليه يكون رباط الباشا احمد على سبتة قد استمر الى سنة 1131. على انه قد وقع القتال حولها بعد هذا التاريخ وبعد انسحاب الباشا احمد من الرباط عليها.

وفي سنة 1132 حاول الباشا المذكور القيام بحملة عظيمة لاحتلال سبتة فجمع بتطوان جيشا يزيد عدد مقاتليه على ثلاثين الفا ولكن الحركة فشلت بسبب فساد الجو وشدة

المطر وهياج البحر وغير ذلك. وعلمت قوات سبتة بذلك الفشل فهجمت على قوات المسلمين واستولت على محلتهم وكانت نكبة كبيرة على المجاهدين والمرابطين، ثم اعاد المسلمون الكرة على اهل سبتة وانتصروا عليهم، وفي ذلك يقول القادري في التقاط الدرر ما نصه:

«في غرة المحرم فاتح عام ثلاثة وثلاثين ومائة والف، ورد الخبر بالملحمة العظمى مع النصارى، خرجوا من سبتة بعدد عديد ونهبوا محلة المسلمين النازلين عليها ومات من المسلمين نحو الف اذ كانوا منهم على غرة ولم يحضر من يعرف مواضع الحرب ثم رجع عليهم المسلمون من جيش مولانا السلطان ومن القبائل المغربية فكر المسلمون على النصارى واثخنوا فيهم القتل حتى بقي بايدي المسلمين من النصارى نحوثلاثة آلاف، اخبرني بذلك من حضرها»

وذكر ذلك ايضا في نثر المثاني[1] ونقل ذلك الناصري في الاستقصا[2] واكنسوس في الجيش[3] وقد توسع ابن الحاج في الدر المنتخب في الكلام على حصار المسلمين لسبتة عموما وعلى ما وقع في هذه المدة خصوصا، وقد نقلنا في الاصل كلامه بتمامه على ما فيه من اسهاب.

سفارة انجليزية بتطوان عام 1133

كان سلطان المغرب العظيم المولى اسماعيل بن الشريف يقيم بعاصمة ملكه مكناسة الزيتون، وكان ملكا عالي الهمة، حازما ضابطا، عرف كيف يجبر الاجانب على احترامه واحترام مملكته، وكان لديه عدد من الاسارى الاوربيين المسيحيين فكان يستخدمهم في البناء وفي مختلف الاشغال، وفي سنة 1133 هـ كان لديه من الاسارى الانجليزيين نحو ثلاثمائة، ولم تكن بينه وبين الدولة البريطانية في ذلك العهد معاهدة سلام وصداقة تمنع من احتفاظه بمثل ذلك العدد من الاسرى.

وفي سنة 1720 م (1133 هـ) ارسل جورج الاول ملك بريطانيا[4] بعثة الى المغرب برئاسة المستر شارل استيوارت CHARLES STEWART لعقد معاهدة مع الدولة المغربية ولفداء الاسرى الانجليزيين الذين لدى السلطان بمكناس، وقد قامت البعثة المذكورة برحلة الى المغرب وزارت تطوان ثم مكناسة الزيتون واتمت مهمتها كما يرام، وكان من بين رجالها المستر جون وندوس JOHN WINDUS الانجليزي فالف

1) ج 2 ص 122.

2) ج 4 ص 47

3) ج 1 ص 91

4) جورج هذا تولى الملك من سنة 1714 الى سنة 1727 (1126 - 1140 هـ).

عن تلك الرحلة كتابا سماه[1] «رحلة الى مكناس، محل اقامة امبراطور فاس والمغرب» بمناسبة سفارة المستر ستيوارت لفداء الاسارى البريطانيين سنة 1721. وهذه الرحلة قد طبعت باللغة الانجليزية في لندن[2] سنة 1725 (1137ه) اي في حياة السلطان المولى اسماعيل والباشا احمد وغيرهما من الاشخاص الذين يتحدث عنهم المؤلف.

وقد تحدث المستر وندوس عن زيارة هذه السفارة لتطوان ووصف استقبالها واقامتها بها وتكلم عن هذه المدينة واحوالها وعن الباشا احمد الحاكم العام لهذه الناحية وعن اخوته ومن جملتهم حاكم تطوان في ذلك العهد، ووصف ما شاهده من اوصافهم واحوالهم.

وهؤلاء الزائرون الاوربيون ينظرون الى بلادنا وشؤوننا بغير العين التي ننظر بها نحن الى انفسنا والى احوالنا، فهم يتدبرون في كل ما تقع عليه ابصارهم، ويبحثون ويستنتجون ويكتبون كل ذلك خطأ او صوابا، وهم وان كانوا في بعض الاحيان يبدون افكارا سخيفة بليدة ويرتكبون اخطاء شنيعة، الا انهم في احيان اخرى يصورون امورا دقيقة ويصفون اشياء طريفة لا يعتني بها مؤرخونا بالرغم من كونها هي التي تصور احوال الامة فتعطي صورة حقيقية عن حياتها ومبلغها اما من الترقي والحضارة، والعدل والنظام، واما من ضد ذلك كله.

وقد أثبتنا في الاصل ما كتبه المؤلف المذكور عن تطوان وما اليها، وقد استغرق ذلك نحو اربعين صفحة، وقد ذكر ان رحلتهم كانت عام 1720 (1132 ه) وانهم لما وصلوا الى جبل طارق كتب السفير الى الباشا احمد رسالة حملتها سفينة حربية الى تطوان ثم عادت اليه بجواب يحمله قردناش التطواني الذي كان قد ارسل قبل ذلك سفيرا الى لندن مرتين ثم جاء الاسطول الانجليزي الى ميناء تطوان وارسل السلطان من بلاطه الى تطوان تاجرا يهوديا اسمه موسى بن عطار ليعقد مع الانجليز معاهدة مغربية انجليزية فتفاوض الطرفان وتم توقيع المعاهدة في ميناء هذه المدينة وقد ارخت في 17 يناير 1721 وقد اثبتنا في الاصل النص الكامل لهذه المعاهدة. ودخل السفير الانجليزي تطوان رسميا فاحتفلت به احتفالا كبيرا ووصف المؤلف ما رأ وما سمع من مناظر واشخاص، وحكى ان احد اخوة الباشا كان هو حاكم طنجة

---

1) اسم هذا الكتاب بالانجليزية هو A. JOURNEY TO MEQINEZ TheResidence of the present EMPEROR OF FEZ and MOROCCO...

2) توجد في الخزانة العامة للكتب والمحفوظات بتطوان ترجمة اسبانية غير مطبوعة لهذه الرحلة ومنها نقلنا ما اثبتناه هنا.

والآخر حاكم العرائش، ثم وصف بستان الباشا «سانية السلطان بكيتان» ونزهة اقامها لهم الباشا فيه الخ.

وتكلم على مدينة تطوان ودورها وطريقة بنائها وعلى فقر الشعب واستبداد الباشا، وعلى وسائل النقل وملابس الرجال والنساء وعوائد الزواج وعقاب الزنى والطلاق وكيفية الاكل والمأكولات والمشروبات وكيفية ذبح المواشي وعلى زيارات النساء والغسل والقمار وانواع اللعب والملاهي وعلى بغض المسيحيين وعلى الصلاة والمساجد ورجال الدين واعمالهم وعلى المآثر وعوائد الجنائز والمجاذيب والاضرحة والاولياء والتشاؤم والمدارس والقضاة وطرق التحية والنقود. ثم وصف الباشا احمد واتساع منطقة نفوذه وحدودها (من وهران على البحر الابيض المتوسط الى المعمورة على المحيط الاطلسي).

ثم ذكر ان السفارة غادرت تطوان في 13 يونيه وقصدت عاصمة مكناس مقر السلطان المولى اسماعيل واتى باحصاء لعدد من كان بها من الاسرى الاوربيين، من اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا وهولندا وجنوه (من ايطاليا) واليونان وتكلم على اجتماع السفير بالسلطان الخ

ثم ذكر انه بعد ان اقام السفير بمكناسة بضعة ايام ابلغه السلطان ان في امكانه ان يعود الى وطنه متى شاء اذ ربما يحتاج اليه ملكه لمهمة اخرى، وانه اذا وصل تطوان فانه يمكنه ان يتفاوض مع باشاها في شأن الاسارى الانجليز الذين بالمغرب. وهنا شعر السفير بحرج موقفه، اذ معنى ذلك انه سيعود الى انجلترا دون ان يفك اولئك الاسارى، ولعله كان قد اغتر بمظاهر الحفاوة التي استقبل بها والمجاملات الكلامية التى سمعها فظن انه يمكنه ان يفك الاسارى مجانا على سبيل المجاملة والاكرام ايضا، وكانه لم يكن يعرف ان ساسة المغرب في ذلك العهد كانوا كساسة انجلترا في هذا العصر، لا يعرفون معنى للعطاء او المساعدة او التاييد بالكلام او بالسكوت الا اذا كان لمصلحة وبعوض مناسب.

وكان السفير قد اتفق مع دولته على دخول البيت من بابه اذا اضطروا لذلك فهيأوا مركباً محملا بما يفدون به أسراهم، وهكذا افاق السفير من غفلته واغتراره ورجع الى صديقه اليهودي بن عطار فاشار عليه ان يكتب الى احدى زوجات السلطان فكتب الى والدة المولى عبد الله بتاريخ 20 يوليه 1721 رسالة مطولة بين فيها المهمة التي جاء من اجلها واعتذر الخ ورغب منها التوسط لدى زوجها الخ فاجابته على ظهر رسالته الخ ثم اذن له السلطان في زيارته واجتمع به رسميا في 23 يوليه واحضر جميع

الاسارى الانجليز وانعم عليه بالحرية واشار لهم بيده بانهم احرار في استطاعتهم ان يعودوا الى اوطانهم مع السفير.

وعاد السفير الى تطوان ومعه اولئك الاسارى الا ان الباشا لم يسمح بسفر اي واحد منهم الا بعد ان وصلته رسالة من احدى زوجات السلطان بوصول البارود الذي هو جزء من فدية اولئك الاسارى ... الذين أسروا خلال سبع سنوات مضت في الخلاف والحرب.

وتحدث المؤلف عن حالة الباشا احمد بمكناس اثناء هذه الرحلة فذكر انه قضى ثلاثة اسابيع متوالية يحضر كل يوم امام الامبراطور وهو في حيرة عظيمة خوفا على نفسه من القتل الشنيع حتى سقط مريضا بسبب ذلك . وبين الخوف والمرض ساءت حالته جدا ، واخيرا اذن له الامبراطور في العودة الى مقر حكمه بعد ان فرض عليه غرامة مبلغها ثلاثمائة قنطار من الفضة اي ثلاثمائة الف مثقال زيادة على ما كان قد أتى به من الهدايا المكونة من الذهب والفضة والسلع الثمينة مع مآت من الخيل والبغال واشياء اخرى من انتاج مقاطعته. وقد ارسل السلطان صحبته احد القواد ليتسلم منه المبلغ المذكور...

وتكلم المؤلف ايضا على والد الباشا احمد وهو القائد علي بن عبد الله وذكر انه لم يكن في اول امره سوى فقير يسوق البهائم الخ ثم تكلم على عائلته وعلى ابنائه الخ.

وبعد ان اثبتنا في الاصل النصوص الكاملة لجميع ما اشرنا اليه هنا ، وأثبتنا النص الكامل للمعاهدة المغربية الانجليزية المشار اليها[1] اثبتنا ايضا نص المواد الاضافية التي كملت بها وقد استطاع الحصول عليها السفير الانجليزي المستر جان روسل الموفد من ملك بريطانيا جورج الثاني الى بلاط سلطان المغرب المولى احمد الذهبي بن اسماعيل سنة 1728 (1140هـ)[2]

ثورة الجبليين ضد الباشا احمد عام 1139

ويظهر ان ما كان مسيطرا على قلوب الشعب المغربي من هيبة السلطان المولى اسماعيل، والخوف من سطوته وجبروته، هو الذي كان السبب في تحمل اهل تطوان ونواحيها لقسوة الباشا احمد وطغيانه، فلما توفي السلطان المذكور تنفس الناس الصعداء وتبدلت الاحوال.

ومن المعلوم ان وفاة المولى اسماعيل كانت بمكناسة الزيتون يوم السبت ثامن وعشري رجب عام 1139. موافق 22 مارس سنة 1727. وان الذي ولاه العبيد بعده، هو ولده المولى احمد الملقب بالذهبي ، وكان المولى احمد هذا معروفا بشرب الخمر

1) ترجمها لنا عن الاسبانية شقيقنا الحاج عبد الكريم داود حفظه الله.
2) ترجمها لنا عن الفرنسية صديقنا الاستاذ المهدي بنونة حفظه الله.

وباهماله للواجبات وانغماسه في اللذات ، وكان اهل فاس في اواخر عهد المولى اسماعيل «كأهل تطوان» متضايقين من حاكمهم المستبد الظالم وكان ذلك الحاكم هو ابو علي الروسي، وبمجرد وفاة المولى اسماعيل عمدوا الى ذلك الحاكم القاسي فقتلوه مع عدد من اصحابه واعوانه، وذكر المستر بريت ويت الانجليزي ان الفاسيين قتلوا مع ابي علي الروسي ما ينيف على ثمانين شخصا من اتباعه واعوانه انتقاما منهم للفظائع والاعمال الوحشية التي كانوا يرتكبونها معهم منذ عدة سنين «وأهل فاس أجرأ من أهل تطوان في مثل هذه المواقف بل وفي كثير من غيرها، واسأل بالجميع خبيرا».

ولم يقابل الفاسيون ولاية المولى احمد بالترحيب والتحمس في بادئ الامر فلما ظهر لهم من امره ما لا يحمد، أظهروا تبرمهم من تلك الولاية وعطفهم على مزاحمه على العرش وهو اخوه عبد الملك.

وأهل تطوان كانوا في الغالب يتضامنون مع اهل فاس في كثير من المواقف السياسية العامة، ويظهر ان التطوانيين لما رأوا ان اهل فاس قتلوا حاكمهم «الروسي» الذي كان طاغية كالباشا احمد حاكم تطوان وناحيتها، ورأوا انهم لم يتحمسوا للسلطان الجديد ولم يركنوا اليه ، فكروا هم ايضا في حالهم ، وتربصوا في الامر اولا ثم بدأ التهامس ثم الكلام ثم التحمس والاستعداد للمقاومة.

وفي هذه الظروف أسرع بعض اهل القبائل الجبلية القريبة من تطوان الى الثورة ونبذ طاعة الباشا احمد ووقع قتال بين الطرفين وكان وقع ذلك عظيما على هذا الباشا الذي تعود الخضوع له والاستسلام ، ودفع الضرائب الضخمة له بدون أي كلام . ثم وقع خلاف واصطدام بين بعض اصحاب الباشا المذكور وبعض التطوانيين في السوق الفوقي داخل المدينة فتقاتل المتخاصمون ومات من الفريقين عدد من الناس.

وقد اثبتنا في الاصل ما جاء مفصلا عن هذه الحوادث فى كتاب المستر بريت ويت الانجليزي الذي زار تطوان في هذه المدة وقد تكلم فيه عن الانفجار العظيم الذي وقع اثناء هذه الحوادث في مخزن البارود الذي كان جنب دار المخزن بتطوان فتهدم بسببه المسجد القريب منها مع ستين دارا دكت من أساسها دكا . وقد ذكر ذلك المؤرخ ابو محمد السكيرج أيضا . وأثبتنا فيه ايضا ما كتبه ابن زيدان في الاتحاف عن هذا الموضوع نقلا عن رحلة تومى الانجليزي الخ.

كما اثبتنا نص رسالة كتبها الباشا احمد عام 1139. الى السيد التهامي بن صالح من أعيان غمارة وعقدنا فصلا تكلمنا فيه على المعاملة القاسية التي كان الباشا احمد يعامل بها اهالى تطوان، ونقلنا بعض جزئيات مؤلمة عن مصادر مغربية وافرنجية، ومنها ما جاء في كتاب المستر وندوس الانجليزي السابق الذكر من انه مر امام سجن تطوان فرأى

بعينه رجلا معلقا من رجليه مكبلا بالحديد وعلى انفه لقاقيط ولحمه يقطع بالمقص ورجلان يضربانه بالعصي ويطلبان منه المال، وذكر ان هذا الرجل اشتري بخمسمائة دوكا (عملة ذهبية) ويحاولون ان يستخرجوا منه هذا المبلغ بواسطة هذا التعذيب. وذكر ان هذا المنظر المفزع عند ما رآه رفيقه المستر نوبل صاح قائلا: يارب، هذه ثمرات حكومة استبدادية ظالمة»

ومن ذلك حكاية المؤرخ السكيرج لتعذيب جدته حتى أغمي عليها لاجل المال الخ ما تقشعر منه الابدان. وحاشا ان يستحسنه انسان او يدافع عنه من فيه ايمان.

ثم عقدنا فصلا عن قيام اهل تطوان ضد مظالم الباشا المذكور في نفس هذا العام فنبذوا طاعته واعلنوا الثورة ضده ونقلنا كلام شاهد عيان لحوادث ذلك العهد وهو بريت ويت الانجليزي ثم كلام ابن زيدان في الاتحاف وكلام ابن الحاج في الدر المنتخب وبينا ان اهل تطوان كانوا قد اتصلوا بدائرة السلطان ليرفع عنهم ضرر الباشا احمد فلم يجدوا آذانا تصغي لشكواهم.

وكان السيل قد بلغ الزبى والحماس قد بلغ أشده فنافس اهل تطوان خصمهم الباشا احمد في الاتصال بعبيد مكناس اهل الحل والعقد في ذلك العهد ففازوا عليه بالوسائل المعهودة لدى الانتفاعيين وهي التي لم يكن اولئك العبيد يفهمون غيرها فعزل الباشا احمد عن حكم تطوان وولي مكانه الباشا عبد الملك بوشفرة الذي كان قبل ذلك حاكما بفاس الجديد ، وذكر بريت ويت ان تعيينه كان في 4 يوليه 1727 (15 قعدة 1139) وان هذا الباشا الجديد قد اشترى منصبه هذا بمبلغ خمسمائة ضبلون ذهبا الخ.

وأثبتنا ايضا نص رسالة كتبها السلطان احمد الذهبي من مكناس الى القنصل الانجليزي والتجار الانجليزيين الذين كانوا بتطوان في 20 ذي القعدة 1139.

وقد وصل الباشا بوشفرة المذكور الى تطوان في اواخر يوليه 1727. (اوائل ذي الحجة 1139) وقد وصلها متخفيا خوفا من ملاقاة اصحاب الباشا احمد.

سفارتان بين المغرب وانجلترا عام 1139 هـ 1727م

ونترك الباشا بوشفرة بتطوان وقد حل بها خائفا مترقبا، ونترك الباشا احمد وقد قبع بطنجة غاضبا حانقا، ونحول وجهنا نحو سفارتين تبودلتا بين المغرب وانجلترا في هذا العهد، والكلام على هاتين السفارتين قد استغرق من اصل هذا الكتاب نحو ستين صفحة سنلخصها هنا تلخيصا. لقد نقلنا اولا ما كتبه ابن زيدان في الاتحاف عن السفير روسل الانجليزي الذي امره سيده ملك انجلترا بتعزية السلطان احمد الذهبي في وفاة والده وتهنئته بالجلوس على عرش المغرب الخ وقد تعرض في كلامه للسفير المغربي الذي سماه بوكلي وهو من اهل تطوان وكان السلطان المولى اسماعيل قد ارسله الى انجلترا

قبيل وفاته، وفي أوبته من سفارته اتصل به خبر موت السلطان، وكان هو من اصحاب الباشا احمد الذي وقع بينه وبين اهل تطوان ما وقع فبقى في حيرة هل يذهب الى اهله بتطوان او الى ولي نعمته الباشا احمد بطنجة الخ وجل ما كتب ان لم يكن كله ، منقول عن رحلة المستر بريت ويت الانجليزي الذي صحب المسترجان روسل في سفارته ورحلته الى تطوان ومكناس. وقد الف عن رحلته كتابا اثبت فيه من اخبار تطوان ونواحيها وحوادثها حقائق ومشاهدات وابحاثا لا توجد في غيره[1] وقد نقلنا في الاصل جل ما جاء في كتابه المذكور عن تطوان وما اليها. وقد كان السلطان المولى اسماعيل قد وجه قبل هذا التاريخ سفيرا هو الحاج عبد القادر بيريس من سكان سلا فلم ينجح في سفارته كما كان المؤمل، فأسند السلطان الامر الى الباشا احمد فاختار احد أعيان تطوان لتلك السفارة وهو السيد البقولي فذهب هذا السيد الى انجلترا ونجح في سفارته وقد وصفه بريت ويت في كتابه بانه كانت له جاذبية خاصة لاجتلاب التقدير والتعظيم فكان يقابل بالاحترام حيثما ذهب، وكان بحيث لا يستطيع احد الوصول الى درجته في الابهة والفخفخة وكان يعرف مهمة مركزه الخ فلما اتم البقولي مهمته وعزم على العودة الى المغرب ارسل معه ملك انجلترا سفيرا منه الى السلطان المولى اسماعيل وارسل معه هدايا عظيمة وكان البقولي نفسه قد صحب معه هدايا نفيسة، وقبل وصول السفيرين المغربي والانجليزي الى المغرب بلغهما خبر وفاة المولى اسماعيل وما وقع من الخلاف بين اهل تطوان والباشا احمد فنزلا بجبل طارق وقضيا بها مدة كان كل من أهالي تطوان والباشا احمد يحاول ان يجذبها الى ناحيته ليتخذ بهما وبالهدايا التي معهما يداً عند السلطان الجديد.

وكان وصول السفيرين المذكورين الى جبل طارق في 29 ابريل 1727. (8 رمضان 1139) فكتب الباشا احمد الى القنصل الانجليزي بجبل طارق، يطلب منه بالحاح ارسال السفير البقولي الى طنجة وعدم السماح له بالذهاب الى تطوان ، وكتب الباشا المذكور الى البقولي والى غيره بذلك، وكتب السلطان نفسه الى السفير الانجليزي يطلب منه الوفادة عليه مع الباشا احمد، وكان أهل تطوان يعملون ضد ذلك كله ، وبالرغم من الرسائل السلطانية ورسائل الوعد والوعيد من الباشا احمد فان السفيرين البقولي وروسل لم ينفذا شيئا من رغبات السلطان والباشا وبقيا في جبل طارق طول شهور مايو ويونيه

1) اسم المؤلف هو BRAITHWAITE وقد ترجم مؤلفه الى الفرنسية وطبع في امسطردام بهولندا سنة 1731 بعنوان HISTOIRE DES RÉVOLUTIONS DE L'EMPIRE DE MAROC DEPUIS LA MORT DU DERNIER MREREU MULEY ISMAEL.
وقد ترجم لنا ما نقلناه من هذا الكتاب صديقنا الاستاذ المهدي بنونة حفظه الله.

ويوليه وغشت ينتظران استقرار الاحوال. وفي اواخر غشت وصل الى تطوان الحاج عبد القادر بيريس PEREZ السفير المغربي السابق الى انجلترا ولم يكن من انصار الباشا احمد وكان الباشا احمد من خصومه وكان يحنق عليه ، وقد حاول رجال البلاط بمكناس ان يستغلوا نفوذه ومعرفته للانجليز للتوصل الى اجتلاب السفيرين الى مكناس للحصول على ما معهما من الهدايا بعد ان فشلت مساعي السلطان والباشا في ذلك.

وفي الوقت نفسه زار الاسطول الانجليزي ميناء طنجة فاستاء اهل تطوان من ذلك وصاروا يلحون على الانجليز في ارسال السفيرين اليهم ويقولون لهم ان الباشا مغضوب عليه الخ ولم يكن من مصلحة الانجليزيين ان يعرضوا عن رغبات اهل تطوان او أن يقابلوهم بالعنف، بل كانوا يحاولون ترضيتهم مع ترضية الباشا احمد ايضا لان تطوان وطنجة هما المدينتان الوحيدتان اللتان تعتمد عليهما مستشفيات جبل طارق لضمان عيش مرضاها الذين لولا المدينتان المذكورتان لاصبحوا ضحية للجوع والبؤس.

ثم سافر بيريس الى جبل طارق وبلغ رسائل السلطان احمد الذهبي الى ارباب السلطة الانجليزية بها وبذل معهم جهودا كبرى، واخيرا اجتمعت عدة عوامل واسباب على السفير البقولي فقرر ان يذهب الى الباشا أحمد بطنجة، وفعلا وصل اليها بهداياه في 10 سبتمبر سنة 1727 فاستقبله الباشا احمد استقبالا عظيما.

وفى الحين نفسه تقرر ان يسافر السفير الانجليزي جان روسل الى تطوان فأبحر اليها في 14 سبتمبر المذكور وكان المستر بريت ويت صحبته فكتب مشاهداته وملاحظاته واخبار تطوان في هذا العهد ووصف بتدقيق كيفية استقبال اهل تطوان لهذه السفارة واجتماعهم بالباشا بوشفرة.

وكان السفير ورفقاؤه بريت ويت وغيره يقومون في تطوان بزيارات مختلفة وابحاث دقيقة وتصويرات غريبة، وبريت يسجل جميع ذلك في مذكراته اليومية التي اثبتها في تاليفه المذكور وقد نقلنا ذلك بتمامه في الاصل.

استعداد تطوان لمقاومة الباشا احمد

بعد عودة الوفد التطواني من عاصمة مكناس بخفي حنين. عرف الناس وخصوصا اهل تطوان انه لا توجد بالمغرب حكومة حقيقية وسلطان، وان احمد الذهبي الذي نصبه العبيد لا يهمه شيء من شؤون الدولة والرعية وانما هو شخص منغمس في خمره وملذاته، وان العبيد يفعلون ما يشاؤون، فنفرت نفوس التطوانيين من السلطان المذكور واتجهت عواطفهم نحو خصمه ومزاحمه في الحكم وهو اخوه المولى عبد الملك لعله يكون احسن حالا من اخيه.

وعلم اهل تطوان ان خصمهم الباشا احمد قوي عنيد فصمموا على مقاومته ومحاربته اذا ما قصد مدينتهم غازيا مهما تكن النتائج ، واخذوا في تحصين المدينة من جديد.

وفي اثناء ذلك وصلت الى الباشا عبد الملك بوشفرة حاكم المدينة رسالة من السلطان احمد الذهبي بتاريخ 21 محرم 1140. (8 سبتمبر 1727) (وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل) وقد منحه فيها السلطة لمفاوضة جميع نواب الاجناس الذين بتطوان من انجليزيين وفرنسيين وغيرهم.

الباشا احمد يقصد تطوان بجيوشه غازيا عام 1140

وتحقق ما كان اهل تطوان ينتظرونه من حشد الباشا احمد لجيوشه وقصده تطوان لاخضاعها لنفوذه بالقوة.

وقد ذكر م بريت ويت (الذي كان في ذلك العهد مقيما مع السفارة الانجليزية بتطوان) انه عند شروق الشمس من يوم 19 سبتمبر سنة 1727 (2 صفر 1140) اطلقت مدفعية القصبة «قصبة تطوان» نيرانها انذارا بان قوات حربية تتقدم الى ناحية المدينة وقد عرف الناس في الحال ان الباشا احمد قد قصد تطوان بستة آلاف من فرسانه ومشاته غير مبال بما أمر به السلطان الجديد من تحديد سلطته بطنجة وما اليها وتعيين حاكم جديد لتطوان وهو الباشا بوشفرة.

والمستر بريت ويت الانجليزي يرى ان قيام الباشا احمد بعدوانه الجديد على تطوان، كان باتفاق مع رجال البلاط بمكناس، ويعني بهم عبيدها الذين كانوا يقبضون الرشى والمال من كل من يتقدم اليهم بمطالب كيفما كانت اغراضه ثم يتركون الناس كالسمك يا كل القوي منهم الضعيف، ومن هذا القبيل قضية الباشا احمد واهل تطوان، فليتقاتل المتخاصمان، وليغلب القوي منهم خصمه وليقض عليه، ثم على المنتصر ان يقدم الجزاء لرجال البلاط على مساعدتهم له بعدم اعانة خصمه عليه ، كذلك كانت سياسة اولئك العبيد، وكم في الدنيا من احرار اقبح من العبيد. واقام الباشا احمد امام تطوان بقواته ثلاثة ايام هي ايام - 19 - 20 - 21 سبتمبر المذكور . واهل تطوان مرابطون بسلاحهم خلف حصونهم ناصبين لمدافعهم، وقد كان لدى الباشا احمد اكثر من ثمانمائة من الخيل ولم يكن عند اهل تطوان الا نحو مائة من الفرسان، وبعد ان وقعت بين الطرفين مناوشات لا اهمية لها انسحب الباشا احمد بقواته نحو طنجة مقر حكمه ثم وصل الى تطوان وفد من رجال البلاط بمكناس ، واعلم أهلها بان السلطان ينتظر السفير الانجليزي الذي كان لا يزال مستقرا بتطوان، وقام ذلك الوفد بمناورات كلها لصالح الباشا احمد، الا انه عاد بدون نتيجة، وفي خامس اكتوبر ظهر الباشا احمد من جديد على

مقربة من تطوان وقد جاء هذه المرة بجيش اعظم من جيشه السابق، فاطلقت القصبة عدة طلقات نارية للانذار فسارع الناس الى الاستحكامات، وفي منتصف يوم سادس اكتوبر ارسل الباشا المذكور الى اهل تطوان يطلب منهم الف بندقي ذهبا تعويضا عن الخسائر التي لحقت ممتلكاته والا فانه يهجم عليهم غدا اذا لم يؤدوا له هذا المبلغ قبل الليل ، ويذكر بريت ويت ان جواب اهل تطوان كان مشرفا اذ ان مجلس الوصاية (الذي كان بيده زمام الامر في تطوان) اجاب بانه ليس عنده غير البارود والرصاص ليرسلهما الى الباشا، اما امر الهجوم فانهم يتركون له أمر البدء به اذا رأ ذلك مناسبا .

مقتلة (عيطة السبت) بتطوان عام 1140

كان التطوانيون الى اواسط القرن الماضي يطلقون «عيطة السبت» على المعركة التي دارت رحاها داخل تطوان وحولها بين أهالي هذه المدينة وجيش الباشا احمد الذي هجم عليها لاحتلالها واستباحتها بتاريخ يوم السبت 20 صفر 1140 موافق 7 اكتوبر1727م. ونحن نلخص جل اخبار تلك الواقعة مما كتبه شاهد عيان لتلك الحوادث وهو المؤلف الانجليزي «المحايد» بريت ويت الذي كان داخل تطوان حينما كان القتال دائرا في شوارعها ودروبها وفوق أسوارها وسطوحها.

لقد ذكر المستر بريت ويت انه هو واربعة من رفقائه الانجليزيين خرجوا في الساعة العاشرة صباح يوم السبت المذكور لمشاهدة الحركات والاستعدادات التي كان اهالي تطوان يقومون بها للدفاع عن انفسهم، فوجدوا الابراج مزودة بالسلاح على احسن ما يكون والمقاتلين مزودين بالبنادق والقرطاس والمسدسات والخناجر لدرجة بعثت في النفوس الغرور والاستهانة بشان العدو، وذكر ان عدد الجيش المهاجم الذي اتى به الباشا احمد كان مكونا من عشرة آلاف مقاتل من بينهم ثمانمائة فارس، وقد رأ المؤلف الباشا بوشفرة حاكم تطوان راكبا جواده يتبعه شقيقاه وكاتبه وخدمه الذين يبلغ عددهم الثلاثين وهم يطوفون بشوارع المدينة وتحصيناتها، وقد اعاره المؤلف نظارته المقربة للبعيد فرأ بها مواقع العدو، وعاد المؤلف ورفقاؤه الى منزلهم، وفي الساعة الواحدة من زوال نفس اليوم سمعوا طلقات كثيرة من المدافع والبنادق، فاسرعوا في الصعود الى السطح فوجدوا الهلع قد استولى على الناس، ثم جاء الاميرال الحاج عبد القادر بيريس وقد استولى عليه الذعر وذكر لهم ان الباشا احمد قد احتل المدينة وسيطر عليها بقوته ، ثم اخذ جميع من فى تطوان من النصارى يلجأون الى الدار التي كان بها السفير الانجليزي وقد حملوا اليها اموالهم ودفاتر حساباتهم.

وفي هذا الوقت كان فرسان الباشا احمد قد دخلوا المدينة من جهة الجبل كما

دخلها المشاة من كل صوب الى ان وصلوا ساحة الفدان ، واثناء دخولهم كانت مجزرة كبرى بينهم وبين اهالي تطوان.

ثم انغمس الجيش المحتل في النهب والسلب، فاستطاع اهل تطوان ان يلموا شعثهم ويستعيدوا رباطة جأشهم فنظموا شؤونهم واخذوا يقاتلون المحتلين في شوارع المدينة ومن فوق السطوح، وقد استمر القتال على تلك الحالة ثلاث ساعات اصبح اهالي تطوان في آخرها سادة الموقف وقد ساقوا المحتلين الى خارج المدينة وطردوهم من جميع أحيائها .

وقام شقيق الباشا احمد بهجوم عنيف لاحتلال القصبة ولكنه بعد قليل اضطر لسحب جنوده الذين تقهقروا وقد تحملوا خسائر فادحة في تقهقرهم.

وخرج الباشا احمد من المدينة (بعد ان كان قد دخل دار المخزن منها) وخرج معه جميع من كان بها من رجاله لا يلوون على شيء وذهب الى محلته وصار يحرق لغنائم التي وجدها في المعسكر وعاقب كثيرا من جنوده فحصل اضطراب وفوضى ، ومما قاله بريت ويت في كتابه ما ترجمته بالحرف:

«ولا اجد كلمات مناسبة عن مقدار انحطاط الشهامة العسكرية في الرجلين باشا تطوان بوشفرة وباشا طنجة احمد بن علي، فكل منهما كان يبذل أقصى ما في جهده للمحافظة على نفسه، فباشا طنجة لم يظهر قط في ميدان القتال مكتفيا بمشاهدة كل شيء من أعالي تل مجاور، وكان جبنه هو السبب الرئيسي لفشله في جميع شؤونه الخ.

اما الباشا بوشفرة فكان اول الهاربين المختفين الخ .... ثم ان الباشا احمد قام بمحاولة جديدة باءت بالفشل فاتخذ طريقه نحو طنجة وقد اصبحت تطوان تعاني نقصا كبيرا في البارود فارسل مجلس وصايتها السيد قاردناش في مركب الى جبل طارق ليشتري البارود باي ثمن كان. (هذا ملخص كلام بريت ويت الانجليزي) وهو أوفى واصح ما كتب في الموضوع. وقد تكلم مؤرخو المغرب على هذا القتال باختصار، شأنهم في جل حوادث الشمال المغربي. وقد نقلنا في الاصل كلام الزياني في «البستان» وكلام اكنسوس في «الجيش» ونبهنا على ما في كلامهما من خطأ، ونقلنا ايضا كلام الناصري في الاستقصا واصلحنا ما فيه من تخليط، ثم نقلنا كلام ابن الحاج في «الدر المنتخب» وكلام ابن زيدان في «الاتحاف» ولاحظنا عليهما ملاحظات، ثم نقلنا كلام ابي محمد السكيرج المؤرخ التطواني وقد أدرك الذين حضروا تلك الواقعة وروى عنهم. وقد حكي ان الحاج عمر لوقش كان هو بطل ذلك اليوم وانه لم يكن اولا يريد القتال، بل جمع أطفال الكتاتيب القرءانية فجعلوا الالواح فوق رؤوسهم وحمل بعض الناس المصاحف وفي مقدمتهم الحاج عمر المذكور قاصدين الباشا احمد ليكف عن القتال ويدخل المدينة سلما فلقيهم احد سكان حومة العيون «وهو الحاج محمد العزري» فوقف في وجه لوقش

وهدده بالقتل اذا لم يرجع عما عزم عليه، وفي تلك اللحظة كان الجيش المهاجم قد دخل المدينة فثارت النخوة في رأس لوقش فنزع كساءه وعمامته وتمنطق بهما وترك على رأسه قلنسوته بدون عمامة وسل سيفه وتقدم للقتال الى ان انهزم الجيش المحتل للمدينة وطرد منها. ثم ذكر السكيرج ان عدد القتلى من جيش الباشا احمد قد بلغ ثلاثة ءالاف وسبعمائة، وقتلى اهالي تطوان الفا وثمانمائة. وقد اتى السكيرج بتفاصيل دقيقة وحواشي على تلك الحوادث ، وقد اثبتنا في الاصل جميع ذلك مع تعليقاتنا عليه وختمنا الحديث بما نصه : «وهكذا تدوركت الهزيمة وبذلت الجهود من المدافعين عن انفسهم واهليهم وشرفهم واموالهم ، واستغلت جميع الطبقات ، كما استغل انشغال الجيش المهاجم بالنهب والسلب وجمع الغنائم «وكم لاشتغال الجيش بالغنائم من مصائب وويلات، وكم له من فوائد ايضا وحسنات» فدارت الدائرة على المعتدين من اصحاب الباشا احمد وقتلوا تقتيلا واخرجوا من تطوان مدحورين، وكان ذلك من الغرابة بمكان عظيم، اذ ان جيشا بدويا مكونا من عشرة ءالاف مقاتل بينهم عدد لا يستهان به من الفرسان، ليس من السهل التغلب عليه، ولكن اذا صحت العزائم وخلصت النيات زالت الصعوبات وهان كل شيء ولوأمام اصحاب المدن المسالمين. ولكن لمن كان النصر ؟ وعلى من كانت الهزيمة ؟ لقد انتصر مسلمون على مسلمين، وهزم مغربيون مغربيين، والقتلى والجرحى، والمشوهون ، والخسائر ، والنكبات ، كل ذلك كان من القوات الوطنية، الا ليت تلك الحرب التي قام بها اهالي تطوان وطنجة وغيرهما من اهالي مدن المغرب وقبائله ، كانت ضدالعدو المشترك، عدو الدين والوطن، ضد الافرنج الذين كانوا فد اغتصبوا البلاد، وأهانوا العباد، اذن لكان المغرب قد تطهر في ذلك الحين من ادران الاحتلال الاجنبي، ذلك الاحتلال المنافي للشرف، الماس للكرامة، المهين لكل شعور شريف، المكذب لكل دعوى وافتخار، ولكن شيئا من ذلك لم يكن، وقبح الله الظلم والاستعباد، وقبح الاغترار والتعصب والحزازات، ولا حول ولا قوة الا بالله».

وقد وجدت في تقييد بخط احد قضاة تطوان في اوائل القرن الماضي «ان وقعة السبت بين الباشا احمد واهل تطوان كانت سنة 1140 ، في السنة الموالية للسنة التي توفى فيها السلطان المولى اسماعيل ، وان الظفر فيها كان اولا للباشا احمد واصحابه فدخلوا تطوان قهرا ثم عادت الكرة عليهم فاخرجوا منها في نفس يوم السبت المذكور ثم اشتغل الناس بموتاهم يومي الاحد والاثنين ثم عادوا للقتال خارج تطوان يوم الثلاثاء وبعد ذلك ترك الباشا احمد القتال وعاد الى طنجة مقر حكمه» وهو تلخيص كما ترى في غاية الايجاز والتحقيق.

وقد كنت أنا استغرب واستبعد جدا ان يكون افاضل المجاهدين المسلمين من

أهل طنجة الريفيين، متواطئين مع الباشا احمد على الايقاع باخوانهم ورفقائهم في الجهاد سكان تطوان ، بعد ان اشتركوا جميعا في قتال اعداء الدين والوطن وطردوهم من الثغور المغربية وفي مقدمتها مدينة طنجة نفسها، فلما وجدت في الدر المنتخب لابن الحاج وفي الاتحاف لابن زيدان، ان الجيش الذي هجم به الباشا احمد على تطوان في هذه الواقعة انما كان من اهل بعض القبائل واللصوص وقطاع الطريق الخ سررت بذلك كل السرور، وعلمت ان تلك الحرب المشئومة لم تكن لا بين اهل تطوان وأهل طنجة، ولا بين أهل تطوان والقبائل الريفية المجاهدة، بل كانت بين سكان تطوان والشرذمة التي جمعها الباشا احمد من الجهال وحثالة الناس الذين لا يهمهم الا النهب والتخريب، وان افاضل اهل الريف المجاهدين الابطال سكان طنجة في ذلك العهد، واجداد اخواننا الافاضل سكانها اليوم، لم تقع بينهم وبين اهل تطوان حرب ولا خلاف، والحمد لله على ذلك وقد فرجتماها ولافض فوكما يابن الحاج ويابن زيدان.

اما موقف السلطان احمد الذهبي من هذه الحوادث فقد تكلم عليه من مؤرخي المغرب، الزياني في البستان، وا كنسوس في الجيش، والناصري في الاستقصا، وكلهم اتفقوا على انه دخل داره واعتكف على لهوه وملذاته وترك الناس يموج بعضهم في بعض الخ والامر لله.

وتعرض بريت ويت لحالة تطوان بعد انسحاب الباشا احمد منها الى طنجة ، فذكر انه خرج من المنزل الذي كان به مع رفقائه لرؤية ما تركه اصحاب الباشا المذكور في تطوان من التخريب، فوجد اكثر من خمسمائة دار وحانوت قد دمرت تدميرا ونزل الخراب بعدد كبير من التجار الذين افلسوا افلاسا تاما. الخ

ثم ذكر أن شؤون المدينة صارت في يد مجلس من اعيانها يسمى «الديوان» وكان الباشا بوشفرة قد اختفى اثناء الحوادث الخ.

وقد افاض بريت ويت القول في ذلك الموضوع ونقلنا كلامه بتمامه في الاصل.

ثم اثبت بريت ويت مذكراته اليومية عما كان يجري بتطوان من الحوادث العامة، وفي كل ذلك فوائد وتنبيهات وتعليقات، وقد استغرق ذلك في الاصل عدة صفحات، ومن أغرب ما ذكره في يوم 30 اكتوبر ان الباشا بوشفرة ، الذي كان قد ظهر من اختفائه ، وصله رسول من فاس يخبره بان السلطان قد عزله وولى الباشا احمد على تطوان من جديد الخ، وقد ارسل السلطان الى اهالي تطوان رسالة يامرهم فيها بطاعته، والا اعتبروا ثائرين الخ «والعبد وما ملك لسيده يفعل به ما يشاء» وانعقد مجلس الاعيان وقرر ان يستعد الناس للموت قبل الاعتراف بالباشا احمد حاكما من جديد على تطوان، وتقرر ان يمتثل الباشا بوشفرة الامر الذي ورد عليه بالسفر حالا الى مكناس ، فغادر تطوان ومعه

السفير الانجليزي «جان روسل» الذي كان لا يزال بتطوان وسافر معهما عشرة نواب عن تطوان ليسترحموا السلطان ويترجوا منه ان يعفيهم من سلطة الباشا احمد الذي اشتدت عداوته لهم وسوف ينتقم منهم شر انتقام. وقد حملوا معهم هدايا عظيمة لاعتقادهم انهم بدونها سوف لا يسمع لهم كلام، ولا يقبل منهم رجاء.

وكان الذي حمل عبيد مكناس على ان يعزلوا الباشا بوشفرة ويولوا الباشا احمد، هو أن هذا كان لا يزال مستوليا على الهدايا العظيمة التي جاء بها السفير البقولي من انجلترا، ويظهر انه ابلغهم انه لا يرسلها الى مكناس الا اذا اعادوه لحكم تطوان، وتلك الهدايا القيمة كان العبيد يتلهفون عليها.

وزيادة على ذلك كان رجال الحكومة بمكناس يرغبون في ترضية الباشا احمد الحاكم الغني القوي الذي اغدق عليهم من الاموال والهدايا شيئا عظيما، وكانوا يؤملون منه ان يرجح بقواته كفة السلطان احمد على اخيه عبد الملك الذي كان يسعى للاستيلاء على العرش، زيادة على وعده لهم بارسال هدايا اخرى عظيمة اذا ولوه من جديد على تطوان وتسلم زمام الحكم بها.

وحكى بريت ويت هنا حكايات مخجلة عن التكالب على الرشوة من عبيد مكناس ومن اليهم من الرجال والنساء حتى نساء احمد الذهبي نفسه بصفة مزرية، حتى صرح بان عشرين قطعة من احدى العملات كافية لرشوة رئيس الوزراء نفسه حسبما علمه بنفسه عند ما زار عاصمة مكناس صحبة السفير روسل.

وقبل ان تغادر السفارة الانجليزية تطوان الى مكناس، كتب بريت ويت عن مدينة تطوان كلمة قال فيها ما ترجمته بالحرف:

«وها أنا قبل ان اغادر المدينة آتي بموجز عن وصفها، لقد وجدتها أفضل الى اقصى الحدود من جميع المدن الاخرى التي شاهدناها في رحلتنا، ويؤيد فضلها هذا جمال الاراضي المحيطة بها التي تعتبر احسن الاراضي زراعة في بلاد المغرب، وبها تجارة شعب من اقوى الشعوب روحانية واكثرها تمدنا في هذه الامبراطورية بأجمعها.... الى ان قال: موقعها يشرف على جميع الاراضي المحيطة بها فيضفي عليها منظرا خلابا، وان اعتناء المغاربة والاسبانيين بعوائدهم القديمة ورضاهم التام عنها جعلت جميع المنازل متناسقة تناسقا تاما، وكذلك جميع البساتين والملابس.... الخ

ثم وصف تطوان وصفا دقيقا من عدة نواحي، وقد نقلنا كلامه بتمامه في الاصل، ومما جاء فيه ان عدد سكانها في ذلك العهد نحو ثلاثين الف شخص.

ثم ذكر ان السفير ورفقاءه «ومن جملتهم المؤلف» غادروا تطوان قاصدين حاضرة الملك مكناسة الزيتون في ثاني نوفمبر سنة 1727 م (موافق سابع عشر ربيع الاول عام

1140) صحبة الباشا بوشفرة واصحابه والاميرال الحاج عبد القادر بيريس مع وفد عن أهالي مدينة تطوان مكون من عشرة من الاعيان.

وفي اثناء الطريق بلغ الباشا بوشفرة من مكناس ان خصمه العنيد الباشا احمد تقوى سمعته ويزداد نفوذه.

ووصل الوفد عاصمة مكناس وفيها زار السفير روسل رئيس الوزراء وقدم اليه هدياه ومن جملتها خمور.... وزاره ايضا بصحبته نواب تطوان الذين قدموا اليه ايضا هدياهم الثمينة وعرضوا عليه شكواهم من الباشا احمد راغبين منه ان يبقي الباشا بوشفرة واليا على تطوان. وقد أيد المستر روسل مطالب نواب تطوان.

وفي هذا الوقت نفسه وصلت الى زوجات السلطان ورئيس وزرائه هدايا مهمة من الباشا احمد فأصدر السلطان مرسوما بتعيينه حاكما مفوضا على تطوان دون اعتبار للوعد الذي كان قد وعد به الباشا بوشفرة ونواب تطوان الذين قدموا اليه الهدايا ايضا، مؤكدا لهم ان بوشفرة سيعود الى منصبه بتطوان لان الشعب يؤيده، ووقع النبأ على نواب تطوان وقوع الصاعقة فلجأوا الى ضرائح بعض الاولياء خوفا على انفسهم من القبض عليهم او ما هو ادهى وامر.

ولما جن الليل تسلل اولئك النواب من مكناس (في خامس دجنبر 20 ربيع الثاني) فارين الى بلدهم بمساعدة بعض اصدقائهم من مكناس. ولما علم السلطان بفرارهم بعث جنودا للحاق بهم ولكنهم تمكنوا من الوصول الى تطوان سالمين.

ولاية الحاج عمر لوقش على تطوان عام 1140

بعد انتهاء الواقعة المشئومة بتطوان وانهزام الباشا احمد وعودته الى مقره بطنجة، اتفق اهل تطوان على تولية زعيمهم الحاج عمر لوقش وقد وجدت في مخطوط كتبه احد قضاة تطوان في اوائل القرن الماضي ما نصه :

«فاجتمع أهل تطوان على الفقيه العلامة السيد عمر لوقش لظهور نجدته في يوم الاخراج وما بعده ولاصالته وثروته ببلده وهم لكلام من كان كذلك اسمع، فولوه امرهم ووافقهم عليه أمير وقتهم».

وذكر أبو محمد السكيرج ما مضمنه «ان الحاج عمر لما طلب منه اهل تطوان ان يتولى حكم البلد، اشترط عليهم ان يمدوه بالاموال اللازمة للقيام باعباء الحكم ومقاومة الباشا احمد الذي لديه من القوات والمواد ما يشبه به السلطان وعنده من الاموال ما لا يعد ولا يحصى، فقبل أهل تطوان ذلك الشرط وقبل هو الولاية عليهم» وقد علمت ان هزيمة الباشا احمد

كانت يوم السبت 20 صفر عام 1140. موافق 7 اكتوبر 1727. فولاية الحاج عمر لوقش كانت باثر ذلك التاريخ.

وكان الحاج عمر لوقش وجيها كبيرا وعالما اديبا ، وعائلته من أنبل العائلات الاندلسية بتطوان، وكان قبل ذلك كاتبا للسلطان المولى اسماعيل.

وقد علمت مما مر ان السلطان أقر اهالي تطوان على ولاية الحاج عمر لوقش على مدينتهم ولا ندري هل تم ذلك عن طريق العبيد انفسهم بعد ارتشائهم على عادتهم باكثر مما قدم اليهم الباشا احمد، او بمجرد عزم اهالي تطوان وتصميمهم على رفض ولاية الباشا احمد عليهم ولو ادى الحال لارتمائهم في احضان الاسبان بسبتة ؟ انما المحقق ان الحاج عمر لوقش قد استقر في ولاية تطوان عدة سنوات واقتصر الباشا احمد على طنجة وما اليها، واظن ان هذا هو العهد الذي وقع فيه ما ذكره صاحب الاستقصا وغيره من ان كلا من الحاكمين المذكورين كان يبلغه عن الآخر ما يوغر صدره الخ

وقد عقدنا في الاصل فصلا عن قصيدة للوقش ورد بجة الريفي عليه بقصيدة اخرى، مع تعليقات المؤرخين المغربيين على القصيدتين. اما قصيدة لوقش فقد قالها بعد انتصار اهل تطوان على جيش الباشا احمد ومطلعها :

بلغت من العلياء ما كنت ارتجي ※ وايامنا طابت وغنى بها الطير

وقد اثبتنا في الاصل نصها الكامل نقلا عن مخطوط قديم لدى صديقنا الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام بن سودة بفاس، وعدد ابياتها ثلاثون.

والقصيدة التي رد بها عليه الفقيه محمد بن بجة الريفي العرائشي مطلعها :

في صفحة الدهر قد خطت لنا عبر ※ منها ادعاء الحمار انه بشر

وقد اثبتنا في الاصل نصها الكامل نقلا عن كتاب البستان للزياني وعدد ابياتها سبعة واربعون.

ونقلنا ايضا تعليقات على القصيدتين المذكورتين للزياني في البستان ولاكنسوس في الجيش ولابن الحاج في الدر المنتخب الخ مع تعليقاتنا نحن ايضا على ذلك.

ثم عقدنا فصلا لما وصف به المؤرخون شخصية الباشا احمد ونقلنا من ذلك كلام بريت ويت الانجليزي وقد وصف شخصه وحياته واخلاقه ومختلف احواله وصفا دقيقا، وكذلك كلام المؤرخ المستر وندوس الانجليزي ايضا وكلام ابن الحاج في الدر المنتخب وقد اطال في الكلام عليه، ونقلنا ايضا حكايات نقلها المؤرخ السكيرج في الموضوع مع تعليقاتنا على ذلك. وعقدنا فصلا تكلمنا فيه على كتاب ألفه الكاتب المهدي الغزال في مدح الباشا احمد نظما ونثرا من اوله الى آخره، وهذا التاليف اطلعني عليه صديقنا العلامة ابو عبد الله

محمد العابد الفاسي بفاس عام 1368 وهو في نحو سبعين صفحة، وقد نقلنا نماذج منه لننصف الرجل باثبات ما له وما عليه.

ثم عقدنا فصلا آخر لقصر الباشا احمد بتطوان وبستانه بكيتان، وقصره التطواني هو الذي صار بعده مقرا لباشوات هذه المدينة وحكامها الى ان صار مقرا لسمو الخليفة السلطاني بالشمال المغربي، وقد نقلنا ما كتبه بريت ويت الانجليزي عن هذا القصر وعن متنزه كيتان، وقد وصف ذلك وصفا دقيقا، واثبتنا ايضا قطعتين من الشعر نظمهما الاديب محمد بن يعقوب في قصر كيتان وقبة بناها الباشا المذكور. وقد اتحفنا بهاتين القطعتين صديقنا البحاثة المطلع الاستاذ محمد المنوني بمكناس.

وتكلمنا ايضا على ان الجاسوسية كانت متبادلة بين الباشا احمد وبلاط مكناس.

وعقدنا فصلا آخر بينا فيه ان كلا من الباشا احمد والقائد عمر لوقش كان يغتر بالجفر ويؤمل ان ينال ما تحتوي عليه اوراقه ورموزه من الاخبار بالمغيبات، وقد استشهدنا بكلام الرجلين والكمال لله. ثم عقدنا فصلا آخر للاضطرابات التي حصلت بالمغرب بعد ذلك العهد لمدة بضع عشرة سنة ابتداء من عام 1140 الخ.

عزل الحاج عمر لوقش عام 1145!

ذكر أبو محمد السكيرج ما ملخصه ان الحاج عمر لوقش بقي حاكما بتطوان نحو سبع سنين، وان الباشا احمد تولى حكمها مرة ثانية وبقي حاكما بها نحو تلك المدة، وقد سبق لنا ان ولاية الحاج عمر كانت عام 1140 فعلى تقدير السكيرج يكون تاخيره عنها حوالي عام 1146 (وقد عرفنا من غيره انه كان عام 1145) ثم ذكر السكيرج ان الباشا احمد كان مقيما بطنجة اثناء حكم الحاج عمر لتطوان وانه كان كلما ورد على طنجة احد من تطوان استدعاه الباشا احمد واخذ شهادته بان الحاج عمر يضر بالناس ويفرض عليهم الضرائب، فلما اجتمعت لديه شهادة مائة رجل بذلك بعثها للسلطان المولى عبد الله بمكناس فارسل السلطان ولده الى الحاج عمر فأخذه معه الى والده وبذلك عزل الحاج عمر عن ولاية تطوان فبقيت المدينة بدون حاكم مدة من الزمن. ووجدت في تقييد قديم ان سبب عزل الحاج عمر هو ان الباشا احمد كتب للسلطان المولى عبد الله بان اسبان سبتة خرجوا لمقاتلة المسلمين فلم يحاربهم الحاج عمر المذكور، فاستاء السلطان من ذلك وامر بان يقبض الحاج عمر وتستصفى امواله واموال أهله الخ. واستقر الحاج عمر بمكناس مدة درس فيها التفسير بجامعها الاعظم ثم تعرض لنكبة نجاه الله منها وقربه السلطان المولى عبد الله واكرمه وتركه في صحبته الى ان رافقه الى سوس عند عزله وهناك توفي عام 1149 رحمه الله.

ولاية الباشا احمد على تطوان مرة ثانيـة

بقي الباشا احمد يسعى بمختلف الوسائل حتى ولاه السلطان المولى عبد الله حكم تطوان من جديد واذن له في دخولها فدخلها وبسط حكمه عليها وبقى واليا عليها الى ان قتل عام 1156. وقد نقلنا في الاصل كلام ابي محمد سكيرج الذي ذكر انه دخلها في هذه المرة سلما بدون حرب ولا قتال، ونقلنا نصوص كلام الاستقصا والجيش والاتحاف الخ وكلامهم يفيد خلاف ما ذكره السكيرج، وقد قارنا بين الروايتين وبينا ما في ذلك من الاضطراب والغلط وخصوصا ما جاء في الاستقصا من ان الباشا احمد قد قتل من اعيان تطوان نحو ثمانمائة شخص الخ وقد بينا ما هو الصواب والحق في جميع ذلك.

بين الباشا احمد والمولى المستضيء عام 1152

ويظهر ان الباشا احمد اراد ان يعامل السلطان المولى عبد الله بمثل ما كان يعامل به من كان قبله من إغداق الرشى عليهم والاستبداد بما تحت حكمه من البلاد وسكانها وخيراتها، جاهلا ان لهذا السلطان من قوة الشخصية والارادة ما تعجز عن التاثير فيه محاولات الباشوات والراشين ، واراد السلطان ان يرهب الباشا احمد ويعرفه قيمة امثاله لديه، فاخذ بندقية ووجه فاها الى رأس احد رفقاء الباشا بمحضره واطلق عيارها عليه فتناثر مخه على وجه الباشا، فذعر من ذلك العمل وخاف هو ايضا على مخه وكان قد مل من الاهانات المتوالية الموجهة اليه من السلطان فأسرع الى مقر سلطته طنجة وصار يعمل ضد المولى عبد الله ويبحث عن شخص آخر ليجلسه على العرش - وما أهون العروش اذا صار باشاوات المدن يولون اصحابها ويعزلونهم متى شاءوا - وكان المولى المستضيء بن اسماعيل احد الذين اتصل بهم الباشا احمد فربط معه علاقات ليستغله في الوقت المناسب الا ان اصحاب المصالح والاستغلالات كثيرا ما تقع بينهم اصطدامات ومشاكل فيضطر الضعيف الطامع لترضية القوي المسيطر، وان الطيور على امثالها تقع .

وفي سنة 1152 كان المولى المستضيء هو السلطان، وقد ذكر ابن زيدان في الاتحاف انه وقع بينه وبين الباشا احمد فتور فصار السلطان يتملق للباشا، «وهكذا هي الدنيا» وكتب الى ابي عيسى المهدي بن طاهر الفاسي «من سكان تطوان» يستقدمه لحضرته للوساطة في اصلاح ذات البين بينه وبين الباشا المذكور، اذ كانت حدثت بينهما وحشة تكدر بها جو الصفا واصبح الريفي المذكور (يعني به الباشا احمد) حجر عثرة في طريق نجاح المترجم (يعني به المولى المستضيء) الخ وقد اثبتنا في الاصل النص الكامل للرسالة المطولة التي كتبها المستضيء وارسلها الى الباشا احمد مع ابي عيسى

المذكور بتاريخ سابع شوال عام 1152. وفيها من التملق شيء عجيب.

وصفا الجو بعد ذلك بين المولى المستضيء والباشا احمد الذي اصبح العدو اللدود الصريح للسلطان المولى عبد الله، وقد تزوج المستضيء بابنة الباشا احمد واقيم لذلك احتفال سارت باخباره الركبان كما ذكره ابن الحاج في الدر المنتخب.

وقد حدثت بالمغرب حوادث غريبة صار عرش المغرب معها كالكرة تتقاذفها الارجل، فبينما ترى هذا السلطان جالسا على عرش المملكة، اذا به يعزل ويولى غيره الذي لا يلبث ان يعزل ويطرد وهكذا...

ومن اخبار تطوان في سنة 1155، انتقال عدد من سكان فاس اليها للسكنى بها.

زحف الباشا احمد على فاس وهزيمته

وأصر الباشا احمد على نصرة صهره المولى المستضيء واجلاسه من جديد على عرش المغرب بفاس غير منازع، وجمع خمسين الف مقاتل وقصد محاربة السلطان المولى عبد الله واحتلال فاس، واقبل المستضيء بجموع العبيد، وفي صفر 1156، زحف الجيشان نحو فاس فاضطربت نواحيها ودهش الناس من هول هذا الريفي لانه جاء في استعداد لم يعهد مثله، وماجت الفتنة وارتفعت الاسعار ولقي الناس كل شدة.

واستغاث السلطان المولى عبد الله بالبربر فنصروه، فتقاتل الجيشان فكانت الهزيمة على الباشا احمد والمستضيء واستحر في جيوشهما القتل والسلب وازدحموا على القنطرة وتساقطوا في النهر فهلك الكثير منهم والبربر في اثرهم يقتلون ويسلبون، ونجا الباشا احمد على فرسه واستولى البربر على محلته وجمعت الرؤوس المقطوعة واحصيت فبلغ عددها نحو السبعمائة.

قتل الباشا احمد وقطع رأسه عام 1156

وعاد الباشا احمد الى طنجة بعد هزيمته المنكرة على ابواب فاس، فجدد استعداده واقسم انه لا ياكل لحما ولا يشرب لبنا حتى يدخل فاسا وينتهبها كما نهب اهلها محلته، واتفق مع سلطانه المستضيء على موعد ثم خرج من طنجة باستعداد عظيم في شهر جمدى الاولى، وانتهى خبر ذلك الى السلطان المولى عبد الله فجمع جيوشه من العرب والبربر وغيرهم، وكان استعداد عظيم من الجانبين، والتقى الجمعان بالموضع المسمى بالمنزه من احواز مدينة القصر الكبير في رابع جمدى الاخيرة عام 1156 فهجم جيش السلطان على جيش الباشا فتقوضت جموع هذا الباشا من كل جانب وانهزم رجاله وكانت النتيجة أن

قتل الباشا احمد في المعركة وقطع رأسه وانتهى امره وكأنه لم يكن والبقاء والدوام لله وحده.

وقد نقلنا في الاصل تفاصيل وافية في الموضوع عن الناصري في الاستقصا وابن الحاج في الدر المنتخب، وابن زيدان في الاتحاف، والشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في رحلته المغربية المخطوطة[1] (وكان بفاس عند وقوع المعركة).

ثم ان رأس الباشا احمد، قد نقل الى فاس وعلق على باب محروق وبقى هناك الى ان جاء من تشفع فيه من اهل الجزائر، فسمح بانزاله ودفنه. وقد نقلنا في الاصل نص وثيقة عدلية كتبت بذلك في سابع عشر شوال من نفس العام. ثم عقدنا بحثا خاصا في اسباب الانهزامات المتوالية على الباشا احمد، وفصلا آخر عنوانه، عبرة لمن يعتبر. ثم فصلا آخر في دخول السلطان المولى عبد الله لطنجة واستيلائه فيها على كنوز الباشا احمد، وبذلك ينتهي الكلام على عهد الباشا احمد الجبار العنيد. العالي الهمة الكبير الآمال، الكثير المغامرات رحمه الله وغفر له.

ولاية القائد محمد تميم على تطوان عام 1156

بعد ان قتل الباشا احمد عام 1156. كما تقدم، اختار اهالي تطوان لتولي السلطة بمدينتهم احد رجالهم وهو الحاج محمد تميم التطواني. وقد سبق لنا ان الحاج محمد تميم كان اول سفير من السلطان المولى اسماعيل الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا عام 1092 اي قبل تاريخ ولاية تميم هذا باكثر من نصف قرن، فلعل ذاك اب لهذا او قريب له والله اعلم.

والقائد تميم هذا كان رجلا فاضلا خيرا، وكان قبل ولايته من مهرة المعلمين النجارين بتطوان وقد اقر السلطان المولى عبد الله اهالي تطوان على ما اختاروه لانفسهم من ولايته، فوجه القائد الجديد همته لاصلاح الفساد وبناء الاسوار التي كان الباشا احمد قد هدمها، وقد خلص اهالي هذه المدينة من الحكم الارهابي وكثرة الضرائب والمصائب.

وذكر ابو محمد السكيرج ان القائد تميما صرف من ماله الخاص على بناء الاسوار الجديدة بتطوان خمسة وعشرين الف مثقال ثم توفي اخ له بتركيا فورث فيه عشرين الف مثقال اخرى صرفها كلها ايضا على البناء المذكور الذي كان يشرف عليه بنفسه، ولا تزال حتى الآن فوق باب القصبة باعلى تطوان، رخامة كتب عليها اسم القائد محمد تميم، وقد نقشت عام 1157.

---

1) هذه الرحلة توجد بخط المؤلف نفسه في الخزانة الكتانية بفاس.

حضار المستضيء لتطوان عام 1160

ومن حوادث تطوان في عهد القائد محمد تميم، حصار المولى المستضيء لهذه المدينة. وكان هذا المستضيء قد عجز عن التغلب على اخيه المولى عبد الله فاستقر بطنجة ثم زحف على تطوان وحاصرها بجموعه وطلب من اهلها ان يبايعوه اقتداء باهل طنجةواصيلا والعرائش الخ فامتنعوا من نقض بيعة المولى عبد الله فاقام المستضيء محاصرا لهم نحو ثلاثة اشهر وكان يضرب المدينة بمدافعه، ولما طال الحصار عزم القائد تميم على الخروج اليه باهل تطوان لمقاتلته ، وعلم بذلك المستضيء فاقلع عن الحصار وذهب لحال سبيله بخفي حنين.

قتل القائد محمد تميم عـام 1163

ووقعت في تطـوان حوادث محلية وخلافات شخصية أدت الى اصطدام القائد تميم ببعض الاشخاص من عائلة بن قريش والصردو فجلد القائد المذكور بعضهم جلدا موجعا وسجنه. ثم تآمر بعضهم على قتله، وبينما هو يصلي بجامع القصبة إذ عمدت اليه شرذمة من الناس وقتل وهو ساجد في الركعة الاولى من صلاة الجمعة، وقد ضربه عبد الفضيل الصردو بسكين دخلت بين كتفيه وخرجت من صدره فتوفي من حينه رحمه الله، وكان ذلك في سابع ذي القعدة الحرام عام 1163. وقد قتل معه ايضا اثنان من اصحابه رحمهما الله.

وهكذا انتهت بهذه الجريمة الفظيعة المنكرة، حياة هذا الرجل الفاضل الذي يستحق ان يخلد اسمه على صفحات تاريخ هذه المدينة لما بذل من جهود واموال في سبيل مصلحتها ومصلحة اهلها رحمة الله عليه.

وفد تطواني يعتذر للسلطان

واختلف اهالي تطوان فيمن يتولى حكم المدينة بعد قتل القائد تميم، ثم وجهوا وفدا منهم الى السلطان المولى عبد الله فاعتـذروا اليه عما وقع من قتل القائد تميم بيد تلك الشرذمة من الناس، وطلبوا منه ان يولي عليهم حاكما جديدا ، فقال لهم ، انتم وليتموه وانتم قتلتموه فاختاروا لانفسكم من يتولى عليكم، فاختاروا احدهم وهو الحاج محمد لوقش الذي كان من اكابر اعيان تطوان.

وقد عقدنا في الاصل فصلا قارنا فيه بين معاملة السلطان المولى عبد الله لاهالي تطوان ولاهالي طنجة الخ.

ولاية الحاج محمد لوقش على تطوان عام 1164

وتولى الحاج محمد لوقش «كما تقدم» حكم مدينة تطوان باختيار من أهاليها وموافقة السلطان المولى عبد الله لهم على ذلك. وكانت تلك الولاية عام 1164.

ولوقش هذا هو ابن الوجيه العلامة الحاج عمر لوقش الحاكم الاسبق لتطوان، وقد وصفه ابو محمد السكيرج بانه كان شجاعا عارفا باحوال الحرب، وانه كان حسن المعاملة. وذكر بعض من كتب عنه من أهل تطوان انهم لم يروا احسن من ايامه التي طالت سبع سنين.

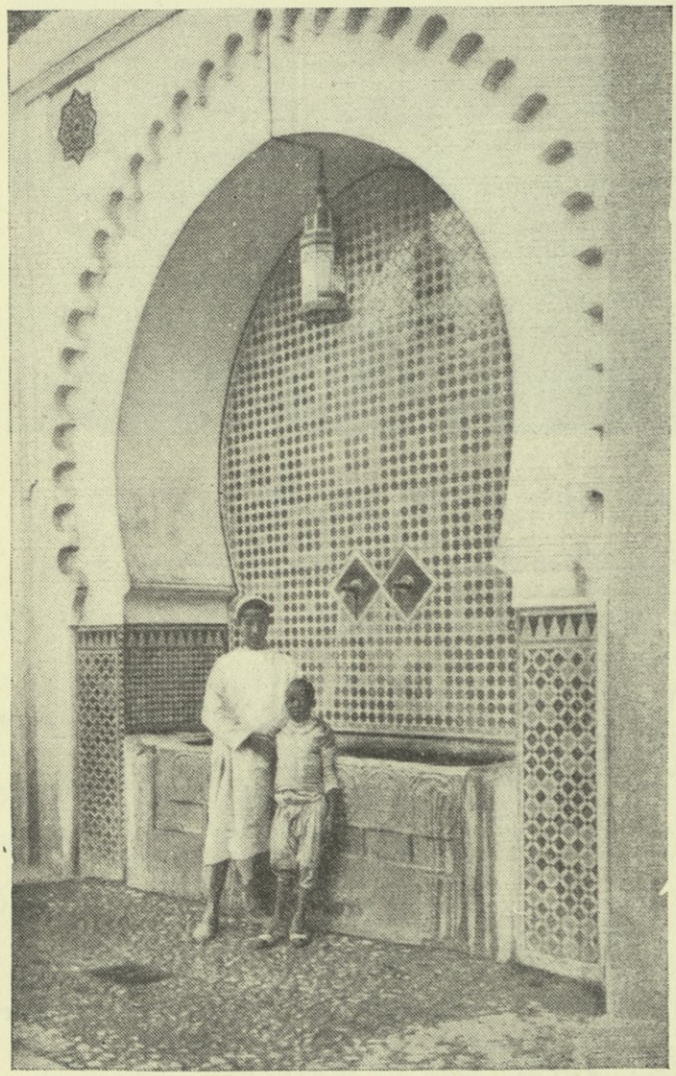

قناة باب العقلة، وهي «كقناة باب التوت» من بناء القائد الحاج محمد لوقش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة

ومن اعمال القائد محمد لوقش قضاؤه على تمرد الجبليين الذين كانوا قد الفوا الثورة والعصيان فقاتل المتمردين منهم فساد الهدوء المدينة ونواحيها وانصرف هو للتعمير والتنظيم واكمل بناء الاسوار التي ابتدأها سلفه القائد تميم وبنى الابراج كما بنى الجامع المعروف في زنقة المقدم وهو جامع لوقش وكذلك مدرسة لوقش المتصلة بالمسجد، ولا زال المسجد والمدرسة معروفين باسمه الى الآن، وكانت له مراكب قرصانية تغير على مراكب الاعداء وتعود الى ميناء تطوان بالغنائم والاسارى، فيصرف الاموال التي تجمع من ذلك في بناء المدينة ومصالحها ويقدم بعضها الى السلطان.

ومن آثاره «قنا» باب العقلة. «وقنا» باب التوت، وقد كتبت فوقهما كتابة ذكر

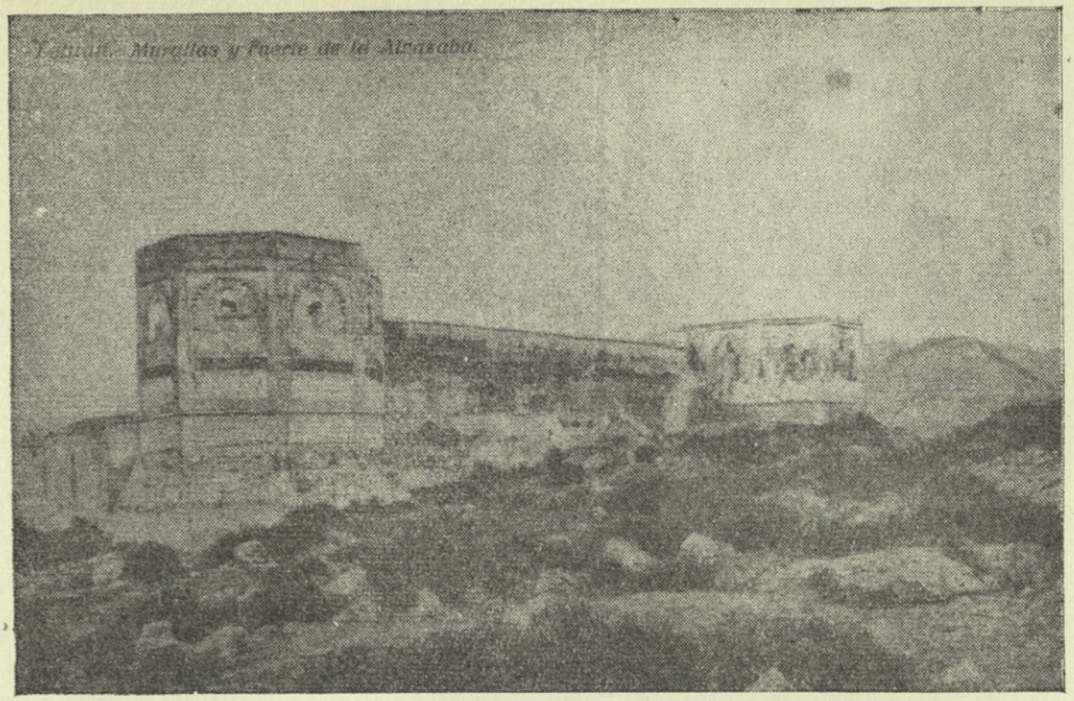

بعض الابراج التطوانية الواقعة في الجهة الشمالية من القصبة المشرفة
على المدينة، وهي من بناء القائد محمد لوقش في النصف الثاني
من القرن الثاني عشر للهجرة

فيها اسمه وتاريخ بنائهما، وقد اثبتنا في الاصل ما قرأناه من تينك الكتابتين.

ومن آثاره البرج المتصل بالقصبة المشرف على المقابر من ناحية البحر، وقد نقشت عليه أبيات ذكر فيها اسمه وتاريخ بنائه ايضا، وقد اثبتنا ما يقرأ من ذلك كله في الاصل ايضا.

وفي سنة 1169. وفد القائد لوقش على السلطان المولى عبد الله بهدية ذكر صاحبا الجيش والاستقصا ان منها مائة الف ريال وعددا من الاسارى الافرنج وسلعا غنمتها قراصينه.

وقد ذكر ذلك اصحاب الاستقصا والاتحاف والضعيف الرباطي والدر المنتخب، وكلهم ذكروا ان السلطان اكرمه واعطاه جاريتين.

ومن اعمال القائد لوقش، ابرامه لمعاهدة مع حكومة هولندا باذن من السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل، وقد اثبتنا في الاصل نص تلك المعاهدة المحتوية على اثنتين وعشرين مادة.

عزل القائد محمد لوقش عام 1171

وتوفي السلطان المولى عبد الله الذي كان يحمي خديمه الناصح المخلص القائد محمد لوقش، وخلفه ابنه سيدي محمد بن عبد الله، وكانت بينه وبين لوقش المذكور حزازات، فعزله ونكبه.

وقد اختلفت روايات المؤرخين في كيفية عزله ونكبته. وقد نقلنا في الاصل كلام الناصري في الاستقصا والسكيرج في نزهة الاخوان، واكنسوس في الجيش، والرهوني في عمدة الراوين، وابن زيدان في الاتحاف، وقارنا بين الروايات وجمعنا بينها، وملخصها ان سيدي محمد بن عبد الله لما زار تطوان في حياة والده وهو لا يزال خليفة له، عام 1170. قبض على لوقش المذكور وهدده، لانه كان لا ينفذ اوامره ثم اطلق سراحه وابقاه في وظيفه، ولم يتجرأ على عزله لما كان يعرفه من محبة والده له وتأييده ومساعدته ورضاه عنه

فلما توفي والده وتولى هو مكانه سنة 1171. خاف لوقش على نفسه لما سبق له مع السلطان الجديد، من المخالفة والتهديد، فانقبض عنه، واذ ذاك امر السلطان سيدي محمد بقبضه واستصفاء امواله ثم سجنه بمراكش نحو اثني عشر عاما ثم وجهه الى بلده تطوان محروسا ليستخرج منها مالا يفتدي به نفسه، واوعز الى حراسه ان يقبضوا منه المال ويردوه الى سجنه بمراكش ولعل لوقش علم بذلك، فاتفق مع بعض اشراف جبل العلم الذين كان كثير الاحسان اليهم، ان ينتظروه ليلا في محل معلوم ولما حل الموعد اوهم لوقش حراسه انه يريد قضاء الحاجة وزحف نحوه اشراف العلم واختطفوه الى جبلهم حيث بنى دارا ومسجدا قرب الضريح المشيشي وبقى مقيما هناك يعبد ربه الى ان اتاه اليقين في حدود سنة 1190. بهذا حدث حفيده الفقيه الثبت السيد علي الخطيب رحمه الله.

ولاية القائد عبد الكريم بن زاكور على تطوان عام 1171

بعد ان عزل السلطان سيدي محمد بن عبد الله قائد تطوان الحاج محمد لوقش، ولى مكانه القائد عبد الكريم ابن زاكور الفاسي الاصل وقد جاء في الاستقصا [1] ما نصه:

«ثم قدم عليه (اي على السلطان محمد بن عبد الله) اهل تطاوين طائعين متنصلين من فعل عاملهم المذكور (اي الحاج محمد لوقش) ومخبرين بشأنه، فولى عليهم الفقيه ابا محمد عبد الكريم ابن زاكور احد كتابه، كان بعثه من مراكش الى العرائش واليا عليها

1) ج 4 ص 93

فلما وفد عليه أهل تطاوين ولاه عليهم لكونه حضريا مثلهم» وكان ذلك عام 1171. ونحوه في كتاب الجيش [1] وتاريخ الضعيف الرباطي.

زيارة السلطان لتطوان وامره ببناء برج مرتيل

جاء في الاستقصا[2] ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله خرج من مراكش سنة 1173 وقدم مكناسة ثم خرج منها «حتى اتى مدينة تطاوين فنزل بها وأمر ببناء برج مرتيل الذي بها وفرق المال على العبيد المقيمين به منذ ايام السلطان المولى اسماعيل وهم بقية عبيد سبتة اعنى الذين كانوا يرابطون عليها، ثم رحل السلطان من تطوان الى سبتة ليختبر حالها وينظر هل يمكن استرجاعها فلما نظر الى حصانتها ومناعتها وتحقق ان لا مطمع فيها الا بالجد عدل عنها وذهب الى طنجة وامر باشاها عبد الصادق بن احمد الريفي ان يبعث اخاه عبد الهادي للوقوف على انشاء الغلائط بتطوان» ومثل ذلك في الجيش[3] وتاريخ الضعيف الرباطي، الا انه قال: وفرق الصلة على العبيد النازلين به

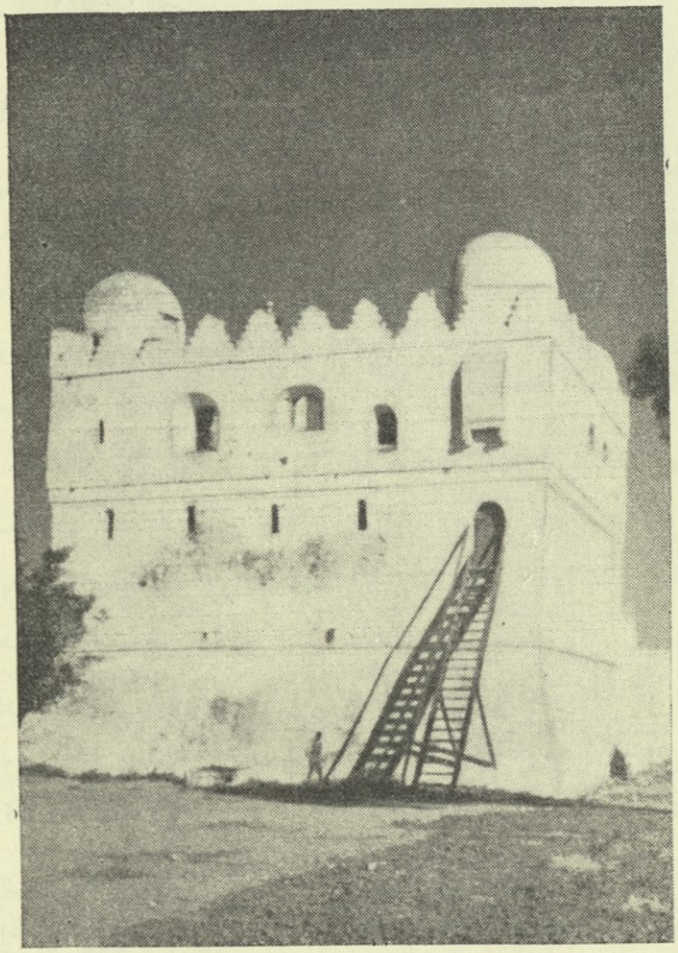

صورة برج مرتيل الواقع على شاطيء البحر الابيض المتوسط، جنب ميناء تطوان، وقد بني في عهد السلطان المولى اسماعيل عام 1132 وجدد بناؤه في عهد حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1173 ولا يزال هذا البرج الى هذا التاريخ قائما متينا بعد ان رمم ما تهدم منه في حرب عام 1276 هـ 1860م.

1) ج 1 ص 137
2) ج 3 ص 95
3) ج 1 ص 118

الذين كان تركهم المولى اسماعيل لحراسة نواحي سبتة ونقلهم لوقش لمرتيل بعد موته».

وقد تقدم لنا ان برج مرتيل قد بني عام 1132 في عهد السلطان المولى اسماعيل فلعل الذي وقع في هذه السنة (1173) انما هو اصلاحه او اعادة بنائه من جديد والله اعلم.

بناء القائد ابن زاكور لزاوية الوسعة

ذكر أبو محمد سكيرج ان ابن زاكور قائد تطوان هو الذي بنى الزاوية المعروفة بزاوية سيدي ابي العباس السبتي في ساحة الوسعة من تطوان. وكان الموضع الذي بنيت به هو سجن هذه المدينة قبل ذلك. وقد اثبتنا في الاصل نص الابيات المكتوبة فوق باب الزاوية المذكورة وهي من نظم ابن زاكور المذكور الذي كان اديبا له ديوان في عدة مجلدات.

عزل القائد ابن زاكور ونكبته عام 1179

بعد ان قضى القائد ابن زاكور المذكور في تطوان بضع سنوات وصفها مؤرخ تطوان ابو محمد سكيرج بانها كانت محفوفة بالهناء والسرور، عزله السلطان المولى محمد بن عبد الله وأمر ببيع جميع املاكه بها.

وقد وقفت على سبع مستندات رسمية تتعلق بهذا الموضوع:

الاول توكيل ابن زاكور لصهره الحاج عبد الكريم بن عبد الله لينوب عنه في جميع اموره، وقد شهد عليه بذلك عدلان وهو بحال سجن في 11 شوال عام 1179.

الثاني تفويض السلطان لصهره المذكور في بيع املاكه، وهو بتاريخ 19 شوال المذكور.

الثالث كتاب من السلطان لقائد تطوان الحاج محمد عاشر في الوقوف على بيع الاملاك المذكورة وجبر اهل تطوان على شرائها، وهو بتاريخ آخر ذي الحجة عام 1179.

الرابع رسم بوقوف المقومين الرسميين على عين الاملاك التي بناها القائد المذكور وهو بتاريخ 10 محرم سنة 1180.

الخامس كتاب من السلطان للقائد الحاج محمد عاشر في بيان كيفية العمل في قضية ابن زاكور واستغراق ذمته وتوزيع املاكه واستخلاص اثمانها وجعل زاوية سيدي ابي العباس مسجدا عاما الخ وهو بتاريخ 29 محرم 1180.

السادس رسم باستغراق ذمة ابن زاكور المذكور وهو بتاريخ اوائل صفر 1180.

السابع رسم فيه ان جميع ما اكتسبه ابن زاكور اثناء ولايته لتطوان كله لبيت المال الخ وهو بتاريخ اواخر صفر 1180.

وقد اثبت في الاصل النصوص الكاملة لجميع تلك المستندات. ومن الغريب ان تكون نهاية هذا القائد الخير على هذه الحالة مع اننا لم نسمع من احد من اهل تطوان كلمة سوء في هذا الحاكم على كثرة ما يقوله الناس في الحكام، وقد اطبقت الالسنة على انه كان جميل الاخلاق حسن المعاملة يحب اهل الخير والدين حتى إنه كان ينظم القصائد والموشحات في الامداح النبوية الخ.

والاملاك التي اكتسبها عادية يملك مثلها واحسن منها مطلق التجار وارباب الحرف. ولعله ذهب ضحية غلط او دسيسة فكانت نكبته على يد السلطان المشهور بالعلم والحلم والعدل والامر لله.

ولاية الحاج محمد عاشر على تطوان عام 1179

لما عزل السلطان سيدي محمد بن عبد الله قائد تطوان السيد عبد الكريم ابن زاكور، ولى مكانه الحاج محمد بن عبد الرحمن عاشر الاندلسي التطواني سنة 1179 كما وقفت عليه في المستندات الصحيحة.

وقد ذكره ابو محمد السكيرج ووصفه بانه كان رجلا خيرا دينا يقرأ كتاب دلائل الخيرات كله في كل يوم، وذكر انه ظل حاكما بتطوان نحو عشرين سنة الى ان كبر سنه وهرم فأخره السلطان المذكور عن ولايتها. وعلى ذلك يكون تاخيره عن حكم تطوان حوالي سنة 1201 والله اعلم. وللقائد عاشر بعض آثار بتطوان وناحيتها ومن ذلك القناة الواقعة في زنقة المقدم قرب مدرسة لوقش، وماء هذه القناة غزير ياتيها من دار عاشر المذكور وهي التي في آخر الدرب المتصل بها وقد صارت منذ بضع سنوات محل اقامة بعض طلبة المعهد الديني، وتعرف الآن بدار بنونة.

ومن ذلك قنطرة لا زالت تعرف بقنطرة عاشر الى الآن قرب تطوان.

وقد عقدنا في الاصل فصلا عن الاحتفال بسفارة رسمية بتطوان عام 1180. وهذه السفارة ارسلها السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى كارلوس الثالث ملك اسبانيا برئاسة الكاتب احمد بن المهدي الغزال مؤلف كتاب ، نتيجة الاجتهاد ، في المهادنة والجهاد، وقد نقلنا ما جاء في هذا الكتاب عن زيارة هذه السفارة لتطوان وعن الاحتفاء بها وبسفارة السنيور جورج خوان الذي وجهه الملك كارلوس المذكور الى سلطان المغرب وبالاسارى الذين انقذوا من اسبانيا الخ وقد مكثوا بتطوان نحو الشهر.

سفير من تطوان الى آل عثمان عام 1180

ذكر الناصري في الاستقصا[1] ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله بعث الحاج عبد الكريم راغون التطواني باشدوراً الى السلطان مصطفى العثماني واصحبه هدية نفيسة مكافأة له على هديته التي كان قد ارسلها مع السيد الطاهر بن عبد السلام والسيد الطاهر بناني، (وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة كتبها سلطان المغرب الى رئيس وزراء الدولة العثمانية يستوصيه فيها خيرا بالسفير المذكور. وهي مؤرخة بثامن ربيع الاول عام 1180).

ثم ذكر الناصري انه لما دخلت سنة 1181. قدم الحاج عبد الكريم راغون المذكور من عند السلطان المذكور ومعه هدية اعظم من الاولى وهي مركب موسوق بالمدافع والمهاريس النحاسية واقامتها واقامة المراكب القرصانية من صوار ومخاطيف وقلوع وقمن وحبال وبراميل وغير ذلك من آلات البحر وفيها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم المعرفة بافراغ المدافع والمهاريس والكور والبنب وبصناعة المراكب القرصانية وفيهم معلم مجيد في الرمي بالمهراس الى الغاية فنزلوا بمرسى العرائش، قال صاحب «البستان» وكنت يومئذ واليا بها فورد امر السلطان بتوجيه المعلمين الى فاس يقيمون بها حتى يقدم السلطان من مراكش الى مكناسة فيجتمعون به هنالك.

اتراك يصنعون القنابل بتطوان عام 1181

ثم قال الناصري بعد كلامه السابق : [2]

«ولما وصل السلطان الى مكناسة وحضروا عنده فاوضهم في الخدمة واراد ان يحيي آثار دار الصنعة التي كانت بسلا تصنع بها المراكب الجهادية على عهد الموحدين وبني مرين فقالوا نحتاج ان تبني لنا دارا على هيئة كذا ومن نعتها كذا وكذا، ورسموا له شكلها في قرطاس فرأى ان امرها لا يتم في عشرين سنة ولا اكثر ولا يكفي في بنائها مال فاعرض عن ذلك وبعث معلمي البنب الى تطاوين فكان احدهم يفرغ البنبة من قنطارين وبعث معلمي المراكب الى سلا الخ.

وقد ذكر المؤرخ الضعيف الرباطي خبر هذه الهدية وهؤلاء المعلمين باختصار.

---

1) ج 4 ص 104 ونحوه في الجيش ج 1 ص 147 والاتحاف ج 3 ص 166 . و - 259 - و 300.

2) ج 4 ص 104.

السلطان يحبس الكتب على جامع تطوان

ذكر الناصري في الاستقصا[1] ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله امر بتحبيس اثني عشر الف مجلد على مساجد المغرب كله الخ وكان ذلك في سنة 1175.

وقد كان للجامع الكبير بتطوان نصيب من تلك المجلدات، وقد اثبتنا في الاصل بعض نماذج لرسوم التحبيس المكتوبة على الصفحة الاولى من بعض الكتب المحبسة من السلطان المذكور على المسجد الاعظم بتطوان، الا انها بعد التاريخ الذي ذكره الناصري بقليل.

حصار السلطان لمليلية سنة 1188

عقدنا في الاصل فصلا عن حصار السلطان سيدي محمد بن عبد الله لمدينة مليلية عام 1188. واثبتنا فيه بعض النصوص واحلنا على البعض الآخر من كلام الزياني في البستان، واكنسوس في الجيش، والناصري في الاستقصا، وابن زيدان في الاتحاف والضعيف في تاريخه الخ.

ونقلنا نص كلام المولى عبد السلام ابن السلطان المذكور في كتابه «درة السلوك»[2] وقد وقع خلاف بين المؤرخين المغربيين في تاريخ ذلك الحصار، وقد رجحنا رواية المؤرخ الضعيف الرباطي على غيرها ونقلنا ما جاء في الموضوع عن المصادر الاسبانية الصحيحة وفي ذلك من التدقيق والاحصاءات ما يصح الاعتماد عليه.

سفير من تطوان الى تركيا

ذكر ابن زيدان في الاتحاف[3] ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله ارسل السيد عبد الكريم العوني التطاوني سفيرا الى الدولة العثمانية بهدية منها اثنا عشر قنطارا من ملح البارود في اربعة مراكب الخ وذكر ان العوني المذكور لما رجع الى المغرب صحبه اليه سفير من السلطان عبد الحميد العثماني حاملا هدية اخرى الى سلطان المغرب الخ.

وذكر ابن زيدان ايضا[4] ان السلطان سيدي محمدا المذكور ارسل الى جزيرة مالطة سفارة على رأسها كاتبه السيد محمد بن عثمان، ومن رجالها السيد عبد الكريم بن قريش والسيد التهامي البناي الخ.

1) ج 4 ص 98
2) نقلا عن نسخته المخطوطة في الخزانة السودية بفاس عام 1368
3) ج 3 ص 301
4) ج 3 ص 320

وابن قريش المذكور كان من العلماء المدرسين بتطوان وقد تولى القضاء بها مدة ومن تلاميذه الشيخ احمد بن عجيبة العلامة الصوفي الشهير.

والبناي كان من المدرسين والعدول المبرزين بتطوان ايضا. وقد زارت هذه السفارة مالطة وايطاليا وافتدت الاسارى وعقدت بعض المعاهدات، وكان سفرها من المغرب في ربيع النبوي عام 1196 مصحوبة بما يزيد على ستة وثمانين الف ريال لصرفها في فداء الاسارى المسلمين، وكانت عودتها الى المغرب في ربيع الثاني عام 1197،

انعام على الانجليز من سلطان المغرب عام 1197

وقد اثبتنا في الاصل (نقلا عن اوراق متخلفة عن السيد محمد الخطيب التطواني نائب السلطان بطنجة) نص تقييد فيه بيان ما انعم به السلطان سيدي محمد بن عبد الله على دولة الانجليز في 23 جمدى الاخيرة عام 1197. ومن ذلك دار بميناء تطوان يقيم بها من يزور ميناء هذه المدينة من الانلجيز، ومن ذلك السماح لهم بالوسق من موانئ المغرب مدة بدون اداء شيء من الضرائب الخ.

السلطان يودع ماله بتطوان عام 1198

ذكر المؤرخ الضعيف الرباطي ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله وجه مولاي عبد الملك بن ادريس بمال كثير لينزله في بيت مال تطوان سنة 1198.

امين من تطوان يحمل هدية الى تركيا

وذكر ابن زيدان[1] ان السلطان المذكور ارسل الى الدولة العثمانية هدية هي ستمائة الف ريال مع القائد مبارك بن هماد، والامين الحاج عبد الله الشربي[2].

وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة كتبها السلطان المذكور للسفيرين المذكورين حينما كانا على أهبة السفر بالمال المذكور، نقلا عن أصلها المحفوظ لدى عائلة الشربي الى الآن بتطوان.

من اخبار تطوان في اواخر القرن الثانى عشر

وقد نقلنا في الاصل بيان بعض مداخيل تطوان في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله نقلا عن ابن زيدان، كما نقلنا عنه ان السلطان المذكور اسلف يهود تطوان خمسين الف ريال على سبيل التوسعة عليهم.

1) ج 3 ص 307

2) ذكره ابن زيدان باسم الشرايبي وهو خطأ صوابه ما ذكرنا.

ونقلنا عن الضعيف الرباطي، انه في سنة 1200. ورد على السلطان المذكور برباط الفتح، طلبة تطوان وفاس للحضور معه في ليلة المولد بجامع السنة ، فامر طلبة تطوان بقراءة الهمزية والبردة وقصيدة بانت سعاد الخ.

وذكر ابن زيدان في كتابه «النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية[1]» ان السلطان المذكور حضر بالجامع المذكور وكان انشاد قصائد الامداح النبوية فيه مناوبة بين اهل فاس واهل تطوان.

وبذلك ينتهي الجزء الثاني من اصل هذا الكتاب.

ثم ياتي بعده الجزء الثالث، واوله ، الفصل الثاني من الباب الخامس ، في قضاة تطوان وعدولها في القرن الثاني عشر وقد اثبت ملخصه في فصل القضاة ثم بعده الفصل الثالث من الباب المذكور، في تراجم رجال تطوان في القرن المذكور وقد اثبت تلخيصه في فصله ايضا.

ديوان القائد الاديب عبد الكريم بن زاكور

ثم عقدت فصلا خاصا في اربع عشرة صفحة تكلمت فيه على الكاتب الاديب القائد السيد عبد الكريم بن زاكور الذي تقدم لنا انه تولى حكم تطوان عام 1171 ونكبه السلطان بعزله وسجنه عام 1179 وقد وصفه صاحب الاستقصا بالفقيه وذكر انه كان احد كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ووصفه ابو محمد السكيرج بانه كان اديبا ناظما ناثرا وانه كان ينظم الاشعار والازجال والتواشيح وانه كان عارفا بالموسيقى حافظا لاشعارها ونغماتها محبا للصالحين وأهل الخير الخ.

وفي خزانتي «الداودية» مجلد ضخم كله من نظم المترجم وقد جاء في اوله انه هو السفر الثالث «من السراج الوهاج، في مدح صاحب التاج والمعراج، للرئيس الاسعد سيدي عبد الكريم بن عبد السلام بن زاكور حرس الله مجده».

وقد اثبتنا في الاصل نص خطبته ، وفيها انه الف السفرين الاولين ثم شرع في هذا الديوان الثالث الخ.

وقد فصلنا ما احتوى عليه هذا الديوان وجله في المديح النبوي وفيه قصائد في مدح الشيخ عبد السلام بن مشيش وقصائد في مدح الولي الصالح سيدي المعطى بن صالح وكتابه «الذخيرة» وقصائد اخرى في شهر ربيع النبوى وفيه موشحات بديعة في مدح الجناب النبوي ايضا.

1) هذا الكتاب اطلعني عليه مؤلفه رحمه الله بمدينة طنجة حينما كان مقيما بها للاستشفاء من مرضه الذي توفي منه رحمة الله عليه.

وقد اثبتنا في الاصل نماذج عديدة من قصائده وموشحاته وجاء في آخر هذا المجلد انه كمل في اول ربيع الاول عام 1177 اي في عهد ولاية ناظمه على مدينة تطوان . وهو محتو على نحو خمسة آلاف بيت، مكتوبة في ورق جيد بخط حسن وفيه تذهيب وتنميق. واظن انه هو نسخة ناظمه نفسه والله أعلم.

وقد وصفنا في الاصل هذا الاديب وشعره وختمنا ذلك بهذه الفذلكة:

ثم الرياض والانهار ، والاغصان والانوار ، والاطياب والازهار ، والمياه والاطيار ، والنغمات والاوتار.

ثم الوجد والغرام، والعشق والهيام، وبكاء الغمام، وسجع الحمام.

ثم الصباح والنسيم والمدام والنديم ....

هذا ما يلهج به ابن زاكور في قصائده وموشحاته ، ولا عجب في ذلك ، فايامه بتطوان كانت كما وصفها السكيرج المؤرخ التطواني، ايام هناء وسرور، وفرح وحبور، وشمل بالاحباب مجموع ، وانشراح موصول غير مقطوع ، وكان الرجل الحاكم الاديب مولعا بالموسيقى، ويرحم الله زمانا كانت فيه تطوان ممتازة بين مدن المغرب باجادة اهلها رجالا ونساء للموسيقى الاندلسية، التي كانت من أعز ما حمله المهاجرون معهم من غرناطة ، وطنهم الاول، الى «تطوان» وطنهم الثاني ، فكانوا يتقنون فنها ويبدعون ، ويتفننون فلا يملون،

وبساتين تطوان، وأنهار تطوان ، ونزهات تطوان، ومجالس تطوان، ومرح تطوان، كل ذلك كان مضرب الامثال، ولكنه صار في خبر كان...

من مشاهير الزائرين لتطوان في القرن الثاني عشر

ثم عقدنا في الاصل فصلا (هو الفصل الرابع من الباب الخامس) تكلمنا فيه على مشاهير الرجال الذين زاروا تطوان في هذا القرن وتركوا بها بعض الآثار العلمية ، وذكرنا منهم الشيخ احمد بن عبد الحي الحلبي الذي زارها في اوائل هذا القرن.

ومنهم الاديب ابو الحسن علي بن احمد مصباح الذي وصفه ابن الحاج في «الدر المنتخب» بانه اديب الزمان، وقد وصفت باسهاب ديوان شعره المخطوط المشتمل على احد عشر بابا فيها نحو ثلاثة آلاف بيت منها اربع قصائد ذكر فيها تطوان واهلها ووصفهم بالشجاعة وحماية المغرب بوقوفهم في وجه الاعداء وقيامهم بواجب الجهاد والدفاع عن حوزة الوطن، كما وصفهم باوصاف لا يراها الا الكرام الفضلاء، وشيم لا يذكرها ويعجب بها الا الاماجد النبلاء. وقد صدر باب المديح بقوله :

ومن باب المديح قولى في مدينة تطوان حرسها الله اول مرة دخلتها ولقيت من كرام اهلها ما لا يمكن وصفه وذلك سنة 1109.

قف العيس اياما فهذي بلادها ⁂ تعاهدنا بالبشر فيها عهادها

وابيات هذه القصيدة ثلاثة واربعون اثبتناها في الاصل بتمامها.

ثم اثبتنا قصيدة اخرى مطلعها :

يا حاديا يحدو باثر ركاب ⁂ بالله قف ان كنت تعلم ما بي

ثم اخرى مطلعها :

ازهر بدت فاهتاج قلبي لمسراها ⁂ ام الروضة الغناء اهدت بريا‌ها

وقال في باب التهاني ما نصه، ومن ذلك قولي مهنيا اهل مدينة تطوان حرسها الله حين رحل عنهم عدو الله تعلى محمد بن قاسم عليلش الظلوم المشهور المتوفى عام 1123 وقد كان فتنهم فتنة يشيب منها الوليد، ويذوب لها الحديد، وقدمت على التهنئة شيئا من مدحهم مسبوقا بغزل، وذلك سنة احدى وعشرين ومائة والف، ثم اتى بقصيدة ابياتها واحد وثلاثون منها قوله في تطوان :

هى الثغر لم ينفك مبتسما بها ⁂ فم الاجر والبشرى بكل ثنية

ولله اقوام بها هم جمالها ⁂ بهم اصبحت في المجد من فوق جبهة

فراحهم للمعتفي ورماحهم ⁂ لارواح اعداء الاله اعدت

وقد اثبتنا في الاصل النصوص الكاملة لجميع تلك القصائد وكلها غرر وعيون.

ثم اثبتنا نماذج من شعر هذا الاديب البدوي الاصل الذي ذكر عن نفسه ان الله تعلى قد عصمه من مدح الرؤساء وولاة الامر الخ وكانت وفاته في اوائل جمدى الاولى عام 1130 رحمه الله.

ثم تكلمت على زيارة الكاتب محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني لتطوان وهو صاحب «رحلة الوزير، في افتكاك الاسير» عام 1110

ثم تعرضت لزيارة العلامة محمد بن عبد السلام بناني الفاسي لتطوان واقامته بها عدة سنوات يدرس العلم بالزاوية الناصرية. وقد ذكر انه ختم بها تفسير القرءان الكريم عام 1155 ودرس بها ايضا صحيح البخاري ومختصر خليل وغير ذلك من مهمات الكتب في مختلف العلوم، ثم تكلمت على زيارة علامة الرباط الشيخ احمد بن عبد الله الغربي الذي كان من اكابر علماء المغرب. وهو من تلاميذ سيدي الحاج علي بركة التطواني وقد ورد من بلده الرباط على تطوان واجتمع بعلمائها واجازهم وقد اثبت العلامة محمد بن علي الورزازي نص اجازته له في فهرسته.

ثم تكلمت على زيارة الاديب ابن الطيب العلمي مؤلف «الانيس المطرب» لتطوان

في ست عشرة صفحة اثبت فيها من شعره ونثره ما قاله في هذه المدينة ورجالها وغيرهم، وفي متنزهاتها ومن ذلك قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الا قل لتطوان مقالة ذي عذر ✻ فتى هاجه من ساكنيها هوى عذري

وكانت وفاة هذا الاديب الممتاز بمصر في طريقه الى الحجاز سنة 1135 رحمه الله ثم تكلمت على رحلة الفقيه المدرس المؤلف الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري الى المغرب وزيارته لتطوان حين قدومه وعند ايابه، وكانت زيارته لها عام 1156. وقد وقفت على رحلته المذكورة بخطه[1] وقد تكلم فيها على زيارته لهذه المدينة ووصف ما شاهده فيها وما وقع له بها، وتحدث عنها وعن رجالها وعلومها ومدرسيها حديث شاهد عيان، وحديثه عنها من الطرافة بمكان. وقد نقلنا من كلامه في هذا الموضوع نحو سبع صفحات حكى فيها ما وقع له في ديوانتها ووصف دروس الشيخ محمد بن عبد السلام بناني بها والشيخ احمد الورزيزي بها ايضا ووصف بناني المذكور للورزيزي بالمعتزلي الخ وتكلم على الشيخ احمد السرايري واثبت نص اجازته له الخ ومما ذكره ان الشيخين بناني والورزيزي اذنا له في تدريس علم الفلك بهذه المدينة فقرأ مع طلبتها كتاب المقنع، وكان من جملة تلاميذه فيه موقت الجامع الكبير الخ ثم تكلم على اشياء اخرى الى ان ذكر انه سافر من تطوان الى مكناس ثم الى فاس، وعند الكلام على فاس قلت على سبيل التحرش الودي باصدقائنا من علماء فاس وادبائها هذه الفقرات: وهذا موضوع اترك المجال فيه لمؤرخي فاس ، وما احوج فاسا الى تاريخ ، وما اعجب لشيء في هذا الموضوع. عجبي لاهمال علماء فاس وادبائها لكتابة تاريخ مستوفى لفاس العظيمة، فاس مدينة الآداب والعلوم، والآثار والفنون، والقصور والجنات، والفتن والثورات، والدول والممالك. والخطط والمسالك، والاشراف والوجهاء، والمفكرين والنبغاء والكتاب والادباء، الى ما في اهلها من كرم اخلاق، وطيب أعراق، واعتناء واكرام، ونشاط واقدام، وتطوان كان شيوخنا يقولون لنا انها بنت فاس، وعلماء تطوان تلاميذ علماء فاس، ومن اين يريد اساتذتنا الفاسيون ان نتلقى تاريخ فاس اذا لم يكتبوا هم لنا تاريخها الحقيقي الكامل المستوفى؟ هل من افواه العجائز وعوام الشيوخ، اللهم اهدهم ووفقهم الخ .

ثم تابعت تلخيص كلام الشيخ عبد الرزاق عن تطوان الى ان ودعناه في مرتيل مينائها قاصدا بلده الجزائر في صفر سنة 1157.

ثم تكلمت على زيارة الفقيه الصالح الشيخ محمد بن علي المنالي الزبادي الفاسي لتطوان وعلى كتابه «سلوك الطريق الوارية» وقد خصص في هذا الكتاب فصلا في ذكر من لقيه بتطوان من الصلحاء والمجاذيب وذكر ما جرى له معهم، وقد اثبت في الاصل كلامه

1) هذه الرحلة محفوظة في الخزانة الكتانية بفاس.

بنصه الكامل في نحو سبع صفحات على قلة احتفالي بالمجاذيب والكرامات. ومن جملة الصلحاء الذين تكلم عليهم، سيدي احمد بوسلهام صاحب الضريح المشهور بالعيون، وسيدي عبد الله الحاج صاحب الضريح الكبير بالفدان، وسيدي علي الريفي وبعض النساء الخ وبذلك ينتهي الفصل المذكور. ثم عقدنا فصلا آخر هو الخامس من الباب الخامس وقد تكلمنا فيه على حالة تطوان في القرن الثاني عشر من الناحية السياسية والاجتماعية ثم من الناحية العلمية وبينا فيه باسهاب العلوم والكتب التي كانت تدرس بها واسماء المدرسين بها الى غير ذلك مما يعطينا صورة تامة عن الحياة العلمية بتطوان في القرن المذكور.

في القرن الثالث عشر

ودخل القرن الثالث عشر وسلطان المغرب هو سيدي محمد بن عبد الله، وحاكم تطوان هو الاشيب الحاج محمد بن عبد الرحمن عاشر، وقد سبق لنا عن مؤرخ تطوان ابى محمد سكيرج ان هذا القائد لما كبر سنه وهرم، أخره السلطان المذكور عن حكم هذه المدينة وقد قدرنا ان ذلك كان عام 1201.

القائد عبد الكريم لوقش عام 1201

هو الوجيه السيد عبد الكريم ابن القائد الحاج محمد لوقش، وقد ولاه السلطان حكم تطوان عند تأخير القائد عاشر عن الحكم في حدود سنة 1201. وذكر ابو محمد سكيرج ان مدة ولايته لم تطل وان اهالي تطوان قاموا ضده وطلبوا من السلطان عزله فاستدعاه الى مراكش وعزله وسجنه ثم ولى غيره.

القائد عبد الرحمن قردناش عام 1202

كان الحاج عبد الرحمن قردناش الاندلسي من أعيان تطوان واغنيائها ووجهائها وقد ولاه السلطان حكم هذه المدينة بعد عزله للقائد عبد الكريم لوقش ، ووقفت على رسم عدلي مؤرخ باوائل رجب سنة 1203. وقد وصف فيه بخديم المقام العالي بالله القائد الحاج عبد الرحمن ابن المرحوم الحاج علي قردناش الاندلسي التطاوني. وذكر ابو محمد سكيرج انه لبث حاكما بتطوان نحو العامين فلما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله وتولى مكانه ابنه مولاي اليزيد وقدم على تطوان في نفس العام فرض على القائد قردناش غرامة الف مثقال وعزله وولى غيره .

وفى هذا التاريخ ينتهي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وقد بينا في الاصل عدد ما كان بتطوان في عهده من العسكر والطبجية والبحرية

الخ. ونقلنا عن المؤرخ اكنسوس المراكشي ان السلطان كان يرسل جنده الى تطوان، وبها يدفع لهم السلاح والكسوة الخ ونقلنا عن المؤرخ الضعيف الرباطي انه في سنة 1203. ارسل السلطان المذكور الى تطوان مائتي بعير ونحو الف من البغال لحمل بعض ما كان في بيت المال بتطوان من الدراهم الى مراكش خوفا على ذلك من المولى اليزيد الخ.

ونقلنا عنه ايضا ان السلطان المذكور استدعى قاضي تطوان عام 1204. ليتفاوض معه في شأن ولده اليزيد الخ.

السلطان مولاي اليزيد بتطوان عام 1204

وتوفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله قرب مدينة الرباط يوم الاحد 24 رجب سنة 1204. ودفن بالمدينة المذكورة. وكان ابنه المولى اليزيد بالحرم المشيشي في قبيلة بني عروس فبلغه خبر وفاة والده وتقدم اليه الجنود الذين كانوا يحاصرونه بامر من ابيه فبايعوه ثم توجه الى تطوان فبايعه اهلها والقبائل المجاورة لها، وذكر المؤرخ الضعيف ان دخوله لتطوان كان يوم الجمعة فاتح شعبان وانه صلى بالناس صلاة الجمعة وخطب فيهم وسمى نفسه محمدا المهدي، وانه في غد ذلك اليوم أمر بنهب ملاح اليهود بهذه المدينة واحتوى على ما فيه من المال ثم اتي بيهودي قيل انه سب احد الشرفاء فامر بقتله واحراقه، وذكر ابن زيدان[1] انه كانت بتطوان سبائك ذهب بها ثمانية آلاف مثقال حازها المولى اليزيد حينما بويع، وذكر ايضا انه كان عند طاغية الاصبنيول من ثمن وسق الزرع واجب خمسين مركبا وسقوها ولم يدفعوا صاكتها فقبضها منهم وهي ثمانمائة الف ريال دورو.

ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش عام 1204

لما عزل السلطان المولى اليزيد قائد تطوان الحاج عبد الرحمن قردناش ولى مكانه الحاج عبد الرحمن اشعاش عقب بيعته في شعبان سنة 1204. وولاية اشعاش هذه هي اول عهد عائلته بالحكم في تطوان.

حصار سبتة وقطع رأس حاكمها عام 1204

ونقض السلطان المولى يزيد ما كان للمغرب مع الاسبانيين من الصلح، وزحف على سبتة واستنفر الناس لجهادها والرباط عليها فاجتمع عليها خلق كثير وأشرف على فتحها ثم بلغه ان اهل مراكش بايعوا اخاه المولى هشاما فاقلع عن حصار سبتة.

1) ج 3 ص 256

وذكر المؤرخ «الضعيف» انه لما نهض عن حصار سبتة امر قائده الجيلاني بن المفضل ومحمد أقنجاع والحاج عبد الرحمن اشعاش (قائد تطوان) ان يتفاوضوا مع قائد سبتة بنضوصة في تعيين الحدود وعينها لهم وأمرهم بان لا يتعدوها ولو بشبر فلما خرج لهم بنضوصة المذكور وقع بينهم وبينه نزاع فاغلظ عليهم في القول فقبضوه وقطعوا رأسه ووجهوه للمولى اليزيد الى طنجة فوجدوه قد توجه للعرائش فالحقوه بها.

موت المولى اليزيد وبيعة تطوان للمولى مسلمة عام 1206

بايع اهالي مراكش وقبائلها المولى هشاما اخا المولى اليزيد وقامت بين الاخوين حرب جرح فيها اليزيد ثم مات من جرحه في اواخر جمدى الاخيرة عام 1206 .

وكان لقبائل الشمال المغربي عطف على المولى يزيد لانحياشه اليهم وعمله للجهاد واسترجاع مدينة سبتة الى حظيرة الحكم الاسلامي، وكان ذلك من اكبر امانيهم فلما توفي تأسفوا عليه وأملوا ان يكون خليفته شقيقه المولى مسلمة على قدمه فسارعوا الى بيعته يوم الجمعة ثاني رجب من نفس العام (1206) وبمجرد ما تمت له البيعة وجه ولديه الى تطوان للقبض على قائدها الحاج عبد الرحمن اشعاش ، وقد قابلهما القائد المذكور مقابلة الاكرام وانزلهما بداره ولكنه نجا بنفسه ليلا الى جبل العلم.

وذكر ابن زيدان ان قاضي تطوان عبد السلام بن قريش ورد على المولى مسلمة في خامس رجب المذكور صحبة الشرفاء والفقهاء والاعيان فأكرمهم ووصلهم الخ وذكر ايضا ان المولى مسلمة قد بايعه ايضا اهالي شفشاون وطنجة والعرائش والقصر ووزان وقبائل الجبل وانه كان في هذا العهد بالمغرب ثلاثة ملوك، هم المولى سليمان بفاس، والمولى هشام بمراكش، والمولى مسلمة في الشمال. وكان بتطوان في ذلك العهد بعض عيال المولى يزيد وبعض نساء ابيه فوجه المولى مسلمة بعض قواده للاتيان بهن اليه وبينما هو راجع بهن اليه من تطوان ، اذ تعرض له القائد اشعاش وانتزع منه ما أتى به من اموال ومتمولات وسلاح وبارود الخ.

وقد اثبتنا في الاصل نص ظهير كتبه المولى مسلمة في 21 رجب عام 1206. وفيه التفويض التام للفقيه الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون التطواني الخ.

انتصار المولى سليمان وعزل القائد اشعاش

ووقعت بين المولى مسلمة وأخيه المولى سليمان مصادمات فخلع مسلمة نفسه ونجا بنفسه في ثامن وعشري شعبان من نفس العام، وبذلك تم الامر للمولى سليمان في جل بلاد المغرب ومنها تطوان فعزل قائدها الحاج عبد الرحمن اشعاش.

ولاية محمد بن عثمان المكناسي على تطوان

ذكر ابو محمد السكيرج ان السلطان المولى سليمان لما تم له الامر عزل قائد تطوان الحاج عبد الرحمن اشعاش وولى مكانه الكاتب محمد بن عثمان المكناسي، وذكر انه اقام بتطوان حاكما نحو العام.

ومن الغريب انه وقع بين المؤرخين اضطراب في رسم الوظيف الذي تقلده ابن عثمان المذكور بتطوان وفي تاريخه ايضا

فالسكيرج كما رأيت ذكر ان المولى سليمان هو الذي ولاه عمالة تطوان، وابن زيدان نقل في الاتحاف[1] عن الزياني في فهرسته ان المولى محمد بن عبد الله هو الذي ولاه قضاء تطوان، وابن ابراهيم المراكشي في الاعلام، ذكر ان المولى سليمان ولاه قضاء هذه المدينة الخ

ولم اقف على مستند صحيح ارجح به احدى الروايات الثلاث، ومن الممكن ان ولايته قد تكررت والله اعلم.

وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة بعثها السلطان المولى سليمان الى الشيخ سيدي علي بن ريسون بتطوان في مهل شعبان عام 1207.

ولاية القائد حمان الصريدي عام 1208

ذكر أبو محمد سكيرج ان السلطان المولى سليمان عزل الكاتب محمد بن عثمان عن ولاية تطوان وولى بدله القائد حمان الصريدي، وقد وقفت على رسالتين بعثهما اليه السلطان المذكور وهو حاكم بتطوان واحداهما مؤرخة بالرابع عشر من ذي القعدة عام 1208 والاخرى بثالث محرم عام 1209 واظن ان ولايته كانت في اواخر عام 1208. وعزله في اوائل عام 1210. والله أعلم.

وقد اثبتنا في الاصل نص الرسالة السلطانية التي نفذ بها فندق لوقش بالصياغين لتبنى به الزاوية الريسونية، كما اثبتنا رسالة من السلطان المذكور الى الشريفين سيدي علي بن ريسون وابن عمه سيدي محمد بن الصادق بن ريسون في قضية توسطهما بينه وبين اخيه المولى مسلمة بتاريخ ثاني صفر عام 1209.

نكبة الشيخ احمد بن عجيبة بتطوان عام 1209

وقد عقدنا في الاصل فصلا (من اربع وعشرين صفحة) فصلنا فيه نكبة الشيخ الصوفي

1) ج 5 ص 143.

ابي العباس احمد بن عجيبة ، الرجل العالم العابد المخلص رحمه الله، تلك النكبة التي نشأت عن الاصطدام بين مبدأين لكل منهما انصار متحمسون ، مبدإ علماء الظاهر والمحافظين والسلفيين، ومبدإ الصوفية اصحاب الطرق والزوايا، وسنلخص ذلك هنا تلخيصا.

درس الفقيه ابو العباس ابن عجيبة مختلف العلوم بتطوان ثم بفاس ثم استقر بتطوان في سنة 1191 وعمره ثلاثون سنة واشتغل فيها بالتدريس وغيره من مظاهر الحياة العلمية المعتادة في مساجد تطوان وزواياها، ثم قرأ الحكم العطائية وطالع شروحها فتاقت نفسه للزهد والانقطاع عن زخارف الحياة الدنيا والاشتغال بالعبادة، ثم بدا له ان ينتسب للتصوف فاتصل بالشيخ محمد البوزيدي الغماري تلميذ الشيخ الكبير مولاي العربي الدرقاوي الزروالي فاخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية وفوض امره اليه وجعل شؤونه بين يديه، فامره ذلك الشيخ بالتجرد عن احواله وخرق عاداته فامتثل التلميذ امر الشيخ وباع كل ما كان يملكه وأنفقه على شيخه ثم تجرد من لباس امثاله من العلماء ولبس الثياب الخشنة التي لا يلبسها الا الخدام وضعاف الناس وعلق في عنقه سبحة غليظة وصار يذكر الله في الاسواق وينظف الطرقات من الازبال ويمد يده للسؤال الى غير ذلك من المظاهر التي جعلت الناس بتطوان يقولون، ان ابن عجيبة قد صار اعجوبة، شاهد الناس منه ذلك فتأسفوا وبكى أهله وتألموا ورأى اهل تطوان انهم فقدوا عالما كبيرا كان الناس ينتفعون بعلمه وارشاده الديني في دائرة العلوم الشرعية والقوانين الفقهية ، ولعل قادة تطوان رأوا ان يقفوا في وجه ذلك التيار حتى لا يجرف غير الفقيه ابن عجيبة من حملة الشريعة والقائمين بشؤونها، فتصدوا للشيخ ابن عجيبة وصاروا ينتظرون الفرصة المناسبة لارجاعه من حالته الجديدة الى حالته القديمة، وسنحت الفرصة عندما سجن اخو الشيخ ابن عجيبة فالحق الاخ باخيه ثم القي القبض على اصحابه من الفقراء الدرقاويين واغلقت زاويتهم وزج بالجميع في السجن العام بتطوان بين اصحاب الدعارة والمجرمين .

ودخل الشيخ ابن عجيبة وأصحابه السجن فكانوا فيه فرحين مسرورين لانهم اوذوا في الله وصاروا يذكرون الله ويتذاكرون ويقرأون القرآن ويلقنون الاوراد. وكانت فى تطوان ايضا جماعة من اهل الخير والانصاف من الذين لم يكونوا درقاويين الا انهم كانوا يحبون ابن عجيبة ويعطفون على اصحابه لاخلاصهم وزهدهم في مباهج الحياة الدنيا واقبالهم على عبادة الله دون الاضرار باحد من خلق الله، ويحدثنا الشيخ ابن عجيبة ان اولئك المحبين الاخيار كانوا يرسلون اليه والى اصحابه من المآكل والمشارب شيئا كثيرا.

ولبث ابن عجيبة واصحابه في السجن ثلاثة ايام وضغط اهل الحل والعقد عليهم للرجوع عن حالهم فرجعوا ولكن بألسنتهم لا بقلوبهم، واخرج ابن عجيبة واخوه من السجن وصادف الحال انه اثناء سجنهم وفد على تطوان جماعة من الدرقاويين من فاس

وتازة وغيرهما لزيارة رفيقهم الشيخ ابن عجيبة واصحابه فالقى زبانية تطوان القبض عليهم وزجوا بهم في السجن حيث كان ابن عجيبة واصحابه الخ.

وقد وصف الشيخ ابن عجيبة ما جرى له في هذه الظروف وصفا دقيقا في فهرسته وقد نقلنا كلامه في الاصل وعلقنا عليه باسهاب، ثم نقلنا ايضا نص ما كتبه الفقيه أبو عبد الله المكودي التازي في كتابه «الارشاد والتبيان، فى رد ما انكره الرؤساء من اهل تطوان» وقد بين فيه وجهة نظر الصوفية وحكى ما وقع له ولرفيقه الشيخ الكوهن الفاسي وللشيخ ابن عجيبة من السجن والاذاية، وذكر اسماء العلماء والرؤساء الذين تزعموا تلك الحركة في تطوان وفيهم الورزيزي والجنوي وابن ريسون والبقال وغيرهم ومعهم الشيخ سيدي علي بن ريسون الخ.

واثبتنا نص القصيدة التي خاطب بها نقيب الاشراف سيدي سليمان الحوات ابن عمه الشيخ سيدي علي بن ريسون في الموضوع ومطلعها:

ابا حسن كن مثل والدك الذي ❋ تغيب في سكر الشهود عن الحس

وهي في اثنين وعشرين بيتا. وقد طول المكودي في هذا الموضوع تطويلا ونقلنا كلامه بحذافيره وعلقنا عليه برأينا في الموضوع. وبينا ما لكل من الفريقين وما عليه وبالله التونيق.

المولى مسلمة يحارب تطوان عام 1210

ذكر المؤرخ الضعيف ان المولى مسلمة جمع القبائل الجبلية وحاصر بهم مدينة تطوان وضيق عليها وقطع اشجارها وظل محاصرا لها نحو ثلاثة اشهر ، وانه وقع بين الطرفين قتال مات فيه عدد كبير من الجانبين. وكتب اهل تطوان الى السلطان فوجه اليهم محلة فيها نحو ثلاثة آلاف من العبيد والودايا والبربر، وخرج قائد تطوان حمان الصريدي بنحو الالفين والرماة وكان يوم مشهود انكسرت فيه تلك القبائل شر كسرة وتركوا عددا من القتلى والجرحى والاسرى، وكان ذلك يوم الاثنين حادي وعشري ربيع النبوي عام 1210. وقد لخص الفقيه العدل الشريف سيدي محمد بن الهاشمي افيلال في كناشه خبر هذه الواقعة وذكر ان شيخه الفقيه المدرس السيد عبد القادر المنون التطواني ، من اهل حومة الطرنكات نظم في ذلك رجزا سماه «مجلى النفوس ومضحك العبوس» في بيان هذه الحركة وما وقع فيها والتهكم على جنود المولى سلامة وذكر هيئتهم العجيبة وانه اطرب في ذلك وابدع الخ.

«قلت» وقد عثرت على الرجز المذكور في كناش جله بخط مولاي العباس ابن السلطان المولى عبد الرحمن، وهو محفوظ بالخزانة الكتانية بفاس، وعدد ابيات الرجز

المذكور نحو المائتين، ونظمه في غاية السلاسة وقد اثبت نصه الكامل في الاصل، لانه من طرف المنظومات التاريخية.

ولاية القائد محمد الحكموى على تطوان عام 1210.

ذكر ابو محمد السكيرج ان السلطان المولى سليمان أخر القائد الصريدي عن حكم تطوان وعين بدله الكاتب محمدا الحكموي وان اهل تطوان لم يرضوا به حاكما وبعثوا الى السلطان وفدا يطلب عزله واعادة القائد الصريدي، فعزله السلطان وولى غيره، والذي عند الضعيف المؤرخ الرباطى « انه فى اليوم الثامن من رجب عامه (يعني عام 1210) ورد عدد من اهل تطوان على الخليفة مولاى الطيب بن محمد بن عبد الله لفاس وطلبوا منه ان يعين لهم قائدا منهم وعينوا له ولد البروبى فابى وولى عليهم الطاهر فنيش»

ويظهر ان هذا الوفد الاول كان عقب عزل الصريدي وقبل ولاية الحكموي، وانه رجع من وفادته هذه خائبا، وان ولاية الطاهر فنيش على تطوان لم تتم، ولعل السلطان لم يوافق عليها وعين الكاتب الحكموى فتألف بتطوان وفد ثان هو الذي ذكرد السكيرج. وذكره الضعيف ايضا في موضع آخر وحكى عنه « انه في يوم 14 من رمضان 1210. ورد عدد من اهل تطوان على السلطان ومعهم سيدى بن ريسون[1] واولاد سيدى عبد الله بن العربي (يعني شرفاء وزان بتطوان) طالبين ان لا يتولى عليهم الحكماوي وقدموا هدية للسلطان الخ.

ولعل عزل الحكموي عن ولاية تطوان كان عقب ذلك.

وقد وقفت على ابيات قالها الفقيه العدل السيد محمد الورياغلي التطواني في مدح القائد الحكموي المذكور، وقد اثبتها فى الاصل، ولكل ساقطة لاقطة.

ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش عام 1210.

ذكر ابو محمد السكيرج ان السلطان المولى سليمان عزل الكاتب الحكموى عن ولاية تطوان وولى عليها القائد الحاج عبد الرحمن اشعاش وانه بقي في ولايته هذه اثني عشر عاما (وهذه هي ولايته الثانية)

وذكر المؤرخ الضعيف من حوادث عام 1213 انه في خامس وعشرى شعبان منه «وجه علماء تطوان وطنجة سؤالا لعلماء فاس مضمنه ان سفن النصارى اكثرت من

---

1) لم يذكر الضعيف اسم هذا الشريف الريسونى ولعله سيدى محمد بن الصادق والله اعلم.

التردد على الشواطئ هنا ونحن بلا سلاح ولا مدافع لان السلطان ايده الله اصدر امره بان لا يحمل السلاح الا المخزن ولا يشتريه احد الا هو، وابطل دور الصناعة وثقفها فهل يحل هذا مع الخوف من مفاجأة العدو ام لا . وقصدهم موافقة اهل فاس معهم ليرفعوها الى السلطان فوافقهم اهل فاس واصدر السلطان امره قبل رفعها بتسريح بيع السلاح والبارود لمن اراده وذلك بتاريخ 23 رمضان عامه.

الوباء بتطوان عام 1214 ـ 1215 .

ذكر الفقيه سيدى محمد ابن الهاشمى افيلال في كناشه انه وقع بتطوان وباء عام 1214 ـ1215. وان عدد الموتى بهذه المدينة، بلغ مائة وثلاثين فى كل يوم، وقد يزيد ذلك العدد او ينقص نحو العشرة واستمر الحال على ذلك نحو الشهرين ووصل عدد الموتى في بعض الايام مائة وخمسين، وقد طال ذلك الوباء عاما وشهرين. وكان أول ظهوره في رمضان عام 1214.

ومن جملة من مات في هذا الوباء من المشاهير، الفقيه العلامة سيدي محمد بن علي الورزيزي والفقيه المفتي سيدي محمد الجنوي، والفقيه الاديب السيد عبد القادر المنون الخ.

وقد اثبتنا في الاصل نماذج للمستندات والوثائق الرسمية بتطوان في هذا العهد، كما اثبتنا نص رسالة بعثها السلطان المولى سليمان الى قائد تطوان بتاريخ 16 ربيع الثاني عام 1214

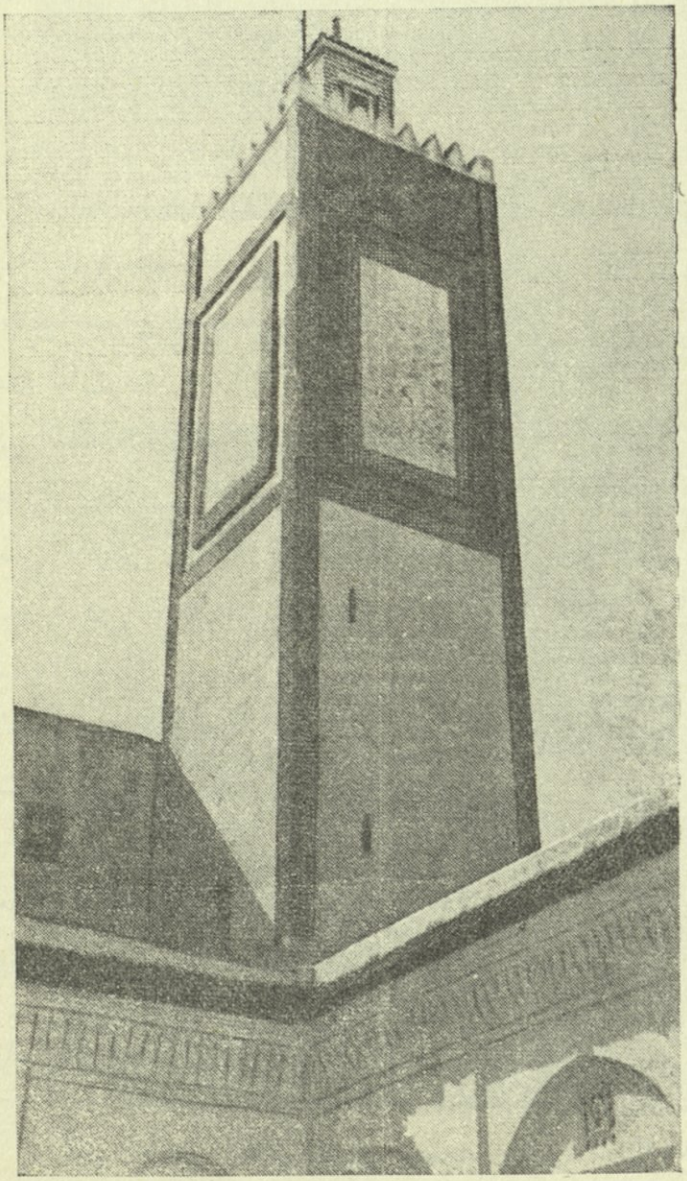

صومعة الجامع الكبير بتطوان
وهي أعلى صومعة بهذه المدينة

يامره فيها بان يبيع من الاملاك المخزنية كل ما هو غير تام الملك الخ.

ومن الحوادث التي وقعت في عهد القائد اشعاش عام 1218 ما حكاه المؤرخ الضعيف من ان سفينة مغربية اسرت مركبا اميركيا قرب الجزائر، وبينما هي تسوقه نحو طنجة، اذ تعرض لها مركب حربي اميركي قرب وهران ففك مركبهم وأسر السفينه المغربية، وكتب السلطان الى الانجليزيين بجبل طارق فتوسطوا في القضية واطلقوا سراح السفينة المغربية ومن كان فيها بعد ان اشترطوا على السلطان ان يجدد الهدنة معهم وان يعزل القائد اشعاش الذي كان في ذلك العهد متوليا على طنجة ايضا (وقد نسب اليه الامر باسر المركب الاميركي المذكور) وقد نفذ ذلك الشرط الخ.

ولعل عزل اشعاش في هذا العام انما كان من ولاية طنجة دون تطوان والله أعلم.

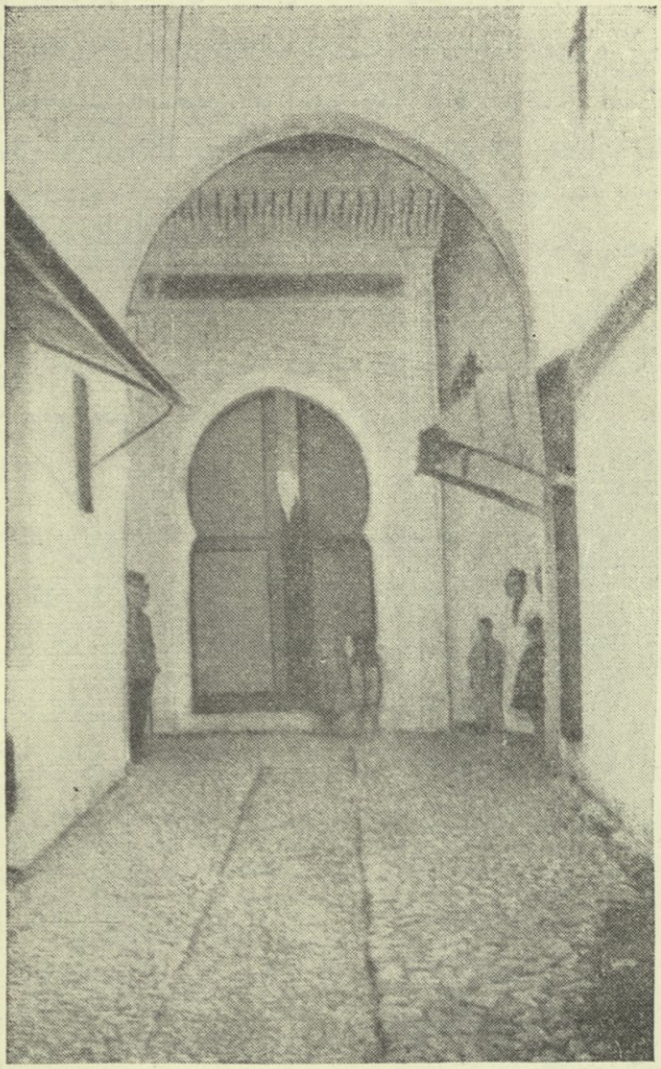

باب الجامع الكبير - المسجد الاعظم - بتطوان وقد بني عند تجديد بناء هذا المسجد عام 1223 في عهد السلطان سليمان رحمه الله

بناء الجامع الاعظم بتطوان عام 1223

كان الجامع الاعظم بتطوان مسجدا صغيرا بازائه مدرسة لسكنى طلبة العلم وفي سنة 1223 هدم المسجد المذكور واضيفت اليه الاماكن المجاورة له وبنى مكانه الجامع الكبير الحالي.

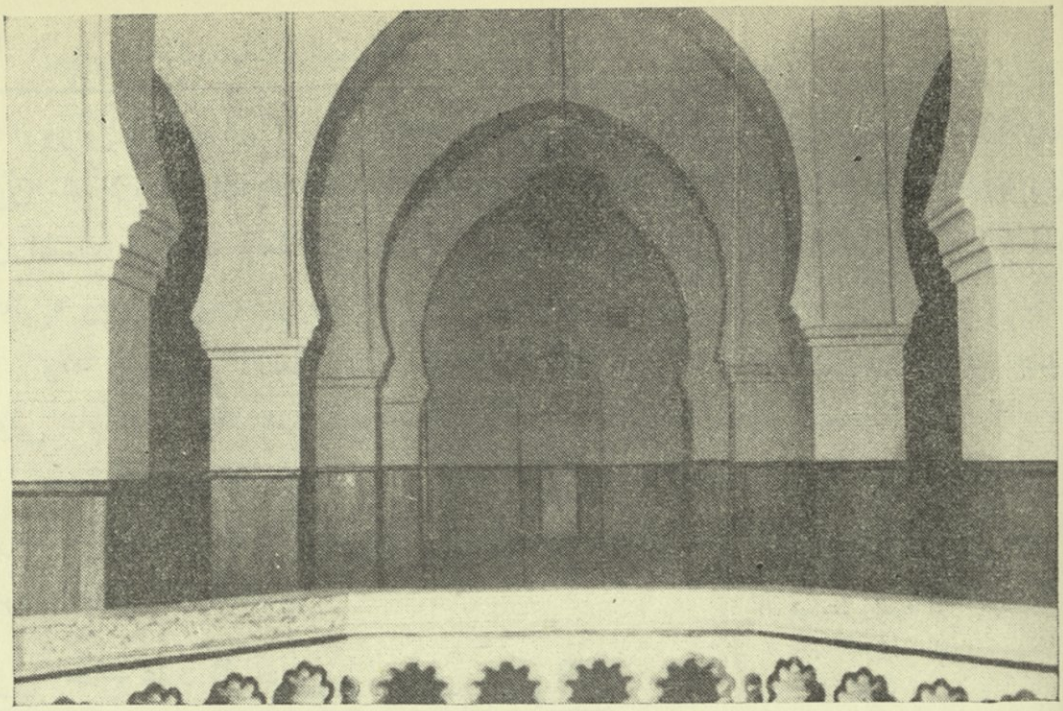

داخل الجامع الكبير بتطوان وفي آخر الصورة محرابه وقد علقت أمامه الثريا
النحاسية الكبرى التي حل بها ما حل بالكثير من آثار السلف

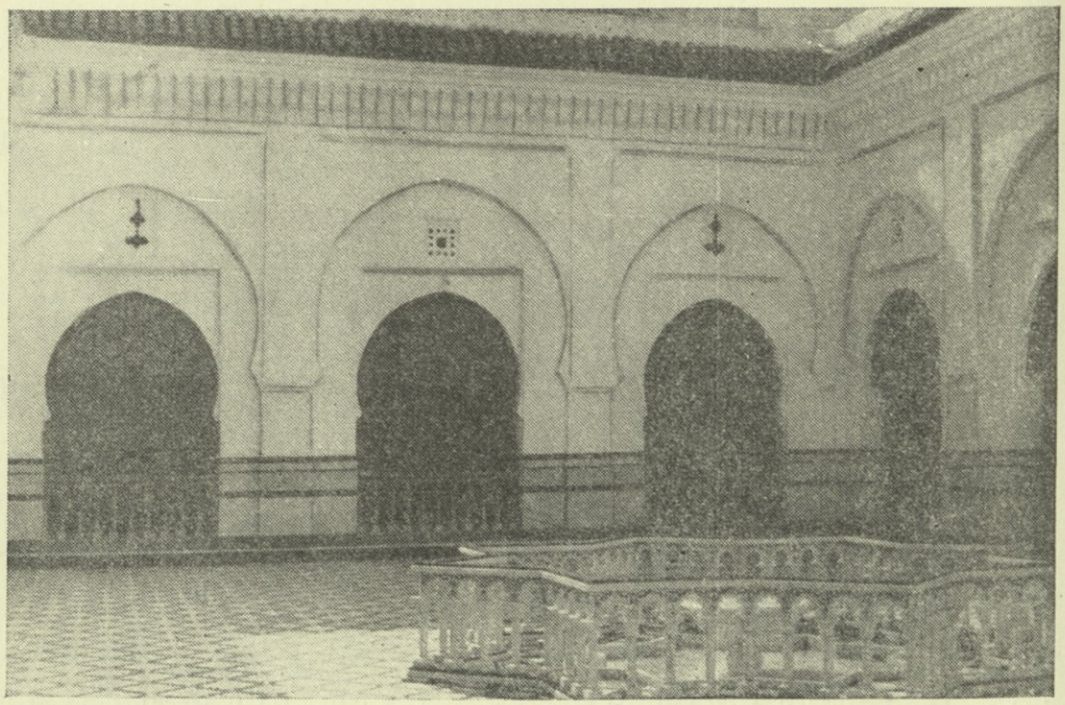

أحد جوانب صحن الجامع الكبير بتطوان
وقد فرشت ارضه بالرخام الحر

بناء الملاح الجديد ليهود تطوان عام 1223

ورأى الناس ان الجامع الاعظم الذي جدد السلطان المولى سليمان بناءه يكاد يكون متصلا بملاح اليهود فتقرر نقل الملاح المذكور الى مكان آخر في طرف المدينة بعيدا عن المسجد المذكور، وفعلا بني الملاح الجديد بجانب الفدان والمصلى القديمة «وهو الملاح الحالي» وكان موضعه روضا للسلطان، تابعا لدار المخزن.

وقد اثبتنا في الاصل رسالة كتبها السلطان الى قائد تطوان بتاريخ فاتح جمدى الاولى عام 1222. وقد عين فيها الروض المذكور ليبنى فيه الملاح الجديد الخ.

كما اثبتنا وثيقة رسمية عن جمع القائد اشعاش لعلماء تطوان وكبار اليهود بها «وقد ذكرت اسماؤهم فردافردا، وتوزيع ارض الروض المذكور على اليهود الخ وهي بتاريخ فاتح محرم الحرام عام 1225.»

عزل الحاج عبد الرحمن اشعاش عام 1223

واستمر الحاج عبد الرحمن اشعاش حاكما بتطوان الى ان عزله السلطان المولى سليمان عام 1223 وجاء في الاسقصا ما نصه[1].

وفيها (اي سنة 1223) خرج السلطان (يعنى المولى سليمان) من مكناسة لتفقد احوال الثغور البحرية وكان المتولي على جميعها القائد الشهير أبو زيد عبد الرحمن بن علي[2] اشعاش التطاوني فعزله السلطان في هذه المرة وولى عليها القائد محمد السلاوي البخاري ثم ولاه على قبائل الغرب والجبال كلها وتتبع السلطان الثغور كلها واحسن الى اهلها الخ.

ونحو ذلك عند المؤرخ الضعيف الرباطي.

وقد بينا في الاصل كيفية عزل القائد اشعاش المذكور وسجنه وتغريمه مائة قنطار بتدبير الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون لخلاف وقع بين القائد المذكور والشيخ سيدي علي بن ريسون في تطوان الخ.

ولاية القائد محمد السلاوي على تطوان عام 1223

لما عزل السلطان قائد تطوان ونواحيها، الحاج عبد الرحمن اشعاش ولى مكانه السيد محمد السلاوي البخاري المكناسي وجعل تحت حكمه تطوان وطنجة والعرائش والقصر وبلاد الغرب والقبائل الجبلية الخ كما رأيت في كلام الاستقصا المتقدم قريبا، وكان

1) ج 4 ص 142.

2) والد الحاج عبد الرحمن اشعاش اسمه عبد القادر لا علي.

السلاوي المذكور من المقربين لدى السلطان، وكان يقسم السنة ثلاثة اقسام فيقضي ثلثها في تطوان وثلثا ءاخر في طنجة والثالث في العرائش، ونظرا لاتساع الناحية التي كانت تحت ولايته كان يعين خلفاء له بتطوان، ودونك من عرفنا اسماءهم من اولئك الخلفاء:

الخليفة العربي بن يوسف

تولى العربي بن يوسف (بن يسف) حكم تطوان بصفة خليفة عن القائد محمد السلاوي، وهذه هي ولايته الاولى، وذكر ابو محمد السكيرج ان أهل تطوان لم يرضوا بولايته لانه كان حديث عهد بالاسلام بعد اليهودية فلذلك عزله السلطان . ونظن ان ذلك كان عام 1223 .

الخليفة احمد تميم

ثم ولي الخليفة احمد تميم ولا نعرف تفصيلا عن ولايته .

الخليفة الحاج محمد مامي

ذكره ابو محمد السكيرج، وزاد استاذنا الرهوني انه هو جده للام وان اسمه الحاج محمد بن الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمن وانه كان رجلا فاضلا متواضعا الخ.

أربعة خلفاء

وذكر استاذنا الرهوني ان من جملة خلفاء القائد السلاوي في هذا العهد، السيد محمد مغارة، وذكر ابو محمد سكيرج اسماء خلفاء ثلاثة آخرين وهم عبد الكريم اللواجري ومحمد الجعيدي واحمد بن محمد العرايشي، ولم نقف على معلومات كثيرة عن هذا العهد.

ووقفت على رسالة كتبها القائد السلاوي الى الفقيه القاضي السيدالطيب بن صالح الغماري بتاريخ 11 رجب عام 1223، وقد ذيلها بهذه العبارة: افقر العبيد لرحمة الله محمد ابن عبد السلام السلوى وفقه الله، وهي رسالة مهمة تدل على اتجاه نفسيته، وحسن سياسته، وقد اثبت نصها الكامل في الاصل .

زيارة السلطان لتطوان عام 1228

ذكر المؤرخ الضعيف الرباطي في حوادث سنة 1228 ان السلطان (يعني المولى سليمان) خرج من مكناس في اوائل شوال قاصدا القصر ومنه للعرائش ثم تطوان فدخلها في اليوم السادس والعشرين من نفس الشهر واقام بها ثمانية ايام تفقد فيها احوالها ثم خرج منها لطنجة الخ.

وقد استطردنا في الاصل الكلام على ولاية الحاج عبد الرحمن أشعاش على مدينة رباط الفتح وما وقع له بها من هجوم الاهالى عليه ورميه بالحجارة وعزله واستياء السلطان من ذلك الخ.

ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش على تطوان عام 1231

وتوفي حاكم تطوان ونواحيها وهو القائد محمد السلاوي، في بلده مكناس ، اواخر سنة 1230. وكان خليفته بتطوان في ذلك العهد هو القائد احمد العرائشي، فعزله السلطان واعاد الحاج عبد الرحمن اشعاش الى حكم تطوان، وهذه هي الولاية الثالثة لاشعاش المذكور على هذه المدينة.

الوباء بتطوان عام 1234

وقفت على رسالة كتبها التاجر الحاج عبد الرحمن مدينة من تطوان بتاريخ 25 جمدى الاخيرة سنة 1234 الى قريبه الحاج عبد الكريم ابن الطالب بفاس، وقد اخبره فيها بأن الموتى بالوباء في تطوان قد بلغ عددهم ثمانين شخصا في كل يوم وان ذلك العدد قد اخذ في النقصان فبلغ نحو الستين في التاريخ المذكور الخ.

بيعة المولى ابراهيم بفاس وموته بتطوان عام 1236

جاء في الاستقصا [1] ان اهل فاس والبربر، بايعوا المولى ابراهيم ابن المولى اليزيد بفاس في 24 محرم سنة 1236 ثم خرجت جماعة منهم بالسلطان ابراهيم المذكور قاصدين المراسي لفتحها والاستيلاء على ما بها من المال،وقد كتبوا بعملهم الى اهالى العرائش وطنجة فامتنعوا من مساعدتهم، وكتبوا الى اهل تطون فأجابوهم بالقبول فساروا الى هذه المدينة ودخلوها مع سلطانهم واستولوا على مال المرسى وعلى مخازن السلطان وما فيها من سلاح وغيره ثم انتهبوا ملاح اليهود واخذوا منه اموالا طائلة.

ولما مضى عليهم بتطوان نحو شهر ونصف توفي سلطانهم المولى ابراهيم فاخفوا موته ودفنوه بداره الخ ولم يذكر صاحب الاستقصا تاريخ وفاته، وكذلك أبو محمد سكيرج، والظاهر انها كانت في اوائل جمدى الاخيرة من نفس العام (1236)

وقد اثبت في الاصل نص العهد الكتابي الذي تركه المولى ابراهيم لاخيه المولى سعيد في مهل جمدى الاولى عام 1236 بشهادة الفقيهين عبد الملك المري والمجذوب الفاسي.

---

(1) ج 4 ص 160 .

بيعة المولى سعيد بتطوان عام 1236

قال الناصري في الاستقصا[1] : ولما توفي المولى ابراهيم بن يزيد اخفى رؤساء دولته موته ليلتين او ثلاثا ودعوا اهل تطاوين الى بيعة المولى السعيد بن يزيد فافترقت كلمتهم فمنهم من أبى ومنهم من اجاب فاحضر ابن سليمان وابن الغازي واشياعهما من أبى من اهل تطاوين وألزموهم البيعة فالتزموها وكتبوها واحكموا عقدها»

وابن سليمان المذكور هو زعيم اهل فاس، وابن الغازي هو زعيم البربر . وهذان الزعيمان هما اللذان قاما بحركة هذين السلطانين. وذكر استاذنا الرهونى ان عددا من اهل تطوان امتنعوا من بيعة المولى سعيد فسجنوا ومنهم قائد تطوان الحاج عبد الرحمن اشعاش، وكان ذلك آخر عهده بالحكم.

وقد اثبتنا في الاصل النص الكامل للبيعة التي عقدت بتطوان للمولى سعيد، وهي طويلة في نحو ثمان صفحات وكاتبها هو الفقيه عبد الملك بن الكبير المري الفاسي وقد ذكرت فيها اسماء جميع الاشخاص الذين بايعوه فيها من اهالي فاس ووزان وتطوان وشفشاون وغمارة وطنجة والعرائش واصيلا ومن قبائل العرب والبربر الخ.

وقد عقدنا في الاصل فصلا في تعليقاتنا على حركة المولى ابراهيم واخيه المولى سعيد بتطوان،

عزل القائد اشعاش وولاية العربي بن يوسف عام 1236

بعد ان ذكر الناصري في الاستقصا بيعة المولى سعيد بتطوان قال[2] «وكان المتولي يومئذ بتطاوين الحاج عبد الرحمن بن علي[3] اشعاش فاخروه وولوا مكانه ابا عبد الله محمدا العربي بن يوسف المسلماني وكان داهية شهما».

وذكر ابو محمد سكيرج ان المولى سعيدا واشياعه لما غادروا تطوان اخذوا معهم قائدها المعزول الحاج عبد الرحمن اشعاش بصفة مسجون الى فاس، وزاد استاذنا الرهوني انهم اخذوا مع اشعاش المذكور ولده محمداً الذي ولي فيما بعد على تطوان.

القتال بين المولى سعيد والمولى سليمان عام 1236

ذكر الناصري في الاستقصا[4] ان السلطان المولى سليمان لما بلغه ما كان من بيعة

1) ج 4 ص 161 .
2) ج 4 ص 161.
3) والد الحاج عبد الرحمن اشعاش اسمه عبد القادر لا علي كما نبهنا عليه من قبل.
4) ج 4 ص 161.

مولاي ابراهيم بن يزيد وخروجه الى المراسي، قلق وخرج من مراكش الى رباط الفتح وسلا ثم لما وصل الى قصر كتامة اتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم لتطوان فعزم على قصدها ومحاصرة المولى ابراهيم بها وفي اثناء ذلك توفي المولى ابراهيم وبويع المولى سعيد، وبلغ تطوان نبأ حركة السلطان وقصده تطوان فغادرها المولى سعيد وشيعته قاصدين عاصمة فاس، وبلغ ذلك مولاى سليمان فتحرك هو ايضا قاصدا مدينة فاس فوصلاها في يوم واحد، وتحاربا وانهزم المولى سعيد واستولى جيش مولاي سليمان على الاموال الطائلة التي كان البربر قد نهبوها من ملاح تطوان وفر المولى سعيد وبطانته ودخلوا فاسا واغلقوها عليهم وكان من امرهم ما سياتي بيانه بحول الله.

انتهاء امر المولى سعيد وحصار تطوان عام 1236

ودخل السلطان المولى سليمان مدينة فاس الجديد وحاصر المولى سعيدا بفاس القديم وكان القتال لا يفتر بين قوات السلطانين مدة، وطال الحال على ذلك ومل الناس القتال والحصار، وتغلب المناصرون للمولى سليمان من اهل فاس القديم ففتحوا ابواب المدينة وتقدموا بالطاعة للمولى سليمان فعفا عنهم وعن المولى سعيد نفسه وبذلك استتب الامن بفاس.

اما تطوان فانها بقيت على عصيانها وكان السلطان المولى سليمان قد انتقل الى طنجة وراود اهل تطوان على الرجوع الى الطاعة فابوا فوجه اليهم جيشا لحصارهم فقاتلوه مدة وكانت الحرب بين الطرفين سجالا ثم ارسل السلطان مددا لجيشه فتعرض اهل تطوان لرجاله واسروهم فهرب الجيش الباقي وارتفع الحصار عن تطوان، وقد نقلنا في الاصل نص ما كتبه الناصري وسكيرج والرهوني في هذا الموضوع.

السلطان يعفو عن اهل تطوان عام 1237

ذكر الناصري في الاستقصا ان السلطان المولى سليمان لما افتتح فاسا وصفا له امرها عزم على النهوض الى تطوان فاستخلف على فاس واعمالها ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام واخذ معه المولى سعيد ابن يزيد وخرج في جيش الودايا والعبيد وقبائل الحوز اوائل شعبان سنة 1237. فجعل طريقه على بلاد سفيان ولما نزل بمشرع مسيعدة من نهر سبو وفد عليه اهل تطاوين تائبين ومعهم قائدهم العربي بن يوسف المسلماني وكان الناس يظنون انه ينكل به وبمن معه في الفتنة فلم يقل لهم الا خيرا حتى لقد قال له ابن يوسف يا مولانا، إن اهل تطاوين لم يفعلوا شيئا واني انا الذي فعلت يريد ان يبرئهم ويفديهم بنفسه فقال له السلطان رحمه الله، ما عندك ما تفعل أنت ولاهم، وانما الفاعل هو الله تعلى، وصفح عنهم واحسن اليهم ثم عاد الى مراكش».

واشار ابو محمد سكيرج الى هذا الوفد فذكر ان القائد ابن يوسف توجه نحو السلطان مع اعيان البلدة التطاونية، الى ان وصلوا حضرته السمية، فتلقاهم باحسن قبول، واكرمهم بنفس الوصول، وكل ما في خاطرهم طلبوه، فاجابهم اليه وسامحهم في الوزر الذي ارتكبوه، وقال لهم ما عليكم ذنب ولا عتاب، ولا مشقة ولا جواب ... الخ

«قلت» وقد وقفت على رسالتين كتبهما اثنان من رجال هذا الوفد وهما الحاج احمد اجزول والحاج عبد الكريم ابن الطالب، وفيهما بيان دقيق لملاقاة رجال الوفد للسلطان وما قاله لهم الخ وقد اثبت ذلك في الاصل.

وقد عاد هذا الوفد الى تطوان سالما واستانف العربي بن يوسف عمله في حكم تطوان، ولكن برضى السلطان.

وفد تطوان يهنئ السلطان المولى عبد الرحمن عام 1238

وتوفي السلطان المولى سليمان بمراكش في ثالث ربيع الاول سنة 1238. فتولى عرش المغرب ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام، وبلغ الخبر تطوان فبايعت السلطان المذكور في رابع ربيع الثاني، ثم ألفت وفدا سافر الى فاس وقدم تهنئة هذه المدينة للسلطان الجديد وكان من رجال هذا الوفد، قاضي تطوان الفقيه السيد محمد كرازو والشريف سيدي احمد بن ريسون والتجار الحاج عبد الكريم ابن الطالب والحاج احمد اجزول والسيد احمد بايص الخ وقد فرح السلطان بهم واكرمهم ودعا لهم بخير كما وقفت عليه في بعض رسائلهم.

عزل القائد العربي بن يوسف

ولم ينس السلطان الجديد المولى عبد الرحمن ما عمله زعماء أهل فاس والبربر وقائد تطوان العربي بن يوسف، فعاقب كل واحد منهم بما يناسبه، وكان عقاب القائد العربي بن يوسف بالعزل والسجن، وقد نقلنا في الاصل روايتين في كيفية القاء القبض على القائد المذكور بتطوان، احداهما لاستاذنا الرهوني والاخرى للفقيه الوزير المرحوم سيدي احمد الغنمية، والروايتان وان كانتا مختلفتين في التفاصيل، الا انهما متفقتان على ان السلطان المولى عبد الرحمن ارسل كاتبه المختار الجامعي لتطوان فالقى القبض على قائدها العربي ابن يوسف واخذه سجينا مثقلا بالحديد الى فاس.

وقد وقفت على رسم يستفاد منه ان العربي بن يوسف كان لا يزال متوليا بتطوان عام 1241. فلعل عزله كان في اواخر هذا العام، او في العام الذي بعده. والله اعلم.

ولاية القائد محمد اشعاش

بعد ان عزل السلطان المولى عبد الرحمن قائد تطوان العربي بن يوسف ، ولى مكانه القائد محمد ابن الحاج عبد الرحمن اشعاش التطواني وكان اشعاش هذا من خدام دار السلطان بفاس منذ انتقل اليها مع والده في حركة المولى سعيد عام 1236 والقائد محمد اشعاش كان ذا شخصية بارزة وقوة وسطوة حازما نشيطا حسن التدبير، وقد نظم شؤون عمالته تنظيما محكما واتخذ لنفسه حاشية كبيرة وظهر بمظهر الابهة والقسوة وقبض وسجن واستبد فاستتب الامن في المدينة ونواحيها، وقد بسطنا القول في اوصافه واعماله في الاصل .

إلقاء القبض على أعيان من تطوان

ذكر استاذنا الرهوني ان القائد اشعاش لما حل بتطوان حاكما عليها لم يقدم شيئا على القاء القبض على بعض اعيان بلغه انهم قالوا فيه كلام سوء ومنهم الحاج احمد مرتيل والحاج محمد اللبادي وقد سجنهما، أما رفيقهما الحاج محمد الرزيني فصادف الحال انه كان برباط الفتح فسافر منها هاربا الى الجزائر في بعض المراكب البحرية.

وقد قضى خصوم القائد اشعاش بين السجن والابعاد بضع سنين ثم صدر العفو عنهم، وقد اثبت في الاصل نص الظهير السلطاني بالعفو عن الحاج احمد مرتيل وهو بتاريخ ثامن ذي الحجة سنة 1246. واصل هذا الظهير محفوظ بخزانتي «الداودية»

زيارة السلطان لتطوان عام 1243

ذكر الناصري في الاستقصا [1] وابن زيدان في الاتحاف[2] ان السلطان المولى عبد الرحمن زار تطوان عام 1243. وزاد ابن زيدان انه اصلح بعض ابراجها في هذه الزيارة .

«قلت» من جملة الابراج التي اصلحت او بنيت في عهد السلطان المذكور برج باب العقلة «الاسقالة» وقد اثبتنا في الاصل نص الكتابة التي على بابه وفيها ان بناءه كان عام 1246 على يد القائد محمد اشعاش.

كما اشرنا الى ما امد به القائد أشعاش سلطان المغرب مما دعت اليه الحاجة لمقاومة الثائرين عليه من جيش الودايا الخ .

1) ج 4 ص 179

2) ج 5 ص 237

ونقلنا عن كناش محفوظ في خزانة ابن غازي بمكناس بيان ما دفعه اهل تطوان من الهدايا لعيد الاضحى سنة 1246 وفي ذلك بيان مقدمي حومات هذه المدينة وما دفعه اهل كل حومة من المال الخ.

واثبتنا نص رسالة بعثها القائد اشعاش الى السلطان في شأن كساوى رسمية من ملف وكتان وغير ذلك، ومن جملها الفا كسوة من الكارية الخ وذلك عام 1255 واثبتنا ايضا نص رسالة من القائد المذكور الى نفس السلطان عن ضرب الاسطول الفرنسي لمدينة طنجة عام 1260 ، ثم نص رسالة كتبها المولى سليمان ابن السلطان المذكور الى والده عن حالة طنجة بعد الضرب المذكور وقيام القائد اشعاش بالواجب نحو المحلة السلطانيةالخ وكانت وفاة القائد محمد اشعاش بتطوان في رابع وعشري محرم عام 1261. ومدفنه بزاوية سيدي عبد الله الحاج البقال بالفدان رحمه الله.

ولاية الحاج عبد القادر اشعاش عام 1261

لما توفي القائد محمد اشعاش عام 1261 ولى السلطان بدله ابنه الحاج عبد القادر، وهذه هي ولايته الاولى، وكان في ذلك العهد لا يزال في طور الشباب. وذكر استاذنا الرهوني انه جرى على سنن ابيه في نخوته وابهته وانه استخلف بعض اخوته الخ.

وقد علمت من بعض حفدته ان الذي كان خليفته هو اخوه الحاج عبد الله .

وقد تكلمنا في الاصل على ارسال السلطان المولى عبدالرحمن للقائد عبد القادر أشعاش سفيرا الى دولة فرنسا في نفس هذا العام (1261) واثبتنا نص الرسالة التي بعثها معه السلطان المذكور

صورة القائد الحاج عبد القادر اشعاش

الى ملك فرنسا بتاريخ 17 شوال عام 1261 . وقد وصف السلطان فيها عائلة اشعاش بأنها من بيوتات الخدمة والرئاسة، وانه اختارها من بين البيوتات المغربية ورشح احد ابنائها لمهمة من اعظم المهمات الدولية وهي تحسين العلاقات بين المغرب وفرنسا بعد الاصطدامات الدموية المخزية، ووصف بها الحاج عبد القادر المذكور بانه وان كان صغير السن إلا انه كبير العقل والهمة الخ.

واثبتنا ايضا نص الكتاب الذي بعثه اشعاش المذكور الى السلطان وفيه وصف الحفاوة التي قوبل بها في سفارته الخ. وقد استمر الحاج عبد القادر اشعاش قائما بولاية تطوان الى ان عزل ونكب عام 1267 على يد نفس السلطان الذي ولاه وكان يثني عليه عاطر الثناء، ومن تعزز بمخلوق كان ذله على يديه. وهكذا كل مولى يعزل، وكل عزيز يذل، الا من رحم ربك وقليل ما هم، فلا يغتر الولاة الغافلون.

عزل القائد اشعاش ونكبة عائلته عام 1267

ويظهر ان السلطان شعر بان الحكم كان في هذه الناحية حكما اقطاعيا وان القائد وعائلته كانوا يستغلون مناصبهم لمصالحهم الخاصة (وقد سمن الكبش واصبح صالحا ليضحى به لبيت المال) فعزل القائد اشعاش ونكبت عائلته كلها نكبة سارت بذكرها الركبان، وكان إلقاء القبض على الحاج عبد القادر وسجنه يوم الاحد 12 جمدى الاولى 1267.

ونحن لم نقف على التفاصيل الوافية عن الاسباب الحقيقية لهذه النكبة وصفتها، وانما وقفنا على بعض مستندات اثبتنا نصوصها الكاملة في الاصل وهي :

اولا - الظهير السلطاني بالموافقة على الصلح الذي عقده المندوب السلطاني الامين المكى بن عبد الرحمن القباج مع والدة القائد اشعاش المذكور التى هي السيدة أم كلثوم ابنة الفقيه العدل السيد عبد الرحيم التازي التطوانى، على ان تدفع لبيت المال مائة الف مثقال الخ وتاريخ هذا الظهير حادي عشر شعبان عام 1267.

ثانيا - توكيل القائد اشعاش المذكور لوالدته التازية المذكورة وهو بحال سجن فى عاشر رمضان من نفس العام.

ثالثا - كتاب من السلطان الى قائد تطوان (الحاج احمد الحداد) بتاريخ رابع شهر ذي الحجة عام 1268 يحضه فيه على ارسال المال المتجمع من نكبة آل أشعاش الخ.

ثم اثبتنا النص الكامل للائحة التي كتبها المكلفون بحيازة امتعة العائلة المنكوبة، وقد جاء في اولها ما نصه :

«هذا زمام عن اذن سيدنا المنصور بالله لما الفيناه في داخل دار اولاد القائد محمد اشعاش من حوائج واثاث واسباب بتاريخ 13 جمدى الاولى عام 1267» وهي لائحة طويلة

تقع في نحو ثلاثين صفحة سجل فيها ما وجد بغرفة القائد الحاج عبد القادر ثم ما بغرفة خليفته الحاج عبد الله ثم ما بغرفة اخيهما الحاج محمد ثم ما وجد بالدويرة التي كان يسكنها الحاج عبد الرحمن، ثم ما في اماكن اخرى داخل الدار وخارجها وفي البنيقة واروى الخيل والمشور الكبير وفي البساتين، مع عدد المواشي والدواب والحبوب ، ثم الاصول داخل المدينة وخارجها، وكل ذلك كثير جدا بالنسبة لحالة تطوان الاقتصادية وثروتها المحدودة.

وهكذا تحول حال هذه العائلة من العظمة والجاه ، الى الاهانة والاحتقار ، ومن الثناء والاعجاب، الى السجن والعذاب.

ولاية الحاج احمد الحداد عام 1267

كانت نكبة القائد اشعاش وعائلته كما رأيت في شهر جمدى الاولى عام 1267. وقد لبثت تطوان بدون حاكم رسمي نحو ثلاثة اشهر ثم ولى السلطان عليها الامين الحاج احمد الحداد التطواني.

وذكر استاذنا الرهوني ان السلطان كان قد كلف الحداد المذكور بمصاحبة الامين المكي القباج في استصفاء املاك عائلة اشعاش ثم اسند اليه الولاية على تطوان .

وكانت ولايته في شهر شعبان من نفس العام (اي عام 1267) وقد اثبتنا في الاصل نص ظهير سلطاني يمنح فيه السلطان الامين الحداد المذكور امتيازا من بين الامناء وهو بتاريخ 17 صفر عام 1255.

ويظهر ان السلطان كان قد منح القائد الحداد من السلطة ما يسمح له بتولية القضاة والامناء مما هو من اختصاص السلطان نفسه عادة. وقد اثبتنا في الاصل رسالة كتبها اليه السلطان في رابع شعبان عام 1275 بالموافقة على تعيين بعض الامناء الخ واثبتنا ايضا نص مرسوم كتبه القائد المذكور بتولية قاض لقبيلة بني حسان بتاريخ سابع محرم الحرام عام 1273 .

ومن اخبار تطوان في عهد القائد الحداد ، بناء قنطرة بوصفيحة ، وهي القنطرة الكبيرة التي بين مدينتي تطوان وطنجة ، وتبعد عن تطوان بنحو تسع كيلومترات ، وكان بناؤها في حدود عام 1270.

وفي سنة 1271 كان بتطوان وباء بلغ عدد الموتى به في اليوم الواحد سبعين شخصا.

وفي سنتي 1274 ـ 1275. وقع قحط وغلاء عظيم بتطوان، واغلق القائد بابين من ابواب المدينة وهما باب السعيدة وباب الرموز. وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة كتبها القائد الحداد بتاريخ 29 محرم عام 1274 الى امناء الدار البيضاء يطلب منهم السماح بوسق مركب من القمح الى تطوان الخ .

ثم اثبتنا ايضا نص رسالة كتبها السلطان الى القائد المذكور بتاريخ ثالث شعبان عام 1275 يأمره فيها بالتأهب والاستعداد للجهاد وفيها آيات واحاديث في الموضوع الخ ، ولعل الداعي لكتابة تلك الرسالة ، هو شعور المغرب بان بعض الدول المجاورة له تستعد للحرب والله اعلم .

معاهدة بين المغرب وانجلترا عام 1273

قال الناصري في الاستقصا ما نصه (1)

« وفي هذه السنة (يعني سنة 1273) انعقدت الشروط بين السلطان وبين النجليز وهي قسمان قسم في امور التجارة ، وبيان الصاكة والاعشار ، وان لا تعطى من اعيان السلع الا اذا اراد التاجر ذلك عن طيب نفسه وهي خمسة عشر شرطا ، وقسم في امور الهدنة بشمول الامن والاحترام لرعيتي الجانبين في اي موضع كانوا وهي ثمانية وثلاثون شرطا ، وكان المباشر لعقدها ابو عبد الله محمد الخطيب التطواني بطنجة » .

« قلت » وقد وقفت في اوراق النائب الخطيب المذكور على جل النسخة الاصلية للمعاهدة المذكورة ، وقد جعل كل فصل منها في ورقة خاصة وكتب تحته الخطيب بخطه ما نصه : الحمد لله الشرط اعلاه قبلناه على مشورة مولانا نصره الله عبد ربه محمد الخطيب وفقه الله . وتحت ذلك في كل ورقة ايضا امضاء العضو النائب عن الدولة البريطانية في ابرام تلك المعاهدة وهو قنصلها العام لدى دولة المغرب المستر جان هي درمند هاي. والاوراق المذكورة تحتوي على جل مواد المعاهدة المذكورة ، وقد اثبت المعاهدتين المذكورتين في الاصل .

ووقفت ايضا على اصل الوثيقة التي امضاها الخطيب المذكور والقنصل البريطاني بعد امضاء سلطان المغرب وملك بريطانيا للمعاهدتين المذكورتين وتبادل النسخ الممضاة بين الجانبين، واثبت في الاصل ايضا نصها نقلا عن اصلها المحفوظ حتى الآن بتطوان.

وفاة القائد الحداد عام 1275

كانت وفاة القائد الحاج احمد الحداد ليلة الجمعة عاشر شوال عام 1275 .

وقد اثبت في الاصل ظهيرا سلطانيا كتب في خامس عشر شوال سنة 1275 ، بسدل اردية التوقير والاحترام على اولاد القائد الحاج احمد الحداد وابرائهم من عهدة ولايته لعفته وحسن سيرته الخ .

1) ج 4 ص 206 .

ولاية القائد محمد الحاج عام 1275

بعد وفاة القائد الحاج احمد الحداد في التاريخ المتقدم ، أسند السلطان المولى عبد الرحمن ولاية تطوان الى السيد محمد بن محمد الحاج التطواني بتاريخ تاسع عشر شوال عام 1275. وقد استمر الحاج في ولايته الى ان هاجر سكان تطوان من مدينتهم عند اقتراب الجيوش المحاربة منها في الحرب المشئومة بين المغرب واسبانيا عام 1276هـ 1859م وكان ذلك آخر عهد القائد الحاج بالحكم .

وقد اثبتنا في الاصل النص الكامل لبيعة اهل تطوان للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كانت ولايته عقب وفاة والده بمكناس في تاسع وعشري محرم الحرام عام 1276 . وقد بلغ خبر وفاته الى تطوان في ثاني عشر صفر فبايع اهلها ولده وولي عهده سيدي محمداً المذكور وكتبوا بيعته بماء الذهب في التاريخ المذكور ، ثم الف في تطوان وفد من اعيان المدينة وعلمائها واشرافها وعدد اعضاء هذا الوفد تسعة عشر شخصا ذكرنا اسماءهم في الاصل ومعهم ثلاثة وعشرون من الطبجية والبحرية والمخزنية الخ ، وقد ذكرنا في الاصل ملخص رحلة هذا الوفد التي استغرقت ستة وعشرين يوما ، وفي هذه الرحلة نظم الفقيه الاديب سيدي مفضل افيلال ارجوزته التاريخية الهزلية المشهورة التي وصف فيها الوفد ورجاله واعمالهم وما جرى لهم في رحلتهم ، وهي في مائة واربعة وعشرين بيتا ، وقد اثبتنا نصها الكامل في ترجمته في الاصل .

وبالكلام على هذا الوفد ينتهي الجزء الثالث من اصل هذا الكتاب .

الحرب الاسبانية المغربية عام 1276 (1859 ـ 1860)

هذه الحرب قد توسعت في الكلام عنها توسعا استغرق من اصل الكتاب مجلدين كاملين في نحو الف صفحة ، وقد عقدت لها الباب السابع كله ، وهذا الباب يحتوي على سبعة فصول :

الفصل الاول ـ فيما قبل اعلان الحرب .

الفصل الثاني ـ بين اعلان الحرب وابتداء القتال .

الفصل الثالث ـ من ابتداء القتال الى احتلال تطوان .

الفصل الرابع ـ بين احتلال تطوان وعقد الصلح .

الفصل الخامس ـ وثائق الهدنة والصلح (وهذه الفصول الخمسة هي ما احتوى عليه المجلد الرابع) .

الفصل السادس ـ بين عقد الصلح والجلاء عن تطوان .

الفصل السابع - ابحاث وتعليقات حول هذه الحرب (وهذان الفصلان هما ما احتوى عليه المجلد الخامس) .

وسنلخص هنا مضمن ذلك تلخيصا يعتبر كفهرس موسع لما في الاصل، لان جل اعتمادي في هذا الموضوع انما هو على نصوص الوثائق والمستندات الرسمية التي وفقت للحصول عليها ، واظن ان جلها لم يقف عليه احد من الذين كتبوا عن هذه الحرب الى الآن .

ومن المعلوم ان الفائدة الكاملة لا يحصل عليها القارئ الا بالاطلاع على النصوص نفسها ، اما هذا التلخيص فنظرا لكون فائدته محدودة جدا « بكل اسف » ارجو الله تعالى ان ييسر الاسباب المادية لطبع اصل الكتاب قريبا لتتم بذلك الفائدة بحوله سبحانه .

وقبل الفصل الاول من هذا الباب عقدت (في الاصل) مقدمة تعرضت فيها لاحتلال المسلمين للاندلس وجل شبه الجزيرة الابيرية وتأسيسهم بها حضارة كانت من احسن وارقى ما عرفه التاريخ، وكيف ان بعض السكان الاصليين تعصبوا ضد الاحتلال العربي وجدوا واجتهدوا وسعوا بكل قواهم وانتهزوا كل الفرص حتى تمكنوا من القضاء على الاسلام والعروبة في البلاد الاندلسية بعد قيام الحكم الاسلامي بها نحو ثمانمائة عام .

ثم تعرضت للعلاقات بين اسبانيا والمغرب بعد ذلك العهد واحتلال الاسبانيين لبعض المواقع بالمغرب، وكيف كانت علاقات سكان الاماكن المحتلة بجيرانهم المغربيين الى ان كانت هذه الحرب المشئومة، وقد ختمت هذه المقدمة بما نصه :

« والذي يهمنا هنا انما هو تسجيل حوادث هذه الحرب مع ما كان يحوم حولها من آراء وافكار ، حفظا للتاريخ ، وليعتبر من يريد الاعتبار ، ولقد كان بودنا ان نجد من انباء تلك الحرب ما نفتخر به ونعتز، وان لو كان جانبنا هو المتفوق المنتصر، ولكن الواقع كان خلاف ذلك ، ولقد كان للشعور والخيال والحماس مجال لو كان المغرب في ذلك العهد آخذا بأسباب الحضارة والتقدم المادي والادبي، ولكن الحقيقة المؤلمة هي ان وطننا كان في ذلك العهد متأخرا جدا عن بقية الدول التي نهضت من سباتها واخذت بوسائل الترقي فنظمت شؤونها وعممت في بلادها المعاهد العلمية والمدارس العملية على اختلاف اشكالها وانواعها، فللعلوم معاهدها ، وللعسكرية مدارسها وللاقتصاد اسبابه وطرقه ، وللحياة العامة نظمها ووسائلها .

اما المغرب فلم يكن به جيش منظم ولا ضباط درسوا الفنون العسكرية والتنظيمات الحربية ، ومالية المغرب كانت في فوضى لا مزيد عليها ، وكانت الطرق مهملة ، والمواصلات غير منظمة التنظيم المناسب للعصر ، ووسائل النقل غير متوفرة ، والجهل باحوال العالم ونهضته ورقيه سائد في جل الطبقات .

فماذا كنا ننتظر مع هذه الحالة من دول اكملت تنظيم داخليتها، وتوفر لديها من وسائل النظام والقوة ما جعلها ترنو ببصرها الى البلاد الضعيفة الجاهلة القاصرة، لاستثمار خيراتهاواستغلال ما فيها من مواد مهملة وثروة مبعثرة ، او على الاقل لتملي عليها ارادتها وترغمها على الرضوخ لاغراضها ومطامعها. لقد كان المغرب قبيل ذلك العهد في مستوى كثير من الدول والشعوب، ولم يكن اقل استعدادا من غيره للاخذ باسباب الحضارة وسلوك سبيل الترقي المادي والادبي ، ولكن الدول سارت في طريق النهوض فترقت وصار جانبها محترما مهيبا ، واصبحت كلمتها مسموعة لها قيمة واعتبار ، اما المغرب فوقف في حيرة ، وغفل عن الحقائق ، واشتغل بالسفاسف ، فانحلت عروته ، وتبعثرت قوته ، وفي اول اصطدام له بالاجانب ، ظهر ضعفه وعجزه ، فاشرأبت اليه الاعناق ، وصارت ذئاب الاستعمار تنتظر الفرصة للوثوب عليه وافتراسه ، وما كان المنتظر خلاف ذلك ـ وان الغافل المقصر المهمل ، لاحق بالملام ، من المتيقظ العامل النشيط . ولو كان المبدأ السائد في العالم هو مبدأ الحق والعدل والانصاف لكان للمغرب مجال للقول ، ولكن الواقع ان الكلمة العليا انما كانت « وما زالت » لصاحب القوة ، فما دامت القوة في جانب ، الا وقوله هو القول الفصل ولو كان هراء ، ورأيه هو الرأي السديد ولو كان خطلا وحمقا وطيشا ، وامره هو النافذ ولو كان ظلما وعدوانا، وسلوكه كله هو الصواب ولو كان ضلالا وخسرانا ، فالكل يتقرب الى القوي المعتدي ويخضع ، والكل يداهن ويتملق ، والكل يبرر الاقوال والاعمال ، ولا يقاوم او يعاكس الا من يشعر بان قوته تضاهي قوة ذلك المعتدي او تفوقها، فعندئذ يتفق الاقوياء على حقوق الضعفاء ، او تقوم الحروب التي قلما ضاع فيها غير الابرياء .

لقد كان المغرب في حالة استعصى فيها الداء ، ولم يكن لذلك الداء من دواء سوى عمليات حاسمة ، ولكن المغرب كان فاقدا للاطباء الماهرين ، وللادوات اللازمة لتلك العمليات .

ولقد قامت الحرب بين حكومتي مدريد وفاس وصلى نارها الشعبان المغربي والاسباني، ثم انتهت تلك الحرب بعد ان تحمس فيها المتحمسون، وطاش الطائشون، وتجلت حقائق ونوايا واسرار ، وظهر من بين الاصدقاء والاعداء اخيار واشرار ، الا اني سوف لا الوم الاسبانيين على ما فعلوا لان لهم ان يقولوا لنا ، لو كنتم اقوى منا لحاولتم كما حاولنا ، ولفعلتم بنا مثل ما بكم فعلنا ، وسوف لا اغتاظ كثيرا من بعض التحكمات والتعنتات التي كانت تصدر من بعض الساسة ؛ لاني اعتقد ان جميع الساسة لا يرون في مبادئ الحق والصدق والانصاف والعدل ، غير بضاعة مهملة لا

قيمة لها ، وانها ليست سوى الفاظ قد الغيت معانيها فاصبحت جوفاء لا يعنى بها ويرددها الا الضعفاء او الاغبياء .

سوف املك اعصابي عند ما ارى الحقائق تنكر ، والبهتان يسطر، والحق يسفل ويداس ، والباطل ينتصر ويعلو ، انما لا انسى وانا المسلم العربي المغربي، ان انصح كل من يقرأ كلامي هذا من ابناء وطني بان يعملوا كل ما في استطاعتهم ليصير المغرب قويا غنيا ، فإنهم إذ ذاك « وإذ ذاك فقط » سوف يشبعون تعظيما واحتراما ، وتحية وابتساما ، وعدلا وانصافا ، اما ما داموا ضعفاء فقراء ، فانهم لا يرون الا تجاهلا واهمالا ، واهانة واحتقارا ، وتحكما واعتسافا ، واعتصابا وعدوانا ، وزورا وبهتانا .

لتكن يابن وطني قويا جبارا ان كنت تريد الحياة محترما عزيزا ، لتكن قويا في جسمك وبدنك ، قويا في عقلك وفكرك ، قويا في علمك ومعرفتك ، قويا في ثروتك وموادك، قويا في ايمانك. ان جميع الناس «حتى اهلك واقاربك» يحترمونك ان كنت قويا غنيا اكثر مما لو كنت ضعيفا فقيرا .

وان الامم والشعوب ، والدول والحكومات ، لا تحترم شعبك ودولتك الا اذا كانا قويين غنيين .

ان الاقارب والمنصفين قد يعطفون على الضعفاء ، ولكن الاحترام ما كان ولن يكون الا للاقوياء ، اقوياء المادة والروح . وان الحق والعدل نفسهما لا تقوم لهما قائمة الا اذا دعمتهما القوة .

ان الامة هي مجموع الافراد ، وان قوة الافراد منها تتكون عظمة الشعب التي هي عماد الدولة ، وما ينبغي ان تكون الدولة الا الناصح الامين للامة ، المدافع عن حقوقها ، الخادم لمصالحها ، وانما العظمة والجلال ، لله الواحد القهار.

واخيرا لو كان المغرب قويا غنيا لما تحرش به ساسة مدريد، ولما كانت حرب الستين ، ولما كان احتلال تطوان »

ثم عقدت الفصل الاول ومن عناوينه ، تحصين وتذمر . وقد تكلمت فيه على تحصين اسبانيي سبتة لمدينتهم وبنائهم لمخفر كان على الحدود صغيرا بسيطا فارادوا ان يجعلوه قويا متينا. فتذمر من ذلك سكان قبيلة انجرة المتصلة بارض سبتة، وهدموا ذلك المخفر، ويقول الاسبانيون ان اهل انجرة قد اهانوا شعار اسبانيا ، وكان ذلك في شهر غشت سنة 1859 (محرم عام 1276) وقد عد الاسبانيون عمل اهل انجرة اهانة لشرفهم فتحمسوا وتقدمت عساكرهم للانتقام بالسلاح من اولئك المعتدين في نظرهم، فقابل اهل انجرة سلاحهم بمثله، ووقعت بين الطرفين مناوشات واريقت دماء، وكان كل طرف يرى ان الحق بجانبه ، وان الصواب معه ، وان خصمه هو المعتدي ، وان في امكانه ان

يقضي عليه بادنى قوة وفي اقرب مدة الخ . - وقد ختمت هذا الموضوع بهذه الفقرات « ونحن نرى ان الطرفين معا - اعني الحاكم العسكري لسبتة واهل قبيلة انجرة - قد تنكبا الصواب ، وسلكا طريق الغي والردى ، فأهل انجرة لم يكن لهم الحق فيما فعلوا لان النظر فيما فعلته حامية سبتة ، انما هو للحكومة المغربية فهي التي تعرف ما ينفع وما يضر ، وما يسمح به وما لا يسمح به، اما حاكم سبتة، فما كان من حقه ان يحارب قوما بدويين يعرف ان لهم حكومة ، بل كان الواجب عليه ان يرفع الامر لحكومته وهي التي تتصل بالحكومة المغربية التي من واجبها ان تعاقب المعتدين وتبعد العصاة والمتمردين ، ونظن انه لو جرى الامر على هذا المنوال ، لما عظم الخلاف ولا نشبت الحرب ولا نكب احد فضلا عن امة، ولدام الصفاء والولاء ، ولكن هل كانت النيات كلها حسنة ، والصدور كلها سليمة ، وهل كان الصغار يرجعون للكبار في مهمات الامور، ويقفون في اعمالهم مع رأي ذوي الخبرة وحسن التدبير؟ الله اعلم» .

ثم اثبت ترجمة البلاغ الذي اصدره الجنرال رئيس حامية سبتة بتاريخ 11 غشت 1859 (12 محرم 1276) طبقا لما اذاعته وزارة الحربية الاسبانية. ومن البلاغ المذكور يعرف التاريخ الذي قام فيه اهالي انجرة بازالة المخفر الاسباني وهو يوم الاربعاء عاشر غشت موافق 11 محرم 1276 .

ثم اثبت ترجمة تلغراف ارسله القنصل العام الاسباني بطنجة الى وزير دولته بمدريد بتاريخ 12 غشت المذكور .

ثم نص رسالة شديدة اللهجة وجهها القنصل المذكور الى الوزير المغربي (النائب السلطاني بطنجة) وهو السيد محمد الخطيب التطواني بتاريخ 12 غشت ايضا ، ثم اثبت ملخص البلاغ الثاني الذي اصدره حاكم سبتة العسكري بتاريخ 22 غشت (23 محرم) .

ثم ملخص البلاغ الثالث منه ايضا بتاريخ 24 غشت (25 محرم) وفيه بيان التاريخ الذي ابتدأ فيه تبادل الفريقين إطلاق النار وهو يوم 23 غشت (24 محرم).

ثم اثبت نص بلاغ آخر نشرته الجريدة الرسمية عن يوم 9 سبتمبر وما بعده .

وفي اوائل هذا الشهر (سبتمبر - صفر) بدأت المفاوضات بين قنصل اسبانيا بطنجة والنائب السلطاني بها ودارت بينهما مراسلات تعتبر من اهم الوثائق الديبلوماسية في هذا الموضوع .

وقد اثبتنا فى الاصل نص الرسالة الاولى من القنصل الى النائب الخطيب وهي بتاريخ 5 سبتمبر 1859 . (8 صفر) وفيها بيان مطالب الاسبانيين من لمغرب .

ثم أثبتنا نص جواب النائب المغربي عن هذه الرسالة بتاريخ 7 سبتمبر ، وقد علقت على هذا الجواب بما يلي :

« وهذه الرسالة كافية في بيان وجهة نظر النائب السلطاني والجانب المغربي، وفي الدلالة على ما كان النائب المذكور يعمل له من تلافي الامر قبل استفحاله، بالتسامح والتساهل والمساعدة على تلك المطالب بالرغم مما فيها ، لانه كان يعرف حقيقة الاحوال والاستعدادات في كل من المغرب واسبانيا» ...

وفي 10 صفر كتب النائب الخطيب الى القنصل الاسباني رسالة اخبره فيها بوفاة السلطان المولى عبد الرحمن وبيعة ابنه سيدي محمد ، ويرجو منه ان يعلم بذلك دولته لتمدد الاجل المحدد لتنفيذ مطالبها الخ .

ومما جاء في هذه الرسالة قوله : « ولكن سيدنا بعد وصوله فاسا او مكناسة سيمد يده القوية الى المسئولين ويعاقبهم بصرامة » ويعني بالمسئولين اصحاب حوادث انجرة على حدود سبتة الخ .

وقد اثبتنا في الاصل النص الكامل للرسالة المذكورة .

وفي نفس هذا التاريخ كانت المفاوضات جارية بين حكومتي مدريد ولندن لتطمئن حكومة مدريد من ناحية انجلترا فيما اذا قامت بتنفيذ نواياها في ارض المغرب .

ثم اثبتنا نص جواب القنصل عن الرسالة السابقة بتاريخ 12 سبتمبر (13 صفر) وقد مدد فيها الاجل عشرين يوما ، واخبر بان حكومة مدريد لا تتنازل عن اي مطلب من مطالبها .

ثم اثبتنا نص رسالة مطولة كتبها الخطيب الى القنصل بتاريخ 16 صفر (15 سبتمبر) وقد اكد فيها حسن نوايا الجانب المغربي ، وانه يرى ان كل الخلافات تمكن تسويتها بطرق سلمية ، وان المسئولين عن الحوادث سوف يلقون جزاءهم ، وان الجانب الاسباني الذى اعتبر الحادثة ماسة بكرامته ، سوف يرضى بكل ما هو معقول الخ.

ثم اثبتنا نص رسالة مطولة ارسلتها وزارة الخارجية الاسبانية الى وزراء اسبانيا لدى الدول بتاريخ 24 سبتمبر وبها بيان وجهة نظر حكومة مدريد ، وهي متشبعة بالروح التي عهدناها في رسالة قنصل طنجة . وفيها بيان نوايا الحكومة المذكورة وما صممت عليه من القيام بالحرب لارغام حكومة المغرب على ما تريد الخ.

ثم اثبتنا نص رسالة كتبها القنصل الى الخطيب بتاريخ 2 اكتوبر واخرى بتاريخ 3 اكتوبر وقد ذكر له فيهما انه اذا انتهى الاجل المحدد ولم تتوصل حكومة مدريد

بالجواب الذي يرضيها فان العلاقات بين الحكومتين تصبح مقطوعة نهائيا الخ .

ثم اثبتنا نص رسالة من النائب الخطيب الى القنصل الاسباني بتاريخ 7 ربيع الاول (5 . اكتوبر) وقد اعلمه فيها بان المطالب الاربعة مقبولة محافظة على السلام وحسن التفاهم وانه عما قريب تصل القوة المخزنية لعقاب المعتدين من قبيلة انجرة الخ . وهي رسالة كلها تسليم واستسلام ، ولكن يظهر ان ذلك جاء صدمة لرغبات بعض السياسيين الذين كانوا يرغبون في تصلب الجانب المغربي ليجدوا وسيلة لقطع المفاوضات واعلان الحرب وابتداء الزحف الذي هو الوسيلة لتحريك شعور الشعب الاسباني المسكين ، ولاستغلال بساطته وعواطفه الدينية والوطنية ، كل ذلك ليصل بعض ساسة مدريد لاغراضهم السياسية والحزبية الخ .

ثم اثبتنا نص جواب ماكر من القنصل الاسباني وهو بنفس التاريخ. ثم نص رسالة من النائب الخطيب الى القنصل بتاريخ 13 ربيع الاول (11 اكتوبر) وفيها المساعدة التامة على جميع ما طلبه (او امر به) وقد وصفت هذه الرسالة في الاصل بأنها ببرودها واستسلامها تثير الاعصاب اذا لم يكن قارئها من السياسيين المرنين العارفين بالحقائق .

ثم اثبتنا نص رسالة اخرى من النائب الى القنصل في نفس الموضوع بتاريخ 13 اكتوبر ، وقد علقت على ذلك بان النائب السلطاني لم يكن يمل من تكرار رغبته في تسوية كل الخلافات وحل جميع المسائل والمحافظة على الصداقة والوئام بين الدولتين الخ . ولكن المسكين كان كمن يضرب في حديد بارد ، لان ساسة مدريد كانوا مصممين على خوض غمار الحرب ولم يكونوا ينتظرون سوى انتهاء المخابرات التي كانت جارية بينهم وبين انجلترا « العجوز الداهية » التي كانت « كعادتها » تتخابر مع الطرفين ، وتساوم الجانبين .

ثم اثبتنا نص رسالة من القنصل الى النائب بتاريخ 16 اكتوبر وقد صرح فيها بأنه لا يقبل ادنى ملاحظة الخ . ثم نص رسالة من النائب الى القنصل بتاريخ 19 ربيع الاول (17 اكتوبر) وقد علقت عليها بأنه يظهر منها ان النائب الخطيب قد شعر بحقيقة الحالة ورأى ان الكيل قد طفح وان السيل قد بلغ لزبى وان الاسترسال في الاستسلام لن يزيد ساسة مدريد الا تعنتا وطغيانا فحدد موقف الحكومة المغربية تحديدا واعلن انها تحافظ على كلمتها وتفي بوعودها لا اقل ولا اكثر الخ . ثم علقت على هذه الرسالة بما يلي :

والذي نفهمه من حال النائب الخطيب (الذي قضى بضع عشرة سنة في تسيير الشؤون الخارجية للمغرب) انه كان عارفا بحالة المغرب كما هي ، عالما ان وطنه لا طاقة له بالحرب مع دولة اوربية لها جيش نظامي ومعامل للاسلحة ووراءها دول

صديقة تمدها بما تشاء من ذلك ، ولها ميزانية منظمة واسطول بحري وغير ذلك من الوسائل التي تضمن عادة النجاح في الحروب ، فكان « الخطيب » لاجل ذلك يملك اعصابه امام تهديدات القنصل الاسباني ويتحمل عجرفته وتعصبه تفاديا من وقوع الحرب التي كان ضعيف الامل في نجاح المغرب فيها. وكان يرى ان ترضية حكومة مدريد في مطالبها بالرغم مما فيها من تعسف وتحكم وغصب ، أهون بكثير مما تجره الحرب من الخسائر والفضائح والويلات .

ولقد كان يرى ان مصلحة المغرب تقضي بحل هذه المشكلة العارضة بأي وجه كان ، ثم بعد ذلك يأخذ المغرب في الاستعداد الحقيقي بالوسائل الحديثة من جميع النواحي حتى اذا ما صار قويا مهيبا فانه لا يبقى مجال للطمع فيه او التحرش به ، واذ ذاك لا يصعب عليه ان ينتهز هو ايضا احسن الفرص لاسترجاع ما ضاع من حقوقه او اغتصب من اراضيه او غيرها ايام ضعفه واستسلامه .

ولقد كان نظر الخطيب هذا موفقا وكان رأيه سديدا في نظرنا ، ولكن يظهر ان الآراء كانت قد كثرت ، وان الافكار قد اضطربت حتى اضطر السلطان لارسال الحاج محمد الزبدي الرباطي مندوبا جديدا لمباشرة نفس القضية التي كان النائب الخطيب يباشرها وكان قد اشرف في الظاهر على اتمامها، والذي يتناقله شيوخ تطوان، ان الكيفية التي وقع الاتفاق عليها في حل هذه المشكلة ، هي ان ترضى السلطات المغربية في الظاهر بتسليم الانجريين المعتدين على الشعار الاسباني بحدود سبتة ، وفي ذلك اجابة لرغبة الاسبانيين وغسل للعار الذي يرون انه قد لحق شعارهم، ثم يتوسط الانجليز بين الطرفين بصفة ودية فيتنازل الاسبانيون عن تنفيذ حكمهم في اولئك الانجريين وتتم القضية بسلام .

هذا في المغرب . اما حكومة مدريد فيظهر انها عندما كان النائب الخطيب يكتب جوابه السابق ، كانت قد انهت مفاوضاتها مع انجلترا واطمأنت من ناحيتها ووثقت بكمال استعدادها فلم يبق امامها الا تنفيذ ما صممت عليه ، فاذ ذاك ضربت باجراءاتها السابقة عرض الحائط وقطعت مخابراتها الدبلوماسية مع النائب السلطاني ، واعلنت الحرب رسميا على دولة المغرب يوم 22 اكتوبر 1859 (24 ربيع الاول 1276) .

ثم يأتي في الاصل « الفصل الثاني » وعنوانه « بين اعلان الحرب وابتداء القتال » وقد اثبتنا فيه نص آخر رسالة كتبها القنصل الاسباني الى النائب السلطاني وهي بتاريخ 24 اكتوبر (26 ربيع الاول) [1]

---

1) اصل هذه الرسالة محفوظ حتى الآن بتطوان .

ثم تكلمنا على المخابرات التي كانت جارية بين حكومتي مدريد ولندن وقلنا ما يلي :

« ومن هذه الوثائق تعرف نوايا حكومة مدريد والمناورات السياسية التي جرت بينها وبين حكومة انجلترا والسليسلات الرقيقة المتينة الثقيلة التي وضعتها انجلترا في ارجل الحكومة المدريدية لتمنعها من التغلغل في ارض المغرب قبل ان تتحرك جنودها من مراكزها . وقد تم ذلك كما ارادت انجلترا بالرغم من تجلد رئيس حكومة مدريد ومحاولته الظهور بمظهر الرئيس الحر في تصرفاته . . .

كما يعرف منها ان المخابرات التي كانت تجري في طنجة بين القنصل الاسباني والنائب السلطاني، انما كانت صورية فقط وان حكومة مدريد كانت مصممة «مهما كانت الاحوال» على محاربة المغرب ، بل وعلى احتلال اراضيه لولا هؤلاء الانجليز المتعصبون المعاكسون لرغبات حكومة صاحبة الجلالة الكاثوليكية .

ويلاحظ انه بمجرد انتهاء حكومة مدريد من مخابراتها مع انجلترا اوقفت المفاوضات مع نائب سلطان المغرب ، واعلنت الحرب رسميا .

والمخابرات التي جرت بين حكومتي مدريد ولندن قد اثبتنا ترجمة نصوصها الكامله في الاصل ، وقد جمعت في اربع عشرة وثيقة .

الاولى - مذكرة من اسبانيا لوزيرها بلندن في 10 سبتمبر 1859.

الثانية - مذكرة من وزير انجلترا بمدريد الى حكومته في 11 سبتمبر .

الثالثة - مذكرة من اسبانيا لوزيرها بلندن في 12 سبتمبر .

الرابعة - جواب من وزير خارجية اسبانيا للوزير الانجليزي المفوض في 11 سبتمبر .

الخامسة - مذكرة من وزير خارجية اسبانيا الى وزيرها المفوض بلندن في 19 سبتمبر .

السادسة - مذكرة اخرى كذلك بتاريخ 9 ابريل .

السابعة - مذكرة اخرى كذلك بتاريخ 7 اكتوبر .

الثامنة - مذكرة من وزير بريطانيا في مدريد الى وزير خارجية اسبانيا في 27 سبتمبر .

التاسعة - جواب وزير الخارجية الاسبانية على مذكرة المستر بوشنام المؤرخة بـ 27 سبتمبر .

العاشرة - مذكرة من الوزير المفوض لاسبانيا بلندن الى وزارة الخارجية الانجليزية في 29 سبتمبر .

الحادية عشرة - جواب وزارة الخارجية بلندن لوزير اسبانيا بتاريخ 3 اكتوبر.

الثانية عشرة - مذكرة من وزير اسبانيا بلندن الى وزير الخارجية البريطانية حول مذكرة 29 سبتمبر .

الثالثة عشرة - مذكرة وزير بريطانيا في مدريد الى وزير خارجية اسبانيا حول التوسع الذي تسعى اليه اسبانيا في المغرب في 21 اكتوبر

الرابعة عشرة - جواب وزير الخارجية الاسبانية لوزير انجلترا في 21 اكتوبر .

ثم تكلمت في الاصل على ارسال السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن للامين الحاج محمد الزبدي الرباطي الى طنجة ، واثبت نص الظهير السلطاني له بتاريخ 14 ربيع النبوي عام 1276 .

ثم اثبت نص كتاب سلطاني آخر الى الزبدي المذكور بالاذن له في استشارة السفير الانجليزي في القضية الخ ، وهو بنفس التاريخ .

ثم اثبت ايضا نص كتاب سلطاني آخر له بتاريخ منتصف الشهر المذكور وقد اذن له فيه باستنابة من يريد استنابته من نواب الاجناس الخ .

ويلاحظ ان تاريخ الكتب المذكورة يوافق تاريخ آخر رسالة كتبها النائب الخطيب للقنصل الاسباني بطنجة .

ثم نقلنا ما كتبه مؤرخ المغرب الكبير في كتابه « الاستقصا » مع تعليقات وملاحظات كتبها عليه الفقيه الوزير سيدي احمد الغنمية التطواني رحمه الله .

ثم اثبت نص ما كتب لي به في الموضوع صديقنا الوجيه الاديب السيد احمد الزبدي الرباطي حفظه الله وقد بين فيه وجهة نظر والده (الحاج محمد الزبدي المذكور).

ثم نقلت نص ما كتبه بخطه في كناشه مولاي العباس آخو السلطان سيدي محمد وخليفته ورئيس القوات المغربية في هذه الحرب وقد بين فيه باسهاب اسباب هذه الحرب وما وقع في هذه المدة من الحوادث والاجراءات .

ثم نقلت ما كتبه المؤرخ ابن زيدان في هذا الموضوع ، وكلامه فيه اجمال اختفت معه الحقيقة وهو محتاج للايضاح والتصحيح .

ثم نقلت كلام المؤرخ الاسباني السنيور فكيراس البحاثة الشهير في كتابه « مارويكوس » اي « المغرب »

ثم نقلت ما كتبه مولاي العباس عن الحاج محمد الزبدي وموقف النائب الخطيب الخ.

ثم اثبت نص رسالة بعثها السلطان الى الزبدي في شأن ما طلبته حكومة مدريد من قتل بعض أهل انجرة في سبتة وتسليم جبل موسى ليضاف الى مدينة سبتة الخ ،

وهي بتاريخ 24 ربيع الاول 1276 . (22 اكتوبر) أي في نفس اليوم الذي قررت فيه مدريد اعلان الحرب على المغرب .

ثم اثبت نص رسالة ارسلها الوزير السيد الطيب بن اليماني « بوعشرين » الى الزبدي المذكور بتاريخ 27 ربيع المذكور ، ثم رسالة سلطانية اليه ايضا بتاريخ 28 ربيع المذكور ، ومما جاء فيها بيان سعى اميركا في عدم الاتفاق بين المغرب واسبانيا

ثم نص كتاب من الوزير بوعشرين اليه ايضا بتاريخ 29 منه ، وفي هذه المدة كان السلطان قد عين اخاه مولاي العباس خليفة له ونائبا عنه في القيادة العليا والاشراف على شؤون هذه الحرب وتنفيذ اعمالها ، وقد نقلت من خط مولاي العباس نفسه كيف وقع ذلك التعيين وما جرى بينه وبين اخيه السلطان بتفصيل الى ان وصل بمحلته الى المحل الذي عينه له الخطيب والزبدي.

صورة مولاي العباس ابن السلطان مولاي عبد الرحمن
وقد عينه اخوه السلطان سيدي محمد خليفة عنه
وأسند اليه رئاسة الجيوش المغربية في الحرب
التي وقعت بين المغرب واسبانيا
عام 1276 هـ. 1859 ـ 1860 م.

ثم أثبت نص رسالة كتبها المولى العباس الى الزبدي بتاريخ فاتح ربيع الثاني.

ثم نص رسالة من السلطان الى الزبدي ايضا في 5 ربيع الثاني عن قطع العلاقات مع اسبانيا وغير ذلك .

ثم اثبت نص المذكرة التي وزعها النائب الخطيب على ممثلي الدول الاجنبية بطنجة، وفيها بيان وجهة النظر المغربية بتاريخ 27 ربيع الاول 1276. 25 اكتوبر 1859.

ثم اثبت ترجمة بيان اصدرته حكومة مدريد الى برلمانات اوربا بتاريخ 29 اكتوبر (فاتح ربيع الثاني) وهو بامضاء كالديرون كويانطيس وفيه بيان وجهة نظر

الحكومة المذكورة . واول ما يتبادر لذهن قارئه ، قضية الذئب مع الخروف ، ولكل زمان ذئاب وخرفان ، والويل للضعيف في كل زمان ومكان .

ثم اثبت نص بيان طويل رد فيه النائب الخطيب على البيان الاسباني المذكور وفند ما فيه من تضليل وأباطيل .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الوزير بوعشرين الى الزبدي بتاريخ 5 ربيع الثاني .

ثم رسالة من المولى العباس اليه ايضا في 6 ربيع المذكور .

ثم رسالة اخرى كذلك بنفس التاريخ، وقد ذكر فيها مرور طائفة من اهل تطوان بفندق عين الجديدة ذاهبة الى مقر السلطان الخ .

ثم كتبت فصلا بينت فيه تضجر كل من الخطيب والزبدي من كثرة التمنيات والدعوات ، بدلا من ارسال الجيش والادوات . وتكلمت على الوفد التطواني الذي قصد السلطان ، ونقلت ما قاله الناصري في الاستقصا عن هذا الوفد وتعليقا للفقيه الوزير الغنمية عليه مع ما عرفته وسمعته من شيوخ تطوان عن هذا الوفد واسماء رجاله، وما سعى فيه وما رجع به من خيبة ويأس الخ .

ثم أثبت نص كتاب سلطاني الى الزبدي بتاريخ 8 ربيع المذكور

ثم نص كتاب آخر اليه من الوزير بوعشرين في نفس التاريخ .

ثم رسالة اخرى اليه ايضا من المولى العباس بنفس التاريخ .

ثم رسالة اخرى كذلك بتاريخ 10 ربيع المذكور ، ثم اخرى كذلك ايضا في 12 ربيع المذكور وقد تعرض فيها لوفد تقدم اليه من اعيان تطوان الخ .

ثم اثبت نص رسالة غريبة كتبها السلطان الى الزبدي والخطيب معا بتاريخ 13 ربيع المذكور .

ثم نقلت ما كتبه المولى العباس في كناشه عن مذاكرته مع الخطيب والزبدي وما وجد بينهما من وفاق وخلاف الخ .

ثم اثبت نص ما كتب لي به صديقنا الحاج احمد الزبدي نقلا عما كتبه والده الحاج محمد الزبدي في كناشه عن تضجره من عدم اجابة مطالبه الخ، وقد ختم كلامه بقوله : « ما هكذا يا سعد تورد الابل » وهو مثل عربي شهير .

ثم اثبت نص رسالة من الوزير بوعشرين الى الزبدي بتاريخ 14 ربيع المذكور وقد كتب بطرتها « والله يجزيك على الاهتمام بأمور المسلمين آمين » .

ثم نص رسالة من السلطان للخطيب والزبدي في 15 ربيع المذكور في شأن البارود المرسل الى المولى العباس الخ .

ثم نص رسالة سلطانية الى الزبدي في 15 ربيع المذكور .

ثم رسالة اخرى كذلك في 17 منه .
ثم اخرى من الوزير بوعشرين بنفس التاريخ .
ثم اخرى كتبها المولى العباس للزبدي في تطوان بتاريخ 20 ربيع المذكور
ثم رسالة اخرى اليه من الوزير بوعشرين بتاريخ 21 ربيع المذكور .
ثم اخرى كذلك في 24 منه .
ثم اخرى اليه ايضا من مولاي العباس في 24 منه .
ثم عقدت فصلا قلت في اوله ما نصه :

« ولنقف هنا عند هذا الحد ونترك الحاج محمد الزبدي الذي يقيم بطنجة ، يكاتب السلطان والخليفة والوزير ، والرسائل بين الطرفين متوالية . وفيها الحقائق والخيال ، والدعوات تتلى فيها وتسطر ، والاماني تجول لتتبخر . . . ولنول وجهنا نحو تطوان لنعرف ما جرى ويجري فيها اثناء هذه المدة . . . الخ . ثم تعرضت للمصادر المغربية الوطنية التي تتعلق باخبار مدينة تطوان وحوادث هذه الحرب ، وذكرت ان اهم ما وقفت عليه منها ثلاثة تقاييد كتبها ثلاثة اشخاص من سكان تطوان في ذلك العهد وكل واحد منهم اما شاهد عيان لما كتب عنه من الوقائع والحوادث ، واما قريب عهد بها وقد كتبها باثر وقوعها الخ ، ثم وصفت تلك التقاييد وعرفت بها .

فالتقييد الاول منها (مخطوط افيلال) وهو مذكرات الفقيه الشريف سيدي مفضل بن محمد افيلال ، وقد تكلم فيها عن مدينة تطوان عند اعلان الحرب وعن بعض الوقائع المهمة التي جرت قبل احتلال هذه المدينة مع بعض ما وقع خارجها بعد ذلك الاحتلال الخ ، وكلامه فيه نقد كبير واستنكار لكثير من المواقف والاعمال . . .

والتقييد الثاني (مخطوط تطوان) وكاتبه مجهول ، ويتكلم على ما سبق الحرب من مواقف واسباب وعلى بعض اخبارها قبل احتلال تطوان واثناءه لان كاتبه كان من الذين لبثوا في تطوان اثناء احتلالها ، وهذا التقييد محفوظ « بخط مؤلفه » في الخزانة الداودية . . .

والتقييد الثالث (مخطوط مدريد) ، وكاتبه مجهول ايضا وجل كلامه على حالة الاسبانيين بتطوان اثناء اقامتهم بها ومناقشتهم الحساب على ما كانوا يقولون او يفعلون الخ.

ثم أسهبت في وصف التقاييد المذكورة والتعليق عليها وعلى نفسية اصحابها . ثم نقلت ما كتبه صاحبا المخطوطين الاولين من تصوير دقيق لمختلف احوال تطوان في ذلك العهد ، ثم لخصت ما جاء في المصادر الاسبانية عن هذه الفترة ، وعن استعدادات الاسبانيين واجراءاتهم فيها الخ .

ثم جاء الفصل الثالث من هذا الباب ، وعنوانه :

« من ابتداء القتال ، الى احتلال تطوان ».

وقد بينت فيه ان ابتداء القتال كان في شهر نوفمبر 1859 (ربيع الثاني 1276) وفي هذا الفصل سلكت طريقة تسجيل الحوادث والوقائع حسب تاريخها معتمدا في الغالب من الناحية الوطنية على المخطوطين العربيين الاولين. اما من الناحية الافرنجية فاعتمادي الاول على المجلد الكبير الذي اصدرته الحكومة الاسبانية سنة 1861، اثناء احتلال تطوان بعنوان :

ATLAS HISTORICO TOPOGRAFICO DE LA GUERRA DE AFRICA 1859-60

فأذكر الحادثة وتاريخها وأنقل ما جاء عنها في المصادر الوطنية ثم ما قالته المصادر الافرنجية ، وبذلك تظهر الموازنة بين الكلامين الخ .

وقد ذكرت المصادر الاسبانية ان الجنرال ايتشاكوي خرج من سبتة مع فرقة من جيشه في يوم 19 نوفمبر 1859 ـ 23 ربيع الثاني 1276 . واحتل موقع سرايو الذي يبعد عن سبتة بثلاثة كيلومترات ، وان المغربيين انسحبوا من الموقع المذكور قبل ان تصل اليه العساكر الاسبانية .

ثم ذكرت المصادر المذكورة انه في اليوم التالي (20 نوفمبر) شرع الاسبانيون في تحصين الخطوط الامامية ، فتقدمت قوات من جيشهم الى الامام لتحمي القائمين بذلك التحصين . فوقعت بينهم وبين المغاربة اشتباكات خسر فيها الاسبانيون اربعة عشر شخصا ما بين قتيل وجريح .

ثم في يوم 22 منه (26 ربيع الثاني) قام المغربيون بأول هجوم على تحصينات الاسبانيين ، ولم تستطع المدافع صد ذلك الهجوم ، وتمكن الهاجمون من اقتحام تلك الحصون التي وقع داخلها قتال عنيف بالسلاح الابيض ، وقد خسر الاسبانيون في ذلك اليوم ستة واربعين شخصا .

ثم ذكرت ايضا انه في يوم 23 نوفمبر ظهرت اعراض مرض الكوليرا «الطاعون» في بعض فرق الجيش الاسباني الخ .

ثم في يوم 24 هجم المغربيون للمرة الثانية على الخطوط الاسبانية بالرغم من كثرة المطر ، وخسر الاسبانيون في هذا اليوم ثلاثين شخصا .

وقال سيدي مفضل افيلال عن الحالة في هذه الايام ما نصه :

« وفي 25 ربيع الثاني توجهت القبائل التي اجتمعت في تطوان الى مقابلة العدو بدار البيضة ، وهم : وادراس وبني يدر وبني حزمر ، ونزلوا في وسط أنجرة بمدشر يدعى البيوت بينه وبين دار البيضة نحو عشرة اميال، وانضم اليهم بعض الرماة من أنجرة . هذا والنصارى منذ خرجوا وهم يبنون الابراج ويحفرون الاشبار ويقطعون

الاشجار ، وجل المسلمين يذهبون من ذلك المحل لقتالهم فاذا قربوا منهم بعثوا طائفة من عسكرهم لقتالهم، ويبقى الغير على ما كان عليه من بناء ونحوه والموتى والجرحى منهم يحملون في الكراريص ، ومن المسلمين من كان معه اهله حملوه على ظهورهم الى البيوت والا ترك مطروحا في محله ، وفي آخر النهار ينهزم المسلمون ويفرون امام النصارى ويتركون القتلى والجرحى للعدو » .

اما يوم 28 ربيع الثاني (25 نوفمبر) فقال عنه افيلال انه « كان فيه قتال عظيم بين الفريقين بالبارود فقط لا بالسيوف مات وجرح فيه من الفريقين عدد كثير، وانهزم المسلمون في آخر النهار فأسر منهم ستة » .

وذكرت المصادر الاسبانية عنه « ان المغربيين قاموا فيه بالهجوم على الاسبانيين بقوة عظيمة اضطرتهم لاستعمال جميع قواتهم للاحتفاظ بمراكزهم وايقاف ذلك الهجوم الذي وصفوه بانه اعظم هجوم قام به المغربيون الى ذلك اليوم ، وقد جرح فيه الجنرال ايتشاكوي جرحا اضطره للتخلي عن القيادة فتولى مكانه الجنرال كاسيط، ثم ذكرت ان هذه المعركة كانت عظيمة وانهم خسروا فيها 399 شخصا ، ولكنهم تمكنوا من طرد المغربيين » .

وجاء في مخطوط تطوان عن هذا اليوم ما نصه :

« اجتمع نصيب من الرجال وساروا قاصدين شبارات النصراني بالليل فلم يصبح الصبح الا وهم بقرب من الشبارات فقاتلوه ذلك اليوم من الصبح الى الليل ، ومات من المسلمين وانجرح ما يزيد على سبعين وورد الخبر من جبل طارق بموت كثير من الصبنيول ، وقد اعترف على نفسه بانه مات منه في ذلك اليوم ما يزيد على خمسمائة.

الاسطول الفرنسي يهدم برج مرتيل بتطوان

قال افيلال في حوادث يوم 28 ربيع الثاني 1276 (25 نوفمبر 1859) ما نصه :

«وجاء في هذا اليوم بابور كبير لمرسة تطوان فرمى المسلمون عليه الكور بالمدفع من برج مرتيل والشبر ولم يرم عليهم لانه كان للفرنصيص وهو بالصلح مع المسلمين ، ثم ذهب واتى في الغد ومعه ثلاث فراكط كبار وجعلوا يرمون على البرج بالكورة والبنبة والكنبرا وهي على هيئة قالب السكر وداخلها مملوء بالبارود المسحوق والزئبق وفي رأسها طراشة فيها اسبرطو فاذا صادفت حائطا دخلت فيه وتفرقعت فتهدمه ، ورمى عليهم في ذلك اليوم اربعة آلاف وهدم برج مرتين ومات فيه رجلان وجرح ستة ، وكانت جدران المدينة تهتز من صوت مدافعهم وهم على ظهر البحر فكيف لو نزلوا من كثرة ذلك وموالاته كأنه الرعد ».

ويظهر انه كان لهذا الحادث اثر سيء في الاوساط المغربية فكتب السلطان الى حكام المراسي المغربية رسائل بالتنبه والتثبت حتى لا يقع لهم مثل ما وقع بثغر تطوان من ضربهم مركبا لجنس الفرنسيس ظانين انه من جنس الصبنيول فضربهم الخ وقد اثبت في الاصل نص رسالة اجاب بها السيد الطيب بن هيمة حاكم مدينة آسفي عن رسالة السلطان اليه في ذلك الموضوع وهي بتاريخ 27 جمدى الاخيرة عام 1276 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الفقيه العدل سيدي محمد الرايس التطواني الى رئيس المجاهدين من قبيلة وادراس الشريف الجليل سيدي التهامي بن محمد الوزاني وقد تضمنت فتوى في بيان الحكم الشرعي في الاشخاص الذين يقتلون في الجهاد الخ ، وهي بتاريخ 3 جمدى الاولى 1276 .

ثم اثبت نص رسالة من الوزير بو عشرين الى الزبدي بتاريخ 3 جمدى الاولى عن بعض الحوادث في ذلك العهد .

ثم تتبعت حوادث الايام التالية على المنهاج السابق، ثم اثبت نص رسالة اخرى من الوزير المذكور الى الزبدي بتاريخ 8 جمدى الاولى ، ثم رسالة سلطانية اليه ايضا بتاريخ 10 جمدي الاولى ايضا ، ثم نص رسالة اخرى اليه من الوزير المذكور في نفس التاريخ ، ثم رسالة سلطانية اخرى اليه ايضا بتاريخ 13 جمدى الاولى .

وفي هذا التاريخ (13 جمدى الاولى) كانت معركة قال عنها افيلال ما نصه :

« وفي 13 جمدي الاولى (9 دجنبر) التقى المسلمون مع النصارى قرب دار البيضة ، واشتدت الحرب بينهما وصبر المسلمون للقتال من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، وختم الله بالشهادة لسبعة واربعين وجرح اثنان وسبعون، واما النصارى فمات منهم عدد كثير لان هذه المعركة بل المقاتلة حضر فيها كثير من رماة اهل الجبل وكانوا يستترون بالاحجار والاشجار ، والنصارى يقدمون عليهم بالصفوف كالبنيان فكل من رماهم لا يخطىء ولم تقع معركة بينهما وانما كان القتال برمي الثقيل غير ان النصارى كانوا يرمون عليهم بالمدافع فكانت تجاوز المقاتلين وتصيب المتفرجين وغالب من اصيب كان متفرجا »

وذكر الاسبانيون عن هذا اليوم (9 دجنبر) « انه في فجره قام المغربيون بهجوم عظيم واستعداد كبير تمكنوا به من الاختلاط بالقوات الاسبانية داخل حصونها ولكنها تمكنت من ردهم ، وذكروا ان قتال هذا اليوم قد استغرق طول النهار ، وشاركت فيه فرق كثيرة وخنرالات متعددون ، وانهم خسروا فيه 372 شخصا ، وذكروا ايضا ان عدد المغربيين المقاتلين في هذا اليوم ، كان لا يقل عن عشرة آلاف شخص من المشاة مع مائتين من الخيل وقالوا انه لاشك ان المغربيين كانوا في

هذا اليوم تحت قيادة قائد عظيم لان المعارك كانت منظمة اكثر من جميع الايام السابقة».

ثم تتبعت حوادث الايام التالية ، ثم اثبت نص رسالة سلطانية الى الزبدي بتاريخ 19 جمدى الاولى ، ثم نص رسالة من الوزير بوعشرين الى مولاي العباس بتاريخ 20 منه ، ثم نص رسالة كتبها السلطان الى الشيخ سيدي محمد اخمليش المشهور بقبائل صنهاجة شرقي تطوان وهي بتاريخ 21 منه .

والرسائل المذكورة مع الرسائل الآتية كلها عامرة بتصوير الاحوال في ذلك العهد ، وفيها البيان الشافي لكيفية تسيير الشؤون الرسمية مع بيان الاجراءات المتخذة من مختلف الجهات والاوامر والنواهي المتعلقة بهذه الحرب وشؤونها الخ ، وفيها زيادة على ذلك مجال واسع ومعين فياض لمن يريد البحث في مختلف شؤون الحكومة والشعب المغربي في ذلك العهد ، وجاء في مخطوط تطوان هنا ما نصه :

« وكل هذه الايام وأهل تطوان يبذلون المجهود في اطعام الطعام وارسال المونة الى سبتة من خاص مالهم من غير ما كلف عليهم احد ذلك حتى وصل الخبر للسلطان وكتب اليهم يجازيهم خيرا » .

ثم ذكر افيلال ان الخليفة السلطاني مولاي العباس دخل تطوان يوم 23 جمدى الاولى ، وامر القوات التي كانت مرابطة بها ان تتوجه الى ناحية سبتة ، وفي غد ذلك التاريخ توجه بنفسه لناحية القتال في جهة سبتة ، ثم لحقه الشيخ القدوة سيدي عبد السلام بن ريسون في 25 منه ، ومعه جملة من اصحابه من فقهاء وشرفاء الخ .

وذكر افيلال انه وقعت معركة كبيرة كان النصر النهائي فيها للمسلمين ، وكان الفضل الاكبر في ذلك لاهل زرهون الخ . وقدر الاسبانيون عدد المقاتلين المغربيين في تلك المعركة بنحو ثمانية آلاف رجل الخ.

ثم اثبت نص رسالة كتبها النائب الخطيب الى الامين الزبدي بتاريخ 25 جمدى الاولى ، ومن جملة ما فيها ان رؤساء بعض المراكب البحرية الاجنبية عرض على قائد مرسى أسفي ، بيع السلاح للمغرب الخ .

ثم تتبعت حوادث الايام التالية على العادة .

ثم اثبت نص رسالة من الخطيب الى الزبدي بتاريخ 3 جمدي الاخيرة (28 دجنبر) في شأن شراء عشرين الفا من البنادق . ثم اثبت نص رسالة ارسلها سفير بريطانيا في المغرب المستر (جان هي درمنض هي) الى النائب الخطيب في شأن معاملة الاسارى وفيها تنبيه وارشاد وهي بتاريخ 30 دجنبر 1859 .

ثم اثبت بيانا وافيا عن انتهاء الاسبانيين من الاستعداد للقيام بهجوم عام على تطوان براً وبحرا لاحتلالها الخ .

ثم تكلمت باسهاب على معركة فاتح يناير 1860 (6 جمدي الاخيرة) وكان يوما من اعظم ايام هذه الحرب ، ونقلت ما جاء عن ذلك في مخطوط افيلال ومخطوط تطوان وكلام الاسبانيين ، وهذا اليوم كان فيه للجنرال بريم الاسباني ذكر شهير وعمل كبير ، ويقدر عدد المغربيين الذين حضروا معركته بعشرين الف مقاتل تحت قيادة مولاي العباس .

وذكر الاسبانيون ان خسائرهم في هذا اليوم بلغت 619 شخصا وقد علقت على حوادث هذا اليوم بما نصه :

وهكذا انتهى هذا اليوم التاريخي العظيم الذي برهن فيه المغربيون على كمال الشجاعة وغاية البطولة مما ينبغي لكل مغربي وعربي ان يعتز به ، ولو كان لديهم من حسن النظام وحزم القيادة ما لدى اعدائهم لتغير سير هذه الحرب بعد هذا اليوم ، ولانقلبت الاحوال رأسا على عقب ، ولكن الواقع كان خلاف ذلك والامر لله .

لقد كانت في المغرب بطولة ، وكان وما زال به ابطال ، ولكن لم تكن به في ذلك العهد ، لا حكومة عارفة . ولا قيادة حازمة ، ولا ادارة صالحة .

اما مولاي العباس فقد كافح كفاح الابطال، ولكنه كانت تنقصه ايضا قوة الارادة فكان ينقاد لما يشير به عليه اناس لا معرفة لهم بشؤون الحرب ، وقد اعوزهم حسن النظر وسداد الرأي .

لقد كان المغرب في القرن الماضي كنزا ثمينا عامرا بالخيرات، ولو فتح عينيه وجارى الامم المعاصرة له في نهضاتها وتقدمها لكان اليوم من ارقى دول العالم ، ولكن الجهل بشؤون الحياة الحديثة مع الانزواء والجمود ، قد استولى عليه فانحلت عراه حتى أصبح فريسة بين آيدي الانتفاعيين والمغتصبين .

لقد كان الواجب يقضي بأن ترسل البعثات تلو البعثات من المغرب الى مختلف البلاد الناهضة في اوربا وفي غيرها لدرس مختلف العلوم والفنون ، ما بين سياسية واقتصادية وحربية ليقود الامة في مختلف نواحي حياتها رجال عارفون باحوال العالم ، قادرون على تسيير شؤون بلادهم على حسب ما تقضي به النهضة العالمية الحديثة بدلا من ترك الامور تجري فوضى في فوضى ، ولكن هل كان نظام الحكم يسمح بذلك وهو الذي يجمع كل السلطات في يد وزير واحد قد يختار من بين الفقهاء الذين لم يعرفوا في حياتهم غير بلادهم ، ولم يدرسوا غير كتب الفقه والنحو وما الى ذلك!

ان ما وقع في هذه الحرب من الفوضى والهزائم بالرغم من كثرة المقاتلين ، لاكبر دليل على ما كان عليه المغرب من نقص في الرجال الاكفاء لمثل هذه الشؤون.

وان انسحاب القوات المغربية من مكانها ليلا بعد تلك المعركة العظيمة ، كان

فتحا لباب الهزائم والخذلان، والفضائح التي انتهت باحتلال تطوان ، وتشرد اشرافها واعيانها في مختلف البلاد والاوطان » .

ثم نقلت كلام السنيور فكيراس المؤرخ الاسباني عن يوم فاتح يناير وما وقع فيه ، ومما جاء فيه قوله :

« وفي تقدم اليوم الاول من شهر يناير قامت فرقة الخنرال بريم بمعركتها الشهيرة في الفنيدق وبقي صيت هذه المعركة زمنا طويلا كذكرى مجيدة جدا لتلك الحملة ، ولم يكن هذا الانتصار بالذي يستحق هذه الاشادة كلها ، وانما السبب الرئيسي فيها ان يخدع الشعب بالنتائج السياسية التافهة التي وقع الحصول عليها الخ».

وشعر النائب الخطيب باحتياج المقاتلين للبارود ، فكتب بذلك رسالة لمولاي العباس كما كتب الى الزبدي رسالة اثبت نصها في الاصل وهي بتاريخ 8 جمدى الاخيرة.

ثم شعر الخطيب باشتداد الخطر فصار يبعث للسلطان رسولا تلو رسول ويطلب المدد تلو المدد ، وطلب من الزبدي ان يؤيده فيما يطلبه عاجلا عاجلا ، كما طلب منه ان يطلب من الخليفة مولاي العباس ان يكتب للسلطان ويطلب منه ارسال المدد عاجلا عاجلا ... وان يكون ارسال ذلك بالليل وبالنهار ، وان يرسل العمال ءالاف الجمال الخ . ثم ذكر ان الوقت ليس وقت حساب الخ . وقد اثبت نص رسالة منه الى الزبدي في هذا المعنى وهي بتاريخ 12 جمدى الاخيرة .

ثم اثبت نص ما كتبه افيلال في كناشه عن زيارته لمحلة المجاهدين بين سبتة وتطوان ، وما وصف به حالتها وهي حالة لا تسر ولا تشرف والامر لله .

ثم تتبعت الحوادث اليومية ومنها يوم 7 يناير (12 جمدى الاخيرة) ، وقد قال عنه افيلال ما نصه :

« واما النصارى فإنهم نزلوا في الموضع الذي انتقل عنه المسلمون ولم يزل ذلك دأبهم كلما انتقلوا من موضع عمره العدو الى ان بلغ واد اسمير، فهاج البحر وعظمت امواجه وغرق مركب للعدو وهرب الجميع وبقي عسكره منقطعا بين واديين وذلك ليلة الاحد 13 جمدى الاخيرة 1276 (8 يناير) .

ومما جاء عن ذلك في مخطوط تطوان ما نصه :

« ثم انتقل الصبنيول الى نكرو حتى وصل لواد أسمير وانقطع هناك وقاتله اهل الحوز من البعد فما اظن انهم اصابوا منه احدا ، وبقى اياما مقطوعا بين واد أسمير وواد نكرو ، وتقاضت له المونة وحرثت له مراكب هناك ، فلو تقوت قلوب المسلمين لاخذوه في ساعة واحدة لكن ساعدته الايام وغلب سعده » .

ثم نقلت كلام المؤرخ فكيراس في وصف الحالة في تلك الايام ، ثم علقت على اخبار هذا اليوم بما نصه :

وهذا اليوم هو الاول من الايام الصعبة التي مرت على الجيش الاسباني في هذه الحرب ، وقد تحدث الناس كثيرا عن تلك الايام ، وذكروا ان ذلك الجيش بقي محصورا بين بحر ونهرين كبيرين ، وقد انقطع عنه المدد ، وان المغاربة لو شعروا واحسنوا التدبير لقضوا في تلك الايام على نخبة ذلك الجيش المعتدي قضاء تاما ولكن أين القيادة العارفة الحازمة ؟ وأين حسن التدبير » .

ثم تتبعت الحوادث اليومية واثبت نص رسالة بعثها الخطيب الى الزبدي بتاريخ 18 جمدى الاخيرة .

ثم قال افيلال ما نصه : « وفي يوم السبت 19 جمدى الثانية 1276 (14 يناير) وهو يوم الحجوز انتقل النصارى من ذلك المحل وتوجهوا لتطوان فلقيهم المسلمون في دقم العليق وحاصروهم فهجم عليهم النصارى فلم يثبتوا لقتالهم بل انهزموا وولوا الادبار وتبعهم النصارى بالقتل والطعن حتى نزلوا في موضع ترى منه المدينة قبالة جامع تأسيس وحازوا مرسة المديق ، وبرج رأس الطرف واوقدوا النيران في العزائب وكان يوم كثير المطر ، ومات في ذلك اليوم عدد كثير من اهل فاس والقبائل ، والجرحى اكثر من الموتى ، ولو طلع النصارى في ذلك اليوم للمدينة لدخلوها لعدم من يقف لهم بعد هذه الهزيمة » .

اخلاء برج مرتيل

ثم قال افيلال ما نصه : « وفي الغد (يعني يوم الاحد 20 جمدى الاخيرة موافق 15 يناير) بعث الخليفة لاهل تطوان يقول لهم : انظروا لي موضعا للنزول بحيث لا تلحقني فيه الكورة من العدو ، فسكتوا إلا رجلا قال ، ان جاء لمقابلة العدو فلينزل قبالته في برج القلالين ، وان شاء ان لاتلحقه الكورة فلينزل في واد بوصفيحة يجعل بينه وبين العدو المدينة ، فعند ذلك ضرب اخبيته في برج القلالين ، وانتشرت محلته في تلك البساتين حتى بلغت لباب المقابر وربطوا الخيول على قبور المسلمين ونجسوهم وهتكوا حرمتهم ، وخرج في ذلك اليوم اهل تطوان للجهاد من باب المقابر فلما نظروا الى النصارى دخلهم الرعب ورجعوا لتطوان فدخلوا من باب العقلة من غير قتال .

وفي هذا اليوم امر عامل البلد باخلاء برج مرتين وترحيل ما فيه من العدة والمونة فاخلي وطلع من كان مرابطا فيه من الطبجية والرماة وتركوا الشبار الذي حفره

ثمه وصرفوا عليه بزعمهم 13،000 [1] فلما رأى الكافر خلو برج مرتين من المسلمين انحدر اليه وملكه ونصب فيه رايته وزاد لدار الاعشار وذلك يوم الاثنين 21 جمدى الاخيرة وادخل للمرسى من المراكب نحو الاربعين ما بين الصغير المسمى باللنشون والفراكط والبابورات وملك جميع ذلك بلا قتال ، وبعث المدافع التي كانت في برج مرتين الى ارضه .

واما المسلمون فانقطع عنهم المدد من كثرة الامطار وغلت الاسعار وفقد الطعام فبلغت في محلتهم خبزة تطوان التي لا يشبع الرجل منها اثنان 1¾ ، وبلغ الشعير نيفا واربعين اوقية ، ووقع الناس في حيرة عظيمة » .

«قلت» هل رأيت افظع من هذا العمل الذي امر به حاكم تطوان ورهطه وحاشيته؟

ان برج مرتيل هو الحصن الوحيد الذي كان يحمي مدينة تطوان وشواطئها البحرية بمدافعه الثقيلة ، وقد اصدر ذلك الحاكم امره بالانسحاب من ذلك البرج نهائيا وتركه فارغا خاليا بدون قتال ولا ضغط ، فانسحبت منه القوة المحاربة وتركت به المدافع وقنابلها فوثب عليه العدو المحارب واخذه غنيمة باردة واحتله دون ان يرى حركة ضده او يسمع كلمة تشوش عليه، ثم انزل قواته ومعداته في الشاطئ القريب منه ، وملأ بجيوشه السهل المتصل به ثم واصل حملته حتى احتل مدينة تطوان نفسها وهي لا تبعد عنه الا بنحو عشر كيلو مترات ، فهل بعد هذا من خذلان ؟ » .

وجاء في مخطوط تطوان ما يؤيد بعض ما مر عن افيلال مع زيادة تفصيل وتصوير للحالة ونصه :

« ثم ان الزبدي ورد للبلاد ليلا وبعث على بعض اهل تطوان ، وقال لهم انظروا اين تنزل محلة الخليفة فأشاروا عليه ان ينزل ببرج القلالين ، فقال لهم : ذلك الموضع لا يناسب الخليفة . فقالوا له والحال انه اذا لم ينزل هناك فأي فائدة فيه او في محلته ثم قالوا له نحن نفرغ ديارنا من العيال ونخرجهم الى القبائل والمحلة تنزل معنا بديارنا فقال لهم : هذا لا يمكن ايضا . ثم قالوا له تهكما، المحلة تنزل بواد بو صفيحة وتطوان تبقى بين المحلتين وتركوه وتوجهوا الى الخليفة وصحبوه حتى نزل ببرج القلالين وحملت له المدافع لهناك وعملت الشبارات ونصب اهل تطوان خيامهم في فم الجزيرة وبينها وبين العدو مقدار ثلاث عشرة دقيقة في الوطا وهم اناس دون الالف ، ثم صارت القبائل تترادف عليهم بالخيام حتى صارت محلة كبيرة تقرب من محلة مولاي العباس في العدد .

---

1) لم يبين سيدي مفضل المعدود هنا ، ولعله من الاوقيات والله اعلم .

ثم انه لما وصل الصبنيول لفم العليق ، طلب مولاي العباس من اهل تطوان ان يكونوا معه فافرغوا عسة الساحل ولم يبق بها الا نحو خمسين رجلا فخاف هؤلاء على انفسهم واتوا الى البلاد . فلما رأى الصبنيول ذلك وصعب عليه الهجوم على المحلة من فم العليق اتت مراكبه بعسكره ونزلوا بالساحل[1] وتوجهوا الى البرج الذي بالساحل فلم يجدوا فيه احدا من اهل تطوان ، فنزلوا فيه وحطوا خيامهم . ومن الغد انضافت لهم المحلة التي كانت في فم العليق وتوجهوا لدار مرتين واخذوها وصاروا يصنعون الشبارات ويأخذون الاحتياطات ولما كان بدقم العليق بعد ما استقر فيه توجهت جماعة من المسلمين لمحاربته فوجه اليهم بعض محلته فرجع المسلمون بعد ما اطلق عليهم مدفعا واحدا وظهر فشل عظيم في المسلمين .

واما رئيس البرج فإنه ادخل السجن حيث ترك البرج وحده ولم يسمع له كلام مع انه لا لوم عليه لان البرج يحتاج الى الرجال ، والرجال الذين كانوا هناك توجهوا لمقابلة العدو ، ومع هذا لم تبق بالبرج مونة ولا غيرها الا اشياء لا عبرة بها، وتأسفت الناس غاية على اخذ البرج ودخلهم الجزع وبقي بعض الناس يؤمل النصر والفرج ، وبعضهم متكل على الدعاء، وبعضهم عنده اخبار بنصر المسلمين من كلام الاولياء في جامع تسيات ، وبعضهم ثبت في ذهنه ان البلاد ستوخذ فصار يتهيأ للخروج واخراج متاعه ، وبعضهم كان يظن انه سيقع صلح ، وعقول الناس متفاوتة ».

ثم اثبت نص رسالة كتبها الخطيب الى الزبدي بتاريخ 21 جمدى الاخيرة . ثم قال افيلال :

« وفي يوم الخميس 24 جمدى الاخيرة (19 يناير) بلغني ان الخليفة العباس امر بسجن من اخرج اهله من تطوان حتى يرد اهله ، وممن سجن الحاج عبد السلام كريش كان اخرج اهله لمدشر بني صالح ، فرد اهله وخرج من السجن. فلما رأيت جميع من يتصرف في تطوان طبع الله على قلوبهم واعمى ابصارهم فلا يزيدون الا خذلانا تمثلت بقول القائل .

اذا انكرتني بلدة او نكرتها ❁ خرجت مع البازي علي سواد

فخرجت من بينهم وذهبت لبني صالح جبل مشرف على المرسة والمدينة ، ثم منه لبوسملان ثم منه بني حسان ثم لشفشاون » .

ثم قال ايضا : « وفي يوم الاحد 27 من الشهر والعام اعلاه (22 يناير) عزل القاضي عزيمان حيث افتى للناس باخراج اولادهم من المدينة وتولى القضاء غيلان » .

---

1) يعني ساحل مرتيل امام تطوان .

ثم ذكرت قصة خروج الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون باهله من تطوان وفصلت ما قام به من انه كان قد جمع علماء المدينة وعرض عليهم الحالة في ميدان الحرب وفي تطوان وما يهددها من خطر الاحتلال الخ. واستفتاهم في حكم الشرع فافتوا بوجوب الهجرة وابعاد الاهل والولد والمال عن موطن الخطر الخ ، وانه بناءً على تلك الفتوى بعث من يبلغ ذلك لارباب السلطة ليسمحوا للناس باخراج اهلهم واموالهم من تطوان بعد ان كانوا ممنوعين من ذلك الخ . ولكن اولي الامر لم يسمعوا كلام احد واصروا على ما فعلوا والامر لله .

ثم تكلمت على برج النجمة، وهو برج انشأه الاسبانيون بين تطوان وشاطئ البحر ونقلت ما جاء عن هذا البرج في مخطوط تطوان الخ .

ثم ذكر افيلال انه في 5 رجب (29 يناير) قدمت من فاس محلة عظيمة من الخيل والرماة وكبيرها مولاي احمد ابن امير المومنين مولانا عبد الرحمن ثم قال ما نصه:

« وفي يوم الثلاثاء 7 رجب (31 يناير) جاءت عساكر النصارى للمسلمين والتقى الجمعان في واد الشجرة خارج البساتين ، فأظهر الكفار الهزيمة ورجعوا وتبعهم المسلمون يرمونهم فلم يشعروا حتى طلع عليهم عسكر كثير من جهة مدشر المسلليين ، ووصلوا المدشر وحرقوا مسجده وادارين فرجع المسلمون لمقابلته وقاتلوه حتى فرق بينهم ظلام الليل ، ثم رجعوا وتركوا الموتى والجرحى للنصارى ولو طلع العدو للمدينة في هذه الليلة لدخلها لعدم من يصده عنها ، لكن خذله الله فرجع لمرتين .

ولما اشتد الحرب وحمى الوطيس انقضى البارود للمجاهدين ، فجاءوا يطلبونه من مولاي احمد فلم يلتفت اليهم، واقبل على الرزيني يقول له هل عندك جارية طباخة وجهها زين . . . فما اقصرها من عقول » .

وذكر الاسبانيون عن هذا اليوم (31 يناير) ان القوات المغربية التي وصلت حديثا مع مولاي احمد كانت في اشتياق للدخول في المعركة . وفي الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم اخذ عدد كبير من المشاة والركبان يتجمعون امام مخيماتهم المغربية ولما تم جمعهم صاروا يتقدمون نحو السهل محاولين تطويق القوة الاسبانية التي كانت متحصنة في مراكزها هناك ، ولما شعرت القيادة الاسبانية بذلك ، قامت بترتيبات وتنظيمات حربية ، ووزعت فرقها على جهات مختلفة ، وقامت فيها بمناورات اضطرت القوات المغربية للانسحاب من جهة السهل لمقابلة تلك المناورات ، وأخذت المدافع الاسبانية تطلق قذائفها على الجيش المغربي فوقع في صفوفه اضطراب وفشل . وإذ ذاك صدر الامر للجيش الاسباني بالتقدم لصد التقدم المغربي، ووقعت مصادمات عديدة واطلق المغربيون على صفوف الاسبانيين عدة طلقات مدفعية من برج القلالين .

ثم ذكر الاسبانيون انهم استطاعوا ان يقضوا على هذه الحركة وتمكنوا من الاحتفاظ بالاماكن التي كانوا محتلين لها .

وقد ذكروا ان الجيش المغربي الذي شارك في هذه الحركات يقدر عدده بنحو ستة عشر الفا من المشاة ونحو اربعة آلاف من الركبان، وكانوا تحت قيادة مولاي العباس واخيه مولاي احمد، وذكر الاسبانيون انهم خسروا 459 شخصا ما بين قتيل وجريح.

وجاء في مخطوط تطوان ما يلي :

« وفي هذه المدة التي كان بمرتيل تقاتل (يعني جند الاسبان) مع المسلمين ثلاث مرات ، ولم يمت من المسلمين الا قليل ، ووصل الى وادي الشجرة بل الى اجنة وادي الشجرة حتى وصل المليليين وحرق دارا من قصب والخيل والرجال متأخرون عن القتال ، ولم يقاتله إلا عدد يسير من الناس، وكل ذلك بمرأى من مولاي العباس، ومع ذلك لم يطلب الصلح» .

الاسبانيون يعرضون الصلح على المغرب

قال افيلال في كناشه ما نصه :

« وفي يوم الجمعة 10 منه (يعني من رجب - 3 فبراير) بعث النصارى كبيراً لهم يكلم الخليفة سيدي العباس في الصلح ، وقال له ان اعطيتني الارض التي كان النزاع بيننا عليها وما انفقته على هذه الحركة رجعت ، والا غداً آخذ محلتك وبعد غد اهدم المدينة واليوم الثالث ادخلها ، فعمد الى ذلك الرسول ووجهه اسيرا للسلطان بفاس ولم يتركه ليرد الجواب وحمل كلامه على الاستهزاء . »

وفي اثناء هذه المدة كان السلطان يأمر الاشراف ورجال الزوايا ورؤساء القبائل بجمع رجالهم والذهاب الى تطوان للجهاد في سبيل الله . وقد اثبتنا في الاصل نموذجا من الرسائل المتعلقة بهذا الموضوع وهي رسالة من السلطان الى الشريف الشيخ سيدي محمد اخليش وهو من الشيوخ الرؤساء بقبائل صنهاجة وهي بتاريخ 13 رجب 1276 . ثم اثبت رسالة اخرى كتبها الحاجب السلطاني موسى بن احمد الى الخليفة مولاي العباس بتاريخ 14 رجب 1276 ، وفيها ارشاد وتنبيه وتحذير الخ .

معركة تطوان

ثم اسهبت في الكلام على معركة تطوان التي كانت يوم السبت 11 رجب 1276 4 فبراير 1860 ، وقد نقلت في الموضوع كلام الناصري وافيلال ، وفيه تفصيل دقيق ، ثم كلام المصادر الاسبانية وفيه تفصيل ما وقع من ناحيتهم ، ومما جاء فيه

ان القوات الاسبانية تمكنت في هذه المعركة من القضاء على معسكري اخوي السلطان وهما مولاي العباس ومولاي احمد وقد تم لها الاستيلاء على محلتيهما وعلى جميع ما تحتويان عليه ، وذكروا ان جيش هاتين المحلتين اعظم جيش مغربي اجتمع في صعيد واحد بهذه النواحي، (ولكن ماذا تفيد الكثرة مع فقدان النظام).

وقد بلغت خسائر الجيش الاسباني في هذه المعركة ثمانمائة وستة وثلاثين شخصا ما بين قتيل وجريح ، وكانت خسائر المغربيين ايضا عظيمة ، وقد تركوا في الميدان ثمانية مدافع هي كل ما كان لديهم في المحلتين مع اسلحة كثيرة مختلفة وثمانمائة خباء (خزانة) وعددا من الجمال وغير ذلك كثير .

وذكر صاحب مخطوط تطوان انه مات في هذه المعركة كثير من الناس وخصوصا من اهل تطوان ، فإنه قد مات جل شجعانهم من الشيوخ والكهول والشبان . .

ثم عقدت فصلا عنوانه « الليلة المشئومة في تطوان » وهي ليلة يوم الاحد 12 رجب 5 فبراير ، ومما جاء في هذا الفصل نقلا عن افيلال ما نصه :

«ثم ان الخليفة العباس امر باخراج ما كان عنده من المال في المدينة ، وذلك بعد العشاء ، فلما عاين ذلك اهل البلد اخرجوا اولادهم في تلك الليلة ، وكسروا ابواب المدينة ، وعمد سفهاؤهم لنهب امتعة اليهود ، فبلغ الخبر لمحلة الخليفة الخارجة عن البلد ، فدخلوا البلد وصاروا يسلبون المسلمين الفارين بدينهم ، ووقع في هذه الليلة من الفساد ما لم يمر على احد فيما تقدم من الزمان ، كم من حامل وضعت وكم من دماء اهرقت ، وكم من اثاث سرقت ، وخرج الناس في تلك الليلة بأعز الاشياء ، وهو المال والاولاد وتركوا ديارهم على ما كانت عليه من الذخائر والتحف وتفرقوا في المداشر وسلم الله اعراضهم من الهتك » .

ثم عقدت فصلا آخر عنوانه « يوم فتنة وفوضى في تطوان » وهذا اليوم هو يوم الاحد 12 رجب 5 فبراير ، وقد قال فيه سيدي مفضل ما نصه :

« ثم رجعوا « يعني اهل تطوان » في الغد لاخراج امتعتهم فمنهم من وجد داره منهوبة ، ومنهم من حمل ما قدر عليه فلما خرج باب المدينة اخذه اللصوص ، وبلغ كراء الدواب مسيرة يوم ، خمسين مثقالا ، وبقي النهب والقتل في تطوان من ليلة الاحد الى ضحوة يوم الاثنين 13 رجب ، واكثر من نهب الديار ، المتنصرة من اهل تطوان الذين جلسوا مع النصارى ، واما جيش العباس فغالب نهبهم الملاح وحوانيت المسلمين ومن وجدوه خارجا بمتاعه ، وقتل اهل تطوان منهم عددا كثيرا عجل الله بهم الى النار . لقي فارسان امرأة هاربة ، فجرداها من ثيابها بمحضر رجلين ، فقتل كل منهما فارسا وردا لها ثيابها واركباها على احد الفرسين ، ولقى فارس رجلا حاملا

حوائجه على ظهره فقال له حط حط أوا، فقتله الرجل وركب فرس المقتول وسار. وهذه الفعلة صدرت من كثير من الناس الى غير ذلك مما لا تسعه هذه الورقة » .

وقال الاسبانيون عن هذا اليوم (5 فبراير) ان النصر العظيم الذي احرزوا عليه بالامس فتح امامهم طريق مدينة تطوان ، ولضمانة سرعة الاستيلاء على المدينة المذكورة بدون التعرض للخطر ، تقدمت بعض الفرق الاسبانية الى المرتفعات المشرفة على المدينة ، وكان الجيش المغربي قد ابتعد عنها .

وفي الساعة الثانية عشرة تقدم وفد مغربي الى الرئيس الاعلى للجيش ، فقال الرئيس لرجال ذلك الوفد يلزم تسليم المدينة غدا في الساعة العاشرة صباحا ، وتعهد لهم بالمحافظة على الارواح والاملاك واحترام الشعائر الدينية .

وفي هذا اليوم قام المهندسون الاسبانيون ببناء حصن مربع لحماية المواصلات . ثم عقدت فصلا عنوانه :

احتلال الاسبان لمدينة تطوان

وقد بينت فيه ان دخول الجيش الاسباني لمدينة تطوان كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب عام ست وسبعين ومائتين والف موافق سادس فبراير سنة ستين وثمانمائة والف .

وقد قال الاسبانيون عن هذا اليوم (6 فبراير) واحتلالهم لتطوان ما مضمنه انه في الساعة الثامنة صباحا عاد الوفد التطواني واعلم بأن الجيش الاسباني يمكنه ان يدخل المدينة ، وكان الجيش المغربي قد غادرها نهائيا كما غادرها عدد كثير من العائلات المسلمة ، اما الاسرائليون فقد بقوا كلهم في حارتهم منها ، وقد دخل اهل البادية المدينة ونهبوها نهبا .

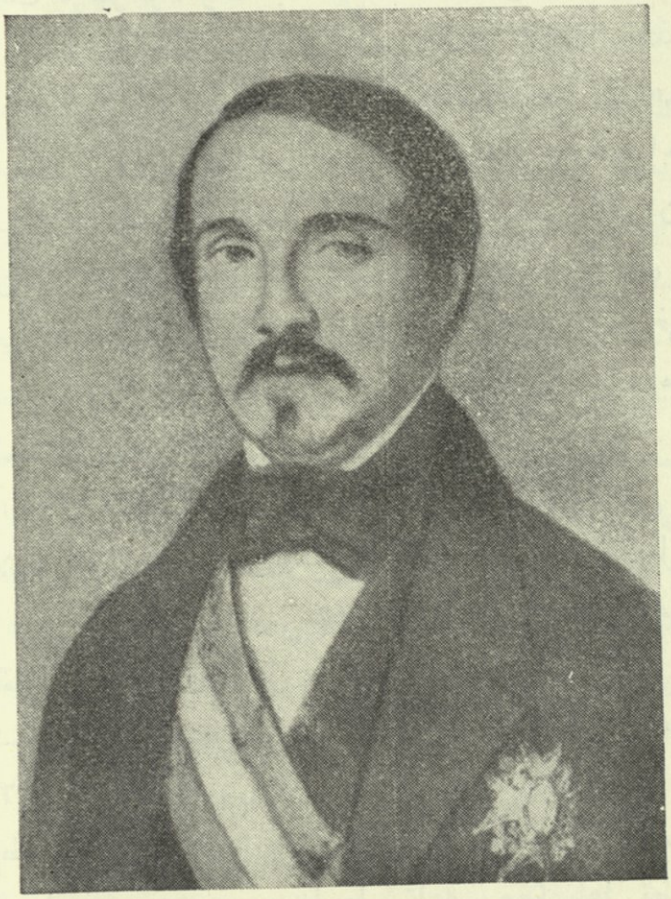

الجنرال ليوبولدو اودونيل رئيس الجيوش الاسبانية التي احتلت مدينة تطوان في حرب سنة 1860

وفي الحين نفسه حمل الجيش الاسباني سلاحه ، وتقدمت احدى فرقه نحو المدينة، فدخلتها بدون عائق، كما تقدمت فرقة اخرى لجهة القصبة الواقعة في القسم الاعلى من المدينة فاحتلتها ، ونصبت الراية الاسبانية فوقها ، ثم وضعت بعض المدافع في برجها. وفي الساعة العاشرة والنصف اطلقت تلك المدافع بعض قذائفها على جماعة مغربية كانت قاصدة المدينة .

وفي نفس الوقت قامت تلك المدافع بتحية العلم الاسباني الذي خفق لاول مرة فوق قصبة تطوان .

ثم ذكر الاسبانيون انهم لما دخلوا المدينة وجدوا مظهرها البائس يدعو للاسف والالم ، وكانت الاوساخ متراكمة فيها وآثار النهب والتخريب ظاهرة فى كل مكان ، كما ذكروا انهم وفوا بما عاهدوا اهل تطوان عليه من المحافظة على ارواحهم واملاكهم واحترام المعابد التي قام الجيش بحراستها حتى لا يدخلها أحد ؟ . ثم ذكروا انهم بعد احتلال الاماكن المهمة في المدينة ونواحيها اتخذوا الاحتياطات اللازمة والاجراءات المناسبة للادارة الداخلية ومن بينها تعيين حاكم للمدينة ، وكان ذلك الحاكم هو الكرونيل أرطاسا .

صورة الجنرال خوان بريم اشهر القواد الاسبانيين في الحرب بين الدولتين المغربية والاسبانية سنة 1276 ـ 1860

ثم تفرق رؤساء العسكر على الديار ، ووقع الشروع في احصاء الذخائر الحربية فوجد من بينها مائة وستة واربعون مدفعا وعدد عظيم من الكور والبارود الخ

ثم صدر الامر بان ينزل احد اقسام الجيش الاسباني خارج تطوان ، وقسم آخر في بساتين المدينة ، وقسم ثالث يبقى في الديوانة وبرج مرتيل وناحيته .

وقال سيدي مفضل عقب ما مر لنا عنه ما نصه :

« فلما كانت ضحوة يوم الاثنين المذكور ، خرج المتنصرة من أهل تطوان بعد ما ملأوا ديارهم بأمتعة الناس الى النصارى يطلبون منهم الدخول للبلد فوضعوا السلاح للنصارى ودخلوها يقودونهم ، وتفرق الكفار فدخلوا من كل باب بسرور وطرب ، والمسلمون في غاية الذل والمهانة . ثم شرع في كنس المدينة من الزبل ، وجعل يحمله على ظهر المسلمين الى خارج المدينة ، وحمل ما كان في المدينة من المدافع والكور والبارود وجميع آلة الحرب ، كل ذلك بعثه لارضه ونصب خارج المدينة قرب المصلى مدافعه التي كان يقاتل بها ، وهرب العباس ومن معه الى ودراس » .

ثم بعد ان سطر سيدي مفضل اسماء اربعة عشر شخصا ذكر انهم بقوا مع النصارى ودخلوا تحت طاعتهم باختيارهم ، وهم ممن كانوا يظن بهم الخير قال : « وهؤلاء الذين كانوا يحضون الناس على الاقامة في البلد ، بالامتعة والاهل والولد ، ولما فر المسلمون بدينهم صاروا يأخذون أمتعتهم من دورهم واستحلوا ذلك وأباحوه واقتدى بهم العامة فآل بهم الامر ان صار النصارى يستخدمونهم ويكرهونهم على حمل الزبل على عاتقهم وكنس الطرق وحل بهم غاية الذل والمهانة من ضرب وبصق في وجوههم والدخول على حريمهم فرضوا بذلك واقاموا على هذا الضيم العظيم وباعوا آخرتهم بدنياهم ، نسئل الله تعالى ان يديم علينا ستره العميم بجاه رسوله الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

وهذا الكلام من سيدي مفضل « وهو من اول المهاجرين » يبين لنا كيف كان نظر اولئك المهاجرين في المتخلفين بالمدينة ، وكيف كانوا يعتبرونهم متنصرة ، اذلاء مهانين الخ . وسيأتي لنا من كلام بعض اولئك المتخلفين ما يدل على ان عددا منهم انما تخلف لعجزه عن الهجرة عجزا كليا ، وان منهم من كان قويا في ايمانه ذا غيرة على دينه ، وتحمس لقومه » .

ثم نقلت كلام س . فكراس الاسباني عن احتلال تطوان ، وقد تعرض فيه لما ذكر انه يقال زورا وبهتانا من ان هذه الحرب هي حرب دينية صليبية ، وانها تنفيذ لارادة إيسابيل الكاثوليكية الخ. ثم ذكر ان الجنرال اودونيل القائد الاعلى للجيش الاسباني اتخذ زاوية سيدي عبد الله الحاج (الواقعة بوسط الفدان الذي سموه ساحة اسبانيا) كنيسة كاثوليكية اطلق عليها اسم «معبد سيدتنا ذات النصر» فتم بذلك فى كل دقة تقليد ما قام به الكاردينال ثيسنيروس في وهران حينما احتلها سنة 1509 الخ » .

ثم انه بعد احتلال الاسبانيين لتطوان بثلاثة ايام كان السلطان لا زال يكتب الرسائل الى الزبدي مستبشرا بان الدائرة كانت على عدو الدين ، وان المسلمين قتلوا منه وغنموا ، وفلوا جيوشه الخ ، وقد اثبت نص رسالة سلطانية الى الزبدي في هذا الموضوع وهي بتاريخ 15 رجب .

وفي نفس التاريخ كتب الوزير بو عشرين الى الزبدي ايضا رسالة يظهر فيها الفرح بهزيمة العدو الكافر الخ ، ثم يتعرض لصرف الريال ، ويبتهج بأن بيت المال سوف يربح في ذلك الصرف عددا من الموزونات الخ ، وقد اثبت نص رسالته في الموضوع ايضا .

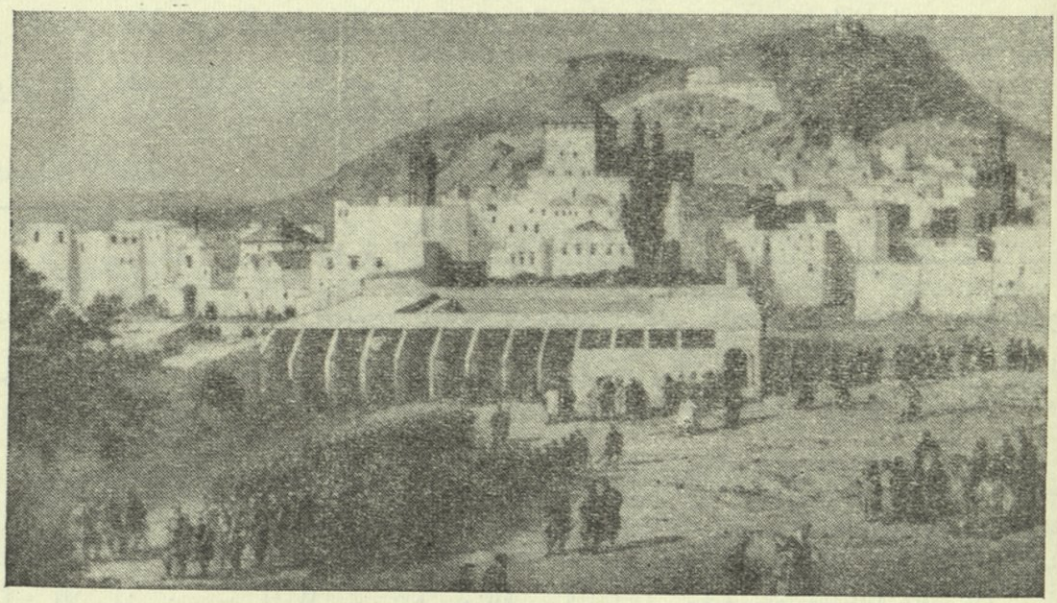

(جيش الاحتلال الاسباني بتطوان)

اخذت هذه الصورة لتطوان اثناء احتلال الجيوش الاسبانية لها سنة 1860م 1276هـ،

ويظهر في اعلى الصورة جبل درسة وفيه القصبة المشرفة على المدينة ، كما تظهر قبة دار المخزن التي بالمشور وصومعة جامع الباشا وقبة زاوية سيدي عبد الله الحاج وباب مسجدها وصومعته وسقفه . كما تظهر الى اليمين صومعة جامع لوقش ولا يزال جل ذلك على حاله الى الان .

وتظهر ايضا في مقدمة الصورة بناية الكرنة اي مجزر المدينة ، وامامه لفيف من جيش الاحتلال في الموضع الذي به الاقامه العامة الان .

وكان الناس في الثلث الاول من هذا القرن يسمون ذلك المكان بالكرنة ، بالرغم من تحويل المجزر منه الى مكان آخر وبناء القنصلية الاسبانية فيه وإقامة كنيسة كاثوليكية ومقر للرهبان الاسبان الى جانب ذلك عقب حرب الستين .

ثم جاء الفصل الرابع وعنوانه :

بين احتلال تطوان وعقد الصلح

اي ما بين يوم الاثنين 13 رجب 1276 - 6 فبراير 1860 ، ويوم الاحد ثاني رمضان 25 مارس من نفس العام .

بعد احتلال تطوان تحول الجيش المغربي الى الجهة الواقعة غربي هذه المدينة بينها وبين مدينة طنجة .

ووطد الاسبانيون مراكزهم ، ونظموا شؤونهم داخل تطوان وخارجها . وقد اثبت في الاصل نقلا عن المصادر الاسبانية اهم الاعمال التي قام بها الاسبانيون داخل تطوان في هذه الفترة يوما فيوما .

محاولة الصلح

في يوم 18 رجب - 11 فبراير ، بعث الخليفة المولى العباس الى القيادة الاسبانية وفدا مغربيا لمعرفة شروط الصلح، فأجابه الرئيس الاعلى للجيش الاسباني بان شروط الصلح لا يمكن ان تحددها الا حكومة جلالة الملكة بمدريد ، فلذلك لا يمكن الجواب الا في اليوم السابع عشر من الشهر .

وقد اثبت في الاصل نص رسالة كتبها الخطيب الى المولى العباس بتاريخ هذا اليوم (18 رجب) وقد اشار عليه فيها بتحصين نواحي طنجة من ناحية البحر حتى لا يتمكن الاسبانيون من انزال جيوشهم هناك ، كما اشار عليه بإفساد الطريق الذي بين تطوان وطنجة ، وجعل الحفر فيه لعرقلة تقدم الجيش المهاجم الخ .

وفي 12 فبراير - 19 رجب ، قام الرئيس الاعلى للجيش الاسباني الخنرال ليوبولدو اودونيل ،بالصلاة في الكنيسة الكاثولكية الجديدة بتطوان (وهي التي كانت زاوية لسيدي عبد الله الحاج في ساحة الفدان) ، التي سماها الاسبانيون « بلاسا دي اسبانيا » . . .

وقد ذكرنا في اخبار يوم 21 رجب 14 فبراير كتابة مولاي العباس الى اخيه السلطان رسالة اثبتنا نصها الكامل في الاصل ومما جاء فيها قوله غفر الله له :

« وهذا ما نزيد سيدنا اننا ما كنا قصرنا لولا خيانة اهل تطوان ، وبيعهم البلاد بلا سبب ولا تعب ، . . . »

ولعل المولى العباس يعني بهذه الخيانة ، قيام اهل تطوان بتكسير ابواب المدينة وخروجهم في ظلام الليل باهلهم وعيالهم فرارا بدينهم الى بلاد المسلمين بدلا من ترك

نسائهم وبناتهم عرضة لفتك الجيش المحتل باعراضهن ، تاركين بالمدينة كل ما كانوا يملكون من ديار واثاث ، وسلع واموال .

ومن المعلوم ان اهل تطوان لم يقوموا بذلك الا بعد ان رأوا المولى العباس نفسه يخرج جميع ما كان بتطوان من اموال الحكومة بعد ان صار الجيش المهاجم على بعد بضع كيلو مترات من اسوار المدينة ، وبعد ان رأوه هو نفسه يدخل مدينة تطوان من بابها الشرقي المقابل للعدو ، ويمر بشوارعها واضعا منديله على عينيه يبكي كالمرأة ، ثم يخرج من بابها الغربي الموصل الى طنجة وفاس .

عفا الله عن المولى العباس ، وما كان اجدره بعدم استعمال وصف الخيانة ، لان في موضوعها مجالا واسعا للقول . . .

ومن اخبار يوم 23 رجب 16 فبراير ، شروع الاسبانيين في تحصين مدينة تطوان وتوسيع شوارعها لتصير صالحة للمواصلات الحربية الخ .

وفيه كتب المولى العباس الى اخيه السلطان رسالة اثبتنا نصها الكامل في الاصل ، وفيها الاخبار بوصول مائة قنطار من البارود من امناء العدوتين الخ .

وفي 17 فبراير ـ 24 رجب عاد الوفد المغربي الى مركز القيادة الاسبانية وتسلم منها شروط الصلح ، وقد منحه رئيس الجيش المحتل مهلة ثمانية ايام لرد الجواب .

ويقول الاسبانيون انهم اكتشفوا في هذا اليوم مخابئ بتطوان ، وقد وجدوا فيها خمسة آلاف قنبلة ، وعددا عظيما من الكبريت والبارود الانجليزيين من الصنف الجيد ؟ ! .

ثم اثبت نص ما كتب لي به صديقنا الوجيه السيد احمد الزبدي نقلا من خط والده الحاج محمد الزبدي في شأن هذه الذخائر المكنوزة في المخابئ والتي يظهر انها كانت مجهولة لدى ارباب السلطة والرئيس الاعلى للجيش، وقد ذكروا ان تلك الذخائر كانت بخزين القصبة وخزين سوق الحوت من تطوان ، وان كمية ذلك البارود كانت اثنتي عشرة مائة من القناطير . . .

وقد اثبتنا نص رسالة كتبها المولى العباس الى اخيه السلطان بتاريخ 28 رجب ، ثم نقلنا ما كتبه الناصري في الاستقصا عن هذه المدة .

المخابرة الاولى في الصلح وفشلها

علمنا مما سبق ان رئيس جيش الاحتلال بعد ان تخابر مع حكومة مدريد قدم شروط الصلح الى الوفد الذي ارسله اليه الخليفة المولى العباس يوم 17 فبراير ـ 24

رجب ، وقد اثبت في الاصل نص الشروط المذكورة مع نص الرسالة[1] التي كتبها وامضاها الرئيس المذكور وهو الجنرال اودونيل . اما الرسالة فملخصها اعلامه بانه دفع شروط الصلح للوفد المبعوث منه ، وانه يمنحه اجلا ينتهي يوم الخميس الموالي لذلك التاريخ ، وانه اذا انصرم ذلك الاجل فإن القوات البرية والبحرية تستانف هجومها ، واخبره بانه اذا لم يقبل هذه الشروط فإن شروط المستقبل تكون أشد من هذه الخ .

واما الشروط فملخصها تسليم المغرب لاسبانيا اراضي قرب سبتة ، واراضي في جنوب المغرب . . .

واداء المغرب لغرامة مالية .

ومنح اسبانيا امتيازات تجارية .

والسماح لممثلها بالسكنى بعاصمة فاس في دار تبنيها اسبانيا بها .

وتنفيذ العقد المتعلق بمليلية وبادس بين المغرب واسبانيا. الخ.

وتاريخ لائحة هذه الشروط 16 فبراير (1860) والاجل المحدد لقبولها ينتهي في 23 منه .

ثم اثبت في الاصل نص الرسالة التي ارسلها المولى العباس الى اخيه السلطان صحبة الشروط المذكورة ، وقد حكى له فيها كيف كتب للرئيس الاسباني بناء على طلب الخطيب ونائب النجليز ، وبين له فيها ما وقع من دفع الشروط وتحديد اجل لقبولها الخ . ثم قال ما نصه (نقلا من خطه) : « ويعلم سيدنا ان ما شرطه لا يقبل ولو بقي من الانسان نفسه، وسيدنا يعلم من هذا ان عدو الله لا زال جادا في العيب وعليه فلابد من توفر المحال[2] والاموال والعدد والعدد ، فإذا رأى المقابلة بالجد اذعن الى ما هو الصواب الخ » . وهذه الرسالة مؤرخة بـ 26 رجب 1276 .

وقد ارسل المولى العباس صحبتها رسالة كتبها اليه النائب الخطيب بتاريخ 27 رجب المذكور ، وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل ايضا نقلا من خط الخطيب المذكور ، ومما جاء فيها ان ممثل انجلترا بالمغرب تدخل في القضية ، وبعث الشروط المقدمة من رئيس الجيش في مركب خاص الى انجلترا الخ .

ومما جاء في هذه الرسالة ايضا إشارة الخطيب على ولاة الامر بان يأمروا بارتحال سكان جميع القرى المجاورة لتطوان حتى لا يبقى هناك من يتصل بالمحتلين لها او يمدهم بشيء من المساعدات الخ ، وان تتكون عصابات يناوش رجالها جيش الاحتلال

---

1) هذه الرسالة مع لائحة الشروط ، محفوظتان في الخزانة الكتانية بفاس .

2) المحال بفتح الميم جمع محلة ، اي جماعات من الجيش .

ليلا ونهارا ، وان تفسد السكة الحديدية التي يمدونها بين تطوان وشاطئ البحر الخ، وان تفسد الطريق التي بين تطوان وطنجة بجعل الحفر الكثيرة بها . وان تجعل في قنطرة بوصفيحة مينات تهدمها هدما ، ويطلب ان يكون ذلك كله عاجلا . . . الخ.

اجتماع الرئيسين وفشل المفاوضات

وفي يوم الخميس 30 رجب - 23 فبراير اجتمع الرئيسان المولى العباس والخنرال اودونيل ومعهما النائب الخطيب داخل خباء ضرب قرب واد بوصفيحة على بعد نحو عشر كيلو مترات من تطوان ، وجرت بين الطرفين مفاوضات قال الاسبانيون عنها انها انتهت دون الوصول الى الاتفاق على شروط يقبلها الجميع ، وإذ ذاك صرح القائد الاسباني للمولى العباس بأنه ابتداء من اليوم التالي يعتبر حرا في استيناف العمليات الحربية الخ .

ثم نقلت ما كتبه صاحب الاستقصا في الموضوع .

ثم اثبت رسالة كتبها القائد الاسباني المذكور الى حكومة مدريد في وصف اجتماعه بالمولى العباس وتفصيل ما دار بينهما من الحديث ، وانه طلب تسليم تطوان لاسبانيا الخ .

ثم اثبت في الاصل النص الكامل للرسالة التي كتبها الخطيب الى السلطان رأسا وفيها التفصيل التام لما دار بين الطرفين في الاجتماع المذكور من المناقشات والوعد والوعيد والهجوم والدفاع من الطرفين ومنها تعرف منزلة الخطيب الذي كان هو المتكلم في ذلك الاجتماع ، وتاريخ هذه الرسالة هو سادس شعبان .

ضرب الاسطول للموانىء المغربية

لما فشلت مفاوضات الصلح قرر الاسبانيون في 24 فبراير ضرب الموانئ المغربية بمدافع اسطولهم البحري .

وفي 25 منه توجه ذلك الاسطول لميناء العرائش واطلق على المدينة طلقات متواصلة من مدافعه فردت عليه ابراجها بالمثل، ثم انسحب ذلك الاسطول لناحية البوغاز.

وفي 26 منه عاد الاسطول المذكور للشواطئ المغربية، واطلق على مدينة اصيلا قنابل نشأت عنها حرائق وخسائر عظيمة . وكان الاسبانيون قد قرروا ضرب مدينتي سلا والرباط ، ولكن سوء الحالة الجوية حال دون ذلك فعاد اسطولهم لميناء الجزيرة الخضراء ، وقد مات عدد من رجاله بالقنابل التي اطلقتها عليهم ابراج الموانئ المغربية.

وفي 27 فبراير (5 شعبان) وصلت الى المغرب فرق عسكرية جديدة من اسبانيا

وجعلت مقرها امام تطوان حول برج مرتين والديوانة ، وفيه وصل حاكم جبل طارق الانجليزي الى مدينة سبتة وزار بعض مراكز الجيش الاسباني بها .

وفيه ايضا كتب الخطيب الى السلطان رسالة اثبت نصها في الاصل، وفيها أخبار وارشادات وتعليمات وتثبت وتثبيت الخ ، وقد حض فيها على استدعاء قبائل الريف ورجال البربر للقتال لانهم اثبت واعرف من غيرهم بمكائد الحروب الخ .

وفي 7 شعبان (29 فبراير) كتب المولى العباس الى السلطان رسالة اثبت نصها في الاصل .

وفي نفس التاريخ كتب الى الوزير بوعشرين رسالة ذكر فيها كثرة اشغاله وانه يكتب رسائله بيده ، وانهم قبضوا على ثلاثة جواسيس وقتلوهم في السوق الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الخطيب الى السلطان بتاريخ 8 شعبان وفيها تفصيل ايقاع اهل الريف بسكان مليلية الخ .

وقد اقترح فيها على السلطان ان يكتب لكبراء القبائل الريفية ، ويخصص لكل رام منهم مبلغا ماليا في كل يوم ويعدهم بانهم اذا استرجعوا تطوان من ايدي الاسبان، فإنه يعطيهم مائتي الف مثقال ، ويتنازل لهم عن الضرائب عشر سنين الخ .

وقد اثبت في الاصل نص رسالة كتبها الخطيب الى العباس بتاريخ 11 شعبان (4 مارس) .

وكان الجنرال اودونيل قد قرر استيناف العمليات الحربية في طريق طنجة ، واستدعى من سبتة من كان بها من الجيش ، فوصل تطوان وعلى رأسه الجنرال ايتشاگوى يوم خامس مارس .

ويظهر انه بعد ان نزلت النكبة واحتلت تطوان ، شعر اولو الامر بأن الرأي هو رأي الخطيب والتدبير هو تدبيره فاستسلموا له ، وصار هو الذي يدبر جميع الشؤون في هذه الناحية، ويشير بما يجب اتباعه من الارشادات، والقيام به من الاعمال والمشروعات للتخلص من المأزق الحرج الذي ادت اليه سياسة غيره ، وكانت نتيجة تدبيره ومساعيه التمكن من الوصول بسفينة المغرب الى شاطئ النجاة والسلامة .

وفي 12 شعبان ارسل المولى العباس الى السلطان كتاب الخطيب ومعه رسالة اثبت نصها في الاصل .

ثم اثبت نص رسالتين كتبهما الوزير بو عشرين الى المولى العباس ، واحداهما مؤرخة بـ 13 شعبان 1276 ، والاخرى بـ 14 منه[1] .

1) هاتان الرسالتان عثرت عليهما بمكناس عام 1371 لدى الشريف مولاي زيدان ابن اسماعيل ابن المولى العباس المذكور .

معركة سمسة

كانت معركة سمسة يوم الاحد 18 شعبان (11 مارس) وهي اول معركة وقعت بعد احتلال تطوان . وقد نقلت في الاصل ما قاله الاسبانيون عنها ، ومن ذلك انهم فقدوا فيها 213 شخصا . ثم نقلت ما كتبه عنها سيدي مفضل افيلال. ثم نقلت ما كتبه صاحب الاستقصا في الموضوع .

محاولة الصلح مرة ثانية

وفي غد اليوم الذي وقعت فيه معركة سمسة حاول الخليفة المولى العباس المخابرة للمرة الثانية في شأن الهدنة والصلح ، وقد اثبت في الاصل رسالة بعثها القائد الاسباني الى حكومته بذلك ، وهي بتاريخ 12 مارس ، وكان الشخص الذي اوفده المولى العباس لذلك هو الحاج احمد الشبلي . وقد عثرت في مكناس لدى حفدة المولى العباس على ورقة فيها نسخة من الكتاب الذي كتبه القائد الاسباني في هذا التاريخ مع شروط الصلح . واثبت نصها الكامل في الاصل مع ما كتبه المولى العباس بخطه عليها مما اجاب به عن كل شرط من تلك الشروط .

ومعلوم انه لم يقع الاتفاق بين الطرفين في هذه المرة ايضا ، ففشلت المفاوضات وبقي الحال على ما كان عليه من قبل .

ومن اخبار يوم 17 مارس (24 شعبان) وصول الارشيدوق ماكسيمليان « الامير النمساوي » مع زوجه الى تطوان ومرافقة الرئيس الاعلى للجيش الاسباني لهما في زيارة المدينة والمعسكرات الخ .

وفي 26 شعبان (19 مارس) كتب الخطيب الى المولى العباس رسالة اثبت نصها الكامل في الاصل ، وفيها ان دولتي انجلترا وامريكا يشيران على المغرب بعقد الصلح الآن ، ثم بعد ذلك يجب على المغربيين ان يحصنوا بلادهم الخ .

وفي خلال هذه المدة كان السلطان ما يزال يحض رجال القبائل المغربية على الالتحاق بالمجاهدين حول تطوان والقتال معهم في سبيل الله، وقد اثبت في الاصل رسالة كتبها الى شيخ صنهاجة وبركتها سيدي محمد اخليش، وهي بتاريخ 28 شعبان (موافق 21 مارس) .

ثم اثبت في الاصل نص رسالة كتبها سفير انجلترا بالمغرب الى النائب الخطيب بتاريخ 23 مارس 1860 ، وهي صريحة في ان الدولة الانجليزية امرت سفيرها

بطنجة ان يطلب من الدولة المغربية ويؤكد عليها ان توقف الحرب وتعقد الصلح ولو بدفع غرامة مالية كبرى الخ[1].

ولعل الدوائر المغربية كانت في ذلك التاريخ قد اقتنعت تمام الاقتناع بضرورة الاسراع بعقد الصلح ، الا انها كانت تنتظر اول فرصة مناسبة لذلك ، وقد جاءت تلك الفرصة عقب ذلك مباشرة، اذ انه في نفس التاريخ الذي كتب فيه السفير الانجليزي رسالته المذكورة ، وقعت المعركة الفاصلة في هذه الحرب، ورأى الطرفان المتحاربان او ارغما على ان يريا ان مصلحة الجميع في عقد الصلح حينا ، وكذلك كان الامر .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الوزير بوعشرين الى المولى العباس بتاريخ اول رمضان ، ويستفاد منها ان السلطان كان قد ارسل الى تطوان محلة جديدة قبيل ذلك التاريخ .

المعركة الفاصلة بوادراس

وقعت معركة وادراس يوم الجمعة متم شعبان 1276 ـ مواقق 23 مارس 1860 ، وكانت اكبر وآخر معركة في هذه الحرب ، وقد نقلت في الاصل ما كتبه عنها صاحب الاستقصاء ، ثم اثبت كلام سيدي مفضل افيلال حول ذلك ، ثم اثبت ما ذكره الاسبانيون بتفصيل عن المعركة المذكورة وقد ذكروا ان ابتداء القتال كان في الساعة التاسعة صباحاً. واستمر الى الساعة الثالثة مساء ومما ذكره الاسبانيون ان عدد المقاتلين المغربيين في تلك المعركة كان يقرب من خمسين الف رجل وان المغربيين بذلوا في هذه المعركة جهودا عظيمة جداً وما من مكان ارغموا على الانسحاب منه الا وحاولوا استرجاعه مرارا بالقوة ، وانهم اشتبكوا مع الجنود الاسبانيين بالسلاح الابيض عدة مرات في مختلف الجهات ، وان القيادة المغربية في هذا اليوم كانت في ايدي رجال اكفاء ممتازين الخ ، ثم ذكروا ان خسائر الجيش الاسباني في هذا اليوم قد بلغت الفا ومائتين وثمانية وستين، وهو عدد لم يتقدم له نظير في اية معركة اخرى».

ثم نقلت ما كتبه س فكيراس الاسباني حول هذا الموضوع في كتابه مارويكوس.

انتهاء الحرب وانعقاد الصلح

كانت معركة وادراس هي آخر قتال وقع بين المغربيين والاسبانيين في هذه الحرب. وفي يوم الاحد ثاني رمضان عام 1276 موافق 25 مارس سنة 1860 ، عقدت الهدنة وانتهت الحرب ولم يقع بعد ذلك قتال .

1) اصل هذه الرسالة محفوظ في الخزانة الكتانية بفاس .

وقد نقلت في الاصل ما كتبه صاحب الاستقصا عن انتهاء الحرب وانعقاد الصلح ثم اثبت كلام افيلال في الموضوع ، ثم ما جاء عن ذلك في المصادر الاسبانية وملخصه ان رئيس القوات الاسبانية رأى ان لا يتحرك الجنود الاسبانيون في اليوم التالي لمعركة وادراس وهو يوم السبت فاتح رمضان (24 مارس) بل يستريحون فيه ويقومون بدفن القتلى وبشؤون الجرحى في معركة الامس على ان يستأنفوا التقدم في اليوم التالي . وبينما هم كذلك اذ حضر من جهة المغاربة مبعوثون يطلبون عدم تحرك الاسبانيين لان الخليفة مولاي العباس سيحضر في اليوم التالي لطلب الصلح ، فقال لهم الرئيس الاسباني انه يريد ان يعرف في صباح الغد هل الخليفة قابل للشروط المفروضة ام لا ، فان كان قابلا لها فذاك ، وإلا فان الجيش الاسباني سيتقدم .

وذكر الاسبانيون انهم وصلتهم في هذا اليوم قوات جديدة من اسبانيا . ثم ذكروا عن يوم 25 مارس (2 رمضان) ان الجيش الاسباني قام في صباحه بالاستعداد للتقدم والقتال ، ولكن في الحين نفسه ، وصل مبعوث مغربي يعلم بمجيء مولاي العباس فإذ ذاك تقدم الرئيس الاسباني (الخنرال اودونيل) لاستقباله .

وفي خزانة صغيرة نصبت امام مقدمة الجيش الاسباني امضيت وثيقة الهدنة

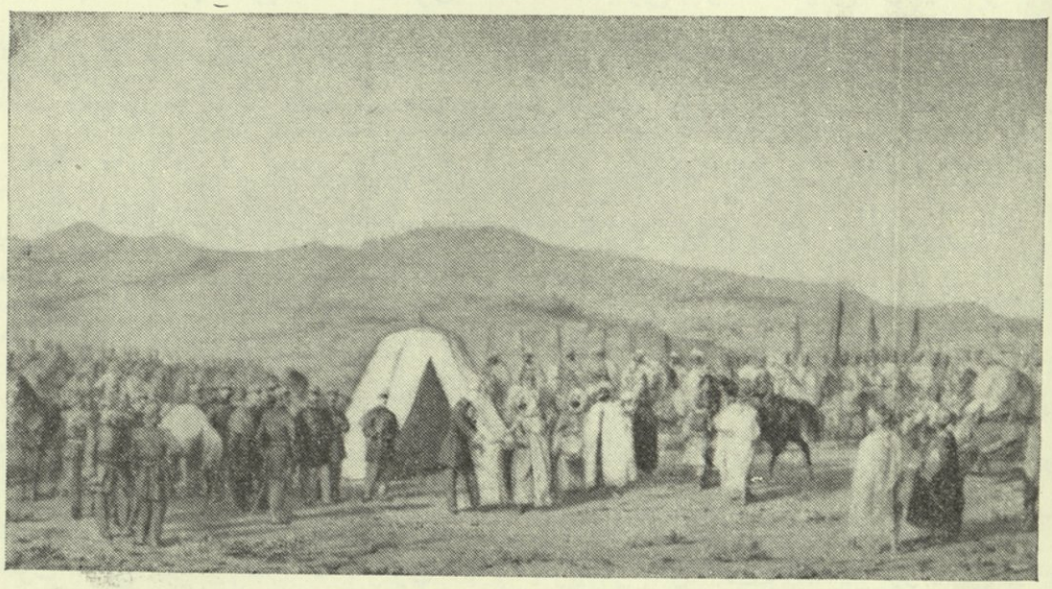

صورة اجتماع مولاي العباس بالخنرال اودونيل صباح يوم الاحد ثاني رمضان عام 1276 موافق 25 مارس سنة 1860 لانهاء الحرب المشئومة ، وعقد الهدنة التي انعقد بعدها الصلح النهائي وقد ظهر في الصورة كبار القواد المغربيين الى اليمين وكبار القواد الاسبانيين الى الشمال

فعادت الجيوش الاسبانية الى تطوان ، واستقرت في الاماكن التي كانت بها قبل يوم 23 مارس ، وبذلك انتهت الحرب .

ثم نقلت في الاصل ما ختم به الناصري كلامه في الاستقصا عن هذه الحرب .

ثم اثبت كلام ابن زيدان في الموضوع ، وبذلك ينتهي الفصل الرابع .

ثم جاء الفصل الخامس ، وعنوانه :

وثائق الهدنة والصلح

وقد تعرضت في هذا الفصل للوثيقة التي اثبتها ابن زيدان في تاريخه الخ .

ثم علقت على ايقاف الحرب وامضاء عقد الهدنة بما نصه :

« ولعل الفريقين معا (المغربي والاسباني) كانا في اشد الحاجة لانهاء الحرب فلم يضع اي واحد منهما في سبيل ذلك اي نوع من انواع الصعوبات ، ولعل مولاي العباس رأى انه منذ ابتدأت الحرب ، لم تنته اية معركة من معاركها ، الا وقد ربح العدو فيها ارضا جديدة لا يهمه ما خسر عليها من ارواح ، وما بذل في سبيلها من مواد وجهود ، وانه ان دام الحال على ذلك فانه لا يستبعد ان يصل ذلك العدو الى عاصمة البلاد نفسها ، وإذ ذاك تكون الطامة الكبرى ، ولعله رأى ان ينتهز فرصة انتهاء معركة وادراس ، وقد ذاق العدو فيها من بلاء المسلمين شيئا لم يخطر له ببال ، وكانت اهوالها ما تزال ماثلة سمعه وبصره ، مسيطرة على بقية حواسه واعصابه ، وكانت دماء قتلاه ما زالت لم تيبس ، واشلاؤهم ما زالت لم تدفن ، وجرحاه يئنون امامه انينا ، ففي هذه الحالة تقدم مولاي العباس مادا يده لصلح شريف ، ولا تزال وراء تلك اليد الممدودة ، أيد مستعدة للكفاح ، ولا يزال هناك امل في الانتصار ، ولا يزال في الامكان اخذ ورد ، وقبول ورفض ، ولنعم ما فعل الخليفة العباس .

ولعل صاحبه اودونيل رأى انه كان الى ذلك الوقت محمي الظهر بالاسطول البحري وانه ان تغلغل في الجبال وانقطع في السهول المغربية الواسعة ، وبعد عن الشواطىء والمراكب ، فإنه لا يأمن ان ينقض عليه المغاربة انقضاضا ، ويفترسون جنوده افتراسا ، ويقضون على جيشه قضاء لا يتركون معه ديارا ، وتمثل من جديد رواية « وادي المخازن » مرة ثانية ، تلك الواقعة التي لم يرتفع بعدها للدولة البرتغالية رأس الى الآن . وما جاز على المثل يجوز على المماثل ، والسعيد من وعظ بغيره .

ولعل الله تعالى قد بث من لطفه في قلب كل من الرئيسين ما عاد به اليه رشده ، فرأى ان الصلح خير ، فكان اجتماع وتسهيل ، وامضيت الهدنة واوقف القتال ، وانسحب الجيش وانتهت الازمة وعم الفرح الجميع ، ويجب ان لا ننسى الرسالة التي وجهها

السفير الانجليزي الى نائب السلطان بأمر دولته ، ولعل مثل ذلك قد صدر من حكومة انجلترا الى حكومة مدريد ايضا » .

ثم اثبت في الاصل نص الرسالة التي وجهها قائد الجيش الاسباني الى حكومة مدريد عن طلب الصلح والاتفاق عليه ، وقد فصل فيها ما وقع من كل ذلك تفصيلا . وقد ذكر فيها ان المولى العباس قد قبل جميع ما عرض عليه من الشروط ما عدا مبلغ الغرامة الحربية فإنه صار اربعمائة مليون من البلاييـن (اي القروش) بدلا من خمسمائة مليون . ومما جاء في هذه الرسالة قوله : « ان التضرع الذي طلب به الصلح وعلو مكانة الخليفة والرزانة التي تلقى بها سوء حظه ، كل ذلك حرك مني الاريحية على ان اخفض غرامة التعويض الى اربعمائة مليون قرش ، ولم أر من شمم وطني ان ازيد في اهانة عدو اعترف بانه مقهور مغلوب ، فان الزيادة فوق ذلك مما يخل بالكرامة ، وقد اتفقنا على ايقاف الاسلحة ابتداء من هذا اليوم ، ثم افترقنا بعد ان امضى الطرفان مبادىء الصلح واتفاق الهدنة » . وهذه الرسالة مؤرخة بـ 25 مارس .

ثم اثبت في الاصل النص الكامل للترجمة الصحيحة للوثيقتين اللتين امضاهما الخليفة المولى العباس والخنرال اودونيل يوم 25 مارس (2 رمضان) واولاهما محتوية على الاسس التمهيدية للصلح ، وبها تسع مواد . وثانيتهما مكملة لها واضعة حدا للحرب، معلنة لعقد الهدنة الخ .

ثم اثبت النص الكامل لرسالة طويلة كتبها المولى العباس الى اخيه السلطان بتاريخ 8 رمضان ، وقد تحدث فيها باسهاب عن حوادث هذه الايام واحوالها .

وكان المولى العباس قد اتفق مع الخنرال اودونيل على انه بعد مرور شهر على اجتماعهما يقع اجتماع آخر لانهاء الاتفاق الخ ، ومدة شهر كافية للتفكير ومراجعة المراكز العليا والاتفاق معها على الطريقة التي يجب سلوكها والحدود التي ينبغي الوقوف عندها ، فلما انتهى الاجل المذكور ، اجتمع نواب الطرفين المغربي والاسباني ، وشرعوا في المفاوضة ، وقبل انتهائها كتب النائب الخطيب الى الوزير بوعشرين رسالة بتاريخ ثاني شوال عام 1276 . وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل، ومما جاء فيها انه وقع الاتفاق على ان يجتمع نواب الطرفين في مدينة تطوان ، فحضر اليها عن المغرب محمد الخطيب والحاج احمد بن عبد الملك ، واجتمعا بنواب الاسبانيين ، وتذاكروا في مواد الصلح الخ. وقد وصف الخطيب في رسالته حالة مدينة تطوان وما وقع بمساجدها ونكبة اهلها وصفا دقيقا الخ ، وحض بكل الحاح على اتمام الصلح والعمل بكل الوسائل لخروج الاسبانيين من تطوان الخ .

ثم اثبت ما جاء في المصادر الاسبانية من انه بناء على اعلام سابق ، اجتمع

الخنرال اودونيل مع الخليفة مولاي العباس يوم الاربعاء 25 ابريل (3 شوال) قرب واد سمسة ، وان الرئيسين المذكورين كانا مصحوبين بعدد من رؤساء جيشيهما، وكان مع مولاي العباس مائتا فارس من حرس السلطان ، وفي هذا اليوم تم الاتفاق النهائى على مواد المعاهدة التي امضيت بتطوان في اليوم التالي لذلك اليوم وهو (26 ابريل 1860 ـ 4 شوال 1276) .

ثم اثبت ما كتبه ابن زيدان في الاتحاف عن هذه المعاهدة ملخصا نقلا عن صاحب الحلل البهية مع ما علق به ابن زيدان على ذلك .

ثم اثبت النص الكامل لما جاء في الكتاب المذكور ، اي الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية لمؤلفه الفقيه المفتي ابي عبد الله محمد المشرفي المتوفى عام 1334.

ثم اثبت النص العربي الكامل لمعاهدة الصلح نقلا عن نسخة اطلعني عليها بفاس صديقنا العلامة ابو عبد الله محمد العابد الفاسي عام 1369 ، وهو نص فيه لحن كثير والفاظ عامية وعباراته متضاربة سخيفة بعضها غير مفهوم المعنى، واسلوبه متفكك مخجل الخ . وذلك ما جعلنا نرجع الى النص الاسباني الرسمي فنترجمه ترجمة صحيحة اثبتنا نصها الكامل في الاصل ايضا .

ثم انه نظرا لكون نائبي المغرب في عقد هذه المعاهدة لم يحضرا التفويض اللازم من السلطان ، فان الطرفين المغربي والاسباني قد كتبا بذلك وثيقة خاصة امضاها النواب الاربعة ، وقد اثبت نصها الكامل في الاصل ايضا نقلا عن اصلها المحفوظ بتطوان .

ثم اثبت نص الرسالة التي بعثها المولى العباس الى اخيه السلطان صحبة المعاهدة المذكورة طالبا منه امضاءها وطبعها لترسل الى حكومة مدريد، وهي بتاريخ 9 شوال 1276.

ثم اثبت ايضا نص الوثيقة التي امضاها نواب المغرب واسبانيا عند تبادل نسخ المعاهدة ممضاة من سلطان المغرب وملكة اسبانيا نقلا عن اصلها المحفوظ بتطوان .

ثم اثبت نص الاتفاق الذي عقد بين نواب المغرب واسبانيا في شأن الحدود بين ارض سبتة واراضي المغرب وقد وقع بسبتة في ثالث جمدى الاولى عام 1277 موافق 17 نوفمبر 1860 ، وامضاه عن المغرب القائدان محمد بن عبد السلام مقشد والحاج محمد ابن دحمان (1) .

ولما كانت المادة الخامسة من معاهدة الصلح تشير الى الاتفاق الرسمي بين دولتي المغرب واسبانيا على قضية حدود مليلية وغيرها ، اثبت نص ذلك الاتفاق، وهو

---

1) اصل هذا العقد محفوظ بمكناس لدى حفدة الخليفة مولاي العباس .

مؤرخ بـ 24 محرم 1276 موافق 24 غشت 1859 . والممضي لـه هو محمد الخطيب عـن المغرب ، وخوان بلانكو عن اسبانيا .

ثم اثبت نص قرار انعم فيه المولى العباس على بعض خدام الاسبانيين بحمل وسام مغربي ! الخ وهو بتاريخ 13 ربيع الثاني عـام 1277 وبذلك ينتهـي الجزء الرابع مـن اصل هذا الـكتاب .

ثم ياتي الجزء الخامس من الكتاب ، وقد ابتدىء بالفصل السادس مـن الباب السابع ، وعنوانه :

بين عقد الصلح والجلاء عن تطوان

وقد علمنا من الفصل السابق ان الصلح قد انعقد على عدة شروط منها ان يدفع المغرب لاسبانيا تعويضا ماليا اي غرامة حربية قدرها عشرون مليونا من الريال - أي مائة مليون من البسيطات الاسبانية او اربعمائة مليون من البلايين اي القـروش . ويظهر ان النائب الخطيب كان يخشى من تهاون الدوائر المخزنية بالقضية الماليـة وعدم الوفاء بما تعهد به السلطان من دفع المال في المواعيد المحددة لدفعه ، فـكـتب رسالة يحض فيها على جمع المال ليدفع في المواعيد المقررة وإلا فإن الدولـة الاسبانية قد تجد مبررا لنقض عهودها خصوصا وان عددا من الاسبانيين لم يرضوا بهـذا الصلح الخ . وقد اثبت في الاصل اهم ما في الرسالة المذكورة وهي مؤرخة بـ 17 شوال 1276

وفي نفس التاريخ كـتب الخطيب نفسه الى جلالة السلطان رسالة في شأن جلب سلاح جديد الى المغرب ، أي بنادق ومدافع على يد بعض الانجليز الخ . وقـد اثبـت في الاصل نصها الـكامل . ثم اثبت نص رسالة كـتبها الوزيـر بوعشريـن الى المولـى العباس بتاريخ 25 ذي القعدة عام 1276 وقد اعلمه فيها بوصول وفد من اهالي قبائل بني حزمر وبني معدان وبني حسان ، وكـلهم جوار تطـوان ، وان السلطان خطـب فيهم ووبخهم على اتجارهم مع الاسبانيين المحتلين لتطوان ، فاعلنوا انهم تائبون الـخ .

ثم اثبت نص رسالة مطولة كـتبها القنصل العام لاسبانيا بطنجة، وهـو فرنثيسكـو مري اي كـلوم بتاريخ 22 يونيه سنة 1860 (2 حجة 1276) ومضمنها :

اولا - اعلام القنصل الاسباني لنائب السلطان بانه في فاتـح شهـر يوليـه يحـل موعد دفع المبلغ المتفق على دفعه من المال في ذلك التاريخ كـغرامة حربيـة ، وان اسبانيا تعتقد ان المغرب سيقوم بما تعهد به من دفع المال في المواعيد المحددة لدفعه وإلا فإن أي تأخر في الدفع قد يترك لدى الدولـة الاسبانية اثرا سيئا الخ .

ثانيا - كـان النائب الخطيب قد كـتب للقنصل المذكور بأن الدراهم المهيأة للدفع

جلها من العملة المغربية الفضية التي يلزم ارسالها الى اماكن مختلفة خارج المغرب لتحول الى عملة اخرى يقع الدفع بها ، وان ذلك قد يؤدي الى تأخير الدفع عن ميعاده المحدد الخ . فأجابه القنصل عن ذلك بأنه ينبغي ان لا يقوم الجانب المغربي بعملية الصرف « أي تحويل العملة » حتى يعلم هو بذلك دولته، وتشير عليه بما يكون عليه العمل ، وطلب منه ان يبين له مبلغ المال المجموع المنتظر دفعه ، ونوع عملته وفي أي ميناء من موانئ المغرب هو الآن ليعلم دولته بجميع ذلك ويتلقى اوامرها، مع ملاحظة ان المال الذي يجب دفعه يجب ان لا يقل عن خمسة ملايين ريالا «دورو» الخ.

ثالثا - كان النائب الخطيب قد تشكى من خروج بعض الجند الاسباني من التراب التابع لسبتة الى الارض المغربية الخ ، فأجابه القنصل بانه اذا ثبت ذلك فانه لابد من اجراء العدل في القضية ، لان دولته الاسبانية حريصة على الوفاء بعهودها ، وطلب منه باسم دولته ان يعين المغرب مهندسين مغربيين ليجتمعوا بالمهندسين الاسبانيين ويعينوا الحدود بين البلادين في ناحيتي مليلية وسبتة وبذلك يزول الخلاف.

وبعد يومين من تاريخ هذه الرسالة كتب القنصل المذكور رسالة اخرى اكد فيها ما في الرسالة السابقة ، وبين ان دولة اسبانيا لا يمكنها ان تزيد في الاجل المحدد لتسلم الدفعة الاولى من الغرامة الحربية التي التزم المغرب بدفعها الخ ، وقد اثبت نصها الكامل في الاصل . ثم بعد يوم واحد من التاريخ المذكور ، كتب القنصل المذكور ايضا رسالة اخرى يظهر منها ان النائب المغربي لم يجبه عن رسائله السابقة مما جعله يكتب اليه من جديد ويؤكد عليه في ان يجيبه كتابة عما يطلبه، ويشير في هذه الرسالة الى الرسالتين السابقتين والى اخرى قبلهما بتاريخ العشرين من الشهر الجاري الخ ، وقد اثبت نصها في الاصل ايضا ، ويبدو فيها الحرص الشديد والقلق الزائد . ثم اثبت ايضا نص رسالة اخرى كتبها اليه ايضا بعد التاريخ المذكور بيوم واحد ، اي في 29 يوليه ، وقد ذكر له فيها ما ارسله اليه من الرسائل ، ويتعجب من عدم توصله بأجوبتها، ويؤكد عليه في ان يجيبه بصراحة هل الدولة المغربية عازمة على الوفاء بما تعهدت به من دفع المبلغ المالي الذي يحل اجله بعد كتابة هذه الرسالة بستة وثلاثين ساعة ، وهو خمسة ملايين ريال دورو ام لا ؟ .

ويظهر ان سبب تأخر النائب الخطيب عن جواب القنصل المذكور هو انه كان ينتظر وصول المال المرسل اليه بامر السلطان ، ويظهر ان المال المذكور قد وصل في الوقت المناسب ، والرسالة التي اجاب بها الخطيب عن توصله بذلك المال، قد اثبت نصها في الاصل وهي مؤرخة بـ 14 حجة 1276 ، ومضمنها انه وصل الى طنجة صحبة لحاج المهدي بناني ثلاثة وعشرون حملا بها اثنان وتسعون صندوقا كلها مغلفة بجلد

احمر، وهي مملوءة بذهب صرفه خمسة عشر مائة الف ريال وستة وثلاثون الف ريال وثمانية واربعون ريالا ، وقد وضعت كلها ببيت المال الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الخطيب الى السلطان بتاريخ 27 ذي الحجة 1276 ، معلما فيها بأنه توصل بمائة وخمسة وثلاثين حملا بها الف وستة وسبعون صندوقا ، اثنان منها مملوءان ذهبا والباقي فضة في كل واحد منها خمسمائة ريال .

وفي نفس هذا التاريخ (27 حجة 1276 موافق 17 يوليه 1860) ارسل القنصل الاسباني العام بطنجة الى النائب الخطيب رسالة اعلمه فيها بان ملكته اذنت له في الاتصال بمن ينوب عن سلطان المغرب لتنفيذ ما فى المادة الثالثة عشرة من معاهدة الصلح وهي تقضي بعقد معاهدة تجارية بين المغرب واسبانيا، ويطلب منه ان يعين السلطان من ينوب عنه في عقد المعاهدة المذكورة ، وقد اثبت في الاصل نص الرسالة المذكورة .

وفي نفس التاريخ (27 حجة 1276) كتب الخليفة المولى العباس الى الامين السيد محمد بن عبد السلام بريشة التطواني رسالة بخطه في شأن مال الغرامة ومكان دفعه ، وقد اثبت نصها في الاصل نقلا عن اصلها المحفوظ بتطوان .

ثم اثبت نص رسالة ارسلها الوزير بوعشرين الى بريشة المذكور بتاريخ 28 حجة المذكور في شأن كراء مركب لحمل مال الغرامة من ميناء الصويرة الخ .

وبعد هذا نجد في الاصل عنوان :

الانجليز يستوصون خيرا بيهود تطوان

وقد جاء تحته ما نصه: «يظهر انه لما شرعت الحكومة المغربية فى دفع المال لاسبانيا صار الناس يشعرون بقرب جلاء الاسبانيين عن تطوان وعودة الحكم المغربي الاسلامي اليها، فأخذ اليهود يفكرون في مآل الذين بقوا منهم بتطوان اثناء احتلال الاسبانيين لها، واليهود يحسبون للاشياء حسابها قبل وقوعها ، ويدورون مع مصالحهم اينما دارت، ولهم اخوان وايد وانصار في جل انحاء الدنيا، وبينهم من التضامن ما ينجحون به في جل مشاريعهم. وياحبذا لو كان بين عرب العالم من التضامن مثل ما بين اليهود من ذلك، ثم يا حبذا لو وجدنا نحن العرب من الانصار والمؤيدين مثل ما وجد اليهود عند تأسيسهم لدولة اسرائيل في قلب بلاد العرب، بالرغم من مقاومة جميع دول العرب! والامر لله.

وها هو سفير انجلترا يكتب الى الدولة المغربية بواسطة النائب السلطاني بطنجة رسالة يستوصي فيها بيهود مدينة تطوان خيراً عند عودة الحكم المغربي الى المدينة المذكورة ، وهذه الرسالة تبين لنا كيف كان الساسة الانجليزيون ينظرون الى ساسة الحكومة المغربية ، وكيف كانوا يعاملونهم الخ . ثم اثبت نص الرسالة المذكورة وهي بتاريخ اول غشت سنة 1860 (13 محرم 1277) .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الوزير بوعشرين الى المولى العباس بتاريخ 11 محرم 1277 ، معلما له فيها بان سلطان المغرب اهدى لملكة اسبانيا فرسين الخ .

المال - المال

وانتهى عام 1276، ودخل عام 1277، والاسبانيون مستقرون في تطوان ينتظرون الوفاء بالشروط وعلى الاخص باهمها لديهم وهو المال ، ويظهر ان المال الذي التزم المغرب اداءه للاسبانيين كغرامة حربية ، لم يتيسر الحصول عليه بالسهولة التي كانوا يظنون انه سيجمع بها فتأخر الدفع عن الموعد المحدد له ، وقلق الاسبانيون لذلك التأخر ، وصار القنصل العام الاسباني بالمغرب يكتب في شأن المال الرسالة تلو الرسالة الى الخطيب النائب السلطاني بطنجة . وقد وقفت على اصول عدد من تلك الرسائل في تطوان لدى بعض حفدة الخطيب المذكور ، وقد اثبت في الاصل بعض تلك الرسائل ، ومنها ثلاثة كلها مكتوبة في اسبوع واحد بل اثنتان مكتوبتان في يوم واحد هو 8 سبتمبر 1860 (21 صفر 1277) .

ثم كانت مفاوضات بين الجانبين المغربي والاسباني فكان المغربيون يطلبون الجلاء عن تطوان ، وكان الاسبانيون يشترطون لذلك شروطا اهمها راجع للناحية المالية . وهذا ظهير سلطاني في التفويض للمولى العباس الخليفة السلطاني وللنائب الخطيب التطواني « خديمنا الانصح » في مباشرة القضية من جديد مع الاسبانيين ونصه بعد الافتتاح العادي والطابع الخ :

يعلم من هذا اننا بحول الله وقوته فوضنا لاخينا الارضى مولاي العباس حفظه الله « ولخديمنا الانصح » الطالب محمد الخطيب في المفاصلة مع نائب دولة الصبنيول فيما سطرت دولتهم من الشروط الخمسة التي علقوا عليها الخروج من تطوان بما فيه مصلحة لكونهما مطلعين على احوال الرعية وحريصين على السعي فيما يديم المحبة بين الدولتين والوقوف في الامور المرعية والسلام . في 6 ربيع النبوي عام 1277 .

وانتهى النصف الاول من ربيع الاول ولما يتم دفع جميع المال الذي حل اجله فكتب القنصل الاسباني الى مولاي العباس رسالة نثبت ترجمتها الكاملة هنا كنموذج للرسائل التي كان القنصل المذكور يرسلها الى الولاة المغربيين ونصها :

سفارة صاحبة الجلالة الكاثوليكية في المغرب .

الحمد لله

الى الامير المتنور مولاي العباس خليفة الامبراطورية المغربية واامير الغرب، نسأل عن احوالكم ونطلب من الله ان تكونوا بخير وعافية . وبعد ، فقد تلقيت رسالتكم المؤرخة

بأمس ، وكل ما تحويه هو برهان جديد على شعوركم الصادق ورغبتكم في السلام ، وهو ما تعرفه عنكم جيدا صاحبة الجلالة الملكة سيدتي، وكذلك الحكومة والشعب الاسباني اللذان يحبانكم ويعجبان بكم، وهم جميعا يعلمون كل المجهودات التي قمتم بها على الدوام من اجل حفظ الصداقة وتوثيقها بين الشعبين ، وكيف انكم في الايام الاخيرة تلافيتم بعقلكم المتنور كثيرا من المشاكل والصعوبات التي لولا تدخلكم لتشعبت ، وبالاسف فإن نصائحكم الحكيمة لم يصغ اليها على الدوام ، وهو عين ما حدث لنصائحي ، وبهذا يشهد توقف امر اداء التعويض الذي حل اوان قسطيه الاولين رغم انكم عملتم على تلافيه ، بينما اجتهدت أنا لكي لا يحدث ذلك ، لانني كنت أرى فيه خلية صعوبات جسيمة .

وارجوكم ان تتذكروا ما قلت لكم قبل ان يتوجه السفراء الى مدريد اذ قلت لكم ان جلالة الملكة هي على استعداد لمساعدة كل رغبات السلطان ، وبينت سياسة حكومتي حول هذه المسألة على الشكل الآتي :

انكم كلما سارعتم في تقديم التعويض ، وقمتم به في وقته المحدد ، قل مجموع ما نطالبكم به علاوة على مائتي مليون للاجلين الاولين ، وكلما ازداد ما تعرضونه علينا فضلا على عشرة ملايين ، فإن الآجال ستمدد لاداء الباقي .

وبعد ما علمت سيدتي الملكة بنوايا صاحب الجلالة السلطان ، رخصت لي بكل اختصاصاتها للتفاهم حول بعض القواعد . وانبهكم بان تلك القواعد تنص على ان الاداء يجب ان لا يتأخر ولا يوما واحدا ، وان الحكومة الاسبانية ـ كما قلت لكم اول الامر ـ تجعل طبيعة مطالبها وقيمتها شرطا اساسيا لقبول الجلاء عن تطوان، وذلك بالاداء الحيني للعشرة ملايين اللازمة ، وكنتم تظنون ان ترجياتكم وتوبيخاتكم قد سمعت في القصر بفاس ، وانكم باخلاصكم المعهود والصدق الذي يحويه قلبكم ، كنتم قد اكدتم لي بان الاداء لن يتوقف. ورغم رغبتكم، وضد ما كنتم تنتظرون ، فان الاداء قد توقف، وان نباهتكم النادرة لا تجهل ان بهذا الامر لم تحترم القاعدة التي تتوقف عليها المحادثات المجراة .

ان الابطاء في استلام ما تدينون به شرعا الى اسبانيا ، والذي كان يجب ان يكون في حوزتها ، سيسبب خسائر ومضار للحكومة الاسبانية ، وبالنسبة الى هذه الخسائر والمضار يجب ان تكون مطالبتكم لكي لا تمس في أي حال مصالح اسبانيا الشرعية .

وتقولون لي في رسالتكم ان المال والتعليمات سيصلان في الحين ، ولكن هل

تتعهد حضرتكم بالاجابة عن ذلك ، مع انه لحد الآن لم تسمع مطالبكم العادلة التي ترتكز على الحق ، والتي لم تلب من جانب القصر بفاس ؟ .

ان واجبي والامر الذي تلقيت هو السهر على مصالح الامة الاسبانية التي اقدسها وتضطرني الى ايقاف المحادثات معلقا امر استينافها على ما قد تتخذه حكومة صاحب الجلالة السلطان في هذا الامر .

ان حكومة الملكة قد وضعت في يد اخيكم الشريف امر اجابة رغباته ، ولم يكن في مستطاعه ان يعمل باخلاص اكثر ، واذا كانت الحكومة المغربية - تجاهلا لمصالح جلالة السلطان - تعمل على جعل امر الاداء مستحيلا، فإن اسبانيا التي عملت كل ما فى وسعها لمصلحة المغرب لن تكون مسئولة عما قد يلده المستقبل .

واتأسف كثيرا لهذا الحادث الذي سيعوقني - اذا لم تتبدل الحالة - عن ان اتم معكم ما كنت ارغب فيه من عقد اتفاق نهائي لقضية الجلاء واعلم بطيب نيتكم وانا على استعداد لاسعافكم على الدوام في كل ما لم يكن فيه مساس بحقوق جلالة ملكتي ، ومصالح الامة الاسبانية المشروعة . والسلام .

في طنجة 22 سبتمبر 1860 .

المكلف بشؤون صاحبة الجلالة ملكة اسبانيا : فرانثيسكو ميري اى كولوم .

وهذا التاريخ يوافق 12 ربيع الاول عام 1277 .

ويظهر انه لم يطل الحال على حضرة القنصل القلق ، اذ لم تمض ايام معدودة حتى انجلت الازمة ، وتم تسلم المال فهدأت الاعصاب .

وبمراجعة الوثائق التي بين ايدينا نعرف ان الجانب المغربي كان يسلم للجانب الاسباني ما يتجمع لديه من المال في دفعات متوالية ، فيدفع له الجانب الاسباني توصيلات بحسب تلك الدفعات ، ولما بلغ العدد الذي تسلمه الجانب الاسباني مائة مليون من البلايين اي خمسة ملايين من الريال . وكان القنصل العام الاسباني بالمغرب (هو النائب المفوض من دولته لقبض ذلك المال) استرجع ذلك القنصل تلك التوصيلات الصغيرة ، ودفع باسم دولته توصيلا عن المبلغ المذكور الذي هو خمسة ملايين من الريال ، اي ربع الغرامة الحربية التي التزم المغرب اداءها ، وقد اثبت في الاصل تعريب ذلك التوصيل التاريخي ، واصله محفوظ بتطوان، وتاريخه 12 اكتوبر 1860 (موافق 26 ربيع الاول 1277) .

ثم جاء بعد ذلك، التفويض الذي دفعته ملكة اسبانيا لقنصلها العام بالمغرب ليتسلم المال المذكور ، وقد حرر بقصر مدريد في ثاني يونيه سنة 1860 . وقد اثبت ترجمته في الاصل نقلا عن اصله الذي عليه امضاء الملكة نفسها وهو محفوظ بتطوان ،

ليعرف منه الاسلوب الذي كان متبعا لدى الاسبانيين في وثائقهم الرسمية وليقارن بينه وبين اسلوب حكومتنا من تهمه هذه المقارنات. ويظهر ان الشيء الوحيد الذي كان يشغل بال الجميع في ذلك العهد ، هو طريق الحصول على المال ، وان المشكلة الكبرى كانت هي المال ، فالاسبانيون لم يكن يهمهم في ذلك الوقت من الجانب المغربي الا المال ولا ينتظرون من المفاوضة الا الحصول على المال ، والحكومة المغربية تتقلب يمينا وشمالا لجمع ذلك المال . وقد اثبت في الاصل رسالة طويلة كتبها السلطان الى اخيه المولى العباس وجل ما فيها الحديث عن المال وتاريخها 27 ربيع النبوي عام 1277 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان الى الامين محمد بن عبد السلام بريشة التطواني بتاريخ 12 ربيع الثاني عام 1277 ويستفاد منها ان بريشة المذكور قد وصل الى مراكش ، واخرج من بيت مالها نصف مليون من المثاقيل وبعثه الى الصويرة ، وان السلطان امره بان يبعث الى الصويرة ما يكمل به مليونا واحدا ولا يزيد على ذلك الخ .

ثم اثبت نص رسالة اخرى ارسلها السلطان الى بريشة في نفس التاريخ ونفس الموضوع مع زيادة بيان الخ .

ثم اثبت نص رسالة اخرى من السلطان الى بريشة ايضا بتاريخ 20 ربيع الثاني وهي في نفس الموضوع ، ومما جاء فيها ان النائب الاسباني المكلف بقبض المال متشوف للحصول على فرس مغربي على سبيل الهدية ، وان السلطان اذن لاخيه بان يدفعه له الخ .

ثم جاء نص رسالة كتبها الوزير بوعشرين الى بريشة المذكور في نفس الموضوع بتاريخ 21 ربيع الثاني 1277 .

وهذه الرسالة قد ورد فيها ذكر بيت المال القديم وبيت المال الجديد ، فقد كان بمراكش بيتان للمال ، كما تتحدث عن الامينين بريشة وابن شقرون ، وانهما قابلا حسابات بيت المال فوجداها صافية ، وحار بريشة من ابن شقرون خط يده بما بقي ببيت المال الخ، فكم هو المبلغ الذي بقي ببيتي المال القديم، والجديد بمراكش في ذلك العهد ؟ . ذلك ما بينته في الاصل نقلا عن اصل البيان الذي كتبه وامضاه الامين احمد بن شقرون في ثاني ربيع الثاني عام 1277 .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى الامين بريشة بتاريخ فاتح جمدى الاولى وهي في نفس الموضوع، ثم رسالة اخرى كذلك بتاريخ رابع جمدى ! ولى ، ثم نص رسالة اخرى من السلطان الى بريشة ايضا بتاريخ 7 جمدى الاولى يعلمه فيها بان

امر السلف قد تم ، ويأذن له بدفع مليونين اثنين للامين نائب جنس الصبنيول ولابد ولابد الخ .

والمصدر الذي اعتمد عليه السلطان وبمقتضاه اخبر بريشة بان امر السلف قد تيسر الخ هو الرسالة التي كتبها اليه اخوه المولى العباس ، ثم ظهر ان ذلك السلف لم يتحقق امره ، فكتب المولى العباس الى السلطان رسالة اخرى مستدركا الخبر الاول وقد اثبت في الاصل نصها نقلا عن اصلها المكتوب بخط المولى العباس نفسه .

وبناءً على تلك الرسالة (التى علم منها ان امر السلف لم يتم) ارسل السلطان الى بريشة رسالة رجع فيها عن اذنه السابق بدفع المليونين للاسبانيين ، واكد فى عدم دفع اي شيء لهم الا بعد تمام امر السلف وتوفر بقية الشروط ، وتاريخ هذه الرسالة 19 جمدى الاولى . وقد اثبت نصها في الاصل ايضا .

والذي سمعناه من بعض شيوخ تطوان ان باشا الصويرة في ذلك العهد وهو الامين الحاج عبد القادر العطار التطواني ، لما وصله الامر السلطاني الاول بدفع المال لنائب اسبانيا (حسبما في الرسالة السلطانية الى بريشة بتاريخ سابع جمدى الاولى) عزم على تنفيذ ذلك الامر ، وبينما هو كذلك اذ ورد عليه الامر الثاني بعدم الدفع ، فوقع في حيرة ، وضغط عليه النائب الاسباني ، وهدده بضرب الاسطول الاسباني للصويرة اذا لم يدفع له المال في الحين. ورأى الباشا العطار ان الخطر قد اصبح محيطا به فأعرض عن الامر السلطاني الثاني ودفع المال بناءً على الامر السلطاني الاول ، وقد فعل ذلك بعد ان وعده النائب الاسباني بحمايته مما عسى ان يتعرض له من المؤاخذة بسبب ذلك الدفع ، وقد قام العطار بعمله هذا معتقدا انه انقذ مدينة الصويرة من التدمير ومن نهب القبائل المحيطة بها ، وكانت الصويرة قريبة العهد بنهب تلك القبائل لها عند ما اخذ الاسطول الفرنسي في اطلاق مدافعه عليها عام 1260 ، اي قبل ذلك التاريخ ببضع عشرة سنة فقط . وهكذا جعل الباشا العطار رجال الحكومة المغربية امام الامر الواقع فرضي الجميع بذلك وخرجت القضية بسلام.

وقد وقفت على ثلاث رسائل كتبها مولاي العباس بخطه الى الباشا العطار والامين بريشة بالصويرة يامرهما بدفع المال لنواب اسبانيا ، ويبين وجهة نظره في ذلك ، كما يبين حالة المغرب في ذلك العهد - ولا ندري هل كان وصول تلك الرسائل الى يد العطار قبل دفعه للمال او بعده - ونلاحظ ان في بعض العبارات من تلك الرسائل شيئاً من الغموض ، ولعل بعضها كتب بطلب من الاسبانيين ودفع لهم لحمله الى باشا الصويرة وامينها . وقد اثبت في الاصل النصوص الكاملة لتلك الرسائل .

ثم اثبت نص رسالة كتبها المولى العباس الى السلطان بتاريخ 6 رجب ، وقد

اخبره فيها بان بابورا ورد على طنجة من الصويرة واخبر رجاله بان ولاة الامر فيها شرعوا في دفع المال لهم بلا كثرة كلام الخ .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى بريشة بتاريخ 11 رجب، وفيها الموافقة على ما وقع من دفع المال ، لان المصلحة قضت بذلك الخ . ثم اثبت نص رسالة ارسلها السلطان الى الامين محمد برگاش بطنجة وهي بنفس التاريخ وفي نفس الموضوع .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان الى اخيه العباس بتاريخ 28 رجب 1277 ، وموضوعها المال ووسائل جمعه الخ . ثم جاء في الاصل عنوان

استفتاء من السلطان للعلماء في شأن المال

وقد جاء تحته ما نصه :

« ويظهر ان الازمة المالية قد اوقعت الدوائر المخزنية في حيرة ، فصارت تبحث يمينا ويسارا لعلها تجد مخرجا لها من تلك الازمة الخانقة ، وفكرت في استفتاء اهل العلم ورجال الرأي عن الطريقة التي يقع الحصول بها على المال المطلوب ، فالقت عليهم سؤالا من انشاء الفقيه الوزير السيد الطيب بن اليماني بوعشرين الذي كان في مقدمة المتحمسين للحرب ، والمقتنعين بقوة الحكومة المخزنية ، وتفوق قوتها على قوة الاسبان ،كما صرح بذلك لوفد تطوان ، والاستفتاء المذكور كتبه الوزير المذكور باسم السلطان ، وقد اثبت نصه في الاصل نقلا عن كتاب « دوحة المجد والتمكين[1] ، لصاحبه السيد الغالي العمراني المعروف باللجائي .

ثم اثبت نص جواب الفقيه ابي العباس احمد العمراني امام الضريح الادريسي بفاس عن الاستفتاء المذكور نقلا عن النوازل الصغرى للشيخ المهدي الوزاني.

ثم اثبت نص جواب من الوزير ابي عبد الله الصفار التطواني الى الخليفة المولى العباس في شأن ما اسلفه اهل تطوان لبيت المال اثناء الحرب الخ

ثم جاء نص رسالة كتبها المولى العباس الى اخيه السلطان بتاريخ 14 شعبان 1277 وقد اجابه فيها عما سأله عنه من ان ما يدخله عشور الواردين على تطوان، اعادها الله دار السلام، هل يكفي مؤنة المحلة ام لا الخ وفي هذه الرسالة بيانات واخبار عن العلاقات بين المسلمين والاسبانيين المستقرين بتطوان الخ.

ثم جاء نص رسالة من السلطان الى المولى العباس في شأن ما طلبه الاسبانيون من تسليم الارض المتفق على تسليمها لهم بجنوب المغرب وهى بتاريخ 8 رمضان 1277

ثم اثبت نص رسالة ارسلها السلطان الى قنصل فرنسا بطنجة بتاريخ 20 رمضان

1) هذا الكتاب مخطوط بالخزانة الاحمدية بفاس .

1277. في شأن جعل منار لارشاد السفن ليلا في رأس اشقار قرب طنجة الخ.

ثم جاء عنوان:

السلطان يطلب الاعانة ويامر بالاستعداد

ومما جاء فيه ما يلي:

«وذكر ابن زيدان في الاتحاف ان السلطان لما رءا الاسبانيين شددوا في اقتضاء المال المتفق عليه واوشكت الحالة ان تعود مرة اخرى لما كانت عليه من التوتر والتهديد بالحرب كتب الى عمال المدن وقواد القبائل طالبا من بعضها الاعانة والتبرع بالمال ومن البعض الآخر الاستعداد للقتال فيما لو انتقض الصلح وعاد الاسبان للقتال الخ.

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى عامل سلا في الموضوع، ثم نص رسالة اخرى في نفس الموضوع من السلطان الى اهل فاس، ثم رسالة اخرى كذلك لقبيلة بني ليث، ومثلها حرفيا لقبيلة بني سعيد، وهما معا من القبائل القريبة من تطوان.

ثم قلت ما يلي: «ويظهر ان بعض المستخدمين الاسبانيين في المغرب قد صاروا في المدة الاخيره يشعرون بشيء من الاعتزاز فصاروا يحاولون فرض ارادتهم على ولاة بعض المدن المغربية ولكن يظهر ان ارباب السلطة المغربية كانوا على حذر فاوقفوهم عند حدهم. وقد اثبت نص رسالة كتبها النائب الخطيب بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1277. جوابا عن رسالة استشاره السلطان فيها عن بعض القضايا التي حدثت من هذا القبيل ويعلم منها ان الخطيب اجاب بان ما فعله الوالي المغربي هو الصواب وان الموظفين الاسبانيين خالفوا القوانين والعوائد المقررة جهلا منهم او تجاهلا الخ.

ثم تلت ذلك التاريخ فترة من الزمن لم نقف على شيء من اخبار هذه النواحي اثناءها، ثم نقف على رسالة من النائب الخطيب الى جلالة السلطان ومنها نعرف ان النائب السيد محمد بركاش كان في تاريخ تلك الرسالة يباشر الاعمال مع نواب الاجناس، وان السلطان كان يستشير النائب الخطيب فيما يعرض من قضايا اولئك الاجناس فيشير عليه بما يجب ان يكون الخ وقد اثبت في الاصل نص تلك الرسالة وهي مؤرخة بـ 14 فاتح سنة 1278. ثم جاء عنوان:

قتل مسافرين بين طنجة وتطوان

وقد اثبت نص رسالة كتبها باشا مدينة طنجة في ذلك العهد وهو محمد بن عبد الكريم الجبوري الى السلطان بتاريخ 20 محرم 1278 وفيها ان قافلة من مسلمين وذميين كانت متوجهة من طنجة الى تطوان فقتلهم اناس في قبيلة وادراس الخ.

ثم اثبت نص رسالة كتبها سلطان المغرب الى القنصل العام لدولة فرنسا بالمغرب بتاريخ 10 صفر 1278. وفيها اطراء يستغرب صدوره من مثل السلطان. ثم جاء عنوان:

طلب سلف من الانجليز

وجاء فيه ما يلي : وفكرت الحكومة المغربية في عقد سلف من انجلترا ووقعت حول ذلك مخابرات ومراسلات تمهيدية منها رسالة كتبها الامين الحاج عبد الرحمن العاجي الى الخليفة مولاي العباس بتاريخ 28 ربيع النبوي عام 1278 . وقد اثبت نصها في الاصل، ثم لما ظهرت بوادر النجاح حول هذا السلف، كتب السلطان ظهيرا بالتفويض للعاجي المذكور في عقد ذلك السلف وقد اثبت في الاصل نص الظهير المذكور.

ثم كتب السلطان للتاجر الانجليزي لويز فورط ظهيرا أذن له فيه بحيازة مال السلف المذكور ودفعه للجانب الذي يعينه له مولاي العباس اخو السلطان الخ وقد اثبت نصه في الاصل ايضا . وهو بتاريخ 14 ربيع الثاني عام 1277 . والمبلغ الذي اذن له في حيازته هو مليونان اثنان من الريال الخ

ثم اثبت نص رسالة من الحاج عبد الرحمن العاجي الى التاجر فورط المذكور عن هذا السلف . وفيها ان السلطان يلتزم دفع نصف المدخول من المراسي المغربية لتسديد الدين المذكور . وهذه الرسالة مؤرخة ب 12 ربيع الثاني عام 1278 .

ويظهر ان قضية ابرام هذا السلف قد لقيت في طريقها صعوبات مما جعل الجانب المغربي يتعلق بوسائط لاتمام امر السلف المذكور، وقد وقفت على رسالة ارسلها الخليفة المولى العباس الى احد التجار الانجليز، وهي مكتوبة بخط النائب الخطيب وممضاة بخط مولاي العباس وتاريخها 23 جمدي الاولى عام 1278 . وقد اثبت نصها في الاصل.

ثم بعد نحو ثلاثة اسابيع كانت تلك الصعوبات قد ذللت فكتب السفير الانجليزي الى المولى العباس رسالة بتاريخ 17 دجنبر 1861 (14 جمدى الاخيرة عام 1278) وقد اثبت نصها في الاصل نقلا عن اصلها المحفوظ لدى مولاي زيدان بن اسماعيل بمكناس.

والظاهر ان الاسبانيين عرفوا امر هذا السلف الانجليزي وخافوا من عواقبه فاظهروا استعدادهم لشيء من التساهل في امر المال وكتب سفيرهم بطنجة الى النائب السلطاني رسالة يبين له فيها ان غرض اسبانيا ان يكون المال المدفوع في الغرامة مجموعا من رعية المغرب لا من دراهم مأخوذة من الغير ، وان اسبانيا لا ترضى بأن يتكلف السلطان التزاما جديدا فيه مضرة الخ

وقد اثبت نص تلك الرسالة في الاصل ثم لا ندري هل كان انحياش المغرب الى الانجليز في هذه الظروف واستسلافه منهم ، ناشئا عن الاضطرار لذلك ، او انما كان

من سعي بعض الساسة المغربيين المتأثير على الاسبانيين واغاظتهم ودفعهم للتساهل خوفا من دخول طرف ثالث فى اطرافه شوك يمنع من التحكم فيه وفرض الارادة عليه او على اصدقائه الذين يتبادل معهم المصالح ؟

ثم اثبت النص الكامل لتعريب الرسالة التي كتبها السفير الانجليزي بطنجة الى القناصل الانجليزيين القاطنين بالموانيء المغربية بعد عقد السلف والاتفاق على تسديد الديون من مداخيل الموانيء المذكورة . والرسالة المذكورة مؤرخة بـ 23 مايو سنة 1862 (24 ذي القعدة عام 1278)

ثم جاء بعد ذلك عنوان :

معاهدة بين المغرب واسبانيا عام 1278 ـ 1861

وجاء بعده ما يلي :

قد اثبتنا فيما مضى « اي فى الاصل » نص رسالة مؤرخة بالسابع عشر من يوليه سنة 1860 . موافق 27 ذي الحجة عام 1276 . من القنصل العام لاسبانيا بطنجة الى النائب السلطاني السيد محمد الخطيب يطلب تعيين نائب عن المغرب لعقد المعاهدة التي تنص عليها المادة الثالثة عشرة من عقد الصلح الخ ولم نقف على ما جرى بين الطرفين من المخابرات والاجراءات بعد تلك الرسالة ، انما عرفنا ان امر تلك المعاهدة قد تم بعد تاريخ تلك الرسالة بكثير وقد امضاها بمدريد كل من الخليفة السلطاني المولى العباس ووزير اسبانيا الخ .

وقد اثبت المؤرخ الكبير مولاي عبد الرحمن بن زيدان فى تاريخ مكناس نص تلك المعاهدة ذاكرا انه نقلها بلفظها على ما فيه من كناشة مولاي العباس نفسه. وقد وقفت بتطوان على نسخة خطية اخرى فيها بعض مخالفات لفظية لما هو موجود فى تاريخ ابن زيدان وهذه النسخة التطوانية يظهر انها كتبت لشخص له مكانة محترمة ، لان كاتبها قد اعتنى بها وعليها بعض توقيفات تبين موضوع بعض المواد التي تعبر عنها هذه النسخة بالفصول في حين ان نسخة مولاي العباس تعبر عنها بالشروط .

وقد اثبت في الاصل النص الحرفي للنسخة التطوانية مع ما فيها من توقيفات في طررها ، لا تفضيلا لهذه النسخة على نسخة مولاي العباس ، بل ليوازن بين النسختين من يهمه ذلك وايضا لانه ربما شرحت عبارات احدى النسختين ما ابهم في اخرى .

ويظهر من ذلك ان المعاهدة وضعت باللغة الاسبانية ثم ترجمت الى العربية ، وتراجمة ذلك العهد كانوا يمسخون العربية مسخا . ويلاحظ ان التاريخ الميلادي للمعاهدة هو يوم عشري نوفمبر سنة 1861 كما في النسختين معا الا انهما اختلفتا في

التاريخ الهجري الذي يوافق ذلك التاريخ الميلادي فنسخة ابن زيدان التي نقلها من كناشة مولاي العباس فيها انه سابع عشر ربيع الثاني . والنسخة التطوانية فيها انه سابع عشر جمدى الاولى ، وبمراجعة كتب الموافقات بين التاريخين الهجري والميلادي نجد ان تاريخ 20 نوفمبر سنة 1861 يوافق 17 جمدى الاولى عام1278، وعليه فالصواب هو ما في النسخة التطوانية فليتنبه لذلك من يهمه الامر ممن لديهم تاريخ ابن زيدان رحمه الله .

ثم نقلت عن ابن زيدان ما اعتذر به عن الخليفة المولى العباس في قبوله لمعاهدة جل ما فيها لمصلحة الاسبان الخ .

ثم اثبت نص المعاهدة وهي واقعة في نحو ثلاثين صفحة وعدد موادها اربع وستون.

ثم اثبت نص معاهدة مكملة للمعاهدة المذكورة في الاتفاق على الجلاء عن تطوان وعلى انشاء دار بها للرهبان ، وعلى تقسيط الغرامة الحربية، وعدد مواد هذه المعاهدة ثمان . ثم جاء عنوان :

انجلترا تنصح السلطان بالعمل لتعجيل الجلاء عن تطوان

وقد اثبت نص رسالة كتبها القنصل العام لانجلترا بطنجة الى جلالة سلطان المغرب ينصحه فيها باسم دولته بتعجيل دفع المال لاسبانيا وبالتفويض لاخيه المولى العباس في انهاء الاتفاق مع الاسبانيين لتعجيل جلائهم عن تطوان ، وهي رسالة في غاية الاهمية وتاريخها 12 مارس 1862 (11 رمضان 1278) وهي بامضاء القنصل الانجليزي الشهير جان هاى درمندهاي . ثم قلت ما يلي :

« ويظهر ان السلطان قد اقتنع بما اشار به عليه الانجليزيون، فقبل نصيحتهم ، وعمل بمقتضاها وسارت الامور سيرها الطبيعي . فتم الاتفاق على جلاء الاسبانيين عن تطوان ، وبعد نحو شهر من تاريخ الرسالة المذكورة بل في 14 شوال عام 1278 بالضبط ، كتب السلطان الى اهل تطوان رسالة بتولية بلديهم القائد الحاج عبد القادر اشعاش عليهم ، وبذلك انتهى الاحتلال الاسباني لتطوان ، وعاد اليها الحكم المغربي الاسلامي ، وذلك ما فصلناه تفصيلا في الباب الثامن بحول الله ».

ثم قلت في آخر الفصل السادس ما نصه :

«ولنقف عند هذا الحد ، اذ نحن الآن عند انتهاء الحرب وانقضاء امد الاحتلال ، وعلى عتبة ابواب تطوان لاعادة الحكم الاسلامي الوطني اليها ، وهنا يجمل بنا ان نتحدث قليلا عن هذه الحرب واسبابها ونتائجها وعن مدينة تطوان واحوالها · وعن

احتلالها واحوال اهلها اثناء ذلك الاحتلال مع اشياء اخرى لها علاقة بهذه الموضوعات...»

ثم جاء الفصل السابع من الباب السابع ، وعنوانه :

ابحاث وتعليقات حول هذه الحرب

ثم جاء بعد ذلك عنوان :

دفتر الصائر

وهذا الفصل مخصص للكلام على بعض صوائر هذه الحرب ، وهي التي خرجت على يد امناء تحت اشراف الخليفة السلطاني مولاي العباس ، وجلها صير على المحلة التي كانت في صحبته من لدن وصولها معه الى هذه النواحي الى اواخر ايامها .

وقد عثرت لدى حفدة مولاي العباس المذكور بمكناس على دفتر كبير به تفاصيل تلك الصوائر ، ولخصته في نيف وثلاثين صفحة اثبتها كلها في الاصل، ومن لوائحها نعرف المبالغ التي وصلت ليد امناء ذلك الصائر ليصرفوا منها على هذه الحرب ، ونعرف ايضا مصادر تلك ا لداخيل وتواريخ وصولها ، كما نعرف ايضا انواع المصاريف والاشخاص الذين كانوا يتسلمونها والمدن او القبائل التي ينتسبون اليها وعدد الجيوش التي كانت في المحلة من كل قبيلة من قبائل المغرب ما بين مشاة وركبان وغير ذلك من مختلف الصوائر والعوائد والدقائق التي قد لا تعني مطلق الناس ، ولكنها تهم الباحثين والمدققين في العلم والتاريخ ودراسة الحياة الاجتماعية للامم والشعوب والحكومات .

والصوائر المذكورة كلها خرجت على يد الامين السيد عبد الرحمن عدة التطواني وكان معه اولا الامين الحاج محمد الحلوي الفاسي، ثم ذهب وخلفه الامين الحاج العربي ابن حيون الفاسي ايضا .

والمداخيل والمصاريف المقيدة بهذا الكناش تبتدئ من متم ربيع الاول عام 1276 ، وتنتهي في منتصف شعبان عام 1277 اي ان فيه حسابات ستة عشر شهرا ونصف شهر اثناء الحرب وبعدها وقد جاء في آخر هذا الكناش ان جملة ما يحتوي عليه المصروف في المدة المذكورة على يد الامناء المذكورين عن امر الخليفة مولاي العباس خمسمائة الف وخمسة وستون الف مثقال ، وستمائة وواحد واربعون مثقالا وتسع أواق ونصف اوقية ، وهكذا كانوا يرسمون هذا المبلغ على حسب اصطلاحهم في ذلك الوقت ، 4 ـ 5656419 . ثم يلي ذلك عنوان :

اثناء مكث الاسبانيين بتطوان

ومما جاء فيه ان دخول الاسبانيين لتطوان كان يوم الاثنين 13 رجب عام 1276 موافق 6 فبراير سنة 1860 وخروجهم منها بعد تسليمهم مفاتيحها للقائد الذي ولاه سلطان المغرب عليها ، كان يوم السبت 11 ذي القعدة الحرام عام 1278 موافق عاشر مايو سنة 1862، اي ان مدة احتلال الاسبانيين لتطوان ومكثهم بها كانت سنتين وما يزيد على ربع سنة بقليل ، فكيف كانت تطوان اثناء احتلالها ، واين كان سكانها، وكيف كانوا ، وماذا فعل الاسبانيون في المدينة ، وكيف كانت علاقاتهم مع من بقي فيها من سكانها ، هذه الموضوعات وما في معناها هي التي سأحاول ان اجمع عنها ما يمكنني جمعه من المعلومات المبعثرة هنا وهناك . ولاجل الوصول الى معرفة الحقائق يجب ان نعرف وجهات النظر، وان نسمع ما يقوله اهل كل ناحية عن انفسهم وعن خصومهم ، ولعل ما لدي من المصادر والمعلومات بالرغم من قلته ، يستطيع ان يعطينا صورة صحيحة عن مختلف تلك الاحوال ، وعن وجهات نظر الجانبين بل الجوانب المختلفة ولو باختصار .

ونحن لو تتبعنا اخبار هذه الحرب ومتعلقاتها ، وحاولنا استقصاء ما قيل فيها وكتب عنها، لطال بنا الحديث جدا ولخرجنا عن المعتاد، وان كانت هذه الحرب في نظري جديرة بابحاث وتآليف ، لانها من اكبر ما مر من الحوادث التاريخية في حياة المغرب منذ اقدم عصوره ، ولانها كشفت القناع عما كانت السلطات المغربية تجهله وكان الواجب وما زال يقضي بان تتخذ اعمالها وحوادثها عبرة لمن يعتبر، وان تكون نتائجها تذكرة لمن يذكر فتنفعه الذكرى - والله المستعان.

ثم جاء عنوان :

هل كان الناس يريدون الحرب ؟

وقد بينت ان اهل تطوان كانوا كلهم ضد هذه الحرب ، وان النائب الخطيب التطواني سعى لتفادي وقوعها بكل الوسائل، ولكن جهوده ذهبت ادراج الرياح .

ثم تعرضت لموقف عقلاء المغرب وعوامه ورجال دار المخزن وارسال السلطان للفقيه احمد الوديني الى طنجة للاستطلاع ، ثم ختمت هذا الفصل بما يلي :

«والخلاصة اننا قد نجد من بين مغاربة ذلك العهد من كان غير متشائم من نتيجة هذه الحرب ، اما من كان يريدها او يتمناها فلا اظن له وجودا ، اللهم الا اذا استثنينا بعض خيار العباد الذين كانوا يسمعون فضائل الجهاد او يقرأونها ، وكانوا

يتأسفون لكون هذه العبادة قد اندثرت ، فكانوا يتمنون الفرصة للاستشهاد في سبيل الله ، والفوز بالجنة ورضا الله ... اولئك هم عباد الله الصالحون، الذين يستخدمهم الساسة الماكرون وقودا للحروب، وطعمة لافواه المدافع، ولكن انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى».

ثم جاء فصل عنوانه :

هل كان المغرب مستعدا للحرب ؟

وقد قلت فيه ما نصه : « اما ان المغرب كان مستعدا لهذه الحرب الاستعداد اللازم ، فلا اظن احدا من اهل المغرب قاله او يستطيع ان يقوله ، لقد كان المغرب قريب العهد بنكبة ايسلي التي لم يمض عليها الا بضع عشرة سنة، وقد اصيب المغرب فيها بهزيمة قال عليها مؤرخ المغرب « الناصري » انها كانت مصيبة عظيمة وفجيعة كبيرة لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها. على ان ايسلى انما كانت معركة واحدة على الحدود ، وكانت هي الاولى والاخيرة ، فكيف يكون الحال في حرب رسمية مع دولة مستعدة للحرب ، ولا ينتظر ان يتم الامر معها في معركة او معركتين، ودولة المغرب لم يكن لها جيش منظم ، ولا اسطول بحري بل ولا مركب حربي واحد ، ولا خزائن عامرة تستطيع ان ترسل الامدادات المتوالية الى المحاربين ، ولم تكن تملك من وسائل النقل شيئا يذكر ، كما لم يكن لديها اسعاف طبي للجرحى ولا ادارة منظمة للتموين ولا معاهدة ولا محالفة مع دولة قوية صديقة مخلصة تساعد البلاد بالمواد الحربية التي تماثل ما لدى الاعداء منها ولا . . ولا . . ولا . . . .

ثم نقلت عن الفقيه الوزير سيدي احمد الغنمية رحمه الله قضية وقعت بميناء الدار البيضاء تدل على ما كان عليه المغرب من الاستعداد الخ مع تعليق له على ذلك .

ثم نقلت ما وقع للوجيه سيدي محمد بن عبد اللطيف بتطوان ، وما قاله في هذا الموضوع من كلام حكيم ، وقد ختمت هذا البحث بما نصه :

« والخلاصة ان المغرب لم يكن مستعدا للحرب، والواجب على من يشعر بضعف قوته امام قوة خصمه ، ان يبحث بمختلف الوسائل عما يخصله من المأزق ، خصوصا وقد كان العهد قريبا من عقد معاهدة جديدة مع اسبانيا نفسها في شأن حدود مليلية ، وقد كانت هناك دول تزاحم اسبانيا ، ومنها من كان يدعى صداقة المغرب، وكان في الامكان طلب تدخل تلك الدول لفض المشكلة على مقتضى القوانين الدولية ، ولم يكن من المستحيل ان يقع الوصول الى حل القضية حلا في مصلحة الطرفين ولو بشيء من التضحية، بالرغم من صفاقة وجه بعض ساسة مدريد وطنجة في ذلك العهد، والصفاقة

داء دواؤه البرود ، والهاجم المتوحش اما ان يقابل بقوة اعظم من قوته ، فتكسر قرونه او تقضي عليه ، واما ان يتخلص من هجومه بالتنحي عن طريقه وتركه يذهب في سبيله حتى يصطدم بصخرة تكسر اضلاعه ، واذ ذاك يكون الكلام ويقع الفصال، ولكن يظهر ان القوم كانوا في واد غير هذا الواد .

ثم بعد ذلك جاء بحث عنوانه :

سكان تطوان والحرب والاحتلال

ومما جاء فيه ما يلي :

فوجئ اهل تطوان مفاجأة «بالبراحين»[1] ينادون في الاسواق « بالكرة »[2] مع الصبنيول ، وكان الناس من قبل يسمعون من اجدادهم ان تطوان كانت بلد الرباط وان سكانها كانوا دائما مستعدين فيها للحرب ، ولكن آخر قتال مع الاجانب كان قد مضى عليه نحو قرن ونصف قرن ، والسلاح اللازم للحرب ؛ اين هو ، وكيف حاله ؟ وهذه حرب مع دولة لا مع عصابة ثائرة ، ولا حامية صغيرة ، فكيف العمل ؟ ، لقد وجم الناس في تطوان واضطربوا ، ولكن ما بعد اضطراب الاعصاب الا هدوءها لقد رأى الناس انه لا مفر من قدر ، ولابد من حمل السلاح والقتال ، ثم يفعل الله ما يشاء . ووصل كتاب النائب السلطاني السيد محمد الخطيب يعلم فيه من طنجة بقرب خروج الاسبان من سبتة ، وانهم لن يقصدوا غير تطوان . ووزع على اهل المدينة ما وجد في خزائنها من السلاح والبارود ، فتسلم نصف الناس السلاح وبقي النصف الآخر بدونه ، وكانت العلاقة بين أهل تطوان والقبائل المحيطة بها غير ودية، لخلاف نشأ عن التموين اثناء المجاعة الاخيرة، وأهل البادية هم المرشحون دائما للاتعاب والقتال اما أهل الحاضرة فهم اهل صنائع وتجارة في الغالب . وسمع الناس انذار النفير ، وكان بتطوان حارس ينفخ في نفيره كلما رأى خطرا، فهرع الناس للسلاح ، وانتظروا ورود رجال القبائل فلم يرد عليهم احد ، وطلبوا منهم المساعدة والتعاون على مقابلة عدو الجميع ، فلم يلبوا الطلب ، ولم يحركوا ساكنا ، وماذا عسى ان يقابل اهل تطوان وحدهم ، وجلهم من بقايا اهل الاندلس اهل الحضر والهدوء والامان ، والرفاهية والمياه والظلال والريحان .

وبعث السلطان الجيش الاول الى تطوان، فكان عدده نحو مائة فارس وخمسمائة

---

1) البراح بتشديد الراء في الاصطلاح هو المنادي في الاسواق .

2) الكرة لفظ افرنجي معناه الحرب ، وبهذا المعنى كان ولا زال مستعملا في تطوان وغيرها .

راجل ، وما عسى ان يعمل هذا العدد امام الآلاف المنظمة المزودة بكل ما يلزمها من المواد الحربية والغذائية .

وتكونت من اعيان البلد جماعة التفت حول قائد المدينة ، وتكونت لجنة بلغ عدد اعضائها خمسة عشر رجلا ، وصارت هذه اللجنة هي المدبرة للشؤون من ذلك الحين الى الليلة الليلاء ، ليلة الجلاء . . . .

الى ان قلت : وتجلد الناس وصاروا يرون أن الواجب هو الثبات والقتال حتى ان سيدي مفضل افيلال لما عاد الى المدينة بعد ان اخرج اولاده منها الى محل مامون قال الناس فيه ان الصلاة لا تجوز وراءه لانه فر من الكفار الخ .

ثم تكلمت على ما وقع بين قادة تطوان وكبرائها من الخلاف في شأن السماح للناس باخراج اهلهم واموالهم من المدينة او منعهم من ذلك الخ . وموقف الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون وخروجه مع أهله بالرغم من منع الناس من ذلك . ثم تعرضت لاعمال اللجنة المدبرة ، وبينت سوء تدبيرها بذكر جزئيات كانت نكبة على الناس ، ومما جاء في هذا البحث ما يلي :

واخيرا توالت الهزائم وأطل العدو على تطوان وارسل اليها انذاره ، وكان نارا محرقة هدامة صبتها مدافعه عليها صبا ، فاختلط الحابل بالنابل ، وكسرت القيود وفتحت الابواب ، وفر من الناس من قدر على الفرار ، وخلع السوقة جلباب الحياء وتوارد السلاب والنهاب من العسكر واهل الجبل من كل حدب ينسلون ، وانتشروا في احياء المدينة يسلبون وينهبون ، ويهدمون ويخربون ، وانسحبت السلطة الرسمية وبقيت الفوضى ، وللفوضى ايضا رجالها وابطالها ، والتف الناس حول رجل كان له اتصال بالاجانب لانه يعرف لغتهم ويلبس بعض ملابسهم ، وينوب عن بعض دولهم ، فكان واسطة بينهم وبين الجيش المتغلب المنتصر ، واستسلمت المدينة ، بعد ان جلت عنها السلطات المغربية وغادرها جل سكانها ولم يكن في امكانها غير الاستسلام ، بل هذا الاستسلام هو الذي انقذها من الخراب ، واجلى عنها المغتصبين والنهاب ، المتقاتلين على ما بايديهم من الاسلاب . . . واحتلت الجيوش المنتصرة تطوان ، فعاد اليها النظام ، ولكن تحت سيوف الدولة المحتلة ، وبذلك طوي المصحف ورفع الصليب ، وابتدأ عهد جديد طال اكثر من سنتين ، وكان على اهل تطوان اطول من قرنين. لقد قضى المتخلفون بتطوان والعائدون اليها والمترددون عليها تينك السنتين تحت السيطرة الاجنبية ، وقد اختلفت فيهما معاملتهم ، او على الاصح اختلف نظر الناس الى تلك المعاملة ، فذكر الناصري ان معاملة الاسبانيين للمسلمين كانت اولا حسنة ثم ساءت عقب القتال الذي وقع بعد ذلك الخ .

ثم نقلت كلام الناصري في الموضوع ، ثم تعرضت لموقف المهاجرين من تطوان وكيف كانوا طول مدة الاحتلال ينتظرون الفرج من الله ، ونقلت كلام افيلال في هذا الموضوع .

ثم بعد ذلك جاء بحث عنوانه :

المهاجرون والمتخلفون

ومما جاء فيه ما يلي :

علمت مما سبق ان السلطة الحاكمة بتطوان كانت قد منعت سكان تطوان من مغادرة المدينة اثناء الحرب ، ولكن لما انهزم الجيش المغربي فى واقعة تطوان وانكسرت محلتا المولى العباس والمولى احمد اخوي السلطان امام اسوار المدينة ، واصبح احتلال الاسبانيين لهذه المدينة منتظرا ما بين لحظة واخرى ، قامت الفوضى وكسر الناس ابواب المدينة وخرجوا ليلا في حالة يرثى لها ، ولم يبق بها الا عدد قليل من السكان ، وقد توزع اولئك المهاجرون الفارون بدينهم واهلهم في مختلف المدن والقرى . . .

ثم ذكرت عددا من العائلات المهاجرة الى مدن شفشاون والقصر الكبير وفاس والقبائل الجبلية .

ثم ذكرت عددا من مشاهير المتخلفين بالمدينة ، وختمت هذا البحث بما نصه : « وقد فتح بعض الناس افواههم في المتخلفين بتطوان تحت حكم الكفار ، وقالوا فيهم اقبح القول ، وذلك القول ان كان صحيحا بالنسبة للمنافقين الناهبين لاموال الناس ، فانه ظلم وبهتان بالنسبة للشيوخ والعجزة ، ومن بينهم مثل الفقيه العالم الشريف الشيخ الجليل سيدي الطيب اليعقوبي الذي اجمع اهل تطوان على علمه وصلاحه وزهده ، خصوصا وان الخروج من المدينة كان في جنح الظلام ، وبين اصوات الصراخ والعويل ، والبكاء والنحيب ، وكان الداخلون الى المدينة من سفلة الجند والرعاع للسلب والنهب ، اكثر من الخارجين منها للهجرة ، وقد فقدت دواب الركوب وانعدم الامن على الانفس والاموال ، وصار الخارجون من البلد ، معرضين للقتل والنهب ، اكثر من الذين لبثوا في ديارهم واقفلوا عليهم ابوابهم . ولا شك ان عددا من اولئك المتخلفين كانت لهم اعذار شرعية مقبولة ، كما ان عددا منهم انما تخلف لنهب الديار التي هاجر اهلها ، وفعلا قد ظهر أثر ذلك بعد عودة الناس من مهاجرهم ، ثم شاع بعد ذلك على جميع الالسنة في تطوان ان العائلات المتخلفة التي شاركت في السلب والنهب ، قد اصيبت اما بالانقراض ، واما بالفقر والذل والعياذ بالله ، ويذكرون من ذلك اسماء

عائلات معروفة ينطبق عليها ذلك والامر لله .

ثم بعد ذلك عقدت بحثا عنوانه :

كيف كانت العلاقات بين الولاة المغربيين اثناء الحرب

وتكلمت على جماعة الاعيان الذين التفوا حول باشا المدينة ، وكانوا يعقدون اجتماعاتهم بمحضر المولى العباس والامين الزبدي الخ ، وتعرضت لسعي الزبدي في عزل باشا تطوان وكتابته بذلك للسلطان الخ .

ثم اثبت ما كتب لي به صديقنا السيد احمد الزبدي نقلا عما كتبه والده المذكور عن الخليفة والوزير وباشا تطوان الخ ، مما يدل على ان القوم لم يكونوا على قلب رجل واحد والامر لله .

ثم جاء بحث عنوانه :

بين مولاي العباس والشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون

وقد بينت فيه اتصال مولاي العباس بالشيخ المذكور ، وانه كان يستشيره فيشير عليه بما هو الحق والصواب ، وان لجنة الاعيان كانت لا ترى رأي الشيخ المذكور الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها المولى العباس الى الشيخ المذكور من «الفندق» بقبيلة وادراس الى قرية تازروت في نفس اليوم الذي كانت فيه معركة وادراس النهائية حامية الوطيس اي بتاريخ 30 شعبان عام 1276 .

ثم اثبت جواب الشيخ المذكور له نقلا عن خط مولاي العباس نفسه .

ثم جاء بحث بعنوان :

من افكار الاسبانيين عن اسباب هذه الحرب ونتائجها

ومما نقلته في هذا البحث فقرات عديدة من كلام س فكيراس الاسباني في كتابه « مارويكوس » ، مع تعليقات مسهبة لي في الموضوع . وبعد كلام عما سبق هذه الحرب من العلاقات بين الاسبانيين والمغربيين جاء ما يلي :

«ثم جاءت الفرصة ولم تتح الا سنة 1859 ، حينما عمد بعض الرعاع من اهل انجرة الى هدم حجارة على الحدود، فكانت حرب افريقيا التي خاضتها اسبانيا وحدها ولم يساعدها فيها احد ، ولكن بقدر ما خسرت فيها من الانفس والنفائس ، ربحت من القشور والسفاسف . . . .

لقد اغتاظ مؤيدو الاستعمار من المؤرخين وغضبوا وحنقوا على ساسة اسبانيا في

ذلك العهد ، لانهم رأوا ان ساسة المغرب قد خدعوهم فانخدعوا ، وبعض ساسة اوربا قد خوفوهم فخافوا، وان اسبانيا قد خسرت رجالها وأموالها ومعداتها في مقابل دريهمات معدودة ، واشبار من الارض محدودة ، ودار للرهبان محروسة ، وارض مجهولة لا يعرفها لا الذين طلبوها ولا الذين منحوها ، ومعاهدة تجارية عظيمة في الظاهر هزيلة في الباطن ، ونحو ذلك من الامور التافهة التي لا نسبة بينها وبين الضحايا والتضحيات التي تكبدها الشعب الاسباني المسكين .

لقد تبخرت الاماني المعسولة التي كانت تملأ ادمغة الاشخاص الذين كانوا يتعصبون للكاثوليكية او للاستعمار ، وضاعت وصية ايسابيل القديسة ، والراهبة المتعصبة ، وعض اصحاب تلك الآمال الكبرى اصابعهم بل اكفهم على خيبة آمالهم ، انهم كانوا يرون ان الفرصة « لو احسن استغلالها » كانت سانحة لطلب ما هو اهم واعظم واثبت من كل ما وقع ، وان الظروف كانت مواتية لوضع خطة واسعة محكمة لمستقبل اسبانيا في المغرب ، وفي الشمال الافريقي ، وارغام المغرب المغلوب على المصادقة عليها ارغاما ، وبعبارة اوضح ، ان غلاة المستعمرين متأسفون لكون ساسة اسبانيا في ذلك العهد ، لم ينتهزوا فرصة غلب المغرب فيفرضوا عليه حكم اسبانيا ويضموه اليها كما فعلت فرنسا في الجزائر ، فهم يرون ان الفرصة كانت سانحة للقيام بشيء ، وهل يعنون بذلك الشيء غير ضم المغرب الى اسبانيا كما ضمت الجزائر لفرنسا ، وكما ضموا هم انفسهم سبتة ومليلية المغربيتين الى اسبانيا . . . ولكن ساستهم بكل اسف او فرح لم يحسنوا استغلال تلك الفرصة العظيمة، ولم يجنوا اية ثمرة مفيدة، بل كان الامر بالعكس ، فانهم تلافوا سقوط المغرب بمؤازرة نظام « سطاطوكو » (اي ابقاء ما كان على ما كان) في المملكة المغربية .

وصديقنا سابقا السنيور فكيراس يقول في اولئك الساسة، إنهم توسلوا بالحرب وسفح انهار الدماء وانفاق جداول الذهب وتبذير كنز اسبانيا الروحي وا ـادي لترجيح كفتهم حينما كانوا في مفترق الطرق السياسية المؤدية الى معرض المطامع ليحصلوا على منافعهم الشخطية على حساب المصلحة القومية، ولم يكن عمل الساسة إلا تحرقا يخولهم ان يرجعوا عودا على بدء بنفس ما كانوا عليه من جهل بالامور واستخفاف بمصالح الوطن الحقيقية » .

ومما جاء في كلام س فكيراس المذكور ، العبارات الآتية :

فتحمس الشعب « يعني الشعب الاسباني » الذي كان من المعقول ان يتحمس حيث ان رجالا خدعوه لكي يحصلوا منه على هذا الاندفاع ، مع ان الغاية من هذه الحرب ليست الا الانامة للاضطرابات السياسية الداخلية . . . الخ

ونقلت ايضا كلام المؤرخ الاسباني منويل كاسطيانوس وهو يتأسف من كون الاضطرابات في اسبانيا حالت دون القيام بتأدية رسالة مسيحية تمدينية كانت العناية الالهية تحثهم على تأديتها للمغرب في اول وقت مناسب الخ .

ثم جاء بعد ذلك بحث عنوانه :

ما هي الروح التي كانت تسيطر على المحتلين لتطوان

ومما قلت فيه ما نصه :

نجد التعبير عن هذه الروح واضحا جليا فيما كتبه س فكيراس في كتابه « مارويكوس » .

والسنيور فكيراس كان يرى ان الاسباب الحقيقية لتلك الحرب انما هي سياسية محضة ، وكان يستنكر اقوال الذين يظهرون الفكرة الصليبية الا انه اثبت لنا ان الفكرة التي كانت تسيطر على الرأي العام في اسبانيا، هي فكرة التعصب الديني، والتلهف على تنفيذ وصية ايسابيل الكاثوليكية من تنصير اهل المغرب وإلحاقهم مع ارضهم باسبانيا .

والصحافة كما هو معلوم هي لسان الامة ، وتلك الصحافة هي التي كانت تقول ذلك وتنشره ، وقد قال س فكيراس في الفصل السادس من كتابه المذكور ما ترجمته ،

« وعادة الصحافة دائما اخراج الامور عن نطاقها ، وبهذه المناسبة اخذت تقول . اننا سنذهب لفتح افريقيا للقيام بتنفيذ وصية ايسابيل الكاثوليكية » .

ثم نقلت كلامه في اماكن متعددة ، وكله يدل على تأكيد ذلك المعنى .

ثم ختمت هذا البحث بما يلي: ونظن ان هذا كاف في بيان الروح التي كانت تسيطر على الرأي العام الاسباني في تلك الحرب، اي انها روح التعصب للمسيحية ضد الاسلام، وتلك الروح هي التي ارغمت اهل هذه الضفة على مقابلتها بتعصب مماثل للاسلام والمغرب، وهي التي كما قال س فكيراس نفسه، حالت دون اخذ المغربيين بمظاهر الحضارة التي قام بها الاسبانيون في تطوان اثناء احتلالها. ونحن نرى ان التعصب ضد المغتصبين المعتدين، عمل توجبه الوطنية الصحيحة على الاحرار، وهو على العموم وصف محمود، اما التعصب ضد الاصلاحات كالتعصب الاعمى للعقيدة والمذهب ، فانما هو مظهر من مظاهر التأخر والجمود ،

ومما لا نشك فيه ان اسبانيا كان - وما زال - بها سياسيون لا تهمهم الناحية الدينية . وانما يعملون للسيطرة السياسية والاقتصادية مع السماح للاهالي بالتطور الذي يقتضيه العصر وتسمح به السياسة والظروف ، ولكن مما لا شك فيه ايضا ان الروح

التي كانت مسيطرة على جل الاسبانيين في حرب الستين ، انما هي روح صليبية روجها السياسيون الماكرون لاستغلال الشعب المتدين المسكين . . . .

ثم بعد ذلك جاء بحث عن ولاة تطوان اثناء احتلالها ، وقد ذكرت فيه ان الحاكم العسكري الاسباني هو الذي كان مسيطرا على جميع الشؤون الا ان الاسبانيين عينوا الحاج احمد ابعير للنظر في شؤون المسلمين المتخلفين بتطوان ، كما كان الفقيه العدل السيد احمد ماشان هو الذي تولى القيام باعمال القاضي الخ .

ثم بعد ذلك جاء بحث عنوانه كيف تلقى المغرب نبأ سقوط تطوان ، ومما جاء فيه ما نصه : « لقد كانت واقعة ايسلي على الحدود الجزائرية عام 1260 حادثة كشفت النقاب عن وجه الحقيقة ، وعرف العقلاء ذلك الغلط الفادح الذي كان مسيطرا على عقول القابضين على زمام السلطة بالمغرب ، فلما جاءت حرب عام 1276 اخذ ذوو الغيرة يعملون مافي وسعهم للوقوف في وجه الكارثة ، وارسل السلطان المقاتلين من الجيش والقبائل الى تطوان ، وقصد المتدينون اماكن القتال للجهاد في سبيل الله ، والفوز بالشهادة ورضا الله ، ولكن داء الفوضى والاهمال كان عضالا فضاع كل ما بذل من جهود .

وقد علمت ان عددا من الناس في الاماكن البعيدة عن المعارك ، كانوا يرون الخيل والبغال تاتي مع الاسارى من ناحية القتال ، فيظنون ان المسلمين منتصرون ، وأنهم ليسوا في حاجة الى اعانة او مدد ، وأنهم عما قريب سيصلهم نبأ القضاء على العدو ورميه في البحر الخ ثمرات الجهل والتضليل ، والى ما قبل احتلال تطوان بيوم او يومين ، كانت الانباء تنشر بانتصار المسلمين وانخذال اعدائهم المعتدين ، وقد رأيت ان الدوائر المخزنية كانت الى ما بعد احتلال تطوان ببضعة ايام تكتب مبتهجة بالانتصار على الاعداء . فنبأ سقوط تطوان وهزيمة المسلمين ، لا شك انه فاجأ اهل المغرب مفاجأة لم تكن منتظرة ، ولا شك ان كثيرا من الناس فكروا في ان من الممكن ان يكون احتلال تطوان فاتحة عهد جديد تمثل فيه رواية الاندلس من جديد ، وكان الامر كذلك لولا لطف الله الذي تجلى في اختلاف الدول وعدم سماحها باستبداد أية واحدة منها بالاستيلاء على المغرب .

ومن الطبيعي ان يشعر عقلاء المغرب بالخطر ، وان يتأثروا ، وجدير بهم ان يتألموا وان تضطرب اعصابهم وتجري عبراتهم على ما حل بالامة من نكبة الاحتلال ، وما يهدد دينها وعزها بالاضمحلال . واني اظن ان هناك من الآثار المكتوبة التي تعبر عن ذلك الشعور شيئا كثيرا لم اطلع عليه ، واني اقتصر هنا على اثرين من تلك الآثار ، وأحدهما هو الخطبة الجليلة التي القاها العلامة النبيل سيدي عبد الكبير الفاسي

الفهري خطيب اعظم جامع بالمغرب وهو جامع القرويين بفاس عقب ذلك الاحتلال المشئوم ، والآخر قصيدة من الشعر الملحون نظمها الفقيه الاديب سيدي الحاج ادريس السناني الفاسي . ثم اثبت نص الخطبة والقصيدة[1]

ثم جاء بعد ذلك بحث

فيما قاله اهل تطوان في واقعتهم من المنظومات والاشعار

وقد اثبت في هذا البحث منظومات وقصائد قدمت لها بما يلي :

« ونثبت هنا عدة قصائد قالها بعض طلبة تطوان وهي وان كان جلها غير مستوف للشروط وناظموها انما هم فقهاء غير ادباء فلا نصيب لهم في دولة الشعر، او عوام لا معرفة لهم بالقواعد، ولكنهم رجال امتلأت قلوبهم، ورقت عواطفهم ففاضت عبراتهم وانطلقت السنتهم بكلام عامي في صورة شعر عربي ، وكيفما كان الحال فكلام هؤلاء ككلام اولئك ، يصور لنا شعور مختلف الطبقات نحو تلك النكبة العظيمة . نكبة الهزيمة والخذلان والاحتلال.

واذا كانت بعض الطبقات لا ترتضي اثبات مثل هذه المنظومات في التاريخ، فانا نعتذر لاصحابها بان هذا الكتاب ليس كتاب ادب او دعاية ، وانما هو كتاب تاريخ يسجل الحوادث كما يراها ويرسم الصور كما هي بدون «رتوش» كما يقول اصحاب الفن، وايضاً إنا نرى أن الذين لا يحسنون صناعة الشعر ولا يتقنون قواعد سيبويه لهم ايضاً شيء من الحق في التعبير عن شعورهم والادلاء بافكارهم، ولكل قوم لغتهم واسلوبهم،

ثم اثبت نص قصيدة سيدي مفضل افيلال ومطلعها .

يا دهر قل لي على مه * كسرت جمع السلامة

وختامها :

ما فاز الا ذكي * قدم خيراً امامه

وابياتها اثنان واربعون ، مع تعليقات وشروح كتبها ناظمها على جل ابياتها ونقلتها من خط بعض تلاميذه رحمه الله .

ثم منظومة للفقيه السيد محمد القيسي من عدول تطوان ، ومطلعها :

تصبر لحكم الله في القوم اذ جرى * عليهم بانواع الوبال المحتم

وختامها :

وءاله ما بالحسن يختم للورى * وما شرب الظمان من ماء زمزم

وفيها مائة بيت وسبعة ابيات .

1) اتحفنا بهذين الاثرين التاريخيين صديقنا الاستاذ النابغة سيدي محمد بن عبد الهادي المنوني بمكناس .

ثم منظومة الفقيه محمد السلاسي من عدول تطوان ايضاً ومن المتخلفين بها ومطلعها :

ايادرة البلدان حل بك البلا * فصرت لاهل الكفر مأوى ومنهلا

وختامها :

ونسبتهم والله للعدو الذي * اتاهم كلا شيء وهذا قد انجلى

وعدد ابياتها واحد وثلاثون .

ثم قطعة من كلام الشيخ الصالح الشريف البركة سيدي المكي ابن الشيخ سيدي علي بن ريسون ومطلعها :

قد اصيبت تطواننا الغراء * بدواهي ليس عندها دواء

وختامها :

ماطلعت شمس وغابت نجوم * وسجدت لخالقها الاشياء

وعدد ابياتها اثنان واربعون .

ثم قطعة اخرى لم اعرف ناظمها ومطلعها :

اروم سلوا والزمان يعوقني * واطلب قربا والمصائب تقصيني

وختامها :

ويعلو به نور الرسول محمد * ويخمد سيف الكفر والله يشفيني

وعدد ابياتها ثلاثة عشر.

ثم قطعة اخرى لم اعرف صاحبها ايضا ويظهر ان صاحبها من المتخلفين بتطوان ومطلعها :

لئن خيم الهجران وانكشف الامر * واصبح في الاعراض عن وجهك البدر

وختامها :

عليكم سلام ما تنغص مومن * لما حل بالاسلام لكن له الامر

وعدد ابياتها ثلاثة عشر.

ثم قطعة نظمها الشريف سيدي مفضل افيلال عند ما قوي الرجاء في استرجاع تطوان ومطلعها :

جاد الزمان على الاحبة بالمنى * رغما على انف العدا فلنا الهنا

ثم قطعة اخرى من الشعر الملحون من نظم الشريف المذكور ومطلعها :

صبروا لحكام ربنا * مولى الملك حكيم

كل يوم هو في شان * يفقر ويغني

ثم قطعة للفقيه السيد احمد الجندي من عدول تطوان ايضا وكان في نحو

التسعين من عمره، وفي ليلة خروجه من تطوان مهاجرا في الظلام وقع في حفرة لم يستطع الطلوع منها فقضى ليلته في قعرها ولم ينتشل منها حتى طلع النهار. واولها :

فأهل تطوان هاجروا لبارئهم * والعز في الهجرة والقرب والنظر

وآخرها :

تطوان صبرا على امر كلفت به * يعيدك الله روضة فتفتخر

وابياتها خمسة عشر

ثم قطعة اخرى لم اعرف ناظمها واولها

يا آل تطوان لا زالت محاسنكم * يسمو بها الدهر والعليا تساعدكم

وآخرها :

وكيف يلحقكم عار وجندكم * هو العدو تصدى للقتال لكم

وقد اثبت نصوص جميع تلك المنظومات بالرغم مما هي عليه ، لان فيها التعبير الشافي عما كان اهل تطوان يشعرون به نحو تلك الكارثة ، ولان في بعضها زيادة على العواطف ، وصفا دقيقا ومعلومات تاريخية وحملات شعواء الخ .

ثم بعد ذلك جاء بحث عنوانه :

ماذا كتب المغربيون عن هذه الحرب

وفي هذا البحث تكلمت على المخطوطات التطوانية الثلاثة ، واولها مخطوط سيدي مفضل افيلال وهو عند حفدته .

وثانيها مخطوط آخر لم يعرف كاتبه ، وهو محفوظ في خزانتي «الداودية» بتطوان بخط مؤلفه .

وثالثها مخطوط مدريد وهو محفوظ بها ، وكاتبو هذه المخطوطات كلهم من اهل تطوان .

اما المؤرخون المغربيون فقد كتب عنها الناصري في الاستقصا ونقل كلامه صديقنا الفقيه القاضي السيد العباس بن ابراهيم في كتابه الاعلام واثبته بحذافيره وبما تعلق بتلك الحذافير ، ولم يات بشيء جديد .

وتكلم عليها صديقنا المرحوم مولاي عبد الرحمن زيدان في كتابه الاتحاف، وقد اجاد وافاد بما نقل من مستندات . وقد كتب عنها غير هؤلاء كتابات لم تشتهر وجلها لم ينشر ، وقد سبقت الاشارة لبعضها . . .

ثم اثبت في الاصل نص مخطوط مدريد الذي ترجمه الى الاسبانية س رويز ارساطي الاسباني ثم رده الى اصله العربي صديقنا الاستاذ الجليل سيدي التهامي

الوزاني وصفحات هذا المخطوط اربع واربعون. ثم اثبت نص ما كتبه المترجم الاسباني لذلك المخطوط مع تعليقات عليه تبين وجهة نظر بعض الاسبانيين وتصحح ما في كلام الكاتب المغربي من اخطاء في نظرهم الخ .

ثم بعد ذلك ياتي بحث عنوانه :

الاسبانيون واعمالهم بتطوان اثناء الاحتلال

وقد بينت ما وقفت عليه من ذلك كما بينت ما كان لدى بعض الاسبانيين من امل الخ.

وبعد ان بينت عددا من الاصلاحات المادية التي قاموا بها قلت ما يلي :

وهذه كلها اشياء حسنة مفيدة ، وكنا حقيقة نود لو ان المغرب استفاد منها وحافظ عليها وعممها في مختلف الجهات ، وجعل ذلك نواة لحضارة جديدة يساير المغرب بها بقية دول ذلك العهد ، ولكن يظهر ان التعصب كان قد بلغ غايته في ذلك التاريخ لدى الفريقين، وان اسبانيي ذلك العهد كانت تنقصهم المرونة واللباقة التي يستطيعون بها ان يستجلبوا القلوب نحوهم ونحو اعمالهم، كما ان روح التعصب والغطرسة التي كانت مسيطرة على الكثيرين منهم كانت تمنع الناس من استحسان اي شيء يصدر عنهم ولو كان صالحا مفيدا .

اما الرأي العام المغربي فيظهر انه كان يرى ان الاعمال التي قام الاسبانيون بها في تطوان لمصلحتهم، لا تعد شيئا بالنسبة لما كان يهدد دينهم ووطنهم من دخولهما تحت رحمة من يخالفهم في العقيدة والوطنية ، وحتى الذين رضوا بالبقاء في تطوان تحت السيطرة الاجنبية لاسباب يعملها الله ، كانوا يرون ان الاهانات التي كانوا يلقونها من مختلف الطبقات الاسبانية ، لا تزيدهم الا نفورا من الاسبانيين وأعمالهم... الى ان قلت : والسنيور فكيراس يرى (ولعل الحق في جانبه) ان عدم النجاح في الاصلاحات التي قام الاسبانيون بها في تطوان ، سببه هو تلك الصبغة الصليبية التي الصقت بتلك الحرب ...

ثم جاء بعد ذلك بحث عنوانه :

المحلات الرسمية والمصالح العمومية

وقد بينت فيه اين كانت اقامة قائد الجيش والحاكم العسكري للمدينة وادارة اركان الحرب ومحل النادي ومركز الطبجية والمهندسين والسجن والمستشفيات ومخزن البارود وغير ذلك كثير ، والاماكن التي كان بها كل ذلك معروفة قائمة الى الآن .

ثم بعد ذلك جاء بحث في :

الابـراج والتحصيـنـات

وقد تكلمت فيه على حصن القصبة وما يتصل به من الاسقالات والابراج كبيرها وصغيرها وما سموا به كل واحد منها الخ .

ثم جاء فصل عنوانه :

زاوية تحول الى كنيسة كاثوليكية

وقد جاء فيه ما يلي :

في الضباط والجنود اناس متدينون ، او يراد منهم ان يكونوا متدينين ، والمتدينون المسيحيون لا بد لهم من كنيسة ، وروح الصليبية التي تظاهر بها قادة الاسبانيين لجلب عطف الشعب وتاييده وتضحيته، لا بد لها من مظهر تتجلى فيه ويؤيدها، وهل هناك مظهر افضل من تحويل المساجد الاسلامية الى كنائس مسيحية ، ورهبان اسبانيا حينما يصلهم نبأ تحويل مسجد اسلامي الى كنيسة كاثوليكية ، يزداد نشاطهم ، وتتضاعف جهودهم ودعايتهم ، والبقرات الحلوب عددها وافر، والبسطاء المغرورون في الدنيا كثيرون، فيتهافت المتدينون، ويتقاذف المتعصبون ، ويكثر الباذلون ، وفي جميع ذلك ارضاء لصاحبة الجلالة الكاثوليكية ، وتنفيذ لرغبات الساسة الماكرين ، وإشباع لنهم القادة المستغلين ، فلابد إذن من إقامة كنيسة ، ولابد ان تكون على أنقاض مسجد للمسلمين. وعواطف هؤلاء المسلمين ؟ هذا السؤال جوابه ان ذلك امر لا يهم ، والويل للضعيف المغلوب . وهذه الفكرة الصليبية التي يتضايق السنيور فكيراس من ذكرها ، ويحاول ان يسترها او يمحوها ، وهو لا يكاد يخطو خطوة الا ويتعثر بها ، هي التي « كما قال هو نفسه » كانت مسيطرة على نفوس الرؤساء الاسبانيين الذين عمدوا الى زاوية من اقدس زوايا تطوان وهي زاوية سيدي عبد الله الحاج البقال(1) فاتخذوها كنيسة كاثوليكية واطلقوا عليها اسم « نويسطرا سنيورا دي لاس فكتوريـاس » NUESTRA SEÑORA DE LAS VICTORIAS اي سيدتنا ذات الانتصارات . ولعل هذا العمل لا يحتاج لتعليق.

ثم يلي ذلك بحث في :

---

1) زاوية سيدي عبد الله الحاج هي الواقعة في ساحة الفدان التي اطلقوا عليها اسم ساحة اسبانيا، «بلاسا دي اسبانيا» منذ ذلك التاريخ حتى الان .

حالـة المساجد والزوايـا اثنـاء الاحتلال

وقد تكلمت فيه على بعض المساجد والزوايا وكيف كانت حالةجا مع الباشا وجامع القصبة وزاوية سيدي السعيدي وزاوية سيدي ابن الفقيه الخ.

وتعرضت لما كتب به النائب الخطيب الى الوزير بوعشرين عما وجد عليه حالة مساجد تطوان وزواياها عند ما زار تطوان لعقـد الصلح الخ . ونقلت عن مخطوط مدريد ان خمسة من المساجد والزوايا هي التي سلمت من الامتهـان، وان جميع ما عداها قد اتخذ بعضه مخازن، وبعضه مطـاعم، وبعض ذلك لربط الدواب، وبعضه حانات لشرب الخمر الخ. وقد ختمت هذا البحث بهذه العبارات :

« وبالجملة فان المسلمين الذين تخلفوا بتطوان لم تبق لهم جامعة محترمة، ولا كلمة مسموعة، ولا قيمة واعتبار، في نظر المحتلين الذين كانوا سكارى بخمرة الانتصار. وهذا شيء عادي لا يستغرب منه ، وقد رأينا كيف كانت حـالة الفرنسيين عنـد مـا دخل الالمانيون عاصمتهم باريس وسيطروا على بقية بلادهم وفرضوا عليهم ارادتهم واهـانوهم شر امتهان ، ثم ها نحن نرى الان (1373 ـ 1954) حـالة الالمانيين وقـد احتل الحلفاء الاربعة بلادهم ومن جملتهم فرنسا نفسها التي كانت مغلوبة محتلة مهانة ، فلقد اختفت عظمة المانيا التي كان المثل يضرب بها ، وهذا شأن كل مغلوب تحتل بلاده احتلالا...

لقد كان الجند المحتل لتطوان كثيرا ، والمدينة ضيقة ، والمساجد متعددة واسعة ، والوازع مفقود ، والرغبة او الرهبة معدومتان، فاتخذت السلطة العسكريـة تلك المساجد لمختلف الاغراض والغايات، وهذا هو شأن الحروب، وما يعقب الحروب من الانتصارات والفتوحات ، او الهزائم والاهانات، ومن ساءه ذلك فليشرب البحر، ولكن يوم لنا ويوم علينا، ودوام الحال محال .

ثم بعد ذلك ياتي بحث في :

تـهـديـم المبـاني للتحسيـن او للتحصين

وقد نقلت فيه ما ذكره الناصري من ذلك ثم نقلت ما كتبه الخطيب في رسالته للوزير بوعشرين وبينت الاماكن التي هدمت داخل تطوان وهي كثيرة . ونقلت عن المصادر الاسبانية ان تلك التهديمات كان بعضها لفتح طرق المواصلات بين مختلف الجهات ، وبعضها لتسهيل الدفاع عن المدينة وحصونها، وبعضها لتوسيع الطرق وتحسينها،

او لفتح ساحات واسعة داخل المدينة الخ. ويا ليت قومنا حافظوا على ما كانت فيه المصلحة من ذلك .

ثم جاء بعد ذلك بحث في :

تحويل الاسماء العربية الى اسبانية

وقد بينت فيه ان الاسبانيين وضعوا اسماء جديدة اسبانية لجميع ما في تطوان من ابواب وابراج وساحات وشوارع ودروب وقد ذكرت جميع تلك الاسماء الكثيرة الى جانب الاسماء التي كانت بها قديما والتي تعرف بها الان وتتبعت ذلك حومة فحومة.

ثم يلي ذلك بحث في :

الصحف والمطابع بتطوان اثناء الاحتلال

وقد تكلمت فيه على جريدة EL ECO DE TETUAN صدى تطوان . وتاريخ اول عدد صدر منها بتاريخ فاتح مارس سنة 1860 ثم تكلمت على جريدة مخبر تطوان EL NOTICIERO DE TETUAN وكانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع في حجم صغير 30 × 20 ، ومن ابرز فصولها المنشورة في اعداد متوالية ، فصل في التعصب الديني الاسلامي ؟ .

وتكلمت على المطبعة التي يظهر انها كانت الوحيدة بتطوان وبينت اسمها ومكانها الخ. ثم ختمت هذا البحث بما نصه :

ومن غريب الاتفاق ان هذه الدار التي اسست بها اول مطبعة افرنجية، وصدرت عنها اول جريدة اسبانية سنة 1860 ، هي نفس الدار التي اسست بها اول مطبعة عربية في تطوان وصدرت عنها اول صحيفة عربية بها ، وهذه المطبعة هي التي جلبها المجمع العلمي عام 1335 - 1917 ، وهذه لصحيفة هي مجلة «الاصلاح» التي أسسها المجمع المذكور في نفس تلك السنة، وكانت مجلة «الاصلاح» في حجم جريدة المخبر ايضا. وهكذا يعيد التاريخ نفسه، ولكن شتان ما بين خطواتهم وخطواتنا، ويا ليت ثم يا ليت مواطنينا استفادوا مما رأوا لدى اولئك المحتلين في ذلك العهد من وسائل الحضارة والتقدم ، وليتهم كونوا الصحف ، وعبدوا الطرق ونظموا الجيوش ، وفتحوا المدارس والمستشفيات، وقلدوا المتغلبين في جميع تلك الاشياء التي بها وبامثالها تغلبوا وتملكوا البلاد وفرضوا حكمهم على اهلها، وغرامتهم على حكومتها. حقيقة لقد ادخلت على المغرب اصلاحات متنوعة في ذلك العهد ولكنها خرجت كما دخلت دون ان نستفيد منها.ولقد كان بعض اهالي

تطوان يستحسنون تلك الاصلاحات المادية الحقيقية النافعة ويودون لو تقع المحافظة عليها وينسج على منوالها، ولكنهم صاروا بذلك الاستحسان انصاف الكفار في نظر بعض الناس الذين منهم بكل اسف من ينتسب للعلم، وذلك لانهم يستحسنون اعمال الكفار، ومن استحسن شيئا فقد احب اهله في نظرهم، ومن احب قوما حشر معهم، وقبح الله الجهل وقبح التعصب.

ثم ختمت هذه الجزء ببحث قلت فيه ما نصه:

اما نحن المغربيين فيجدر بنا ان نتساءل، ماذا ربحنا من هذه الحرب، وماذا خسرنا فيها؟.

اما لائحة الارباح فليست طويلة ولا عريضة، ولا تحتوي لا على صفحات ولا على صفحة واحدة، ولعلها مجموعة في جملة فريدة هي اننا لم نربح شيئا ما عدا معرفة الحقيقة التي كانت حكومتنا تجهلها كما كان يجهلها كثير من الناس في الداخل والخارج، وهي ان حكومة المغرب كانت لا تستطيع محاربة دولة منظمة، لانه لم يكن لديها نظام حقيقي مناسب للعصر، وانما كانت لديها انظمة عتيقة وتقاليد اكل الدهر عليها وشرب ولم تعد صالحة للنهضة الحديثة التي نهضتها دول العالم وشعوبه. واما الخسائر فلوائحها طويلة عريضة، مختلفة متنوعة مادية وأدبية، عامة وخاصة، وماذا عسى ان نعدد؟، لقد خسر المغرب سمعته كدولة قوية تخشاها دول وتداريها، والسمعة والثقة عليهما ترتكز الحياة والعزة.

وقد قال مؤرخ المغرب ابو العباس الناصري في الاستقصا في هذا الموضوع كلمة هي عين الصواب والواقع، وهي قوله:

« ووقعة تطاوين هذه هي التي ازالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب، واستطال النصارى بها وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله، وكثرت الجنايات ونشأ عن ذلك ضرر كبير نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ».

وخسر المغرب حريته كدولة تتصرف في شؤونها بدون تدخل ولا رقابة، فصارت الايدي تلعب، والدسائس تحاك، والمؤامرات تدبر، والذمم تباع، وذئاب الافرنج واذنابهم يستأسدون على من كان سلفهم كالسباع قوة ومهابة، فصاروا هم كالنعاج ضعفا وخنوعا . . . .

وخسرت تطوان خسارة لم تعرفها في تاريخها منذ جدد المهاجرون الاندلسيون بناءها عام 889 - اي منذ نحو اربعة قرون، فان اهل تطوان منذ هاجروا اليها من الاندلس لم يصابوا بنكبة كنكبة هذه الحرب، إذ خرجوا منها ليلا لا يحملون الا ابناءهم والعجزة من شيوخهم وعجائزهم، وتركوا بالمدينة كل ما يملكون من مال

ومتاع ، فكم من ذخائر ، وكم من تحف ، وكم من كتب ومخطوطات ، وكم من وثائق ومستندات ، وكم من اموال وثروات . . . . خزائن عامرة بالكتب تبعثرت وضاعت، وصناديق مشحونة بالذهب والفضة والنفائس قد نهبت ، وبيوت كانت ممتلئة بالاثاث الرفيع، والرياش الفاخر، ومظاهر الحضارة وما جلبه الاندلسيون من فردوسهم الاسلامي المفقود ، لقد ضاع ذلك كله ، ولقد امتدت اليه الايدي العابثة الجانية ، فسلبت ونهبت، وباعت ونقلت ، واحرقت واتلفت ، ولم يبق بتطوان من ذلك الا الصدى او الرماد ، والا الحزن والالم الذى يذيب حتى الجماد . . . .

لقد خسر المغرب عموما ، وخسرت تطوان خصوصا ، ولم نربح الا معرفة الحقيقة ، ولكن هل احسنا الاستفادة من معرفة تلك الحقيقة التي جابهتنا بان ذلك العصر لم يكن في الامكان ان تعيش فيه الدول حرة مستقلة، آمنة مطمئنة، الا اذا كانت عالمة غنية ، منظمة قوية ، وان الجهل والفقر والفوضى انما مآل اصحابها الموت الزؤام ، وما موت الدول والشعوب الا استيلاء الاجانب عليها وفقدان حريتها واستقلالها ، وما فقدان الحرية والاستقلال الا فقد للعز والشرف والمجد ، هل احسنا الاستفادة حقيقة فأخذنا بالوسائل التي تحول بيننا وبين تكرار النكبة بل النكبات ؟ .

لو كنا فعلنا لرجحت كفة الارباح على الخسائر ، والحسنات على السيئات، ولكننا بكل اسف لم نفعل فصرعنا ونكبنا وصلينا وما زلنا نصلى، وسوف نصلى حتى نستفيق ونومن ونكون من الصالحين ، ونضحي كما يضحي المومنون والاحرار . واذ ذاك نستحق ان نعيش محترمين » .

وبذلك ينتهي الجزء الخامس من اصل الكتاب ، ثم ياتي الجزء السادس وأوله ، الباب الثامن - وعنوانه :

تطوان بعد حرب الستين

وفي هذا الباب خمسة فصول :

الاول - في ولاة تطوان وحوادثها من عام 1278 الى عام 1300 .

الثاني - في قضاة تطوان وعدولها في القرن الثالث عشر .

الثالث - في التصوف والشيوخ بتطوان في القرن الثالث عشر.

الرابع - في تراجم رجال تطوان في القرن الثالث عشر .

الخامس - في ملخص احوال تطوان في القرن الثالث عشر .

وقد جاء في اول الفصل الاول ما يلي :

ولاية الحاج عبد القادر اشعاش على تطوان مرة ثانية

لما تم الاتفاق بين الدولتين المغربية والاسبانية على جلاء الاسبانيين عن تطوان وعودة الحكم المغربي الخالص اليها ، عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن واليامن قبله وكلفه بتسلم الحكم فيها من رئيس الجيش الاسباني الذي كان محتلا لها ، وكان هذا الوالي هو القائد الحاج عبد القادر اشعاش التطواني الذي سبق له ان تولى حكمها من سنة 1260 الى سنة 1267 » . وقد اثبت في الاصل نص الكتاب الذي ارسله السلطان المذكور الى اهالي تطوان بتولية القائد اشعاش المذكور عليهم ، ومما جاء فيه هذه العبارة :

هذا وان تلك البلاد المباركة لا يخفى عليكم ان الخراب استولى عليها ، وان من الامر الاكيد المتعين الواضح البين ، القيام على ساعد الجد حتى تعود بحول الله وقوته الى حضارتها ، وحسنها ونضارتها ، وكيف لا وقد كانت غرة في جبين المغرب الاقصى ، لا تحد اوصافها ولا تستقصى الخ » وتاريخ هذا الكتاب السلطاني 14 شوال عام 1278

ثم اثبت نص كتاب سلطاني آخر بتولية القائد اشعاش المذكور على قبيلة بني سعيد ، وهو بنفس التاريخ ، ووقفت على اربعة كتب سلطانية اخرى بتوليته ايضا على قبائل الحوز وبني حزمر وبني ليث وبني معدان وكلها بنفس التاريخ .

ثم اثبت ايضا نص كتاب سلطاني آخر مؤرخ بـ 21 ذى القعدة عام 1278 بولايته ايضا على مدينة شفشاون .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الوزير موسى بن احمد الى اشعاش قائد تطوان بتاريخ 8 ذى القعدة عام 1278 .

ثم رسالة اخرى من السلطان الى القائد المذكور بتاريخ 9 ذي القعدة عام 1278، وفيها وصول الاعلام بحلوله ثغر تطوان في مهل ذي القعدة المذكور والتقائه بكبير الاصبنيول ودفعه له مفاتيح المدينة الخ ، وان الكبير المذكور قد حال هيجان البحر دون ركوبه مع قواته من شاطئ مرتيل ، وانه سيتوجه برا الى سبتة الخ .

ثم اثبت نص رسالة من الوزير بوعشرين الى اشعاش المذكور بتاريخ 11 ذي القعدة عام 1278 . ثم رسالة من الوزير موسى بن احمد الى اشعاش ايضا بتاريخ 17 منه ، وفيها وصول الاعلام بان النصارى غادروا شاطئ مرتيل قاصدين سبتة على طريق البر يوم السبت حادي عشر شهر التاريخ ، وان المرسة خلت منهم، وقد خلفوا بها خشبا كثيرا انعمت به الرينة[1] على الضعفاء الخ . وان القائد اشعاش اقتضى نظره ان يستعمل ذلك الخشب في اصلاح الاحباس الخ ، وان اهل تطوان يفدون عليها افواجا كل يوم الخ ، وان القائد المذكور أسند خطة القضاء للفقيه محمد بن علي عزيمان ، وخطة الحسبة للحاج عبد العزيز الفقاي الخ ، وانه يرجو ان ينعم السلطان على اهل تطوان بشيء من القمح ، لانهم في غاية الحاجة ، وان السلطان اجاب عن قضية الخشب المذكور بانه « يحصي عدده ويعلمنا به ، ولا نرضاه لمساجدنا فانه لا يصرف عليها الا الطيب » الخ ، واما الزرع فقد امرنا بوسق مراكب منه الى تطوان من أسفي لما تحققنا بخروج الكافر من البلاد الخ .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى اشعاش بتاريخ 19 قعدة بالموافقة على ما قام به من الاعمال عند حلوله بتطوان الخ .

واثبت نص رسالة كتبها اليه السلطان ايضا بتاريخ 19 ربيع الاول عام 1279 ، وفيها الامر بان يوزع الخشب الذي خلفه الاسبانيول بتطوان على الضعفاء الذين نكبوا من اهل تطوان وهم عاجزون عن اصلاح ما تهدم من سقوف دورهم الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها القائد اشعاش الى السلطان بتاريخ 15 ذي القعدة عام 1278 معلما بوصول الاسبانيين الى سبتة وتفريق جيشهم، وانهم اثناء مرورهم ببوزغلال سلط الله عليهم النحل وقتل منهم ثلاثة اشخاص وبغلة الخ .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى اشعاش بتاريخ 21 شوال عام 1278 في شأن السلع التي دخلت تطوان اثناء احتلالها ولم يدخل عشرها لبيت المال الخ .

ثم رسالة سلطانية بتاريخ 12 حجة 1278 ، ويستفاد منها ان اليهود الحميين بالاجانب هم الذين تحت يدهم سلع لم تعشر ، وان القائد اشعاش كتب في شأن

---

1) الرينة : يعني بها ملكة اسبانيا .

ذلك لبركاش النائب السلطاني بطنجة ، فتكلم مع قنصل الدول الحامية لاولئك اليهود فلم يوافق على تعشير سلعهم الخ .

ثم اثبت نص رسالتين من السلطان الى اشعاش ، واحداهما بتاريخ 6 ذي القعدة عام 1278 والاخرى بتاريخ 23 صفر عام 1279 في شأن شراء مدافع جديدة لتطوان على يد الحاج عبد الرحمن الشولو التطواني من المبلغ الذي فضل بيد فورط الانجليزي من المال الذي دفعه للاصبنيول ، وهو سبعة عشر الف ريال الخ.

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى القائد اشعاش باعفاء النائب السيد محمد الخطيب من النيابة عن السلطان بطنجة ، وهي بتاريخ 8 ذي القعدة عام 1278 .

ثم نص رسالة سلطانية اخرى في شأن الخطيب المذكور بتاريخ 17 ذي القعدة عام 1278 .

ثم نص رسالة سلطانية بتاريخ 25 شوال عام 1278 معلمة بارسال الف مكحلة[1] ومائة قنطار من البارود لتوزع على أهل تطوان الخ .

ثم رسالة سلطانية بتاريخ 11 ذي القعدة عام 1278 بتوزيع خمسين فرسا على مخازنية تطوان .

ثم نص رسالة سلطانية بتاريخ 12 ذي القعدة عام 1278 بحصر صرف الريال في اثنتين وثلاثين اوقية ونصف اوقية .

ثم نص رسالة ارسلها الوزير موسى بن احمد الى القائد اشعاش بتاريخ 14 حجة عام 1278 ، وقد اثنى فيها الوزير على القائد ! .

ثم رسالة سلطانية بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1278 ، وفيها الموافقة السلطانية على ان يدفع لمخازنية تطوان الذين عددهم مائة وخمسون ، مرتب قدره ستون اوقية للفارس وثلاثون للراجل الخ .

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بـ28 ذي الحجة عام 1278 ومنها نعرف كيف كان بعض القناصل الاجانب يستغلون وظيفهم ويطلبون ما ليس لهم، وانهم كانوا كالضرائر الخ.

ثم رسالة سلطانية مؤرخة بعاشر محرم عام 1279 بموافقة السلطان على ان يجعل قائد طنجة خليفة عنه بتطوان ليقبض من يستحق القبض عليه من اهل ايالته الخ .

ثم تعرضت لاحتياج سكان تطوان للقمح ، وسماح السلطان للتجار بان يجلبوا لهذه المدينة ما تحتاج اليه من ذلك القمح ، وقلت ما يلي : « كان من الطبيعي ان

---

1) يطلق المغاربة « المكحلة » على ما يطلق عليه المشارقة « البندقية » او « البارودة » . م ب .

يحتاج اهل تطوان الى القمح بعد رجوعهم من مهاجرهم الى بلدهم ، وذلك لانهم بقوا نحو سنتين بعيدين عن اراضيهم لا يحرثونها ، وعن بساتينهم لا يتعهدونها ، وطبيعي ايضا ان يأخذ المحتلون جميع ما كان معهم من الذخائر والمأكولات ، فلما رجع الناس الى ديارهم التي خرب الكثير منها، كان طلب القمح الذي هو المادة الاولى للحياة في هذه البلاد ، من اول ما قام به واليها ، والرسائل التي سننشر نصوصها تبين لنا ان السلطان كان يأذن للتجار بان يجلبوا من مختلف الموانئ المغربية مراكب مملوءة بالقمح الى تطوان ليباع لاهلها ولسكان نواحيها باثمان عادية يربح فيها التجار ربحا معقولا ولا يتضرر الناس منها . ونلاحظ في تلك الرسائل عدة اشياء ، منها شدة الحزم فى عدم تلاعب التجار بالقمح الذي يسمح لهم بوسقه ، وذلك مخافة ان يبيعوه بالاثمان الباهظة لغير الناحية التي سمح لهم بالوسق اليها، فكان السلطان يامر الامناء باحصاء الموسوق واعلام قائد تطوان بذلك ليحصيه هو ايضا ، وقد لا يكتفون بذلك ، فيبعثون مع المركب امينا يراقب حركاته حتى لا يتسرب من محموله شيء فى غير محله.

ومنها حرص السلطان على عدم التضييق على الناس او استغلال حاجتهم ، والمحافظة على ان يبيع التجار لهم القمح باثمان يقتصرون فيها على الربح اليسير ، وكان السلطان يتخذ لذلك ، الاحتياطات التي ستقف عليها في رسائله ، وهاتان رسالتان يخبر السلطان فيهما قائد تطوان بانه اذن لتاجرين من تجارها بان يسق احدهما مركب قمح من ميناء الجديدة ، وان يسق الآخر مركبا آخر من ميناء الدار البيضاء بالشروط اللازمة ، ونلاحظ ايضا في الرسالة الثانية ان السلطان اخبر بانه اذن لتجار آخرين بوسق اربعة مراكب اخرى من مرسى اسفي ، كما يلاحظ ايضا ان السلطان كما كان يحافظ على المصالح العامة، كان يحافظ ايضا على مصالح التجار فهو يأمر بان لا يسمح للتاجر الثاني بعرض بضاعته الا بعد فراغ التاجر الاول من بيع معروضه ، وذلك عدل ما دام التزاحم مفقودا ، والكل يبيع بالاسعار المحددة له ، وليس له فيها الا الربح اليسير » .

ثم اثبت نص الرسالتين المذكورتين ، والاولى منهما مؤرخة بـ 12 محرم عام 1279 وفيها الاذن للتاجر الحاج محمد الصفار التطواني بوسق مركب من القمح من مرسى الجديدة الى تطوان ، والثانية بتاريخ 7 صفر بالاذن للتاجر مصطفى ابن المفتي بوسق مركب قمح من الدار البيضاء الى تطوان ايضا .

ثم نص رسالة اخرى كذلك بتاريخ 14 ربيع النبوي عام 1279 وفيها ان السلطان امر قائد اسفى بان يرسل الى قائد تطوان سبعة آلاف «فنيكة[1]» من القمح لبيعها للعموم الخ.

1) الفنيكة : احد مكاييل الحبوب ، ويسع نحو مائة رطل .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى القائد اشعاش بتاريخ 17 ربيع الاول عام 1279 ، وقد امره فيها بان تقصر الفتوى بتطوان على اناس مخصوصين بناء على تشكي القاضي عزيمان من تشعب الدعاوي واللدد في الخصام الخ .

ثم نص رسالة كتبها السلطان الى الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون طالبا منه العودة الى تطوان ، وهي بتاريخ 18 ربيع النبوي عام 1279 ، وفيها احترام كبير للشيخ المذكور وثناء عليه الخ .

ثم نص رسالة اجاب بها السلطان عما كتب به اليه القائد اشعاش من تشكي أهل تطوان مما وقع لهم من السلب والنهب عند جلائهم عن المدينة الخ ، والسلطان يأمر في هذه الرسالة أهل هذه المدينة بالصبر والاحتساب ، ويختمها بقوله : لان ما كان في الله تلفه ، كان على الله خلفه الخ، وهي بتاريخ 19 ربيع الاول عام 1279.

ثم نص رسالة تدل على اعانة السلطان لتجار تطوان ومساعدتهم والتوسعة عليهم بعد نكبتهم التي افقرت التجار واتت على مختلف الثروات الخ ، وهي بتاريخ 29 ربيع الاول عام 1279 .

ثم نصوص ثلاث رسائل اخرى كلها حول ذلك الموضوع ، وفي الاولى ان القائد اشعاش توصل من امناء الرباط وطنجة والعرائش بمائة الف مثقال وزعها على عشرين تاجرا من اهل تطوان على وجه السلف ، وهي بتاريخ 10 رجب عام 1279 ، والثانية والثالثة تاريخهما 10 رجب ايضا وهما لبعض الامناء .

ثم اثبت نص رسالة سلطانية مؤرخة بعاشر ربيع الثاني عام 1279 ، وهي رسالة محكمة يامر السلطان فيها قائد تطوان بالاحتراس وعدم السماح للاجانب بالنزول في اي محل من الشواطىء المغربية المتطرفة لتبادل المصالح مع الخائنين لحكومتهم بصفة سرية مخالفة للقوانين الخ .

ثم نص رسالة سلطانية حول تجار مدينين لبيت المال، وفيها الامر بوجوب استخلاص مال الحكومة من الموسرين ، والتوسعة على الضعفاء والمعسرين ، وهي بتاريخ 12 رجب عام 1279 ، ويظهر انه لما انتهت الآجال التي حددت لدفع التجار ما بذممهم لبيت المال ، تشدد الامناء في اقتضاء ذلك المال فتشكى الناس من ذلك ، فكتب السلطان الى القائد رسالة وسع فيها على الناس توسيعا وسع الله عليه ، وقد اثبتنا نصها في الاصل وهي بتاريخ 7 محرم عام 1280 .

ثم اثبت نصوص ثلاث رسائل سلطانية فيها اسماء اشخاص مدينين والمبالغ التي يجب استيفاؤها منهم لبيت المال الخ .

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بـ 8 شوال عام 1279 بتعيين امينين فاسيين لتطوان.

ثم نص رسالة سلطانية تاريخها 17 شوال عام 1279 ، وسببها ان القائد اشعاش ارسل الى دار السلطان هدايا ومعها وفد يحمل كتابا فيه ان سبب ارسال تلك الهدايا هو ما بلغه من ان السلطان عزم على جعل وليمة لاولاده فبادر بارسال التهنئة اللازمة مع وفد ينوب عنه في حضور الوليمة الخ ، فأجابه السلطان بان الهدية وصلت وقبلت، وان كان السبب الداعي لارسالها لا اصل له الخ .

ثم نص رسالة أذن السلطان فيها لقائد تطوان بالسماح للاسبانيين بان يأخذوا من المغرب بقرا لتموين عسكرهم الذي بسبتة الخ، وهي بتاريخ 14 ذي القعدة عام 1279

ثم نص رسالة طويلة من النائب السلطاني بطنجة السيد محمد برگاش الى السلطان في شأن البقر المذكور ، وفيها زيادة تفصيل مع بيان التنافس الصبياني الذي كان اذ ذاك بين ممثلي بعض الدول الاوربية بالمغرب وهي بتاريخ 25 ذي القعدة عام 1279

ثم نص رسالة من السلطان الى قائد تطوان بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1279 ، وفيها الامر بصنع شباك حديدي ليجعل على ضريح سيدي علال الحاج البقال بالحرايق الخ

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بثاني محرم عام 1280 ، وفيها يأمر السلطان بعدم التفريق بين قناصل الدول ، وقد صرح بان الاجناس كلهم عنده سواء ، لا فرق بينهم في قليل ولا كثير من الامور الخ .

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة برابع محرم عام 1280 ، وفيها الاخبار بأنه صدر الاذن لامناء الدار البيضاء والجديدة بوسق ستة مراكب تحمل القمح منها الى تطوان الخ .

ثم نص رسالتين سلطانيتين يستفاد منهما ان تطوان كانت تصنع بها المكاحل الجيدة التي ربما فاقت المكاحل الاجنبية ، وان السلطان يوافق على استعمال المخازنية لتلك المكاحل الوطنية بدلا من المكاحل الافرنجية الخ .

ثم نص رسالة يأمر فيها السلطان بجمع واجب الزكاة الشرعية من قبيلة انجرة وبان تشترى بمالها اسلحة توزع على الرجال الذين يستطيعون حمل السلاح وهم عاجزون عن شرائه ، وهي بتاريخ 2 ربيع الاول عام 1280 .

ثم نص رسالة يخبر فيها السلطان بوصول الرباعين[1] اللذين ارسلهما اليه قائد تطوان لتنظيم البساتين السلطانية وغراستها ، وهي بتاريخ 11 ربيع الاول عام 1280 .

ثم نص رسالة أذن السلطان فيها لقائد تطوان بتجديد بناء ثلاثة من المساجد التي خربت في الحرب ، وان يصرف على ذلك التجديد من بيت المال الخ ، وهي بتاريخ 11 ربيع الاول عام 1280 .

---

1) الرباع : في اللهجة المغربية يطلق على البستاني (م . ب) .

ثم نص رسالة من السلطان الى قائد تطوان بتاريخ 12 ربيع المذكور ، وفيها الامر بان تباح الفتوى في المسائل الشرعية لجميع الفقهاء بدلا من قصرها على الفقيه السيد الحاج احمد السلاوى ، والفقيه السيد الطيب اليعقوبي ، والفقيه السيد الحسين العلمي الخ ، وقد كان في القضية خلاف بين القاضي عزيمان والقائد اشعاش ونفذ السلطان ما طلبه القائد ضد القاضي الخ .

ثم نص رسالة امر السلطان فيها بأخذ الحق من القاضي عزيمان لبعض أهل أنجرة وهي بتاريخ 20 ربيع الاول عام 1280 .

ثم نص رسالة في شأن بعض الاسلحة وهي بتاريخ 21 ربيع المذكور .

ثم رسالة سلطانية بتاريخ 15 جمدى الاولى عام 1280 ، في شأن قتل رجل فرنسي كان يرعى الخنازير بتطوان الخ .

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بـ 17 جمدى الاولى عام 1280 يستفاد منها ان امناء تطوان ارسلوا عشرين الف ريال الى السيد محمد برڭاش النائب السلطاني بطنجة الخ.

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بمتم جمدى الاخيرة عام 1280 في شأن نهب اللصوص لاحد اصحاب بعض القناصل اليهود بتطوان الخ.

ثم رسالتين سلطانيتين احداهما مؤرخة بثالث شعبان عام 1280 ، والاخرى مؤرخة بالسابع والعشرين منه ، وهما معا في شأن وصول المدافع الى تطوان ووضعها في ابراجها الخ .

ثم نص رسالة سلطانية مؤرخة بثاني رمضان عام 1280 يستوصي السلطان فيها خيرا بضعفاء اليهود لا بفجارهم الخ .

ثم تعرضت لليهود بالمغرب ، وبعض ما وقع منهم ولهم .

واثبت نص رسالة كتبها النائب برڭاش من طنجة الى السلطان بتاريخ 23 محرم 1281 ، في شأن اليهود الخ .

ثم نص رسالة امر السلطان فيها قائد تطوان بالقاء القبض على من يوجد بتطوان من اهل قبيلة الاخماس العليا ، وهي بتاريخ 28 رمضان عام 1280 .

ثم نص رسالة سلطانية تاريخها 3 شوال عام 1280 ، وفيها ان صوائر القوات المخزنية تفرض على القبائل وكل قبيلة تدفع قسطها الخ .

ثم نص رسالة كتبها السلطان الى القائد اشعاش يعدد له ما صدر منه من الفلتات ، ويامره باعمال الحيلة للقبض على بعض الناس الخ ، وهي بتاريخ 10 شوال عام 1280 .

ثم نص رسالة يامر السلطان فيها بالرفق باليهود ، ويعلم بانهم لا يكلفون الا بما

يطيقون ، وان ما يقبض منهم من الجزية يكون على قدر حالهم الخ ، وهي بتاريخ 3 ذي القعدة عام 1280 .

ثم نص رسالة سلطانية في شأن العساكر الذين يفرون من الخدمة العسكرية للحصاد مع الناس بالاجرة ، وهي بتاريخ رابع ذي القعدة عام 1280 .

ثم اثبت نصوص رسائل سلطانية عن وصول الهدايا العيدية المرسلة من تطوان وهي رسائل تلفت النظر الخ .

واحداها مؤرخة بـ 13 ذي الحجة عام 1278 .

واخرى بتاريخ 14 ربيع الاول عام 1280 .

واخرى بتاريخ 3 شوال عام 1280 .

واخرى بتاريخ 13 ذي الحجة عام 1280 .

ثم نص رسالتين سلطانيتين عن وصول هدايا خاصة ارسلها القائد اشعاش ، وقد ذكرت فيها اصناف تلك الهدايا الخ .

ثم نص رسالة من الوزير موسى بن احمد الى القائد اشعاش عن وصول هدايا عيدية ايضا ، وما كان ألين لهجة الوزير في هذه الرسالة، وما كان اكرمه فيها بالالقاب والمجاملات والتسليمات والتشكرات الخ ، وهي بتاريخ 12 ذي الحجة عام 1278.

ثم اثبت نصوص عشر رسائل بعثها السلطان الى قائد تطوان، وكلها تتعلق بقضايا في مدينة شفشاون التي كانت تابعة لحكم تطوان.

ثم تعرضت لقضية مشاكل المتمردين بالقبائل البدوية . واثبت نصوص رسائل سلطانية تتعلق ببعض اولئك المتمردين ، واحداها مؤوخة بـ16 محرم عام 1280 .

واخرى بتاريخ 24 جمدى الاولى عام 1280 .

واخرى بتاريخ 24 رجب عام 1280 .

ثم نصوص ثلاث رسائل سلطانية تتعلق بقتيلين وجريح من الاسبانيين بين مرتيل وتطوان ، واحداها مؤرخة بـ 18 شعبان عام 1279 ، واخرى بتاريخ 18 رمضان عام 1279 ، واخرى بتاريخ 23 ذي القعدة عام 1279 .

ثم نصوص ثلاث رسائل سلطانية تتعلق بعذير تطوان ، وكلها كتبت في اوائل سنة 1280 ،

ثم اثبت نصوص رسائل سلطانية عديدة. تتعلق بقضايا مختلفة راجعة لمدينة تطوان وسكانها.

عزل القائد اشعاش وسجنه

ثم اثبت نص رسالة يامر السلطان فيها القائد اشعاش بالقدوم على حضرته الشريفة .

وهي بتاريخ 21 ذي الحجة عام 1280 ، وكان ذلك الاستدعاء وذلك القدوم لعزله وسجنه ، ودوام العزة والمجد لله وحده .

ثم نقلت عن بعض شيوخ تطوان تفاصيل حول هذا الموضوع ، وبينت كيف وقع القاء القبض على القائد اشعاش. واثبت نص رسالة كتبها النائب السلطاني السيد محمد برگاش من طنجة الى السلطان ، وفيها التفصيل التام لقضية اشعاش، وبيان ان الخلاف كان قد استحكم في شأنه بين فرنسا والمغرب حتى ادى الحال الى ان قدمت فرنسا للمغرب مطالب حددت اجلا اذا لم تنفذ فيه تلك المطالب فانها تقطع علاقاتها مع المغرب وتسحب نائبها من طنجة الخ ، وكان في مقدمة تلك المطالب ، قبض اشعاش قائد تطوان الخ ، وهذه رسالة مؤرخة بثامن محرم عام 1281 .

ثم نص رسالة اخرى كتبها برگاش المذكور الى الوزير الطيب بوعشرين ، وهي بنفس التاريخ وفي نفس الموضوع الا ان فيها زيادة بيان وايضاح للقضية.

ثم نص رسالة اخرى من النائب برگاش ايضا الى الوزير بوعشرين المذكور في قضية اولاد شركوك ، وهي قضية لها علاقة بالخلاف مع دولة فرنسا الخ .

ثم نص رسالة اخرى من برگاش المذكور ايضا الى السلطان بتاريخ 23 ربيع الثاني عام 1281 في إصرار الفرنسيين على عزل القائد اشعاش عزلا نهائيا ، وعلى أن يدفع المغرب لهم خمسة وعشرين الف ريال ، وعلى تهديدهم للمغرب الخ ، ويطلب برگاش من السلطان في هذه الرسالة بحق اسلافه الطاهرين ان يساعد الفرنسيين في مطالبهم سدا للذريعة ورفقا بالرعية الخ .

وقد اجاب السلطان رغبة النائب برگاش فعزل القائد اشعاش ، وكان ذلك آخر عهده بتطوان ، فلم يعد اليها ، وتوفي ودفن بمكناسة الزيتون رحمه الله .

ولاية القائد بن منصور المهدوي على تطوان عام 1281

لما عزل السلطان القائد الحاج عبد القادر اشعاش من ولاية تطوان ولى مكانه القائد محمد بن منصور المهدوي ، ولم اقف على تاريخ توليته بالتدقيق ، ولعله كان عقب عزل القائد اشعاش ، أي في اوائل سنة 1281 .

وقد وقفت على كتاب ارسله السلطان اليه وهو قائد تطوان بتاريخ 11 ربيع الثاني عام 1283 .

وقد اثبت نص رسالة سلطانية مؤرخة بـ 23 ربيع النبوي عام 1282 ، يستفاد منها غلاء الحبوب بتطوان وشمال المغرب واستغاثة الناس بالسلطان الخ .

فتنة عيسى الريفي قاتل اليهود بتطوان

من حوادث تطوان في عهد القائد المهدوي فتنة رجل ريفي يدعى عيسى ، وقد انضم اليه عدد من امثاله ، وكان عمله انه يقتل كل من عثر عليه من اليهود خارج اسوار تطوان ، وقد تضايق اليهود من اعماله تضايقا عظيما ، وعجزت سلطة القائد المهدوي عن قبضه . وقد اثبت في الاصل رسالة كتبها النائب برگاش من طنجة الى السلطان في شأن قتل اليهود باحواز تطوان ، وتشكي قناصل الدول من ذلك الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان الى النائب برگاش في شأن عيسى المذكور الذي وصفه بالفاسد الخ ، وقد ذكر انه عين من يتوجه لحسم مادته الخ .

عزل القائد بن منصور - وولاية القائد السلاوي عام 1284

كان النائب السلطاني بطنجة السيد محمد برگاش ، قد طلب من السلطان ان يولي على تطوان رجلا حازما لعجز القائد المهدوي عن القضاء على الثائر عيسى الريفي قاتل اليهود لخ . وقداجاب السلطان رغبة نائبه ، فعزل القائد المهدوي ، وولى مكانه القائد احمد الخضر بن محمد السلاوي المكناسي البخاري الذي سبق لوالده ان تولى حكم هذه المدينة ، وبها ولد احمد الخضر المذكور ، وذكر استاذنا الرهوني ان القائد الجديد قد وصل الى تطوان حاكما عليها في 21 ربيع النبوي عام 1284 .

وبمجرد دخول هذا القائد لهذه المدينة ، صار يعمل لقبض الفتان عيسى الريفي وقد اثبت نص رسالة كتبها القائد المذكور الى احد القناصل بتطوان ، ولهجتها من اغرب ما يقرأ لشدتها وعدم احترام صاحبها ، ومما جاء فيها هذه العبارات ، وأفسدت علينا العمل . . . . وياليتك لم تتدخل في هذا الامر . . . وهذه المصيبة كلها طلعت على يدك الخ .

ثم بينت نقلا عن بعض شيوخ تطوان ، كيف وقع القضاء على فتنة عيسى المذكور الى ان قتل وقطع رأسه وعلق فوق باب التوت ، وكان ذلك في نفس العام ، (1284) وكان السلطان قد ارسل حملة عسكرية الى قبيلة بني حزمر للقضاء على عيسى المذكور ، فلما انتهى امره فرضت على القبيلة المذكورة غرامة تقاعس بعضهم عن ادائها ، فدارت في شأن ذلك مراسلات بين السلطان وقائد تطوان ، وقد اثبت بعض ذلك في الاصل .

ثم اثبت نص رسالة غريبة كتبها قائد تطوان احمد الخضر السلاوي الى السلطان بتاريخ خامس شوال عام 1284 في شأن ما وقع من القحط والغلاء بتطوان ونواحيها ، وسعي قنصلي انجلترا واسبانيا في اطعام الضعفاء الجائعين بالبلد الخ .

ثم تعرضت لبعض خلفاء القائد السلاوي وخصوصا القائد محمد الغفياني الرجل الحازم الضابط .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى القائد السلاوي جوابا عن وصول وفد التهنئة بالعيد مع ما حمله من الهدية الخ ، وهي بتاريخ 15 ربيع النبوي عام 1286 .

وتوفى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ، وتولى مكانه ابنه مولاي الحسن عام 1290 ، فأرسلت الهيئة المخزنية الاعلام بذلك الى تطوان في رسالة باسم شيخ تطوان وشريفها وصالحها سيدي عبد السلام بن ريسون ، وقد اثبت في الاصل نص الرسالة المذكورة ، وهي مؤرخة بـ 19 رجب عام 1290، وعليها امضاءات ستة اشخاص هم: موسى بن احمد ، وادريس بن الطيب اليماني ، وعبد السلام بن الطيب البقالي ، ومحمد بن عبد الله الصفار ، والجيلاني بن حم ، وعبد الله بن احمد .

ثم اثبت نص الرسالة التي اجاب بها الشريف المذكور عن الرسالة المذكورة وهي بتاريخ 8 شعبان عام 1290 .

ثم عقدت فصلا خاصا اثبت فيه عددا من المراسلات والمستندات الرسمية التي جرت بين رجال الحكومة المغربية وسفراء الدول الاجنبية بالمغرب ، وقد قلت في اول هذا الفصل ما يلي :

« والآن وقد انتهينا من الكلام على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يجمل بنا (قبل الانتقال الى الكلام على عهد خلفه ابنه السلطان مولاي الحسن) ان نثبت هنا نصوص عدد من الرسائل المتبادلة في عهده بين بعض سفراء الدول الاجنبية ورجال الحكومة المغربية، مع نماذج اخرى من الرسائل المخزنية المتعلقة بشؤون اولئك السفراء او دولهم . ومعلوم ان العلاقات بين دولة المغرب وبعض الدول الاجنبية قد تغيرت اثناء الحرب ا سبانية المغربية وبعدها عما كانت عليه قبل ذلك .

ومن هذه النماذج نعرف كيف صارت تلك العلاقات ، وكيف اصبحت المعاملات بين الطرفين، كما تعرف منها لهجات الخطابات ونفسيات المخاطبين زيادة على موضوعات تلك الرسائل ، وطرق عرضها وحلها الخ ، وهذه الوثائق وان كانت لا تهم تاريخ تطوان بالخصوص ، الا انها تهم على العموم تاريخ وطننا المغربي المحبوب ، وهي فيما أرى تلقي شيئاً من النور امام من يبحث في العلاقات العامة بين الدولة المغربية وغيرها في ذلك العهد ، خصوصا اسبانيا وانجلترا .

وتمهيد السبيل امام خلفنا في الابحاث التاريخية ، من اهم غاياتنا في هذا الكتاب . ودونك نصوص ثلاثين رسالة رسمية نقلا عن اصولها المحفوظ بعضها في الخزانة الكتانية بفاس، وبعضها في مكناسة الزيتون لدى مولاي زيدان بن اسماعيل ابن مولاي العباس ابن السلطان مولاي عبد الرحمن ، والبعض الآخر في خزائن مختلفة »

ثم اثبت في الاصل نصوص الرسائل المذكورة مرتبة على حسب تواريخها ، وهي في موضوعات وقضايا مختلفة .

ثم اثبت نص رسالة بعثها السلطان مولاي الحسن بن محمد الى اهالي تطوان عموما ، وقائدها السلاوي ، وقاضيها عزيمان خصوصا بتاريخ 26 رجب عام 1290 معلما فيها بوفاة والده وبجلوسه هو على عرش المغرب ، ومما جاء فيها قوله : « واعلمناكم لتدخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وتعجلوا بتوجيه بيعتكم صحبة وفدكم كما هو المعهود فيكم مع من درج من اسلافنا رحمهم الله ، وغير خاف عنا ما كان لكم من الشفوف والعناية منهم قدسهم الله لقيامكم بسد الثغور ووظيفة الجهاد الخ » .

ثم اثبت النص الكامل لبيعة اهل تطوان للسلطان مولاي الحسن وهي من انشاء الفقيه الاديب الشريف سيدي مفضل افيلال ، وتاريخها ثالث شعبان الابرك عام 1290، وعليها امضاءات افيلال المذكور والشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون والفقهاء العدول السيد العربي مرتيل والسيد محمد النجار وسيدي المكي ابن عبد الوهاب ، ثم اداء القاضي عزيمان .

ثم تكلمت على جمع العسكر من تطوان وما صحب ذلك من فتنة وهرج ومرج ، وقد لخصت ذلك من رسائل كتبها الحاج محمد الصفار والحاج محمد اللبادي الى الحاج عبد الكريم بريشة الخ .

ثم اثبت نص لائحة فيها اسماء المسلمين الذين كانوا في حماية اسبانيا بتطوان عام 1292 ، وهم : خمسة رجال ، وامرأتان من عائلات العطار واللبادي وصالص وجبور والصبان وماشان وأبعير ، وهي مكتوبة في سادس يناير سنة 1876 .

وفاة القائد احمد الخضر السلاوي

ثم تعرضت لحالة القائد احمد الخضر السلاوي بتطوان ، وانه توفي بها في سادس محرم عام 1296 ، وعمره 85 سنة ، ومدة ولايته تقرب من ثلاثة عشر عاما .

ولاية القائد محمد السلاوي عـام 1296 .

بعد وفاة القائد احمد الخضر السلاوي الذي ولد وتوفى ودفن بتطـوان ، اسنـد السلطان ولاية هذه المدينة لولده السيد محمد السلاوي ، وقد تولى زمام الحكم بهـا رسميا في ربيع النبوي عام 1296 .

وقد اثبت نص رسالة من السلطان الى القائد المذكور وقد اقره فيها علـى ان يقبض مرتبه الشهري من مستفاد مرسى تطـوان كما كـال والده من قبلـه ، وتاريـخ هذه الرسالة 22 صفر عام 1296 .

ثم نص رسالة سلطانية اخرى بنفس التاريخ، وفيها الاذن له بالتوسع من الذعائر (اي الغرامات) التي بقبضها من ايالته اذا كـان مبلغ الذعيرة عشريـن مثقالا فما دون الخ .

ثم نص رسالة سلطانية اخرى يامـر السلطان فيها امنـاء تطوان بالاعتنـاء بنظافـة المدينة ، وبتخصيص مداخيل المجزر لمصاريف النظافة الخ ، وهي بتاريخ 10 ربيـع الاول عام 1296 .

ثم نص رسالة من نائب دولة الطليان الى قائد تطوان في شأن بعـض القضايا وهي بتاريخ 23 ربيع الثاني عام 1296 ، (16 ابريل 1879) .

ثم نص رسالة كـتبها القنصل الانجليزي بتطوان الى قائد هذه المدينة جـوابا عن رسالة كـتبها اليه القائد المذكور بتاريخ 27 صفر عام 1299 . في شأن الاحتياط لرعايا الاجانب وعدم تعرضهم للخطر الخ .

ثم نص رسالة امر فيها السلطان قائد تطوان بالحزم والتيقظ والاحتياط، وخصوصا في شأن الاجانب الذين طالما جلبت قضاياهم المشاكل والمصائب على المغـرب الخ ، وهي بتاريخ 21 جمدى الاخيرة عام 1299 .

ثم اثبت فقرات عديدة من رسائل سلطانية ووزيرية محفوظة بمكـناسة الزيتون لدى حفدة القائد السلاوي المذكور ، وكـلها في موضوع الزكـاة المجموعة من اهالي تطوان ، وانها كانت تدفع للسلطان او لخليفته إما عينا وإما حبوبا .

ثم تـكلمت على الجزية التي كـانت توخذ من يهود مدينتي تطـوان وشفشاون كـل سنة مع بيان مبلغها من عام 1285 الى عام 1300 نقـلا عن الرسائل الرسميـة المحفوظة بمكـناس لدى حفدة القائد السلاوي رحمه الله .

وبذلك ينتهي الفصل الاول من الباب الثامن ، وبـه ينتهي الكـلام عـلى ولاة تطوان وحوادثها في القرن الثالث عشر ، ثم ياتي بعد ذلك ، الفصل الثاني (من

الباب الثامن) في قضاة تطوان وعدولها في القرن الثالث عشر ، وقد لخصته في الفصل الرابع من هذا المختصر .

حول التصوف والشيوخ بتطوان في القرن الثالث عشر

ثم ياتي في الاصل ، الفصل الثالث (من الباب الثامن) في التصوف والشيوخ بتطوان في القرن الثالث عشر ، وهو فصل في نحو عشرين صفحة ، تكلمت فيه على الموقف العام لاهل تطوان من التصوف والصوفية ، وتعرضت فيه للكلام على الزوايا الفاسية والناصرية والوزانية والعيساوية ، ثم الدرقاوية وشيخها مولاي العربي الدرقاوي ، ثم الشيخ العالم سيدي احمد بن عجيبة ومظاهره ، وموقف جل علماء تطوان منه ومن الطريقة الدرقاوية على العموم ، وتكلمت على الشيخ سيدي عبد الله الحاج البقال ، والشيخ سيدي علي ابن ريسون ، ثم تكلمت على الشيخ العلامة الاديب سيدي محمد الحراق عالم الطريقة الدرقاوية ، وتوسعت في الكلام حول ذلك . ثم تكلمت على شيخ تطوان وصالحها سيدي عبد السلام بن ريسون ، واتجاهه في التربية والارشاد مع شيء من المقارنة بين الاتجاهين الدرقاوي والريسوني ، وموقف السلطات من الجانبين وقد ختمت هذا الفصل بما نصه :

« والذي يهمه ان يزداد معرفة بحالة التصوف والشيوخ بتطوان في هذا القرن (اي الثالث عشر) عليه ان يرجع ايضا الى تراجم اولئك الشيوخ الاربعة الذين كانوا متصدرين للمشيخة بها في هذا القرن ، وهم : سيدي احمد ابن عجيبة المتوفى سنة 1224 ، وسيدي علي بن ريسون المتوفى سنة 1229 ، وسيدي محمد الحراق المتوفى سنة 1261 وسيدي عبد السلام بن ريسون المتوفى سنة 1299 ، وتلك التراجم كلها موجودة في الفصل الرابع من الباب السابع من هذا الكتاب وله ايضا ان يرجع الى الفصل الذي بينا فيه نكبة الشيخ ابن عجيبة وهو موجود في الباب الخامس من هذا الكتاب ايضا وهكذا رأت تطوان في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) اربعة من الشيوخ شيوخ التربية والارشاد الديني الصوفي ، اثنان منهم درقاويان هما الشيخ أبو العباس احمد بن عجيبة ، والشيخ ابو عبد الله محمد الحراق ، وكلاهما سالك طريق الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ، وكلاهما كانا قبل التصوف من اكابر العلماء بتطوان .

واثنان ريسونيان ، هما الشيخ ابو الحسن علي بن ريسون وابنه الشيخ أبو محمد عبدالسلام بن ريسون ، وطريقتهما طريقة اسلافهما . وبين الطريقتين بون شاسع وفرق كبير.

وهكذا توفى الشيخ ابن عجيبة في الربع الاول من القرن ، وتوفى الشيخ ابن

ريسون (الاب) في الربع الثاني منه ، وتوفي الشيخ الحراق في الربع الثالث منه وتوفي ابن ريسون (الابن) في الربع الاخير ، وكلهم كانوا (كشأن شيوخ الاسلام) رجال خير وفضل، واخلاص ونبل، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحببون الى الناس عبادة الله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه، والسعي في جلب النفع لعباد الله ودفع الشر عن جميع المومنين، ولم تكن من اي واحد منهم محاربة لاية هيئة اسلامية اصلاحية، او خدمة لمصالح اجنبية او شخصية، وانما كانوا يحضون الناس على اقامة شعائر الدين، والتمسك بحبل السنة النبوية ، والكل يعتقد ان عمله هو عين السنة ولب الشريعة، وقد هدى الله بهم اقواما منهم من كان متنكبا طريق الهدى والرشاد ، ومنهم من كان منغمسا في الجرائم والمحرمات ، فاقلعوا عن الغي والضلال ورجعوا الى الله فصلوا وصاموا ، وفعلوا من الخيرات ما استطاعوا ، وابتعدوا من الشر على قدر الامكان ، واحبوا الدين واهله بنية خالصة ونظرة حسنة واعتقاد سليم صحيح رحم الله الجميع .

وهكذا انتهى القرن الثالث عشر (كما بدأ) وليس في تطوان شيخ كبير من شيوخ التربية ، ولا عالم جليل يتزعم الصوفية ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

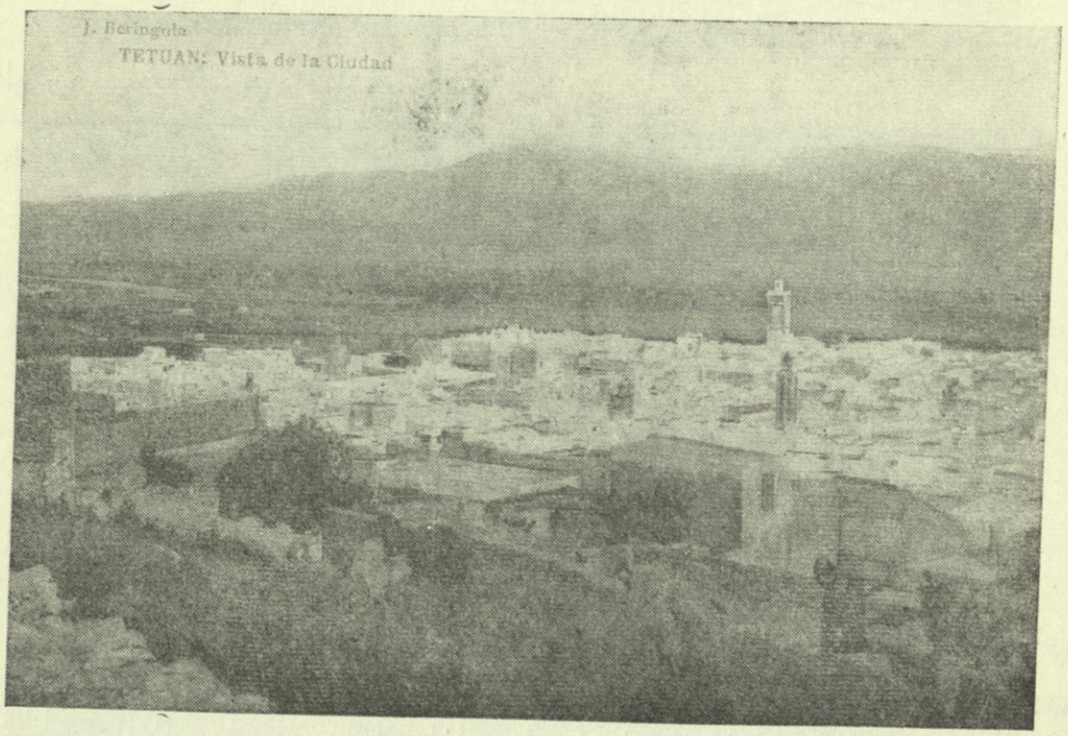

منظر عام للناحية الشرقية من تطوان وفيها حومة البلد التي بها الجامع الكبير. ووراء المدينة بساتين كيتان. وفي آخر الصورة تظهر جبال بني معدان المنتهية الى البحر الابيض المتوسط

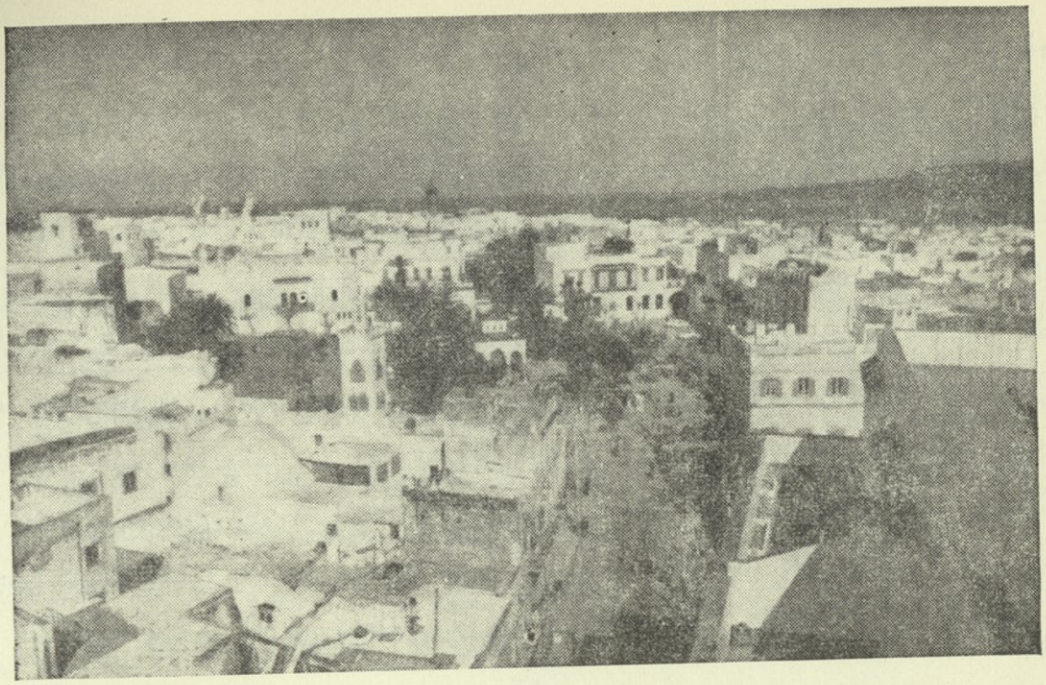

صورة عامة لقلب مدينة تطوان وتظهر في وسطها صومعة الجامع الاعظم

في القرن الرابع عشر

ويبتدئ الجزء السابع من الاصل بالباب التاسع ، وموضوعه :

تطوان في القرن الرابع عشر

وفيه اربعة فصول .

الفصل الاول - في ولاة تطوان وحوادثها من عام 1301 - الى - 1331 .

الفصل الثاني - في قضاتها كذلك .

الفصل الثالث - من رحلات المشاهير اليها كذلك .

الفصل الرابع - من رجال تطوان كذلك .

الفصل الاول - في ولاة تطوان وحوادثها الخ

القائد السلوي وخليفته الغفياني

ودخل القرن الرابع عشر (1301) موافق (1883) وسلطان المغرب هو مولاي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ، وقائد تطوان هو السيد محمد بن احمد الخضر السلوي المكناسي البخاري . وكان القائد المذكور معتمدا كل الاعتماد في تسيير شؤون ناحيته ، على خليفته الحازم النشيط السيد محمد الغفياني التطواني ، وقد بقي الخليفة المذكور قائما بوظيفه اتم قيام الى ان توفي في عشري جمدى الاخيرة عام 1304 .

ثم اتخذ القائد السلـوي ابنـه محمدا السلوي خليفـة له . وقـد اثبت في الاصـل نص كتاب سلطاني الى القائد المذكور بالموافقة على جعل ابنه محمد خليفة له وهو بتاريخ 7 ربيـع النبـوي عام 1305 . ثم نص رسالة من السلطان اليه ايضاً بتاريـخ 8 ربيع النبوي عام 1305 . جوابا له عن وفد التهنئة ووصول الهدايا العيدية الخ ، ثم نص جـواب من الوزير محمد الصنهاجي بوصول الهدية الخ وهو بتاريخ 18 ربيع المذكور .

وفي سنة 1307. كانت زيارة السلطان مولاي الحسن لتطوان ، وقد توسعت في الكلام عليها في الفصل الثالث من هذا الباب .

وفي هذا العام (1307) ارسل السلطان ولده السيد عمر الى تطـوان للاقامة بهـا وقراءة العلم على شيوخها، وقد ذكرت في الاصل فذلكة عن السيد عمر المذكور وعـن اشياخه بتطوان وحالته الى نهايته ، واثبت نص رسالة كتبها السلطان الى اهل تطـوان بعد عودته من رحلته التي زار فيها هـذه المدينة وهي بتاريـخ 22 محرم عام 1307 . وفي تلك الرسالة من الثناء العاطر على اهل تطوان ما يعتزبه كثير من الناس.

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى قائـد تطوان عن هديـة فرضت على اهل قبيلة انجرة ، وفيها تيقظ وحرص وحساب، اي جمع وطرح، وتاريخها 23 شوال عام 1307 ثم تكلمت على استدعاء السلطان لولده عمر من تطوان عام 1309. وتعرضت لثورة قام بها

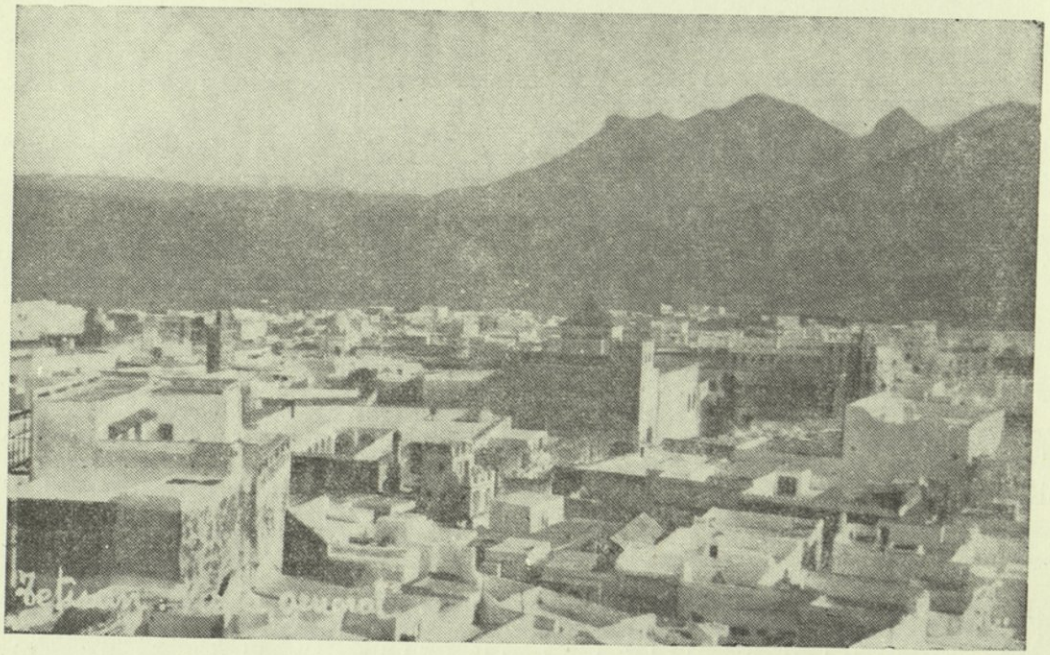

منظر عام لوسط مدينة تطوان وناحيتها الجنوبية حيث تقع حومة الربض الاسفل ويظهر في آخر الصورة بعض جبال قبيلة بني حزمر

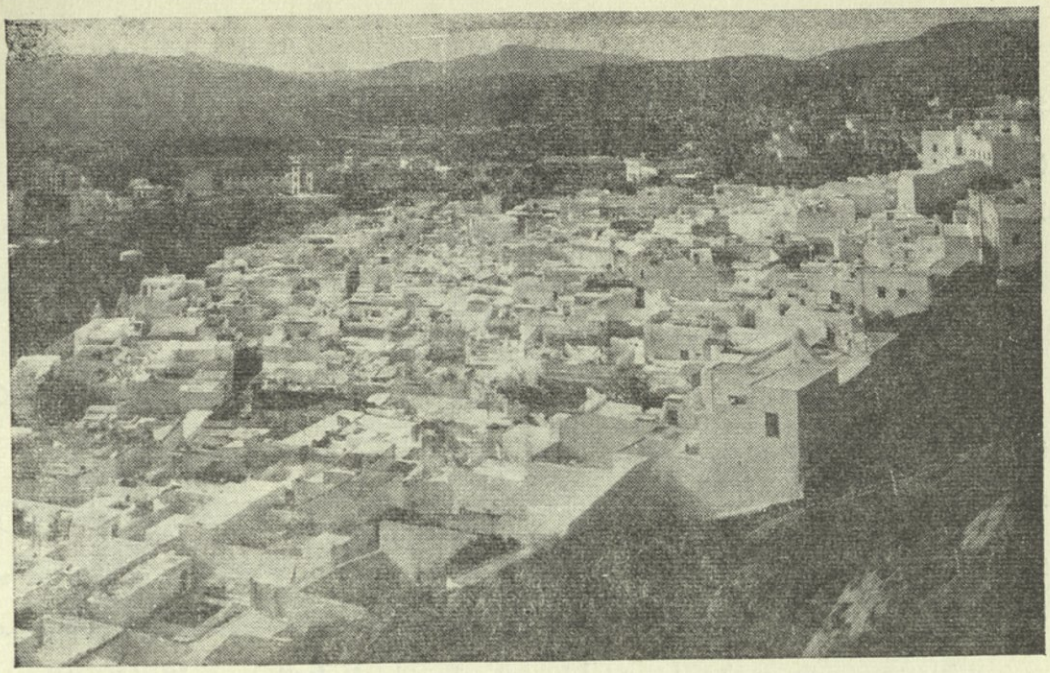

منظر عام للناحية الغربية من مدينة تطوان حيث حومة العيون
ويظهر بعض جبال قبيلتي بني يدر ووادراس

بعضهم بقبيلة انجرة في نفس العام، واثبت نصوص ثلاث رسائل كتبها السلطان في الموضوع، واولاها الى القائد ادريس مقشد بتاريخ 5 رمضان عام 1309. والثانية الى خليفة قائد تطوان بتاريخ 3 ذي القعدة عام 1309. والثالثة كذلك بتاريخ فاتح ذي الحجة من نفس العام .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى قائد تطوان بتاريخ 18 ذي القعدة عام 1310. وقد قال له فيها، وبعد فقد ارحناك من ولاية الاخماس الفوقية حيث لا طائل تحتها الخ .

ثم اثبت نص رسالتين طويلتين كتبهما السلطان مولاي الحسن الى قائد تطوان عن رحلته الصحراوية التي قام بها سنة 1311، وكانت آخر رحلاته وقد انتهى منها قبيل وفاته ببضعة اشهر ، والاولى من الرسالتين تاريخها 15 جمدى الاولى عام 1311 والثانية بتاريخ 18 جمدى الاخيرة من نفس العام، وتوفي السلطان مولاي الحسن ليلة الخميس ثالث ذي الحجة الحرام عام 1311، وتولى بعده ابنه المولى عبد العزيز فكتبت الهيأة المخزنية رسالة رسمية الى قائد تطوان وقاضيها معلمة لهما بوفاة السلطان مولاي الحسن وبيعة ابنه المولى عبد العزيز وهي بتاريخ 23 ذي الحجة عام 1311، وقد امضاها السادات الستة الآتية اسماؤهم مع وظائفهم حسبما كتب امام امضاء كل واحد منهم وهم :

المعطي بن العربي بن المختار ، لطف الله به	الصدر الاعظم
محمد بن العربي الصغير ، لطف الله به	وزير الحرب
ادريس بن العلام لطف الله به	قائد المشور
احمد بن موسى بن احمد ، لطف الله به	الحاجب
علي المسفيوي وفقه الله	وزير الشكايات
محمد المفضل بن محمد غريط ، لطف الله به	وزير الخارجية

ثم اثبت النص الكامل لبيعة اهل تطوان للسلطان المولى عبد العزيز وهي من انشاء الفقيه علامة تطوان سيدي احمد السلوي رحمه الله، وتاريخها ثالث ذي الحجة عام 1311.

ثم اثبت نص رسالة من السلطان المذكور الى قائد تطوان بتاريخ 9 ذي الحجة المذكور في الاخبار بوفاة والده وببيعته هو الخ .

ثم نص بيعة اهل مدينة شفشاون للسلطان المذكور وعليها امضاءات اعيانهم.

ثم تعرضت لما وقع بين الحاجب احمد بن موسى (ابا احمد) ووزيري آل الجامعي وهما الوزير الصدر الحاج المعطي ووزير الحرب محمد الصغير، والقاء القبض عليهما وسجنهما بسجن تطوان الى ان مات الحاج المعطي داخله بعد ان قضى فيه ثلاثة وثلاثين شهرا.

من مناظر تطوان في اوائل القرن الرابع عشر ، شارع الوسعة من حومة البلد ، وهو من بناء عهد المنظري في اواخر القرن التاسع للهجرة ، وقد ارتفعت فوقه عرائش دالية العنب لتظليل المارين به على العادة التطوانية من قديم.

جانب من شارع الخرازين قرب الغرسة الكبيرة. وهو واقع بين حومتي البلة والربض ا على وقد تدلت من عرائشه اغصان دوالي العنب ايضا.

واثبت نص رسالة سلطانية مؤرخة بسادس محرم عام 1312 بعزل الوزيرين المذكورين.

ثم اثبت نص رسالة كتبها بعض اقارب محمد الصغير المذكور اليه وهو بسجن تطوان ، وهي رسالة يحق الاعتبار بها لمن يعتبر من اصحاب السلطة والجاه ، لما فيها من عظة الدهر وتقلبات الزمان ، وهي مؤرخة بحادي وعشري جمدى الاولى عام 1315 .

وهنا استطردت واثبت رسالة كتبها محمد المذكور الى النائب الطريس ليشفع فيه عند السلطان ، ويقول له فيها فإني في عارك وعار والدك واولادك، وها وجهي تحت نعليك، الخ. وهي بتاريخ 28 جمدى الاولى عام 1325 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها قائد تطوان الى النائب الطريس بطنجة في شأن تهريب السلاح من مرسى تطوان وهي بتاريخ 18 حجة عام 1312.

ثم اثبت نصوص ثلاث رسائل ارسلها السلطان الى قائد تطوان عن ثورة قبيلة الرحامنة ونتائجها، واولى تلك الرسائل في نحو سبع صفحات، وهي بتاريخ 18 شعبان عام 1313 ، والثانية في نحو ثلاث صفحات وتاريخها 5 رمضان عام 1313 ، والثالثة تاريخها 12 رمضان المذكور ، وهي رسائل تاريخية ادبية يظهر ان كاتبها عالم اديب وسياسي لبيب .

ثم اثبت نص رسالة من السلطان الى قائد تطوان يأمره فيها بان يجمع من ايالته

خمسة آلاف ريال هي دية نصراني قتل في هذه النواحي الخ مع ما التزم به عند ولايته من الريال وقدره خمسة آلاف اخرى الخ .

ثم تعرضت لوباء عام 1313، واثبت نص الرسالة التي اجاب بها الشيخ عبد القادر ابن عجيبة اهل تطوان عند ما قدموا اليه هدية وطلبوا منه ان يرجو من الله تعالى رفع الوباء عنهم الخ .

ثم تكلمت على زكوات اهالي تطوان وانها كانت ترسل الى دار المخزن، ونقلت نصوص رسائل عديدة في هذا الموضوع ، وبعضها من خليفة السلطان بفاس مولاي اسماعيل ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ، وبعضها من السلطان نفسه ، وبعضها من الحاجب ، من عام 1301 الى عام 1312 .

ثم اثبت نقلا من خط احد عدول تطوان ، بعض البيانات عن مقدار الحبوب التي تحصلت في الزكاة المجموعة من فلاحي تطوان عام 1305 وعام 1309 .

ثم كتبت فصلا عما كان يهود تطوان وشفشاون يدفعونه من الجزية كل عام ابتداء من عام 1301 الى عام 1315 ، وذلك نقلا عن التوصيلات الرسمية التي عليها امضاءات الامناء الذين كانوا يتسلمون تلك الجزية بتطوان في كل عام ، والى ذلك العهد كان يهود المغرب يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون ، واثبت على سبيل الاستطراد نص رسالة كتبها احد الامناء ، وفيها ان اليهود ادوا جزيتهم بانفسهم

شارع السوق الفوقي، في الربض الاعلى من مدينة تطوان

بذلة وصغار الخ .

ثم تكلمت على ضريبة المجزر لتنظيف مدينة تطوان عام 1313. واثبت نص بيان فيه احصاء ما استهلك في تطوان من البقر والغنم والمعز في كل شهر من شهور عام 1313 مع بيان ما دخل عن ذلك من المال ليصرف منه على تنظيف المدينة الخ .

ثم نص بيان آخر عن ذلك ايضا في سبعة اشهر اولها ربيع الثاني عام 1314 .

اعفاء القائد السلوي عام 1315

ثم تكلمت على اعفاء القائد محمد السلوي من ولاية تطوان عام 1315 ونقلت ما كتبه في هذا الموضوع ابن القائد المذكور وخليفته صديقنا السيد محمد السلوي المكناسي رحمه الله .

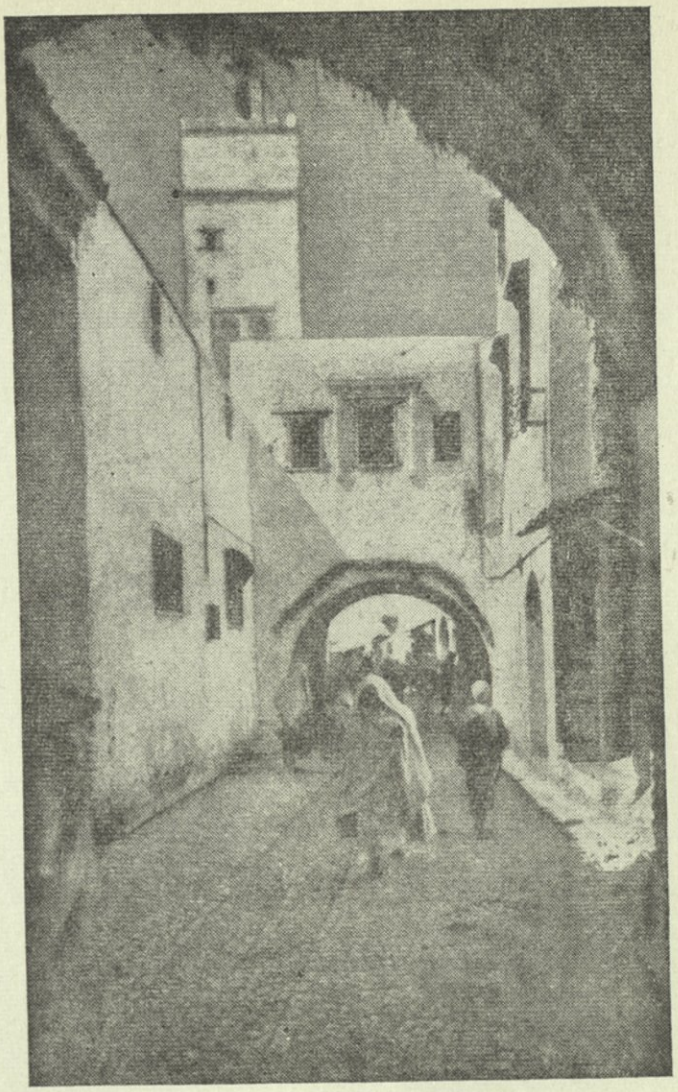

شارع العيون - وهو من اواخر ما بني من تطوان في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة.

ثم تعرضت لبعض احوال القائد السلوي نقلا عن بعض شيوخ تطوان رحم الله الجميع .

ثم اثبت نص رسالتين كتبهما القائد السلوي المذكور قبيل مغادرته لتطوان ، احداهما الى الحاج محمد اللبادي بتاريخ 8 ربيع الثاني عام 1315 . والاخرى الى النائب الطريس بتاريخ 18 منه وكلاهما في الاعلام باستدعاء السلطان له الى فاس والتوصية بمدينة تطوان وبولده خليفته السيد محمد الخ .

ثم اثبت نص كتاب سلطاني وصل الى خليفة قائد تطوان عن احدى الحركات السلطانية لبعض القبائل المتمردة ، وهو بتاريخ 16 جمدى الاولى عام 1315 .

ولاية القائد ادريس بن يعيش عام 1315

ثم تكلمت على تولية السلطان للقائد ادريس بن يعيش حكم تطوان بعد نقل القائد السلوي الى فاس وتعيينه في وظيف آخر بها . وكان وصول القائد بن يعيش المذكور الى تطوان واليا عليها في سادس رجب عام 1315 . وقد اثبت نصوص عدة رسائل كتبها القائد المذكور الى النائب الطريس بطنجة في قضايا تتعلق بتطوان. وقد استمر ابن يعيش واليا على تطوان الى ان اخر عن حكمها فغادرها يوم السبت 29 ربيع الاول عام 1319 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان الى قاضي تطوان بتاريخ 5 رجب عام 1318 يمنع فيها منعا تاما معاملة ولاة المخزن معاملات مالية ، فلا تعمر ذمتهم ولا يشهد عليهم بشيء ، كأنهم لا يحق لهم تملك الاشياء ، وأنهم مضروب على أيديهم ، وان كل ما بيدهم هو ملك لبيت المال، وان حظهم من الدنيا هو ما ياكلون وما يشربون ... الخ

الاقواس التي كانت قديما بساحة الفدان في أول شارع الطرافين الذي هو الآن سوق الثياب القطنية والحريرية، وقد هدمت هذه الاقواس وبني غيرها مكانها .

ولاية القائد قدور ابن الغازي على تطوان عام 1319

وأخر السلطان القائد ابن يعيش عن حكم تطوان وولى بدله القائد قدور ابن الغازي عام 1319 .

وشيخنا الرهوني يصف القائد ابن الغازي بانه كان رجلا فاضلا محبا للشرفاء والعلماء والصلحاء متواضعا سهل الحجاب لين الجانب كثير الصدقات ، لا يدخر شيئا... الى ان قال : غير انه كان مصابا بالفتنة حيث ذهب الخ، «يعني انه كان مشئوما كلما حل بموضع قامت به الفتنة واقتتل الناس واريقت الدماء وضاعت الارواح. وفي وقت حكم هذا القائد لتطوان كانت فتنة الجبليين وحصار تطوان ، وقد افردت لذلك في الاصل فصلا خاصا مطولا .

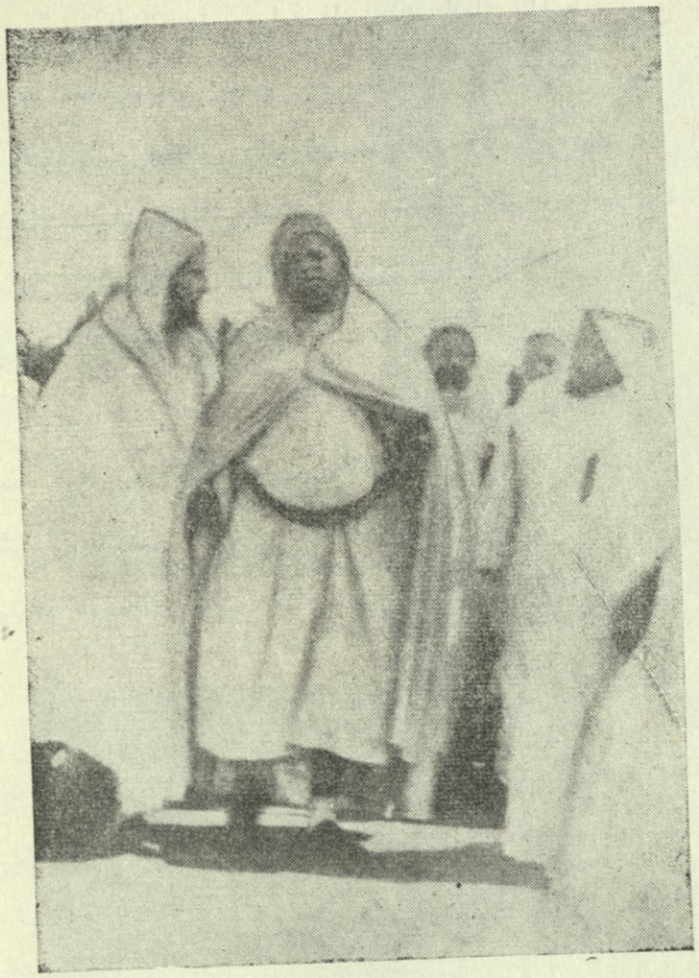

صورة القائد قدور ابن الغازي الذي تولى حكم تطوان من عام 1319 الى عام 1324

حصار تطوان وقتال الجبليين عام 1321

هذا موضوع قد توسعت في الكلام عليه فى الاصل فبلغت صفحاته نحو السبعين، ومضمن الحادث ان قبيلة بني يدر (التي تبعد عن تطوان ببضعة عشر كيلومترا وتقع عن يسار الذاهب من تطوان الى طنجة) قد ثارت ضد مدينة تطوان، واعلنت الحرب عليها ، ثم انضم عدد من القبائل الجبلية الى بني يدر ، وارسل السلطان بعض جيشه لاعانة اهل تطوان، فكان بين الطرفين قتال وحصار وهجوم ودفاع وقتلى وجرحى

وغنائم واسرى ، وكانت في تطوان فتنة ومحنة والامر لله . وكان ذلك في سنتي 1321 ـ 1322 هـ (1903 ـ 1904م) .

وقد نقلت ما كتبه استاذنا الرهوني في الموضوع ، وهو لا يتعدى بضعة سطور، ثم نقلت ترجمة ما كتبه م. جولي في الارشيف ماروكان وهو اوفى واوسع ما كتب في الموضوع نقلا عن شاهد عيان ، وخللت كلامه بنصوص كثيرة نقلتها من رسائل كتب بعضها الفقيه الكاتب الحاج محمد راغون الى صهره الامين السيد احمد مدينة ، وبعضها كتبه الامين السيد علي الخطيب ، والفقيه العلامة سيدي احمد الرهوني ، والامين السيد علي السلوي الى مدينة المذكور، وبعضها كتبه القائد ابن الغازي الى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس، مع رسائل رسمية تبودلت مع النيابة السلطانية بطنجة حول الموضوع . وملخص ذلك ان رجال قبيلة بني يدر ، اغتروا بقوتهم فصاروا يقطعون السبيل على المسافرين ويعثون في الارض فسادا ولا يقيمون وزنا لحاكم تطوان ، بل صاروا يتحرشون بسكان تطوان انفسهم ، وقد ابتدأ ذلك عام 1320 . ولما رأى اهل تطوان ذلك ، قووا عسكرهم الذي يحرس المدينة ويدافع عنها بسلاحه ، وطلبوا من النائب السلطاني بطنجة ان يمدهم بالسلاح لمقاتلة اولئك الثائرين ضد الامن العام . ثم القى قائد تطوان القبض على بعض اليدريين ، فاجابه اليدريون بالقاء القبض على بعض المسافرين من اليهود وأخذهم كرهائن الى ان يطلق سراح اخوانهم الخ.

ثم وقع السعي من بعض اهل الشرف والعلم لاصلاح ذات البين فلم يكن لسعيهم اثر كبير ، وعاد الحال لما كان عليه قبل من التوتر . ثم انقطع السبيل تماما بين تطوان وطنجة لسيطرة الثائرين عليه .

وفي هذا العهد كانت حركة الفتان بوحمارة ، قائمة على ساق وقدم ، وقد انتصرت قواته في نواحي الريف على قوات السلطان التي كان على رأسها مولاي عرفة عم السلطان ، والشريف محمد الامراني قريبه .

ودخل رجل من بني يدر الى السوق الكبير بتطوان وهو عامر بالناس ، ونادى باعلى صوته الله ينصر السلطان مولاي محمد (يعني اباحمارة) فألقى القبض عليه ووضع في فمه الفلفل الحار ثم زج به في السجن .

وعاد مولاي عرفة الى تطوان بعد ان انكسرت جموعه بالريف ، وكتب بوحمارة الى القبائل التي بناحية تطوان يدعوهم لنصرته ، ويعلمهم بان اهل تطوان تابعون للسلطان الذي هو مبيع للنصارى، وقرئت رسائل بوحمارة في الاسواق العامة، فانضمت القبائل جلها لعصاة بني يدر ، وفي اوائل صفر عام 321 وقع قتال من اهل تطوان وعسكرها ضد بني يدر وحلفائهم ، فانهزم الجبليون .

ثم كان اليوم العظيم بتطوان ، وهو اليوم الذي كانت هذه المدينة معرضة فيه لانتهاك حرماتها ونهب محتوياتها بعد قتل رجالها وتشريد عائلاتها - وهذا اليوم هو يوم الاثنين ثالث عشر صفر عام 1321، ذلك ان ثوار قبائل بني يدر وبني حزمر ووادراس وانجرة والحوز ، قصدوا مدينة تطوان مسلحين لاجتياح هذه المدينة والاستيلاء عليها ونهب ما فيها ، وقد هجموا عليها من شمالها وجنوبها وغربها ، فقاومهم اهل تطوان وعسكرها واهل الريف مقاومة انتهت بالتغلب على الجبليين ، فعاد الهاجمون مدحورين منهزمين مخلفين وراءهم عددا من القتلى والجرحى والاسرى ، وقد قطعت رؤوس عدد منهم وعلقت فوق اسوار تطوان . وقد نقلت في الاصل ما حدثني به الشيخ المسن العياشي كريكش اليدري الذي كان في مقدمة اولئك الهاجمين، من وصف حالتهم ونفسيتهم وما قالوا وما فعلوا وما فعل بهم وما قيل لهم الخ .

وانتهى القتال بهزيمة بني يدر وحلفائهم ، فتقوى بذلك جانب اهل تطوان والقوات المخزنية على خصومهم ، وبقيت هناك مناوشات ، ثم اخذ ورد، وصار فتيان اهل تطوان ومن معهم يهجمون على مداشر العصاة، ويأسرون ويحرقون ويغنمون الخ. وقد ورد في هذه الحوادث ذكر مولاي عرفة وعسكره ، والريسوني وثورته ، والقائد ابن سناح ورجاله، وبوحمارة وحركاته، ومحاولة رجاله للهجوم على تطوان وقتالهم الخ.

وورد فيها ايضا ذكر المستر هاريس الانجليزي مراسل التيمس بطنجة ، وإلقاء القبض عليه الخ ، وفي ذلك تفاصيل يطول شرحها .

ثم انتهى الحال بخضوع اهل القبائل للسلطة المخزنية وطلبهم العفو وعقد الصلح الخ وقد بسطت الكلام على ذلك في الاصل نقلا عن الرسائل المذكورة ، واخيرا اجابت السلطات المخزنية رغبتهم بشروط وقيود ، ثم تفرقت الجموع والجيوش ، وعاد لتطوان الامن والسلام .

استيفاء يمين الخدمة من الامناء

ثم بعد ذلك تكلمت على استيفاء يمين الخدمة الرسمية من امناء المراسي وعدولها ، واثبت نص امر السلطان المولى عبد العزيز بذلك في 25 ذى الحجة عام 1322 . ثم نص رسالة كتبها الامين التازي في الموضوع الى قاضي تطوان بتاريخ 29 محرم عام 1325 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان بتاريخ 28 شوال عام 1324 يخاطب فيها كافة ايالة عامل تطوان واهل حوزها يحذرهم فيها من الثائر الريسوني ، ويصفه باوصاف لا تسر محبيه. ثم رسالة اخرى من الوزير عبد الكريم بن سليمان الى النائب الطريس في شأن الريسوني المذكور .

اعفاء القائد ابن الغازي ، وتولية القائـد اللبادي

صورة الامين الوجيه السيد عبد الكريم اللبادي التطواني
الذي تولى قيادة تطوان عام 1324
وقد اخذت له اثناء ولايته

واقتضى نظر السلطان ان يعفي القائد ابن الغازي من حكم تطوان ويوليه حكم مدينة طنجة عام 1324، وان يسند حكم تطوان الى الامين الوجيه السيد عبد الكريم بن احمد اللبادي التطواني، وهذا القائد ليس عندي من اخبار ولايته وتاريخها ووثائقها وحوادثها شيء مهم ما عدا ما يتعلق بالحركة الحفيظية ، وكنت طلبت من نجله وخليفته السيد محمد ان يطلعني على بعض وثائقه ومستنداته الرسمية لاستفيد من ذلك ، فوعدني ولكنه توفي قبل ان يفي بوعده ، ثم طلبت ذلك من شقيقه الاكبر السيد محمد (فتحا)، فوعدني مرارا وما زلت انتظر وفاءه واني اتأسف لعدم ذكري لاي شيء مهم عن مدة حكم القائد اللبادي التطواني، وبهذه المناسبة اصرح لبعض الناس بأنني إنما اطلب المعلومات والاطلاع على الوثائق والاوراق والمستندات، للاستفادة والافادة العامة دون تملق ولا تهديد ، ومن الناس من له أعذار ، ومنهم الكسالى ، ومنهم الحانقون ، ومنهم الجاهلون ، ومنهم الغافلون ، ومنهم ايضا كثير من المنصفين المساعدين بكل فرح وسرور ، والناس معادن .

ثم تعرضت لمشكلة مؤنة العسكر المخزني الذي كان بتطوان من عام 1323 الى

عام 1325 ، وهي من المشاكل العويصة التي حصلت بتطوان في اواخر عهد السلطان عبد العزيز . وقد اثبت في الاصل نصوص ست عشرة رسالة رسمية بعضها من امين الامناء محمد التازي الى امناء مرسى تطوان ، وبعضها من السلطان نفسه الى نفس الامناء ، وبعضها من النائب الطريس الى الوزير عبد الكريم بن سليمان الخ ، وهي رسائل لا تحتاج لتعليق، لانها تصور كيف كان تسيير شؤون المخزن في ذلك العهد اصدق تصوير ، وقد اشتدت الازمة في بعض الاوقات حتى اضطر العسكر للالتجاء الى بعض القناصل الاجانب ليمدوهم بما يسد رمقهم الخ، وكانت مهزلة، وكانت فضيحة ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون .

ثم اثبت نص رسالة كتبها شيخ الجماعة بتطوان العلامة سيدي احمد الزواقي الى قاضي تطوان ينصحه فيها بمراجعة السلطان في شأن تكوين فرقة البوليس الخارج عن القانون الشرعي الخ ، وهي بتاريخ 24 ذي القعدة عام 1325 . ثم نص رسالة كتبها اعيان تطوان الى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس يطلبون منه تنحية البوليس من البلد الخ ، وهي بتاريخ 27 ذي القعدة عام 1325 ، وعليها امضاءات سبعة وعشرين، منهم كلهم ماتوا ولم يبق منهم الآن في قيد الحياة الا سيدي الحسن افيلال حفظه الله، واثبت ايضا ما صرح لي به احد اولئك الاعيان من مقصودهم الخ ، ثم اثبت نص رسالة كتبها النائب الطريس من طنجة الى اعيان تطوان جوابا عما طلبوه من ابقاء العسكر القديم بتطوان وعدم نقله منها، لانه يحفظ المدينة من العدوان الخ ، وهي بتاريخ 15 صفر عام 1326 .

عزل السلطان عبد العزيز وبيعة اخيه عبد الحفيظ

ثار اهل الجنوب المغربي على السلطان عبد العزيز ، فخلعوه وبايعوا اخاه عبد الحفيظ ، ثم تبعهم اهل فاس في ذلك ، وصاروا يدعون غيرهم لمتابعتهم ايضا ، وقد اثبت في الاصل نص رسالة كتبها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (شيخ الطريقة الكتانية) الى قاضي تطوان وقائدها واعيانها يدعوهم فيها لعزل السلطان عبدالعزيز وبيعة اخيه عبد الحفيظ ، وهي بتاريخ رابع ذي الحجة عام 1325 ، وقد ارسل مع تلك الرسالة نص الاستفتاء الذي قدمه اهل فاس لعلمائهم في شأن السلطان عبد العزيز ، وقد اثبت في الاصل نصه الكامل مع نص جواب العلماء عليه نقلا عن اصله الذي عليه امضاءاتهم بخطوط ايديهم. ثم نص مجموعة شهادات بعزل عبد العزيز وبيعة عبد الحفيظ . ثم النص الرسمي للبيعة الفاسية الحفيظية، وهي بتاريخ فاتح ذي الحجة الحرام عام 1325 .

ثم اثبت نص رسالة بعثها الشريف مولاي عبد السلام الامراني خليفة السلطان عبد الحفيظ بفاس الى النائب الطريس بطنجة طالبا منه متابعة أهل فاس وارسال بيعة اهالي طنجة وتطوان الخ . ثم نص رسالة كتبها اعيان فاس الى نواب الدول الاجنبية بطنجة تأييدا لعبد الحفيظ ضد أخيه عبد العزيز الخ . ثم رسالة من اللبادي باشا تطوان الى النائب الطريس فى الموضوع ايضا بتاريخ 19 ذي الحجة عام 1325 .

ثم نص رسالة بعثها السلطان عبد العزيز الى قاضي تطوان يحذر فيها من الاقتداء بأهل فاس الخ ، وهي بتاريخ 19 ذي الحجة المذكور . ثم نص رسالة كتبها الوزير عبد الكريم ابن سليمان الى النائب الطريس بطنجة يحضه فيها باسم سلطانه عبد العزيز على الثبات والحزم ، ويشكره على موقفه من تلك الازمة المحرجة الخ ، وهي بتاريخ 26 محرم 1326 « ومن المعلوم ان الطريس وابن سليمان كانا من انصار عبد العزيز .

ثم تعرضت لما وقع في تطوان من الخلاف بين انصار السلطانين الاخوين ، عبد العزيز وعبد الحفيظ ، وذكرت اسماء بعض المشاهير من الفريقين ، ونقلت ما كتبه الفقيه الوزير سيدي احمد الغنمية في الموضوع ، وكان من انصار الجانب العزيزي . ثم اثبت نص رسالة كتبها اللبادي باشا تطوان الى النائب الطريس بتاريخ 17 جمدى الاولى 1326 ، يشرح فيها الحالة الحرجة التي كانت عليها تطوان في ذلك التاريخ . ثم نص رسالة اخرى كذلك ايضا بتاريخ 20 جمدى المذكورة ، وقد شرح له فيها ايضا كيف اجتمع جل اهالي تطوان وخلعوا السلطان عبد العزيز ، وبايعوا عبد الحفيظ معرضين عن الباشا المذكور وغير مبالين به الخ .

ثم ذكرت ان تغلب الجانب الحفيظي بتطوان وعزله لعبد العزيز وبيعته لعبد الحفيظ كان ليلة ثامن عشر جمدى الاولى عام 1326 . واثبت النص الكامل للبيعة التطوانية الحفيظية نقلا من خط منشئها الفقيه الاديب سيدي محمد الزواقي .

وعين وجهاء تطوان احدهم وهو الفقيه السيد محمد الصفار للجلوس بالمشور « مركز لحكم» الى جانب الباشا اللبادي لمشاركته في الحكم ومراقبته ، وكتبوا بذلك الى السلطان رسالة اثبت نصها في الاصل مع جميع الامضاءات التي عليها نقلا عن اصلها المحفوظ بفاس لدى العائلة الفاسية الفهرية ، وهي بتاريخ 18 جمدى الاولى عام 1326 .

واثبت ما كتبه الفقيه الوزير السيد العباس الفاسي على ظهر الرسالة المذكورة ، وما كتبه السلطان عبد الحفيظ على ذلك الخ. ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان عبد العزيز الى النائب الطريس بتاريخ 21 جمدى الاولى يعنف فيها اهل تطوان ويوعدهم

فيها بالعقاب الخ . ثم رسالة اخرى كذلك بتاريخ 22 جمدى الاولى ايضا يأمره فيها بالقاء القبض على زعماء الحفيظيين بتطوان الخ .

ثم اثبت نصوص ثلاث رسائل :

اولاها من النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس الى قاضي تطوان يستنكر فيها ما قام به اهل تطوان من عزل السلطان عبد العزيز الخ ، وهي بتاريخ 22 جمدى الاولى عام 1326 .

الثانية من الوجيهين السيد عبد القادر الرزيني والسيد محمد بن الطيب بوهلال كذلك ، وهي بتاريخ 23 منه .

الثالثة من النائب الطريس الى اهالي تطوان كافة كذلك ، وهي بتاريخ 23 منه ايضا .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الفقيه سيدي احمد الزواقي الى النائب الطريس ينصحه فيها باسم الدين ويدعوه لبيعة المولى عبد الحفيظ ، وهي بتاريخ 25 منه .

ويظهر ان انصار السلطان عبد العزيز كانوا يحاولون صرف الناس عن السلطان الجديد في مختلف المدن والجهات ، وقد اثبت نص رسالة كتبها الامين محمد التازي الى العلامة سيدي التهامي كنون في نفس الموضوع عقب بيعة اهل فاس لعبد الحفيظ وهي بتاريخ 18 ذي الحجة عام 1325 .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان عبد الحفيظ لاهل تطوان جوابا عن بيعتهم له وهو بتاريخ 28 جمدى الاولى عام 1326 ونقلت ما كتبه الفقيه سيدي محمد الزواقي الذي كان من اكبر المتحمسين لعبد الحفيظ على ظهر نسخة من هذه الرسالة وقد صرح فيه بانهم كانوا مغرورين في هذا السلطان الجديد الخ مما يدل على ندمه وخيبة ظنه فيه

ثم اثبت جواب اهل تطوان عن الرسالة السلطانية السابقة وهو بتاريخ 4 جمدى الاخيرة عام 1326 .

ثم نص رسالة كتبها الفقيه السيد محمد بوعسل من تطوان الى النائب الطريس بطنجة في 13 جمدى الاخيرة حول الحالة بتطوان الخ.

ثم نص رسالة اخرى من الفقيه الزواقي الى الطريس بتاريخ 29 جمدى الاولى 1326.

عزل القائد اللبادي وتولية القائد ابن الحسين

وعزل السلطان القائد اللبادي وولى مكانه القائد عبد السلام ابن الحسين البخاري المكناسي وقد اثبت في الاصل نص ظهير توليته وهو مؤرخ بـ 29 جمدى الاولى عام 1326 اما القائد اللبادي فقد خاف على نفسه وسافر خفية بالليل الى مدينة سبتة محتميا فيها بالاسبانيين.

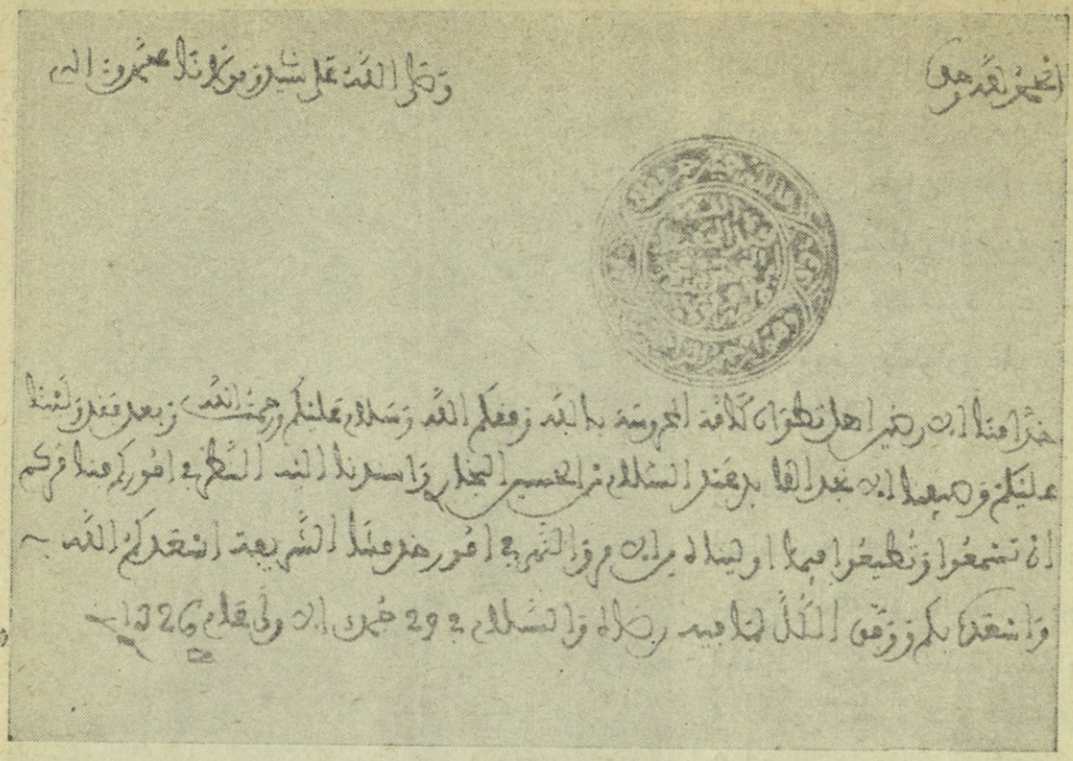

هذه هي الرسالة التى كتبها السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن الى اهل تطوان بتولية القائد عبد السلام بن الحسين على هذه المدينة وهي مؤرخة بـ 29 جمدى الاولى عام 1326

ثم اثبت نصوص خمس رسائل تبودلت بين السلطان الجديد وأهل تطوان ، واولاها من السلطان الى الفقيه سيدي محمد الزواقي بتاريخ 29 جمدى الاولى عام 1329. والثانية جواب الفقيه المذكور عن تلك الرسالة. والثالثة من السلطان الى كبراء اهل تطوان بتاريخ 14 جمدى الاخيرة عام 1326. والرابعة من قائد تطوان الى السلطان جوابا عن الرسالة المذكورة وفيها حملة شعواء على اللبادي الباشا السابق الخ .

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان عبد الحفيظ الى اهالي قبيلة بني سعيد يطلب منهم مبايعته إسوة باهل تطوان وهي بتاريخ فاتح جمدى الاخيرة عام 1326 وقد كتب مثلها الى اهالي بقية القبائل الاخرى القريبة من تطوان، وقد اجتمع اعيان تلك القبائل بتطوان وبايعوا السلطان المذكور .

ثم اثبت نص رسالة كتبها الشريف سيدي المكي بن محمد وهو من وجهاء الشرفاء الوزانيين بتطوان يحض فيها الطريس على الاقلاع عن التمادي في العناد ، والاسراع الى بيعة السلطان عبد الحفيظ وهي بتاريخ 10 رجب 1326 .

القائد عبد السلام بن الحسين البخاري. وقد اخذت له هذه الصورة راكبا على فرسه عند وصوله الى تطوان واليا عليها من قبل السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1326. وقدتوفي هذا القائد ودفن بتطوان عام 1369

ودونك نموذجا من الرسائل السلطانية الى أعيان تطوان، وهي رسالة من السلطان عبد الحفيظ الى كبراء تطوان بتاريخ 14 جمدى الاخيرة عام 1326 في شأن القائد عبد الكريم اللبادي وعبد السلام بن الحسين البخاري.

ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان الى اهالي تطوان طالبا نهوض محلة كانت بهذه المدينة لبعض الاغراض المخزنية ، وهي بتاريخ 15 جمدى الاخيرة عام 1326 . ثم نص جواب اهل تطوان عن تلك الرسالة وقد اعتذروا له ورغبوا منه ابقاء تلك المحلة حيث هي رعيا لمصلحة البلد الخ .

ثم اثبت نص رسالة سلطانية بتولية باشا تطوان على قبيلة بني حسان، كما ولي برسائل اخرى مثلها على قبائل بني سعيد وغمارة الخ .

ثم نص رسالة من السلطان الى باشا تطوان يامره فيها بالتأهب للحركة الخ وهي بتاريخ 19 ذي القعدة عام 1326 ثم نص رسالة اخرى يفرض فيها السلطان على ايالة تطوان خمسة عشر الف ريال فقط رفقا بهم وتخفيفا عنهم؟ الخ. وهي بتاريخ 12 شعبان عام 1327 . ولما تم القضاء على ثورة بوحمارة كتب اهالي تطوان الى السلطان عبد الحفيظ رسالة يهنئونه فيها بذلك الانتصار وهي بتاريخ 18 شعبان عام 1327. وقد اثبت نصها في الاصل. ثم اثبت نماذج من الاجوبة السلطانية عن الوفود التطوانية

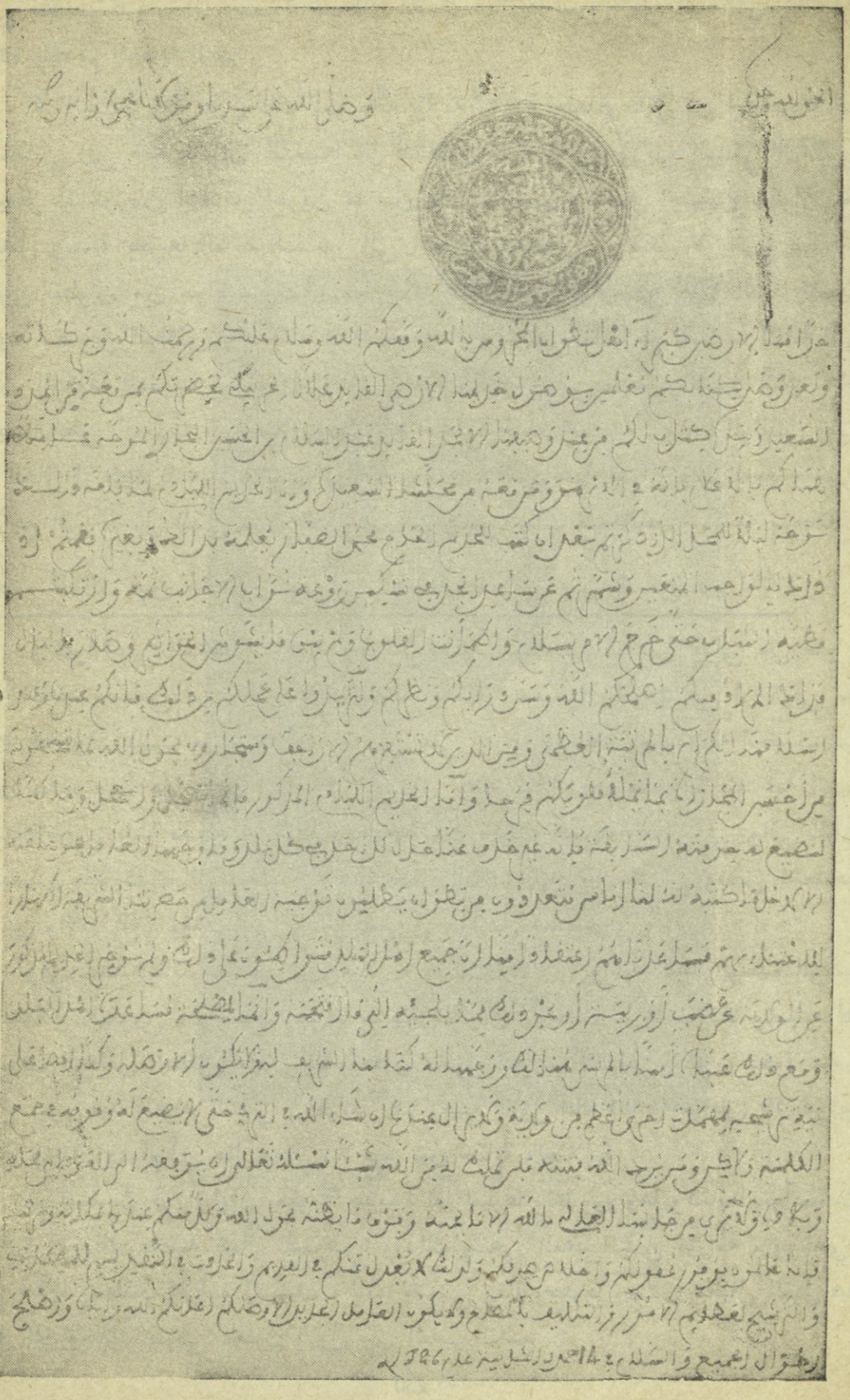

التي كانت تذهب الى حضرة السلطان لتقديم هداياها العيدية الخ وما كان اعظم فرح الولاة بتقديم الهدايا اليهم .

ثم اثبت زيادة على ذلك نحو مائة وثيقة رسمية جلها رسائل من الجباص النائب السلطاني الى قائد تطوان ، وبعضها من السلطان نفسه او من وزيره المدني الكلاوي، والبعض الآخر من اشخاص آخرين ما بين ولاة مغربيين وقناصل اجنبيين بتطوان، مع رسائل رسمية كتبها القائد المذكور الى اشخاص مختلفين ، والكل لا يخرج عما كان يجري بتطوان من حوادث وقضايا مما يصور لنا تاريخ تطوان في ذلك العهد تصويرا مؤيدا بنصوص الوثائق والمستندات الصحيحة ، زيادة على ما يرجع للسياسة العامة التي كانت الحكومة المغربية تسلكها في تلك الظروف الحرجة التي مهدت السبيل لنشر الحماية الاجنبية على المغرب ثم احتلال الجيوش الاجنبية لمختلف نواحيه . وهذه الوثائق يطول بنا الحال لو ذكرنا هنا موضوع كل واحدة منها ، فمن تهمه احوال ذلك العهد واخباره فليرجع الى الاصل الذي نرجو الله تعلى ان ييسر اسباب طبعه بفضله وكرمه سبحانه.

اعفاء القائد ابن الحسين وتولية القائد مصطفى بن يعيش عام 1330

واخيرا اعفى السلطان عبد الحفيظ قائده عبد السلام بن الحسين وولى على تطوان بدله القائد مصطفى بن يعيش وهذا القائد قد بقى مستقرا بتطوان الى ان توفى بها رحمه الله. وقد طلبت من ابنه ان يطلعنى على اوراقه ووثائقه ومستنداته لاكتب عنه وعن عهده وانا على بصيرة ، فذكر لي ان جميع اوراق ابيه موجودة عند عمه السيد محمد الفاضل (باشا مدينة اصيلا الآن) فاتصلت بالباشا المذكور فوعدني والى الآن لم يف بوعده هداه الله ، فهو في هذا كآل القائد اللبادي التطواني وبعض اشخاص آخرين والامر لله . وقد ختمت هذا الفصل في الاصل بمانصه :

وفي عهد القائد مصطفى بن يعيش ، ودعت تطوان ونواحيها عهد الوحدة الوطنية والاستقلال المغربي ، واحتلت اسبانيا مدينة تطوان وبسطت عليها نفوذها واصبح لها التصرف الكامل المطلق فيها . ولقد كان دخول القوات الاسبانية لتطوان دخولا سلميا صباح يوم عيد المولد النبوي (الاربعاء 12 ربيع الاول عام 1331) موافق 19 فبراير سنة 1913 (ودوام أى حال محال ، لا فرق بين حماية واحتلال) .

ثم تأسست في تطوان حكومة جديدة لها اميرها ولها وزراؤها وكتابها ، وأصبحت تطوان بذلك عاصمة شمال المغرب ، وبذلك ينتهي العهد الذي نؤرخه ، ويبتدئ عهد جديد يتطلب افراده بالتأليف ، لانه يقتضي وقتا وجهودا ، ولان مجال القول فيه فسيح الخ وبذلك ينتهى الفصل الاول من الباب التاسع .

ثم يأتي بعده الفصل الثاني في قضاة تطوان في القرن الرابع عشر وقد اثبت مختصره في فصل القضاة .

ثم ياتي الفصل الثالث في رحلات المشاهير الى تطوان بين عام 1301 . وعام 1331 . وقد تكلمت في هذا الفصل على زيارة السلطان لتطوان عام 1307

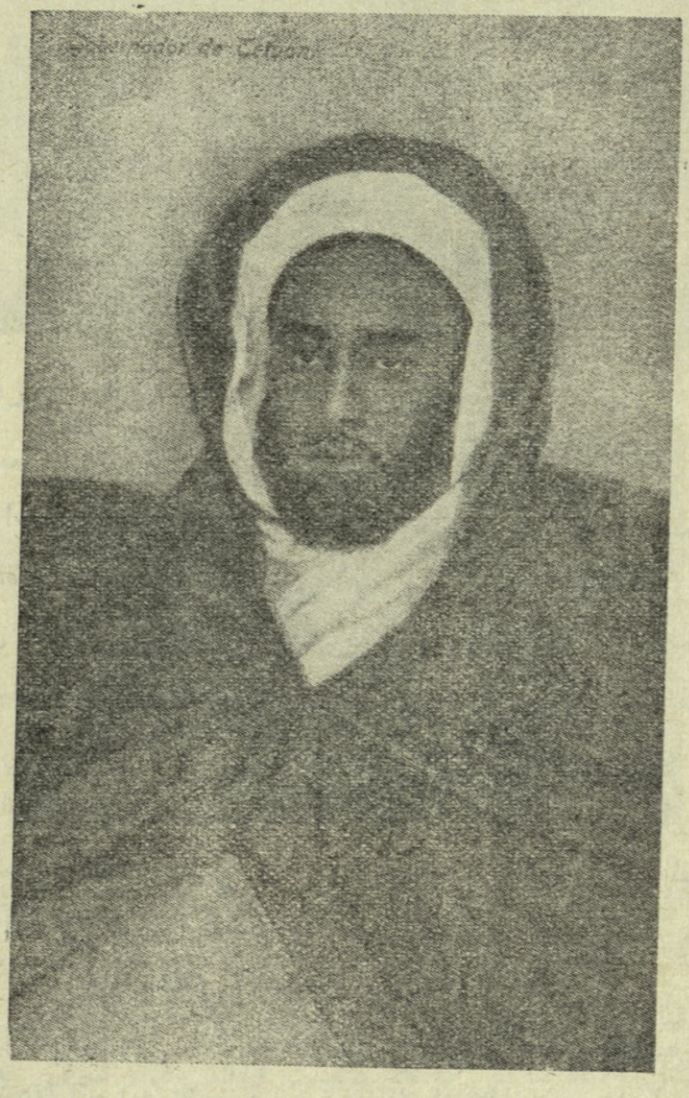

صورة القائد مصطفى بن يعيش عندما ولاه السلطان
عبد الحفيظ على تطوان عام 1330. وقد استمر مقيما
بهذه المدينة الى ان توفي ودفن بها في
16 شعبان عام 1358 .

صورة دخول الجنرال ألفاو الاسباني الى مدينة تطوان صباح يوم عيد المولد النبوي - الاربعاء 12 ربيع الاول عام 1331 هـ 19 فبراير 1913 - وهو اليوم الذي احتلت فيه القوات الاسبانية هذه المدينة احتلالا سلميا.

والصورة ماخوذة من الخلف عندما وصل الموكب الى باب المقابر، ويرى فيها عدد من اعيان البلد راكبين دوابهم المسرجة وقد خرجوا لاستقبال الحاكم الفاتح، ووقف أناس فيهم من هو مبهوت من هول الموقف ، ومن هو متفرج لا يفرق بينه وبين صغار الاطفال الا ما في وجهه من لحية، او على رأسه من عمامة، ومنهم الذي كان يشعر بأنه يودع عهد الاستقلال الوطني ويستقبل عهد الحماية الاجنبية التي لم يكن احد يدري في ذلك العهد ، هل ستنتشل البلاد من وهدتها وتسير بها في طريق العدل والنظام والرقي والعمران ، أم سترمي بها في مهاوي الاستعمار والاستعباد ؟ .

ولكننا الآن - وقد مر على ذلك العهد نحو اربعين عاما - نتطلع الى عهد جديد ، عهد انتهاء الحماية الاجنبية وتوحيد التراب المغربي، واسترجاع السيادة المغربية، بل اننا اليوم مشرفون على عهد تسطع فيه على وطننا المغربي كله شمس الحرية الكاملة ، والوحدة الشاملة ، والاستقلال التام بحول الله .

الخنرال فليب ألفاو مندوصة قائد جيش الاحتلال السلمي الاسباني لتطوان عام 1331 هـ 1913 م . وهو أول مقيم عام لاسبانيا في منطقة حمايتها بالمغرب . ومدة حكمه من 15 ابريل 1913 - الى - 15 غشت 1914 وقد توفي هذا الخنرال ودفن بتطوان عام 1356 .

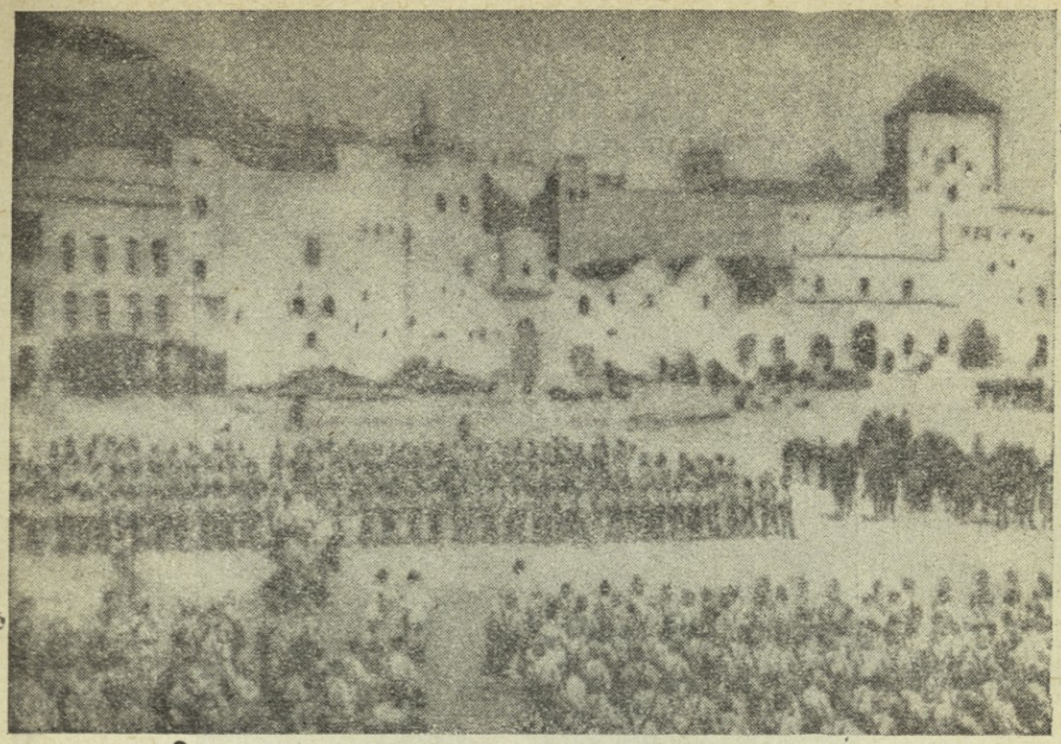

صورة الجيش الاسباني يحتل ساحة الفدان بتطوان سنة 1331 هـ 1913 م.

المقيم العام الاسباني الخنرال ألفاو يزور قائد تطوان السيد مصطفى بن يعيش في قصر المشور - مقر ولاة تطوان - عام 1331.

صورة الخليفة مولاي المهدي بن اسماعيل عند اقترابه من باب العقلة يوم وصوله الى مدينة تطوان ليتولى بها منصب الخلافة السلطانية في جمدى الاخيرة عام 1331 والى جانبه المقيم العام الاسباني الخنرال ألفاو ووراءه الوزير الصدر السيد محمد بن عزوز وأعيان تطوان راكبين دوابهم المسرجة.

موكب الخليفة السلطاني مولاي المهدي عند مروره بساحة الفدان عند وصوله لتطوان عام 1331.

صورة الخليفة مولاي المهدي ابن الخليفة مولاي اسماعيل ابن السلطان سيدي محمد ابن السلطان مولاي عبد الرحمن. وقد أسند اليه سلطان المغرب مولاي يوسف ابن السلطان مولاي الحسن منصب الخلافة السلطانية بشمال المغرب عام 1331. وبقي في وظيفه الى ان توفي ودفن بتطوان في 13 ربيع الاول عام 1342

وجهاء تطوان عند تأسيس الحكومة الخليفية بها ويرى من اليمين الى اليسار :

1 ـ السيد محمد بن عزوز ـ الصدر الاعظم ـ توفي عام (1350)

2 ـ السيد علي السلاوي ـ مدير الاحباس ـ (1342)

3 ـ العلامة السيد احمد الرهوني ـ وزير العدلية ـ (1373)

4 ـ القاضي سيدي التهامي افيلال ـ (1339)

5 ـ العلامة سيدي محمد البقالي ـ (1336)

6 ـ الامين السيد عبد الكريم اللبادي ـ (1351)

7 ـ الكاتب الحاج محمد راغون ـ (1337)

8 ـ الامين الحاج ادريس بناني

9 ـ المهندس السيد الزبير سكيرج ـ (1351)

10 ـ الفقيه سيدي محمد الزواقي ـ (1347)

11 ـ الكاتب السيد العربي السطي ؟

12 ـ الفقيه سيدي محمد الموذن ـ (1337)

13 ـ الكاتب سيدي احمد الفيلالي ـ (1361)

14 ـ الفقيه سيدي احمد العمراني ـ (1350)

15 ـ الفقيه السيد عبد القادر الفاسي ـ (1345)

16 ـ الشريف سيدي محمد بن الحسني البقالي ـ (1358)

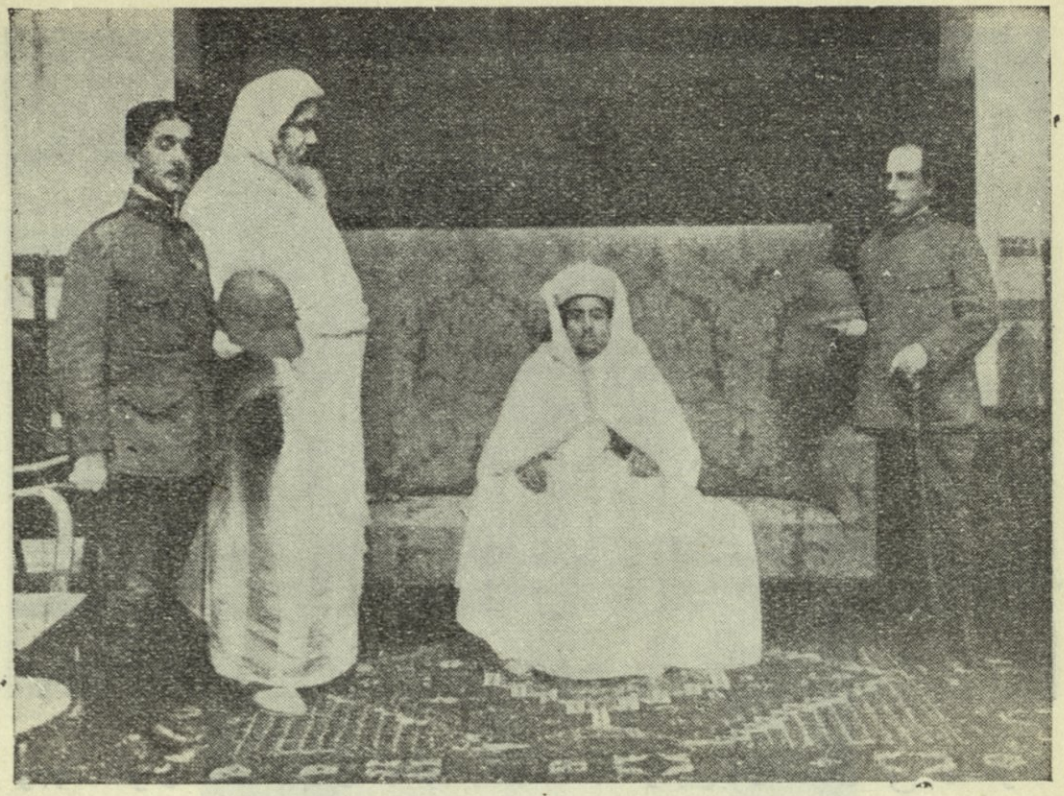

الخليفة مولاي المهدي جالسا على كرسي الخلافة السلطانية وقد وقف الى جانبه وزيره الصدر السيد محمد بن عزوز مع ضابط اسباني والترجمان طوباو

زيارة السلطان لتطوان عام 1307

وأعنى بالسلطان مولاي الحسن بن محمد . وقد توسعت في الكلام على هذه الزيارة حتى بلغت صفحاته نحو الثلاثين ، وقد نقلت اولا ما قاله الناصري في الاستقصا عن هذه الرحلة ثم ما قاله استاذنا الرهوني عنها في تاريخه ثم كلام ابن زيدان في الموضوع، ثم اثبت قصيدة في الموضوع للاديب السيد ادريس السناني الفاسي . ثم كتبت عن هذه الرحلة وهذه الزيارة فصولا هذه عناوينها :

قبل الرحلة .

ابتداء الرحلة .

دخول السلطان لتطوان .

مقابلات السلطان .

إكرامات .

الهدايا والهبات .

تعـرضـات .
استقبال ارملة الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون .
اشتكوا واطلبـوا .
اصلاح املاك الاحباس ، وبناء قنطرة المحنش
فكرتان لم تنفذا .
كثرة الخيرات ايـام الزيـارة .
السلطان يشرف على البحر الابيض المتوسط .
رسـائل السلطان عن رحلة تطـوان .

وكان اعتمادي في جل ما كتبته عن هذه الرحلة، على الرسائل الخاصة التي وجدها اخي العزيـز الاستـاذ الحاج محمد بنونـة بين اوراق جده المرحوم الوجيـه الاميـن السفير الحاج عبد الكريم بريشة رحمه الله .

صورة السلطان مولاي الحسن بن محمد بمدينة طنجة أثناء رحلته التي زار فيها مدينة تطوان وغيرها من مدن الشمال المغربى عام 1307.

ثم تكلمت على زيارة اديب فاسي لتطوان ومدحه لبني ريسون فيها عام 1308 وهذا الاديب هو السيد الحاج ادريس السناني الفاسي صاحب ديوان « الروض الفائح بازهار النسيب والمدائح» وقد نقلت من ديوانه المذكور[1] ما ذكره عن زيارته لتطوان كما نقلت منه قصيدة انشأها في مدح بني ريسون ومطلعها :

يابني ريسون اشراف الانام .·. انتم السادات حقا والكرام. الخ.

ثم تكلمت على :

زيارة صحافي اميركي لتطوان عام 1309 .

والكلام على هذه الزيارة استغرق من الاصل نحو خمس وعشرين صفحة قلت في اولها ما يلي :

وهؤلاء الغربيون من اوربيين واميركيين وخصوصا الصحافيين منهم، مولعون بالاسفار والمغامرات ، وقد كان رجال منهم، ونساء ايضا، يقومون برحلات كانوا يلاقون فيها اتعابا ويتعرضون لمخاطرات ، وكان منهم العلماء المتحلون بالنزاهة والوقار، الذين يبحثون ويحققون ، فيكتشفون من المعلومات والفوائد والحقائق ما كان مجهولا او مغمورا ، فيستفيدون بذلك ويفيدون ، ويكتبون المجلدات العامرة بالمعلومات القيمة، كما كان منهم ايضا الكتاب الصحافيون المغربون الذين يمزجون الحقائق بالخيالات، وينظرون إلى الاشياء بمناظرهم الخاصة فيخلطون فيها تخليطا، وقد يحرفونها عن الواقع تحريفا ، إما جهلا منهم بحقيقة ما يرونه او يسمعونه ، واما قصدا منهم لاطراف قرائهم بالغريب المدهش عن الاقطار الشرقية والمغربية التي يكاد يكون كل شيء فيها لديهم غريبا مدهشا ، وربما كان من بينهم اشخاص مدفوعون باغراض سياسية أو اقتصادية ينظرون بمناظرهم الخاصة فيكتبون بما تقتضيه مصالحهم من حق وإنصاف، او زور وبهتان.

وهذا الصحافي الاميركي، ستيفان بونزل (الصغير) STEPHAN BONSAL Jr. يزور المغرب في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد، الموافقة لاوائل القرن الرابع عشر للهجرة،ويزور هذا الصحافي الفضولي الجريء تطوان.ويضع منظاره الصحافي على مناخيره فيشاهد ما يشاهد امثاله من السواح الغربيين ويكتب لنا ما رآه او سمعه في تطوان من حسن وقبيح وعادي وغريب، وحقيقي وخيالي، ويؤلف عن رحلته هذه كتابا يصف

---

1) هذا الديوان مخطوط ، وقد اطلعني عليه صديقنا العلامة النابغة الاستاذ عبد الله كنون حفظه الله .

فيه الحقائق المجردة حينا، ويمزجها بالخيال الاميركي الشاذ احيانا، ونحن كيفما كان الحال يهمنا ان ننصت الى الذين يزورون بلادنا ويتحدثون عن وطننا وقومنا ولو كانوا من الصحافيين الاميركيين المغربين، اذ قد يرى اولئك الزائرون اشياء لا نراها نحن او لا نهتدي لها، وقد يتنبهون لمحاسن او لمساوي لا نشعر نحن بحسنها او قبحها.

لقد الف المستر بونزل كتابه بلغته الانجليزية وسماه - المغرب كما هو - MOROCCO AS IT IS ، والفصلان الخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب قد خصصهما للكلام على وصوله من اميركا الى طنجة ثم رحلته الى تطوان واقامته بها مدة . . . . .

ثم لخصت ما قاله عن رحلته ومشاهداته تلخيصا وقد تكلم فيها عن الحمارين لان السفر في ذلك العهد انما كان على البهائم والحمير، وتكلم على القنصليتين الاميركية والانجليزية واعمالهما بطنجة ونواحيها ، وتكلم على صيدهم للخنازير ، ثم ذكر مدينة تطوان ووصوله مع رفقائه اليها واقامتهم بها ووصف اجتماعهم بباشاها، وقد وصفه بانه اصدق مثال شاهده في حياته للص. ثم تكلم على اكرام الحاج العربي بريشة لهم وقد اطال في وصف داره وما فيها وصفا صحافيا اميركيا.

ثم وصف موقف اعيان تطوان منهم ومن شذوذهم ووصف حالة تطوان واحيائها، وكل ذلك في الفصل الخامس عشر من كتابه. ثم خصص الفصل السادس عشر للكلام على اقامته بتطوان ومشاهداته فيها. وتكلم على اعمال العدول الشرعيين وعاداتهم، وعلى مناظر عيساوة وأفاعيهم وعلى ما يشبه ذلك الخ وقد علقت على بعض ما كتبه بما يلي :

الذي يظهر ان ما وقع للمؤلف هنا هو ما يقع لمن يحضر رواية تمثيلية بلغة لا يفهم منها شيئا، فيكون حظه من الرواية هو رؤية الحركات والاشارات، اما المعنى والنكت والمغزى فهو موكول لعقله وذكائه، ولفكره الذي قد يصيب وقد يخطيء ولقد أصاب هذا المؤلف كبد الحقيقة في بعض اوصافه وملاحظاته ، الا انه اخطأ وابتعد عن الحقيقة وخلط تخليطا وخرف تخريفا في بعض الفصول الخ.

ثم تكلم المؤلف عن مولاي عمر نجل السلطان، وقد كان في ذلك العهد مقيما بتطوان للدراسة بها الخ . ثم تكلم على بعض حفلات الزواج مع بعض العادات الخ وبذلك ينتهي ما نقلناه من الكتاب المذكور.

ثم تلى ذلك في الاصل عدة فصول بها ينتهي اصل هذا الكتاب، ويأتي بعده «ذيل التاريخ» وهو محتو على مائة فصل وفصل بعضها كتب وبعضها ما زال قيد

البحث والتاليف. وقد تكلمت فيه على تطوان من نواحي ثلاث:

الاولى - خططها: وبها نيف وعشرون فصلا تكلمت فيها على اقسامها ومحتوياتها، وعلى أبوابها وأسواقها وأسماء شوارعها وعلى أبراجها ومساجدها وزواياها وضرائحها ومزاراتها وصوامعها ومصليات العيد بها، وعلى اشهر مبانيها واماكنها الاثرية ومدارس الطلبة، وعلى حماماتها وافرانها وفنادقها وسجونها، وعلى المارستانات والمقابر والاقنية العامة، وعلى المناخ والبساتين والمنتزهات الخ.

الثانية - سكانها: وفيها نيف وثلاثون فصلا تكلمت فيها على عناصر السكان بها، وأسماء الاشخاص وعلى عائلاتها، وصلحائها، وعلى رجال العلوم والفنون، وعلى المؤلفين، والمدرسين، وعلى الشعراء والشعر، والتجار والتجارة، وعلى الحسبة والمحتسبين، وعلى آباء المواريث وعاداتهم، ونظار المساجد والزوايا وخطباء الجمع والاعياد، والتوقيت والموقتين، والتشفيع والمشفعين، والتوريق والمورقين، وشيوخ النظر والمقومين، وعلى مقدمي الحومات، ثم على الصحافة والصحافيين وعلى السماع والمسمعين، والتسول والمتسولين، وعلى المجاذيب، وعلى اصحاب الوظائف المخزنية، وعلى التطوانيين والرحلات، والتطوانيين والجندية وعلى موقفهم من التصوف، وطلبة تطوان بفاس، وعلى المرأة ومقامها، وعلى الرقيق، وعلى الالقاب الشخصية والعائلية، وعلى الاجانب، وعلى اليهود بها الخ.

الثالثة - الحياة الاجتماعية بها:

وفيها نحو اربعين فصلا، تكلمت فيها عن الاديان والمذاهب، وعلى الاخلاق والعادات، ونظام الاسرة، والزواج والطلاق، والتسري، وعلى توزيع الثروة، وعلى المواسم والاعياد والاحتفالات، وعلى الفصول والمنازل، والحرف والصنائع، والطرق الصوفية، وانظمة الاحكام، وعلى التعليم، وخزائن الكتب والدفاتر العلمية، وعلى الاحباس، وعلى اللغات واللهجات وعلى الامثال، (الف مثل ومثل) وعلى الغناء والطرب والموسيقى، وعلى هندسة المباني، والنظام المنزلي والفرش والملابس والحلي، والمواد الغذائية والمآكل والمشارب والمطبخ التطواني وعلى الفواكه والغروس والزهور، وعلى الحيوانات والطب والامراض، وعلى السكة - اي العملة - وعلى الاسلحة، وعلى رمضان في تطوان، وحلقات المساء، وعلى التفاؤل والتشاؤم والخرافات والاوهام، والمواصلات والبريد، وعلى المكاييل والموازين الخ.

وهذه الفصول منها المحتوي على صفحة او صفحتين ومنها الذي تعد صفحاته بالعشرات. وفقني الله لاتمام الجميع وهو سبحانه المستعان.

الفصل الخامس

قضاة تطوان وعدولها

قد اقتصرنا في هذا الفصل .

اولا ، على ذكر من عرفنا اسماءهم من قضاة تطوان وخلفائهم والتواريخ التي كانوا فيها متولين للحكم بها .

ثانيا ، على ذكر اسماء عدول تطوان والتواريخ التي وقفت فيها على رسوم بها شهاداتهم .

في القرن العاشر

القاضي محمد الرزيني 930

اقدم من وقفنا على اسمه من قضاة تطوان هو الفقيه ابو عبد الله محمد الرزيني وقد ذكره ابن القاضي في « درة الحجال » [1] ووصفه بأنه قاضي تطوان ، وذكر في كتابه « لقطة الفرائد » [2] انه توفي سنة 934 . وقد وصفه فيه بالاندلسي .

القاضي محمد الكراسي 964

كان ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي قاضيا بتطوان كما ذكره ابن عسكر في دوحة الناشر [3] وذكر انه بقي قاضيا الى ان توفي في حدود سنة 964. [4] وقد

1) ج - 1 - ص 227 . طبع الرباط سنة 1934 .

2) مخطوط في الخزانة الاحمدية بفاس .

3) ص . 17 .

4) لهذا الشيخ ترجمة ستأتي في الفصل السادس .

وجدت اسمه في بعض الرسوم مكتوبا باسم « ابي القاسم الكراسي »

في القرن الحادي عشر

لم نحط باسماء جميع قضاة تطوان وخلفائهم في هذا القرن، ودونك من عرفنا اسماءهم منهم :

نائب القاضي محمد يعقوب عام 1012 ـ 1025

في نوازل الحجر من نوازل الزياتي رسم مؤرخ باواسط ذي الحجة عام 1012 وفيه ان محمد بن محمد بن يعقوب كان في ذلك التاريخ نائب القاضي بالثغر التطاوني، ووقفت على اصل رسم كتب عام 1025 وفيه ان نائب قاضي تطوان هو محمد بن محمد يعقوب (بدون ابن) .

القاضي محمد بن سعيد بن قريش 1037

ذكر استاذنا الرهوني ان قاضي تطوان عام 1037 هو القاضي محمد بن سعيد بن قريش - وهو اول من تولى قضاء تطوان من هذه العائلة .

القاضي موسى الخطيب عام 1038

وذكر استاذنا الرهوني ان الفقيه موسى الخطيب هو الذي كان قاضيا بتطوان عام 1038 .

القاضي محمد بن سعيد بن قريش عام 1040

وعند استاذنا الرهوني ايضا ان الفقيه محمد بن سعيد بن قريش كان هو القاضي بتطوان عام 1040. ايضا بعد ان ذكر انه كان قاضيا بها عام 1037.

القاضي أحمد بن محمد طانية عام 1040

جاء في كتاب الاعلام بمن غبر، [1] ان الفقيه احمد بن محمد طانية كان قاضيا ببلده تطوان، وذكر استاذنا الرهوني ان التاريخ الذي كان فيه قاضيا بتطوان هو

---

1) مؤلف كتاب الاعلام بمن غبر ، هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفي سنة 1131 وتوجد من هذا الكتاب نسخة غبر كاملة في الخزانة السودية بفاس وقد وقفت عليها عام 1369 .

عام 1040. فما بعد وفي كتاب ابتهاج القلوب [1] ان القاضي المذكور كان من تلاميذ الشيخ سيدي العربي بن يوسف الفاسي وانه توفي عام 1063، ومثله في كتاب الاعلام المذكور.

القاضي عبد المجيد بن طريقة عام 1053

ذكر استاذنا الرهوني ان الفقيه عبد المجيد بن طريقة هو الذي كان قاضيا بتطوان سنة 1053.

القاضي محمد بن طريقة عام 1063

وجدت في آخر نسخة عدة رسوم ما نصه ، وأشهد الفقيه الاجل العالم العلامة البركة الافضل قاضي مدينة تطوان ونواحيها وخطيب جامعها الاعظم وهو محمد بن طريقة وفقه الله بمنه الخ وتاريخ هذه النسخة 26 شعبان عام 1063.

القاضي عبد القادر بن احمد طانية عام 1071

ذكر استاذنا الرهوني ان عبد القادر بن احمد طانية هو الذي كان قاضيا بتطوان عام 1071 - ولم نعرف عنه اكثر من ذلك.

القاضي عبد المجيد بن طريقة عام 1073

في لائحة استاذنا الرهوني ان الفقيه عبد المجيد بن طريقة كان قاضيا بتطوان ايضا عام 1073.

وهو الذي سبق انه كان قاضيا بها عام 1053.

القاضي عبد الوهاب الفاسي عام 1075

عبد الوهاب هذا هو ابن الشيخ ابي حامد العربي بن يوسف الفاسي صاحب مرآة المحاسن المتوفى بتطوان، وقد ترجم للفقيه عبد الوهاب المذكور صاحب كتاب الصفوة [2] وكذلك الكتاني في السلوة [3] وذكر انه ولي قضاء تطوان. وذكر استاذنا الرهوني ان ولايته كانت في حدود عام 1075 والله أعلم.

---

1) مؤلف «ابتهاج القلوب» هو الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي .

2) ص . 169 .

3) ج . 2 ص . 324 .

القاضي محمد بن سعيد بن قريش عام 1078 ـ 1093

وقفت على رسم كتب بتطوان في 22 شوال عام 1078 . وقد جاء فيه انه لما استقل وثبت لدى الفقيه الاجل الافضل القاضي بمدينة تطاون وعمالتها وهو محمد بن سعيد بن قريش الخ كما وقفت على رسم مسجل عليه عام 1093.

ومحمد بن سعيد هذا هو غير محمد بن سعيد الذي كان قاضيا عام 1037 وعام 1040 . لان ذاك هو محمد بن سعيد بن احمد ، وهذا محمد بن سعيد بن قاسم بن سعيد بن احمد . فهو حفيد اخيه .

وذكر لى صديقنا الاستاذ محمد العابد بن عبد الله الفاسي (بفاس) ان الفقيه عليا الزياتي تلميذ الشيخ ابي حامد الفاسي قد ولي قضاء تطوان، ولا ادري في اي تاريخ كانت ولايته ، وسيأتي لنا في لائحة عدول هذا القرن انه كان يتعاطى العدالة من عيام 1020 ـ الى عام 55.

من عدول تطوان في القرن الحادي عشر

ودونك من عرفنا اسمائهم من عدول هذا القرن مع دعائهم .

والارقام التي امام اسمائهم هي تواريخ الرسوم التي وقفت بنفسي على شهاداتهم فيها.

محمد بن مسعود الكتامي وفقه الله 1020 ـ 25 ـ 42

علي بن محمد الزياتي وفقه الله. 1020 ـ 26 ـ 33 ـ 36 ـ 41 ـ 42 ـ 48 ـ 55

محمد بن يوسف بن طريقة 1026

علي بن محمد العاقل 1028

علي العربي وفقه الله 1028

ابو القاسم جويد وفقه الله. 1048

بلقاسم الجعباق وفقه الله. 1052

محمد الفتوح وفقه الله. 1052

محمد العاقل وفقه الله. 1055

محمد بن علي عاذل وفقه الله. 1055

محمد بن احمد بوسجادة ..... قبل 1055

محمد البطوئي ..... قبل 1055

محمد البكري لطف الله به. 1058

مسعود اجانة وفقه الله. 1068

علي بن محمد الشودري ..... قبل 1073

احمد بن علي حمامو ..... قبل 1073

عبد الله بن احمد الخطيب وفقه الله 1078 - 79 - 89

يوسف بن محمد الرثوث - وفقه الله. 1078 - 79

احمد بن محمد بركة وفقه الله ولطف به. 1088 - 89 - 92

موسى دغداغ وفقه الله تعلى بمنه. 1089 - 91

محمد بن عبد القادر الحدادي وفقه الله تعلى بمنه 1089 - 91

محمد بن عبد المجيد بوسجادة وفقه الله بمنه. 1089

محمد بن احمد الديماني وفقه الله بمنه. 1089 - 93

محمد بن عبد الله الخطيب وفقه الله. 1089

عيسى بن علي بريطل وفقه الله بمنه. 1091

على بن محمد القر 1092

محمد بن عبد السلام بوسجادة وفقه الله بمنه. 1093

علي حماد 1100

بلقاسم بن علي ابريل وفقه الله بمنه. 1100

وقد اثبت في الاصل عددا وافرا من الرسوم العدلية المكتوبة بتطوان في هذا القرن كنماذج لوثائق هذه المدينة وانواع المعاملات بها في ذلك العهد، وقد نقلت جميعها بنفسي عن اصولها المحفوظة في الحوالات الحبسية وفي غيرها من المستندات الخصوصية، ومن جملتها مجموعة الوثائق المحفوظة في خزانتي «الداودية» وهي مجموعة يعز وجود نظيرها في شمال المغرب والله أعلم.

في القرن الثاني عشر

تقدم لنا ان محمد بن سعيد بن قريش كان لا يزال متوليا قضاء تطوان عام 1093 ولا ندري الى اي سنة استمرت ولايته، والغالب على الظن أنها استمرت الى اوائل هذا القرن .

نائب القاضي علي القر عام 1102

سبق لنا ان الفقيه علي بن محمد القر كان من عدول هذه المدينة فى اواخر القرن الحادي عشر ، وذكر استاذنا الرهوني انه كان نائبا عن قاضيها عام 1102 .

القاضى محمد بن ابي العافية الزجنى عام 1111 - 1113

ذكر استاذنا الرهونى ان الفقيه محمد بن ابي العافية الزجني كان متوليا قضاء

تطوان عام 1111 .

ووقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ اواخر شوال عام 1113 وقد كتب فيه، محمد بن احمد وفقه الله. بمنه . وذكر القادري في التقاط الدرر انه في سنة 1115 توفي قاضي ازاجن ثم تطاون محمد بن احمد الزجني الخ . فيظهر انه هو نفس ابن ابي العافية المذكور والله اعلم. وقد وجدت في رسم كتب عام 1113 وصفه بالفقيه الاجل المدرس البركة الاكمل قاضي تطاوين وحوزها وهو محمد بن احمد وفقه الله بمنه.

القاضي عبد الرحمن الزلال عام 1118 ـ 1120

ذكر استاذنا الرهوني ان الفقيه عبد الرحمن الزلال كان قاضيا بتطوان عام 1118 ووقفت على رسمين مسجلين عليه احدهما عام 1119 ، والآخر عام 1120 ، وقد وصفه الشريف العلمي في نوازله بانه قاضي تطوان (وهذه هي ولايته الاولى) .

القاضي محمد بن عبد الوهاب عام 1122

ذكر استاذنا الرهوني ان الفقيه الشريف محمد بن عبد الوهاب كان قاضيا بتطوان عام 1122 . ولم اقف على اكثر من ذلك .

الفقيه محمد الزلال خليفة القاضي عام 1126

وقفت على رسم صرح فيه بان محمداً الزلال كان نائب القاضي بتطوان وقد وصف فيه بالفقيه الاجل الحافظ الاكمل الخ وتاريخه ثالث جمدى الاخيرة عام 1126 .

القاضي عبد الرحمن الزلال عام 1127

ذكره استاذنا الرهوني، ووقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ اوائل ذي الحجة عام 1127 .

القاضي محمد بن محمد بن قريش عام 1128 ـ 1131

ذكر استاذنا الرهوني انه كان قاضيا عام 1128 . ووقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ غرة ذي الحجة عام 1131.

القاضي محمد بن قاسم مكو عام 1132

مكو بقاف معقودة كالجيم المصرية، ذكر استاذنا الرهوني انه كان قاضيا عام 1132 . ولم اقف على اكثر من ذلك .

محمد بن محمد بن قريش عام 1134 ـ 1156

وقفت على عدة رسوم مسجلة عليه في ولايته هذه، واقدمها مؤرخ باوائل محرم عام 1134. وآخرها بتاريخ 24 صفر عام 1156.

نائب القاضي محمد بن طريقة عام 1152

وقفت على نسخة رسم مؤرخة بخامس ربيع الثاني عام 1152 وفيها ان محمد بن احمد بن طريقة نائب قاضي تطوان وقد وصف فيها بالفقيه الاجل البركة الخ .

القاضي محمد بن الطاهر بن عبد الوهاب عام 1156

ذكر استاذنا الرهوني انه كان قاضيا من عام 1155 . الى 1160 . وقد علمت ان محمد بن قريش كان لا يزال قاضيا في 24 صفر عام 1156 وعليه فان ولاية ابن عبد الوهاب تأخرت لما بعد ذلك التاريخ والله اعلم .

نائب القاضي محمد العربي بن طريقة عام 1156 ـ 1157

كان الفقيه محمد العربي بن قاسم بن طريقة نائب قاضي تطوان عام 1156 كما وجدته في رسم كتب في ذلك العام. وقد وصف فيه بالعالم الحافظ الاعدل الخ. وفي رسم آخر كتب عام 1157 وقد وصف فيه بانه مفتي تطوان وخطيب جامعها الاعظم وامامه في حينه الخ .

القاضي محمد العربى بن طريقة عام 1161

هو الذي كان نائب القاضي عام 1156 و 1157 . وقد تولى القضاء بعد ذلك ووقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ 24 ذي الحجة من عام 1161 . وآخر بتاريخ ثامن ربيع النبوي عام 1162 وقد وصف فيهما بانه قاضي تطوان .

الفقيه عبد السلام بن قريش نائب القاضي عام 1166

وقفت على رسم مسجل عليه بصفته نائب قاضي تطوان بتاريخ سادس شوال عام 1166 .

القاضيان عبد السلام بن قريش وعبد الكريم بن قريش من عام 1170

كان الفقيهان عبد السلام بن محمد بن قريش وابن عمه عبد الكريم بن احمد بن قريش هما الشخصان القائمان في تطوان باعمال القضاء في العقدين الثامن والتاسع

من هذا القرن ، فعبد السلام كان قاضيا وعبد الكريم كان قاضيا تارة ونائب القاضي تارة اخرى .

وقد وقفت في هذا الموضوع على نحو ثلاثين رسما يستفاد منها ان عبد الكريم بن قريش كان قاضيا بتطوان عام 1171 - 1172 - 1173 - 1176 - 1178 - 1189 وفيما عدا هذه السنوات من عام 1170 - الى عام 1189 - كان القاصي هو عبد السلام بن قريش . وفي سنة 1196. سافر عبد الكربم المذكور الى المشرق وتوفي هناك فاستقل عبد السلام بالقضاء في تطوان ولبث قاضيها الى دخول القرن الثالث عشر .

القاضي عبد القادر طانية ؟؟

ذكر ابو محمد السكيرج ان الفقيه عبد القادر طانية تولى قضاء تطوان : ولا ندري في اي تاريخ كانت ولايته الا ان من المعروف انه كان معاصرا للشيخ العلامة سيدي عبد القادر بن مرزوق وهو من رجال هذا القرن .

من عدول تطوان في القرن الثاني عشر

محمد بن محمد البداودي وفقه الله بمنه . 1102

محمد بن عبد الله الخطيب وفقه الله بمنه 1113 - 18

احمد بن عبد الله الخطيب وفقه الله بمنه 1109 - 13 - 18

علي بن ادريس وفقه الله . 1113

عيسى بن محمد الرحمونى وفقه الله 1113

علي بن ابراهيم الشريف اليوسفي وفقه الله بمنه 1113

عبد السلام بن محمد الرثوث وفقه الله بمنه 1116

احمد . . . . العربى . . . . وفقه الله بمنه 1116

علي بن علي . . . . وفقه الله 1116

عبد السلام بن قاسم السخيرى وفقه الله 1116

محمد بن عبد الكريم طانية وفقه الله بمنه 1119 29 - 32

عبد السلام بن محمد السخيرى وفقه الله بمنه 1119

محمد بن ابراهيم حماد وفقه الله بمنه 1126 - 30

علي بن قاسم النشار وفقه الله بمنه 1126 - 30

الطاهر الجعيدى 1126

محمد بن الحسين الورياغلي 1127

محمد بن محمد الرفاس وفقه الله بمنه 1127 - 30 - 36

عبد الكريم بن سعيد بن طريقة وفقه الله بمنه 1129 - 31 - 32 - 41

محمد بن سعيد بن طريقة وفقه الله بمنه 1131

محمد العربي بن علي وفقه الله بمنه 1134

احمد بن محمد بن قريش وفقه الله بمنه 1136 - 43 - 44 - 51

محمد بن احمد بن عبد المجيد بن طريقة وفقه الله بمنه 1136 - 48 - 49 - 50

محمد المسعودى وفقه الله 1138

محمد بن محمد مامي لطف الله به آمين 1138

قاسم بن احمد بيليـن 1141

محمد التهامى[1] بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه 1143 - 44 - 51

العربى بن قاسم ابريل وفقه الله بمنه 1143 - 44 - 55 - 56

احمد مفتاح وفقه الله بمنه 1145 54 - 56 - 57 59 - 62

محمد بن محمد بن عيسى وفقه الله بمنه ويمنه 1145 - 51 - 56 - 58 - 59 - 69 - 72

محمد الطاهر بن قاسم بن طريقة وفقه الله بمنه 1145 - 56

محمد العربى بن قاسم بن طريقة وفقه الله بمنه 1145 - 47 - 54 - 55 - 56

عبد الرحمن بن محمد اليعقوبى الحسني وفقه الله بمنه 1146-49-50-56-57-62-77

محمد بن ابى بكر وفقه الله بمنه 1146 - 47 - 54

قاسم بن احمد الخطيب وفقه الله بمنه 1147

محمد اليعقوبى 1147

عبد السلام بن ابراهيم داود وفقه الله بمنه 1128-51-53-55-56-57-58-60-63

محمد العربى بن يوسف الشودرى وفقه الله بمنه 1151-53-55-56-57-58-60-62
63 - 65 - 67 - 69 - 76

عبد الله بن عبد الرحمن بن الحاج . . . . 1152 - 56

علي بن علي . . . . 1152 - 54

علي بن عبد السلام المليـح وفقه الله 1154

محمد بن صبيح وفقه الله 1154

محمد بن محمد بن الحاج وفقه الله بمنه 1154 - 62 - 63 - 65 - 70

محمد الهاشمي بن عبد الرحمن الحاج البقال وفقه الله بمنه 1156 - 57

---

[1] فى بعض الرسوم يكتب: محمد التهامى بن محمد بن احمد بن علي بن رحمون

محمد بن يعقوب وفقه الله بمنه 1156 - 57 - 60
عبد الله بن قاسم وفقه الله ولطف به 1156
محمد مفضل وفقه الله بمنه 1156
محمد بن محمد بن الطاهر بن طريفة وفقه الله بمنه آمين 1156
محمد بن علال المتيوي 1156
. . . . القسنطيني لطف الله به 1157 - 59
محمد بن عبد السلام السخيري وفقه الله بمنه 1157 - 63 - 75 - 78 - 81 - 83 - 84
احمد مصباح لطف الله به 1158
عبد القادر بن محمد بن عيسى وفقه الله بمنه 1159-69-75-78-80-81-83
محمد بن محمد الشودري 1160
احمد الحلفاوي . . . . 1160 - 62
عبد السلام بن محمد بن قريش كان الله له ووفقه بمنه 1162
محمد بن رحمون العلمي وفقه الله بمنه 1162 - 65 - 66 - 73
احمد بن محمد الحداد وفقه الله بمنه آمين 1162 - 70 - 72 - 73 - 81
احمد بن طريقة وفقه الله بمنه 1163 - 69 - 70 - 76
عبد الكريم بن احمد بن قريش كان الله له ووفقه بمنه آمين 1163-75-81-82
محمد بن محمد بن التهامي بن رحمون . . . . 1163 - 73
محمد بن احمد ابن الحاج وفقه الله 1166
محمد بن التهامي بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله 1166
محمد بن يوسف الرثوث . . . . 1167 - 70 - 76 - 81
عبد السلام بن محمد التهامي بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه 1167 - 83
85 - 89 - 90
عبد السلام بن محمد اليعقوبي الحسني وفقه الله بمنه 1167 - 78
محمد بن عبد الله الورياغلي وفقه الله بمنه 1170 - 72 - 81 - 86
عبد الرحمن السمار وفقه الله بمنه 1172 - 75
الخياط بن احمد ميارة وفقه الله بمنه ولطف به 1174
محمد بن محمد الرثوث وفقه الله بمنه 1176 - 89
محمد الزراد 1181
احمد بن علي العافية 1183
عبد الرحمن بن محمد جسوس 1183

محمد الطاهر بوسجادة وفقه الله بمنه 1183 - 93

علي شطير الحسني لطف الله به 1185

محمد الصافي بن عبد السلام بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه 1185 - 86 - 90 - 92 - 93 - 94 - 95 - 99

محمد عمير وفقه الله بمنه 1186 - 94

محمد بن علي البراق الشريف العمراني وفقه الله بمنه 1188

محمد بن علي أشماخ وفقه الله بمنه 1188 - 93

عبد الباقي بن قريش وفقه الله بمنه آمين 1189

محمد هيسور وفقه الله بمنه 1189

محمد بن عبد السلام الشودري وفقه الله بمنه 1189 - 92 - 94 - 96

محمد بن الطاهر زنيبر وفقه الله بمنه 1190 - 94

احمد بن محمد اسماعيل وفقه الله بمنه 1190 - 91 - 97 - 1200

محمد بن احمد العباس وفقه الله بمنه وحفظه آمين 1190

محمد بن علي الحلفاوي 1191

عبد الجليل الحاج البقال وفقه الله بمنه 1191 - 94

محمد بن موسى وفقه الله بمنه 1191

محمد بن محمد العربي الصالحي لطف الله به وغفر له بمنه آمين 1191 - 1200

محمد التهامي البناي وفقه الله 1192 - 95 - 96 - 98 - 1200

محمد المأمون بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه واصلح حاله 1193 - 94 - 95 - 99

محمد الطاهر جنينو وفقه الله بمنه 1194 - 95 - 97

احمد الشبلي وفقه الله بمنه آمين 1194 - 95

محمد العربي بن علي بن قريش. . . . - 1195 - 1200

عبد الله بن محمد بن طاهر بن طريقةأمنه اللهولطف به ووفقه وغفر لهم بمنهآمين 1197 - 1200

محمد بن محمد أشماخ وفقه الله بمنه 1197

محمد بن العربي بن فارس أصلحه الله 1198

عبد . . . . لوكس 1198

عبد السلام الخيروني 1198

العربي بن احمد شليش وفقه الله بمنه 1199

محمد بن علي مراليش وفقه الله بمنه 1199

احمد بن محمد بوزبع وفقه الله بمنه 1200

وقد اثبتنا في الاصل نماذج مختلفة الموضوعات والتواريخ من الوثائق والرسوم الشرعية التي كتبت بتطوان في هذا القرن.

في القرن الثالث عشر

دخل القرن الثالث عشر وقاضي تطوان هو الفقيه السيد عبد السلام بن محمد بن قريش، وقد استمر قاضيا الى اواخر سنة 1207.

القاضي عبد الرحمن الحايك عام 1207

كانت ولاية الفقيه العلامة المشارك سيدي عبد الرحمن بن محمد الحايك التطواني اما في اواخر شوال او اوائل ذي القعدة عام 1207. وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ اواسط شهر ذي القعدة المذكور. وكان يكتب في علامته : عبد الرحمن بن محمد الحايك خار الله له. وكتابتها غير واضحة ولا تقرأ.

وقد أثبت في الاصل نص رسالة كتبها اليه السلطان المولى سليمان بتاريخ منتصف رمضان عام 1209 وقد أقره فيها على ولاية القضاء وأرشده فيها ارشادا ونصحه نصحا. كما أثبت نص رسالة كتبها السلطان المذكور اليه والى فقهاء تطوان يستوصيهم فيها خيرا باهل الذمة الخ وتاريخها 19 ذي القعدة عام 1212. ثم نص رسالة اخرى اليه من السلطان المذكور في نفس العام وهي متعلقة بقضايا بعض اليهود الخ.

القاضي عبد الرحمن بن طريقة عام 1213

ذكر استاذنا الرهوني ان الفقيه عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة كان قاضيا بتطوان في ربيع الثاني عام 1213. وقد وقفت على علامته في رسوم مسجلة عليه في اواخر شعبان عام 1215. و 18 رمضان عام 1215. ايضا. وفي ذي العقدة عام 1216 واوائل محرم عام 1217. وكان يكتب في علامته عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة لطف الله به .

ويظهر ان القاضي المذكور ولي وعزل اكثر من مرة اثناء السنوات المذكورة ، وقد ذكرت في الاصل سبب عزله.

عبد الله بن طريقة نائب القاضي عام 1213

وقفت على رسم سجل على الفقيه العدل نائب قاضي تطوان السيد عبد الله

بن محمد بن طاهر بن طريقة بتاريخ ثالث شوال عام 1213.

القاضي الطيب بن رحمون عام 1214

يظهر ان الفقيه الشريف سيدي الطيب بن رحمون، قد ولي قضاء تطوان وعزل منه اكثر من مرة ايضا بين عامي 1214 ـ 1220 وقد وقفت على رسم ادي عليه بتاريخ منتصف ذي القعدة عام 1214.

القاضي محمد الطاهر بن عبد الوهاب عام 1217

كان الفقيه المذكور قاضيا بالحرم المشيشي وعدد من القبائل الجبلية عام 1211 كما وقفت عليه في عدد من الرسوم ، ثم اسند اليه قضاء تطوان ايضا . وقد وقفت على رسم سجل عليه بتاريخ ثاني وعشري ذي القعدة الحرام عام 1217 . وقد وصف فيه بقاضي الجماعة بثغر تطوان وبالجبال العلمية والقبائل الهبطية الخ . وقد كتب فيه اسمه هكذا ، محمد الطاهر بن محمد بن عبد الوهاب الحسني وفقه الله بمنه وتغمده برحمته وقد ذكرت في الاصل ما وقع بينه وبين الفقيه الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون الى ان وقع اعفاؤه من القضاء الخ .

الفقيه الطيب بن رحمون نائب القاضي عام 1217

وقفت على رسم كتب بتاريخ تاسع ذي القعدة عام 1217. وقد وصف فيه الفقيه الشريف سيدي محمد الطيب بن رحمون بانه نائب قاضي تطوان .

القاضي محمد الطيب بن رحمون عام 1218

وقفت على نسخ عدة رسوم ، كتبت عامي 1218 و 1219 وفي بعضها ان القاضي ، هو محمد بن رحمون ، وفي اخرى الطيب بن رحمون ، وفي اخرى محمد الطيب بن رحمون ولعل الشخص واحد والله اعلم .

ففي رسم مؤرخ بـ 25 محرم عام 1218 . ان قاضي تطوان هو محمد بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله. وفي رسم مؤرخ باواسط ربيع النبوي عام 1218. ان قاضي تطوان هو محمد الطيب بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه . وفي رسم آخر كتب عام 1219 . ان قاضي تطوان هو الطيب بن محمد بن رحمون الحسني العلمي لطف الله به .

القاضي عبد الله المصمودي عام 1220

وقفت على نسخة عدة رسوم سجلت على قاضي تطوان الفقيه السيد عبد الله بن احمد المصمودي بتطوان بتاريخ 25 ذي الحجة عام 1220. وقد عرف الفقيه العدل السيد عبد الكريم السعيدي بعلامة الفقيه المذكور وذكر انه كان في التاريخ المذكور قاضيا بتطوان وانه عزل بعد ذلك واستمر عدلا الى ان توفي الخ .

القاضي عبد الرحمن البرنسى عام 1221

وقفت على رسم كتب في اوائل جمدى الاولى عام 1221 وفيه ان قاضي الجماعة بالبلدة التطوانية وعمالتها هو الفقيه السيد عبد الرحمن البرنسي الخ وكان يكتب في علامته : عبد الرحمن بن محمد البرنسي لطف الله به آمين ، وهذا القاضي لم يكن من اهل تطوان ويظهر انه اعفي اثناء عامي 1227 و 1228. ثم اعيد الى منصبه الى ان توفي قاضيا بهذه المدينة في 27 شوال عام 1229 .

محمد بن العربى بن فارس نائب القاضي عام 1225

وقفت على رسم مؤرخ بثامن رجب عام 1225 . وفيه ان نائب قاضي تطوان لمغيبه هو محمد بن العربي بن فارس اصلحه الله الخ .

القاضي عبد الرحمن الحايك عام 1227

وقفت على رسم سجل على القاضي عبد الرحمن بن محمد الحايك بتاريخ اوائل ذي الحجة عام 1227 . وعلى رسم آخر كتب في سابع عشر رمضان عام 1228. وفيه ان قاضي تطوان هو عبد الرحمن الحايك الخ .

ويظهر ان هذا القاضي عزل عام 1228 او 1229 ، فاعيد القاضي البرنسي الى منصبه الى ان توفي قاضيا كما تقدم واذ ذاك اعيد القاضي الحايك الى القضاء واستمر فيه الى عام 1231 والله اعلم .

الفقيه عبد الرحمن العباس نائب القاضي عام 1227

وقفت على رسم مؤرخ باواخر صفر سنة 1227 وفيه ان نائب قاضي الجماعة بتطوان هو الفقيه العلامة عبد الرحمن العباس وفقه الله الخ .

القاضي المامون افيـلال عـام 1231

هو العلامة الشريف سيدي المامون بن النادي افيلال الحسني العلمي، وقد ذكر استاذنا الرهوني انه ولي من عام 1231 ، الى رجب عام 1235 . الا اني وقفت على عدة رسوم سجلت عليه بعد ذلك التاريخ، وأحدها مؤرخ بـ 12 ربيع الثـاني عام 1236. فيظهر ان اعفـاءه كـان عام 1236. والله أعلم.

نائب القاضي محمد بن الهاشمي افيلال عام 1233

وقفت على رسم سجل على الفقيه سيدي محمد بن الهاشمي افيلال بتاريخ 23 ربيع الثاني عام 1233. فكان سيدي محمد المذكـور ينوب عن ابن عـمه القاضـي سـيدي المامون كما ترى.

القاضي محمـد كـرازو عـام 1236

ولي الفقيه السيد محمد بن محمد كرازو قضاء تطوان عند اعفـاء القاضي المامـون افيلال، وقد وقفت على رسوم كثيرة أداها او سجلت عليه في سنوات عديدة الى عام 1249.

الفقيه علي التسولي قاضي عـام 1250

هو الفقيه العلامة علي بن عبد السلام التسولي شارح التحفة وكـان قاضيا بتطوان عامي 1250 ـ و ـ 1251. وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتطـوان في ثاني جمدى الاخيرة عام 1250. وعلى رسم آخر كـتـب في مهل رجب من نفس العام وكـان يكتب في علامته كتابة غير واضحة ولا مقروءة، علي بن عبد السلام التسولي لطف الله به. وكـان قبل ذلك التاريخ قاضيا بعاصمة فاس. وقد ذكرت في الاصل بعض ما وقع له اثناء ولايته بتطوان وكيف دبر له القائد اشعاش مكيدة فاعفاه السلطان من قضائها.

الفقيه محمد بن الهاشمي افيلال نائب القاضي عـام 1250

وقفت على عدة رسوم كتبت عام 1250. وقد اداها الفقيه الشريف سيدي محمد بن الهاشمي افيلال بصفة نائب قاضي تطوان.

الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحايـك قاضي عـام 1252

وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ 25 ذي الحجة عـام 1252 وآخر عام 1253. وءاخر عام 1255. وكـان يكتب في علامـاته محمد بـن عبد الرحمن الحايـك الحسنـي وفقه الله .

القاضي محمد بن محمد الجنوي عام 1256

هو حفيد العلامة الكبير محمد بن الحسن الجنوي.

وذكر استاذنا الرهوني انه ولي قضاء تطوان في شوال عام 1256. وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ 14 شوال عام 1259. وقد توفي قاضيا في حادي عشر جمدى الاخيرة عام 1271.

الفقيه محمد افيلال نائب القاضي عام 1259 و 1261

وقفت على رسمين احدهما مؤرخ باواسط ربيع الثاني عام 1259. والآخر بتاريخ ثالث محرم عام 1261. وفيهما ان الفقيه محمد بن الهاشمي افيلال هو نائب قاضي تطوان الخ .

الفقيه محمد الصفار نائب القاضي عام 1263

وقفت على رسم مسجل على الفقيه محمد بن عبد الله الصفار بتاريخ 26 شعبان عام 1263. وفيه انه نائب عن قاضي تطوان لمرضه الخ.

الفقيه محمد عزيمان نائب القاضي عام 1270

كان الفقيه محمد بن علي عزيمان ينوب عن قاضي تطوان كما وقفت عليه في عدة رسوم كتبت عام 1270.

الفقيه عبد الكريم المصمودي نائب القاضي عام 1271

وقفت على رسم مسجل على الفقيه عبد الكريم المصمودي بصفة نائب قاضي تطوان بتاريخ فاتح ربيع الثاني عام 1271 . اي قبيل وفاة القاضي الجنوي .

الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحايك قاضي عام 1271

وجدت بخط الفقيه سيدي مفضل افيلال ان الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحايك ولي قضاء تطوان بتاريخ 12 رجب عام 1271 وانه توفي في 22 ربيع النبوي عام 1273.

وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ 22 ربيع الاول عام 1272 . وقد اثبت في الاصل نص الظهير السلطاني بتوليته لحظة القضاء بتطوان في هذه المرة وهو مؤرخ بـ 28 جمدى الاخيرة عام 1271 .

الفقيه احمد الشاهد العلمي نائب القاضي عام 1273

وقفت على عدة رسوم يستفاد منها ان الفقيه العدل الشريف سيدي احمد الشاهد بن احمد العلمي الحسني هو الذي كان يقوم مقام القاضي بتطوان في الفترة التي بين وفاة القاضي الحايك وولاية القاضى عزيمان .

الفقيه محمد عزيمان قاضي عام 1273

ذكر الشريف سيدي مفضل افيلال ان ولاية الفقيه محمد بن علي عزيمان لقضاء تطوان كانت في 14 جمدى الاخيرة عام 1273 . وعزله منه كان في 27 جمدى الاخيرة عام 1276 .

الفقيه احمد الشاهد العلمي نائب القاضي عام 1276

وقفت على رسم مؤرخ بسادس عشر صفر عام 1276 . وفيه ان نائب القاضي بتطوان هو الفقيه احمد الشاهد بن احمد العلمي الخ .

الفقيه محمد غيلان قاضي عام 1276

ولي الفقيه السيد محمد بن احمد غيلان بعد اعفاء الفقيه محمد بن علي عزيمان الذي كان في 27 جمدى الاخيرة عام 1276 . ومعلوم ان احتلال الاسبانيين لتطوان كان في 13 رجب من نفس العام فولاية القاضي غيلان اذن لم تطل اكثر من عدة ايام .

الفقية احمد ماشان نائب القاضي عام 1276

تولى الفقيه العدل السيد احمد بن عبد الكريم ماشان القيام باعمال القضاء بتطوان في عهد الاحتلال الاسباني الحربي لهذه المدينة عام 1276. وقد وقفت على عدة رسوم سجلت عليه او اداها في ذلك العهد. وقد وصف في بعضها بنائب قاضي تطوان لموجبه وفي البعض الآخر كان يؤدي الرسوم دون ان يقول نيابة الخ. ولا ندري هل كانت ولايته من السلطة المحتلة او من جماعة المسلمين المتخلفين بالمدينة او من بعضهم والله اعلم .

ثم انه بمجرد عودة الحكم الاسلامي الى تطوان ، نحي الفقيه ماشان واعيد القاضي عزيمان لمنصبه .

الفقيه محمد عزيمان قاضي عام 1278

لما انتهى الاحتلال الاسباني الحربي لتطوان ، ولابد من النهاية الحتمية لكل

احتلال ، ولابد لكل سلطة اجنبية من الزوال ، اعيد الفقيه عزيمان الى وظيف القضاء بتطوان في شهر ذي القعدة الحرام عام 1278 . والرسوم التي وقفت عليها مؤداة على الفقيه عزيمان ، او مسجلة عليه، اكثر من ان تحصى . وقد استمر الفقيه عزيمان قاضيا بتطوان لم يتأخر عن ذلك الى ان انتهى القرن الثالث عشر ودخل القرن الرابع عشر .

الفقيه الرايس نائب القاضي عام 1290

وقفت على رسم مؤرخ برابع عشر شوال عام 1290 . وقد اداه نائب من يجب لموجبه محمد بن طاهر الرايس الحسني وفقه الله .

من عدول تطوان في القرن الثالث عشر

ودونك لائحة اسماء العدول الذين وقفت بنفسي على شهاداتهم بتطوان في القرن الثالث عشر - اي من سنة 1201 . الى 1300 . وعددهم يزيد على المائة والخمسين وربما كان هناك عدول آخرون لم اقف على شهاداتهم والله اعلم .

وقد اكتفيت هنا بحل علاماتهم بذكر اسمائهم وألقابهم ودعواتهم ، وزدت على ذلك في الاصل بيان السنوات التي وقفت على شهاداتهم فيها مع طرر وملاحظات على بعضهم الخ .

عبد السلام الخيروني الحسني وفقه الله بمنه .

عبد الرحمن الحايك خار الله له .

الهاشمي بن الهاشمي افيلال الحسني العلمي وفقه الله بمنه آمين .

احمد بن محمد اسماعيل وفقه الله بمنه .

عبد الله بن محمد بن طاهر بن طريقة امنه الله ولطف به ووفقه وغفر لهم بمنه آمين.

احمد بن محمد بوزبع وفقه الله بمنه .

محمد الطيب بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله .

محمد بن الطاهر زنيبر وفقه الله بمنه .

محمد بن الحاج البقال كان الله له .

محمد بن محمد العربي الصالحي لطف الله به وغفر له بمنه آمين .

يخلف بن الراشدى الحاج البقال وفقه الله بمنه آمين .

عيسى بن محمد القنيشي كان الله له .

عبد السلام بن احمد سكيرج لطف الله به ووفقه بمنه آمين .

احمد بن محمد بن قريش وفقه الله بمنه

محمد بن على عمير وفقه الله بمنه آمين

محمد الصافي بن عبد السلام بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه

عبد الله بن احمد المصمودي وفقه الله بمنه

محمد بن ابي مديس الفاسي لطف الله به

محمد بن . . . . هيسور وفقه الله بمنه

ادريس بن موسى الحسيني وفقه الله بمنه

عبد الله بن المهدي الشودري وفقه الله بمنه آمين

احمد بن محمد بن سعيد (العريشي) وفقه الله بمنه

عبد السلام بن طريقة . . . .

محمد الوافي بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه

محمد بن سعيد بن طريقة وفقه الله بمنه آمين

محمد المامون بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه وأصلح حاله آمين

محمد بن الطاهر جنينو وفقه الله بمنه

محمد بن الطاهر بوسجادة وفقه الله بمنه

عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة لطف الله به آمين

عبد القادر بن محمد ابري لطف الله به وأناله خير الدارين

محمد بن العربي بن فارس اصلحه الله

محمد بن علي أشماخ وفقه الله بمنه

عبد الرحمن بن بوسلهام (الملواني) وفقه الله

محمد بن محمد البجنوني الحسني لطف الله به

محمد بن علي زرقيق وفقه الله بمنه

علي بن عبد السلام الجيار وفقه الله وأصلح حاله

محمد بن محمد بن رحمون الحسني وفقه الله بمنه

عبد الله بن علي شطير . . . .

محمد بن طاهر الجندي الحسني لطف الله به وأمنه

عبد الخالق بن محمد الحلفاوي وفقه الله بمنه

احمد بن محمد لوكس الله وليه ومولاه (لطف الله به آمين)

محمد محرش لطف الله به آمين

محمد بن عبد السلام بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه
محمد بن عبد الهادي حلتوت الحسني العمراني وفقه الله بمنه
محمد المامون بن النادي افيلال الحسني العلمي وفقه الله بمنه
محمد الطيب الفاسي لطف الله به (وفقه الله)
محمد بن محمد الحلفاوي وفقه الله
علي بن ابراهيم السلماني الحسني وفقه الله بمنه
محمد بن احمد بن طريقة . . . .
محمد بن محمد بن طريقة . . . .
محمد بن رحمون الحسني العلمي وفقه الله بمنه
محمد بن الهاشمي افيلال الحسني العلمي لطف الله به
محمد بن المهدي بن شق الطير الحسني وفقه الله آمين (كان الله له آمين)
عبد الرحيم بن عبد الله التازي . . . .
محمد بن محمد بن عبد الوهاب الحسني العلمي تغمده الله برحمته
احمد بن محمد الرايس . . . .
احمد بن عبد الله الزرهوني وفقه الله بمنه .
احمد بن قاسم الحرثي المساري وفقه الله بمنه .
احمد بن حسين وفقه الله بمنه .
احمد بن محمد هيشور الله وليه ومولاه .
عبد الغفور بن قريش وفقه الله .
احمد بن الطيب الشريف وفقه الله .
عبد الرحمن العباس . . . .
محمد بن شقرون الشريف وفقه الله بمنه .
محمد بن محمد بن عبد السلام بن حسون الحسني وفقه الله بمنه .
ادريس بن محمد معلي العلمي . . . .
عبد . . . . بن مرزوق لطف الله به ووفقه .
محمد بن محمد كرازو وفقه الله بمنه ولطف به آمين .
محمد الراشدي بن عبود الحسني وفقه الله بمنه آمين .
محمد بن محمد الجنوني الحسني لطف الله به ووفقه .
عبد الكريم بن سعيد السعيدي لطف الله به ووفقه بمنه (وفقه الله بمنه)

الحاج الهاشمي بن علي الرقيواق تغمده الله برحمته ءامين .

عبد الكريم بن عبد اللطيف غيلان الحسني كان الله له وليا .

عبد الفضيل بن المهدي البقال الحسني لطف الله به ءامين .

محمد بن احمد بن طريقة وفقه الله بمنه .

احمد بن قاسم مصباح الياصوتي وفقه الله بمنه .

علي بن العربي الزبدي . . . .

علي بن محمد الهراس وفقه الله بمنه ءامين .

محمد بن احمد فاضل . . . .

الحسن بن عبد اللطيف الغيلاني الحسني وفقه الله بمنه ءامين .

عبد الوهاب الفاسي لطف الله به ءامين .

محمد بن عبد السلام الخيراني الورديغي البريشي لطف الله به ءامين .

عمر بن النادي أسنوس كان الله له (وفقه الله بمنه)

محمد العربي بن علي لوقش . . . .

احمد بن عيسى الحسني العلمي وفقه الله بمنه ءامين .

احمد بن عيسى الولانتي الحسني العلمي وفقه الله .

محمد بن عبد الرحمن الحايك الحسني وفقه الله بمنه .

محمد الطيب بن محمد حيون لطف الله به .

احمد بن الحسن الحسني العلمي لطف الله به .

احمد بن محمد كرازو وفقه الله بمنه .

محمد بن محمد الجيار وفقه الله بمنه ءامين .

احمد بن محمد البياري . . . .

محمد بن علي البقالي (البقال) وفقه الله بمنه (لطف الله به)

احمد بن الهاشمي غيلان الحسني وفقه الله بمنه ءامين .

الحاج الهاشمي بن محمد الرقيواق الميموني لطف الله به .

محمد بن عبد السلام الخمال الحسني وفقه الله بمنه ولطف به ءامين (لطف الله به

محمد بن عيسى القيسي الشريف الحسني لطف الله به ءامين .

محمد بن عبد الله الصفار لطف الله به .

محمد الطيب بن عبد السلام البقال الحسني لطف الله به .

محمد بن طاهر الحراق العلمي لطف الله به .

محمد بن احمد عزيمان وفقه الله بمنه آمين .
احمد بن محمد الجندي لطف الله به .
عبد السلام بن عبد الله الجنوني الحسني وفقه الله بمنه آمين (لطف الله به) .
محمد بن عبد الرحمن الزواقي لطف الله به .
عبد الكريم بن محمد المصمودي لطف الله به آمين .
عبد الكريم بن احمد بن حسين لطف الله به .
محمد بن محمد السلاسي وفقه الله بمنه آمين .
محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه .
محمد بن علي الهراس وفقه الله بمنه آمين .
محمد بن محمد القيسي الحسني لطف الله به .
محمد بن محمد الخمال الحسني لطف الله به .
محمد العربي بن قاسم بن طريقة . . . .
محمد الهاشمي غيلان . . . .
احمد الشاهد بن احمد الحسني العلمي لطف الله به آمين .
محمد المختار بن احمد الحسني العلمي لطف الله به آمين (كان الله له).
محمد بن محمد شابو الحسني لطف الله به آمين (وفقه الله بمنه).
عبد الله بن محمد البزراتي وفقه الله بمنه آمين.
احمد بن محمد الخيروني الحسني وفقه الله بمنه آمين (لطف الله به) (الله وليه).
محمد بن احمد غيلان تغمده الله برحمته .
احمد بن عبد الكريم ماشان لطف الله به آمين .
محمد بن عبد السلام بوسجادة (بسجادة) لطف الله به .
قاسم بن محمد احتاش كان الله له آمين .
احمد بن احمد الفلوس الحسني لطف الله به .
محمد بن محمد أنجاي لطف الله به آمين .
عبد الواحد الفاسى الفهري لطف الله به ووفقه بمنه .
احمد بن محمد السلاوي تغمده الله برحمته .
محمد بن احمد النجار لطف الله به بمنه آمين .
محمد بن محمد الصبان لطف الله به ووفقه .
محمد بن عبد الله الصبان لطف الله به .

عبد القادر بن محمد مدينة لطف الله به ءامين .
احمد بن محمد بن علي وفقه الله بمنه ءامين .
محمد المفضل افيلال الحسني العلمي لطف الله به .
محمد بن عمر اسنوس الحسني لطف الله به .
محمد بن عبد العزيز لطف الله به ووفقه ،
محمد بن محمد اللبادي لطف الله به .
محمد بن عبد الوهاب لوقش . . . .
محمد العربي بن احمد مرتيل وفقه الله ولطف به .
احمد بن محمد العرايشي وفقه الله بمنه ءامين .
محمد بن محمد عزيمان لطف الله به .
محمد الغالي غيلان وفقه الله (الله وليه ومولاه)
التهامي بن محمد افيلال الحسني العلمي لطف الله به .
محمد الطاهر بن المهدي بن ريسون الحسني العلمي الله وليه ومولاه .
محمد بن علي بن زكري العمراني الحسني لطف الله به .
عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي الفهري تغمده الله برحمته .
احمد بن عبد السلام العمراني الحسني لطف الله به .
محمد بن احمد الخنفري لطف الله به .
عبد السلام بن عبد الرحمن الدهري وفقه الله ءامين .
احمد بن محمد المرابط وفقه الله ءامين .
محمد بن محمد غيلان الحسني لطف الله به .
محمد بن عبد الله العشري الشريف المليانى وفقه الله بمنه ءامين .
احمد بن احمد بن عبد الوهاب الحسني العلمي لطف الله به .
عبد السلام بن محمد الحسني العلمي تغمده الله برحمته .
محمد بن الطاهر الرايس الحسني وفقه الله .
عبد الله بن محمد البقال الحسني لطف الله به .
عبد السلام بن محمد ويدان لطف الله به ءامين .
احمد الوجدي . . . .
محمد بن زاكور . . . .

ثم اثبت في الاصل مجموعة كبيرة من الرسوم العدلية والوثائق الشرعية التي كتبت بتطوان في القرن الثالث عشر في مختلف الشؤون والاغراض ، وبذلك تم الفصل الثاني من الباب الثامن .

في القرن الرابع عشر

القاضي محمد عزيمـان

ودخل القرن الرابع عشر وقاضي تطوان هو الفقية السيد محمد بن علي عزيمان المذكور. وقد أثبت في الاصل نص رسالة ارسلها اليه السلطان بتاريخ 20 ذي الحجة عام 1306 وفيها تعليمات وافية عن البرنامج الذي يجب ان يسير عليه القضاة والعدول الخ . . مع ما ذيل به عليه الفقيه العدل السيد عبد القادر الفاسي من بعض الاوامر السلطانية في الموضوع وقد استمر القاضي عزيمان في وظيفه بالرغم من تقدمه في السن الى ان توفي يوم الاربعاء فاتح رجب عام 1313 .

الفقيه افيلال نائب القاضي عام 1308

كان الفقيه العدل سيدي التهامي افيلال ينوب عن القاضي عزيمان وقد وقفت على شهادة كتبت في رجب عام 1308 . وتحتها بخط الفقيه المذكور ما نصه : الحمد لله ادى الشهود الستة اعلاه فثبت واعلم به نائب من يجب لموجبه التهامي افيلال الحسني العلمي لطف الله به .

الفقيه اسنوس نائب القاضي عام 1313

وقفت على عدة رسوم اداها الفقيه العدل السيد محمد بن عمر اسنوس في المدة التي سبقت ولاية القاضي افيلال عام 1313 .

ولاية القاضي افيلال عام 1313

بعد وفاة القاضي عزيمان، اجمع علماء تطوان واعيانها على انتخاب الفقيه الموثق الشريف سيدي التهامي افيلال لولاية القضاء بتطوان وقد كتب قائد المدينة بذلك الى السلطان فوافق عليه . وقد اثبت في الاصل رسالة كتبها السلطان الى القائد المذكور بتلك الموافقة وهي بتاريخ 26 رجب عام 1313. ثم اثبت نص الظهير الشريف بتوليته، وهو بتاريخ سادس وعشري رجب المذكور . ثم نقلت فقرات من رسالة كتبها القاضي المذكور الى الوجيه الحاج عبد الكريم بريشة بتاريخ 12 شعبان عامه فى موضوع توليته .

ثم تعرضت لقضية المرتب الرسمي لقاضي تطوان ، وهي قضية تردد الكلام في شأنها مرارا ، ونقلت ما كتبه القاضي افيلال عنها. ثم اثبت نص رسالة كتبها السلطان

الى ناظر احباس تطوان يامره فيها بان يدفع للقاضي مرتبا شهريا قدره ثلاثون ريالا الخ وهي بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1317 ثم نص رسالة اخرى كتبها السلطان الى امناء مرسى تطوان بتاريخ 5 صفر عام 1320. يامرهم فيها بان يدفعوا للقاضي ثلاثين ريالا شهريا زيادة على ما يقبضه من الاحباس الخ . ثم اثبت نص رسالة كتبها النائب الطريس من طنجة الى قاضي تطوان بتاريخ خامس ذي القعدة عام 1325 . واخرى من السلطان الى ناظر الاحباس بتطوان بتاريخ 11 ذي القعدة عام 1325 وكلتاهما حول المرتب المذكور .

الفقيه الرهوني نائب القاضي عام 1324

وقد وقفت على رسم مؤرخ برابع ربيع الثاني عام 1324 وقد أداه شاهداه لدى الفقيه العلامة سيدي احمد الرهوني بصفته نائبا عن قاضي تطوان .

إعفاء القاضي افيلال وتولية القاضي البقالي عام 1327

وفي سنة 1327 . اعفي القاضي سيدي التهامي افيلال ، وولي مكانه الفقيه العلامة الصالح الشريف سيدي محمد بن احمد البقالي التطواني وقد اثبت في الاصل نص رسالة من السلطان الى قائد تطوان باعفاء القاضي افيلال وتعيين القاضي البقالي المذكور وهي بتاريخ 23 صفر عام 1327 . وتسلم الفقيه البقالي وظيف القضاء واستمر قائما به كارها له طالبا من الله اقالته منه الى ان صدر الامر باعفائه عام 1328 .

اعفاء القاضي البقالي واعادة القاضي افيلال عام 1328

وقد اثبت في الاصل نص رسالة كتبها السلطان الى قائد تطوان باعفاء الفقيه سيدي محمد البقالي من قضاء تطوان واعادة الفقيه سيدي التهامي افيلال للوظيف المذكور. وهي بتاريخ 14 جمدى الاخيرة عام 1328 . ثم اثبت نص ظهير سلطاني بتولية القاضي افيلال المذكور لقضاء هذه المدينة « للمرة الثانية » وهو بتاريخ 13 جمدى المذكورة ، واثبت ايضاً نص رسالة كتبها الفقيه العلامة سيدي احمد الرهوني الى شيخه افيلال المذكور يعنيه فيها بالولاية.وهي بتاريخ 26 جمدى المذكورة.وقد وقع احتلال تطوان عام 1331، وانتهى العهد الذي نؤرخه وقاضي تطوان هو الفقيه سيدي التهامي افيلال المذكور ، وقد استمر قاضيا الى ان توفي والبقاء والدوام لله .

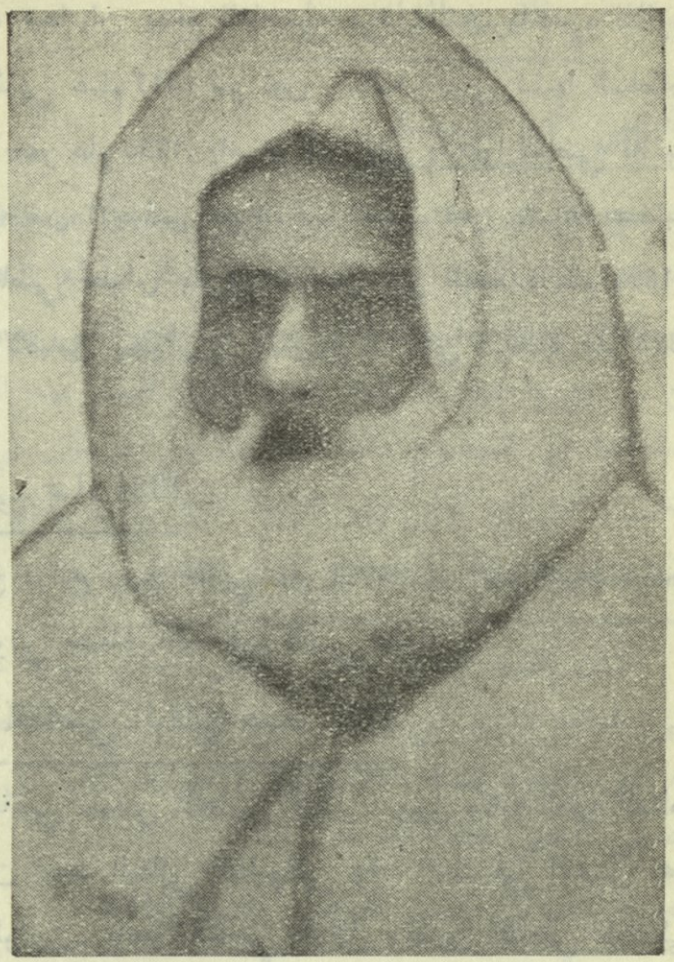

صورة الفقيه الجليل الشريف الاصيل القاضي سيدي التهامي بن محمد افيلال . تولى قضاء تطوان في رجب سنة 1313 وتوفي قاضيا بها في 28 جمدى الاولى عام 1339

من عدول تطوان في اوائل القرن الرابع عشر

هذا الفصل لم انته من تحريره في الاصل ، فلذلك سأقتصر هنا على اسماء من وقفت حتى الان على شهاداتهم من العدول الذين كانوا يشهدون بتطوان في عهد قضاتها عزيمان وافيلال والبقالي في الفترة التي بين سنتي 1301 ـ 1331 . وهي السنة التي ينتهي فيها العهد الذى نؤرخه . وسأكتفي باسمائهم مع ألقابهم ودعائهم تاركا للاصل ذكر تواريخ شهاداتهم مع الملاحظات الخ ودونك ذلك :

محمد المفضل بن محمد افيلال الحسني العلمي لطف الله به .

التهامي بن محمد افيلال الحسني لطف الله به .

عبد الكريم بن محمد المصمودي لطف الله به آمين .

محمد بن عمر أسنوس الحسني لطف الله به .

محمد بن محمد عزيمان لطف الله به .

احمد بن محمد السلاوي تغمده الله برحمته .
عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي الفهرى تغمده الله برحمته .
احمد بن عبد السلام العمراني الحسني لطف الله به .
محمد بن طاهر الرايس الحسني وفقه الله .
محمد بن عبد العزيز لطف الله به ووفقه .
محمد بن علي الهراس لطف الله به .
محمد بن محمد أنجاي لطف الله به آمين .
محمد بن محمد غيلان الحسني لطف الله به .
محمد بن احمد النجار لطف الله به بمنه آمين .
محمد العربي بن احمد مرتيل وفقه الله ولطف به.
محمد الغالي بن محمد غيلان الله وليه ومولاه .
احمد بن احمد الطريس لطف الله به ووفقه .
احمد بن محمد المرابط وفقه الله آمين .
احمد بن احمد بن عبد الوهاب الحسني العلمي لطف الله به .
عبد الله بن احمد الغبولي الحسني لطف الله به.
محمد بن عبد الوهاب لوكس لطف الله به ووفقه .
عبد القادر بن محمد مدينة لطف الله به آمين .
احمد بن المفضل افيلال العلمي احمد الله عاقبته .
عبد الله بن عبد الرحمن لوقش لطف الله به ووفقه .
علي بن مفضل افيلال العلمي الحسني لطف الله به.
احمد بن الطاهر الزواقي كان الله له وتولاه بمنه .
محمد بن محمد الموذن الحسني لطف الله به .
محمد بن الطاهر الزواقي الجنوني الحسني كان الله له بمنه .
محمد بن احمد العمراني لطف الله به ووفقه .
عبد الكريم بن احمد الحداد لطف الله به .
علال بن محمد عزيمان تغمده الله برحمته .
محمد بن الحسين الحراق الحسني العلمي الله وليه ومولاه.
عبد السلام بن عبد الرحمن الدهري وفقه الله آمين .
محمد العربي بن محمد أنجاي لطف الله به آمين .

عبد السلام بن محمد العلمي الحسني تغمده الله برحمته.
محمد بن احمد بن التهامي البقالي لطف الله به .
زين العابدين بن محمد الوزاني الحسني العلمي لطف الله به .
محمد بن محمد بن ادريس الحسني العلمي لطف الله به .
محمد برهون لطف الله به .
احمد بن محمد البقالي الحسني وفقه الله بمنه ءامين .
محمد بن محمد ابن الابار وفقه الله .
محمد بن احمد بوعسل لطف الله به .
محمد بن محمد الصفار لطف الله به .
احمد بن محمد داود لطف الله به .
علي بن محمد الخطيب لطف الله به ووفقه بمنه .
محمد بن محمد بن مرزوق لطف الله به .
عبد الوهاب بن محمد لوقش الاموي وفقه الله ءامين .
احمد بن عبد الكريم الغنمية لطف الله به .
محمد بن المكي بن عبد الوهاب الحسني العلمي الله وليه ومولاه .
احمد بن محمد الرهوني لطف الله به .
احمد بن محمد التليدي لطف الله به .
احمد بن محمد العمراني الحسني وفقه الله ولطف به ءامين .
احمد بن محمد العطار لطف الله به .
المامون بن احمد افيلال الحسني العلمي لطف الله به .
الحسن بن المفضل افيلال الحسني العلمي لطف الله به .
محمد مصطفى بن محمد المفضل افيلال الحسني لطف الله به .
عبد الله بن مفضل افيلال الحسني العلمي كان الله له .
الامين بن احمد بوحديد لطف الله به ءامين .
احمد بن محمد الفيلالي لطف الله به .
محمد بن احمد الشعشوع تغمده الله برحمته .
عمر بن محمد العمراني الحسني وفقه الله ولطف به ءامين .
محمد بن عبد الله بن عجيبة تغمده الله برحمته ءامين .
محمد بن محمد الفرطاخ وفقه الله ءامين .
المهدي بن احمد الموفق وفقه الله .

احمد بن عبد الكريم الصفار لطف الله به .

احمد بن محمد اللبادي لطف الله به ووفقه آمين .

عبد السلام بن احمد الفاسي لطف الله به ووفقه .

ويلاحظ ان بعض هؤلاء العدول قد بدل علامته الرسمية ودعاءه الخ . كما يلاحظ ان بعض القضاة كانوا يقبلون شهادات افراد من الامناء أو التجار أو الاشراف أو غيرهم من اهل الثقة والامانة ممن لم يكونوا منتصبين لتحمل الشهادات وانما كانوا يشهدون من حين لآخر في بعض المناسبات فيقبل القاضي شهادتهم ويؤديها لهم كعدول، ومن هؤلاء الاشخاص :

احمد بن محمد بن حسين لطف الله به .

محمد بن عبد القادر العطار الله وليه .

عبد السلام بن احمد اجزول كان الله له .

الحسين بن محمد بن ريسون الحسني العلمي امنه الله بفضله آمين .

احمد بن محمد بن ريسون الحسني العلمي الله وليه .

محمد بن الطيب بوهلال . (بدون دعاء)

محمد بن محمد الخطيب الله وليه .

محمد بن عبد الرحمن لوقش وفقه الله . الخ

الفصل السادس

من تراجم رجال تطوان

هذا الفصل قد اقتصرنا فيه على ذكر من عرفنا اسماءهم واوصافهم وتواريخهم او شيئا من اعمالهم من الرجال التطوانيين الذين لهم ذكر في العلم او العمل او الصلاح او الادارة او غير ذلك ، وكذلك الذين عاشوا في تطوان زمنا ما ، او الذين توفوا بها ولو لم يكونوا من اهلها . وكل ذلك بغاية الاختصار .

في القرن العاشر

الشيخ ابو الحسن علي الفحل

هذا السيد معدود من صلحاء تطوان ، وقد ترجم له معاصره ابن عسكر في «دوحة الناشر» [1] وذكر انه توفي عام 964 هـ. وضريحه معروف يزار خارج باب المقابر وعليه بناء مشهور به محراب للصلاة .

الفقيه القاضي محمد الكراسي

ترجم له معاصره صاحب «دوحة الناشر» [2] ووصفه بالاندلسي البكري ، وذكر انه كان أديبا شاعرا وانه لقي في صغره مشايخ غرناطة كالمواق وغيره الخ وانه تولى خطة القضاء بتطوان وبقي على خطته الى ان مات في حدود 964 . وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بجبانة باب الربض « يعنى باب المقابر » من مدينة تطوان . « قلت » قبره فوق ضريح سيدي علي الفحل في الحوش الذى تهدمت قبته ولم تبق منها الا قطعة من جدار ، وذكر بعضهم ان اصله من قبيلة بقيوة . وقد عرفنا من آثار القاضي الكراسي رحمه الله منظومة أنشأها في تاريخ دولة الوطاسيين وقد عارض بها رقم الحلل لابن الخطيب ومطلعها :

الحمد لله العزيز القادر * عالم كل وارد وصادر

---

1) ص 33 طبعة فاس 1309 .

2) ص 17 .

الى ان قال .

وانني لما رأيت سادة * تقدموا من الملوك قادة

من خلفاء من خيار الناس * من آل وطاس الشداد الباس

اردت نظمهم على سلوك * من جاز قبلهم من الملوك

في رجز مقرب مهذب * في ملك وطاس بارض المغرب

وقد اثبت في الاصل ما وقفت عليه من هذه المنظومة وهو نحو مائتي بيت (1)

الشيخ الصالح ابو العباس احمد الشاعر اليجمي

كان رحمه الله فقيها مطلعا ورعا زاهدا ترجم له في دوحة الناشر(2) وذكر انه كان يسكن بمدشر بوخلاد (من قبيلة بني حزمر امام تطوان) وأنه كان يطعم الطعام لكل من نزل المسجد الذي بازاء داره على محجة الطريق، وانه اخذ عنه علم التاريخ والاعتبار وانه توفي في حدود سنة 965 . ودفن بازاء مسجده .

« قلت » قبر هذا السيد معروف وقد وقفت عليه في المدشر المذكور ، وهو جنب المسجد كما قال صاحب الدوحة .

الشيخ الجاسوس

هذا الشخص لا نعرف شيئا لا عن اسمه ولا عن اصله ، وانما ذكرناه هنا لان صاحب «دوحة الناشر» ترجم له(3) وعده من الاولياء اصحاب الكرامات بتطوان، وذكر انه كان على طريق الملامتية وانه قد اشتهرت عنه كرامات فكان الناس يزدحمون عليه وهو يفر منهم ، وانه توفي بتطوان عام نيف وستين وتسعمائة .

الفقيه ابو القاسم ابن سلطان القسنطيني

هذا السيد ترجم له ابن القاضي في درة الحجال(4) ووصفه بالفقيه المعقولي الخطيب بقصبة تطاون وذكر انه الف كتابا في مجلدين اجاد فيه كل الاجادة وناضل فيه عن السنة السمحاء ، وانه اطلعه عليه عام 995 .

---

1) وقفت على هذه المنظومة لدى صديقنا العلامة الاستاذ محمد العابد الفاسي بفاس سنة 1370 .

2) ص . 17 .

3) ص . 17 .

4) ج . 2 ص . 465 من طبعة الرباط سنة 1354 .

في القرن الحادي عشر

ابـو العباس احمد بن يوسف الزياتي 1003

هذا السيد ترجم له ابو زيد الفاسي في ابتهاج القلوب بقوله « ومنهم الشيخ الفقيه المخصص بصفات الاسرار من وصف الاغيـار ، والزهد في الدنيا وحسن الوقار ، ابـو العباس احمد بن يوسف الزياتي شيخ قائم بالكتاب والسنة جليل العلم والعمل،عليه من الشهود انوار حاضرة، ونعم ظاهرة، ليس له هم الا ابتغاء وجه الله، ولا شعار ولا دثار الا ذكر الله . . . ثم بعد ان ذكر انه صحب الشيخ ابا المحاسن الفاسي ذكر انه كـان من اصحابه الذين بتطاون ولـه قـدم جليـل الخ. ثم ذكر عن الشيخ ابي فارس عبد العزيز الزياتي ان صاحب الترجمة توفي عند صلاة العصر يـوم الجمعة الموفي خمسة وعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث والف. ودفن من غده لصلاة الظهر من يوم السبت بالمرة من تطوان جوف روضة سيدي طلحة الخ .

وترجم له ابو حامد الفاسي في مرآة المحاسن[1] وذكر انه كان من ائمة النحاة حافظا للفقه قائما عليه مشاركا في كثير من العلوم ، كما ذكر انه كان مقيما بتطوان خطيبا ببعض جوامعها مدرسا للعلوم بها وانه كان عالمها حقيقة الخ .

وترجم له القادري في نشر المثاني[2] وذكر ان مولده عام 953 . وذكره ايضا في التقاط الدرر ووصفه بانه كان من اوعية العلم ومن كبار الصالحين الخ .

وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة نفيسة كتبها الشيخ الكبير ابو المحاسن سيدي يوسف الفاسي الى صاحب الترجمة رحم الله الجميع .

الشيخ محمد انـوار 1006

هو ابو عبد الله محمد ابن الحاج محمد انـوار الاندلسي البسطى ثم التطـاوني وقد ترجم له أبو زيد الفاسى في ابتهاج القلوب ووصفه بانه احـد العـارفين باللـه وانه احد اصحاب الشيخ ابي المحـاسن الفاسي بتطوان وان له بـركات شهيـرة وآثاراً مذكورة ، واثبت له ابياتا قالها في احوال الصوفيـة والمقامـات الـعليـة ، وقـد اعتنى العلامة ابو حامد الفاسي بشرح تلك الابيات وابراز معانيها ومغازيها وحل اشاراتها وشاركه ابو زيد الفاسي في تفهم معانيها ، وقد نقلنا في الاصل كلام الابتهاج في هذا الموضوع

1) ص . 227 .

2) ج . 1 ص 25.

على طوله ، وذكر سيدي العربي الفاسي ان صاحب الترجمة توفي بتطاون في الوباء العام يوم الاربعاء ثالث محرم عام 1006 . ودفن بشرقي المصلى القديم خارج باب المقابر احد ابواب تطاون وذكر ان قبره مشهور يزار ويتبرك به .

ويكفي في بيان مكانة صاحب الترجمة رحمه الله، ان يتصدى لشرح كلامه وتفهم معانيه امثال العلامة سيدي العربي الفاسي مؤلف مرآة المحاسن والعلامة ابي زيد الفاسي.

اما قبره فغير معروف الآن.

وقد ترجم له ايضا سيدي المهدي الفاسي في ممتع الاسماع[1] وذكر انه اتخذ زاوية في تطوان (باذن شيخه سيدي يوسف الفاسي) للذكر والذكرى فانتفع به ناس كثيرون ونشأ على يديه رجال ظهرت خصوصيتهم وكانت لهم احوال وأسرار ربانية الخ .

وترجم له ايضا القادري في نشر المثاني[2] ووصفه بالشيخ الفقيه الولي الرباني المحقق الواصل العارف ، وذكر انه وقف على شرح سيدي العربي الفاسي لابياته المشار اليها سابقا وهو في غاية الاتقان والاطلاع على عبارات القوم الخ .

وترجم له ايضا اليفرني في الصفوة[3] وذكر انه من الاولياء المشاهير وان كراماته كبيرة ومناقبه خطيرة الخ .

أبو عبد الله محمد السمعاني 1019

هذا السيد ترجم له ابو زيد الفاسي في ابتهاج القلوب وذكر أنه من المشهورين بالخير والصلاح، المشهود لهم بالفضيلة،وأنه كان من أصحاب الشيخ ابي المحاسن الفاسي بتطوان وانه توفي سنة 1019 .

وترجم له القادري في نشر المثاني [4] وفي التقاط الدرر، وذكر في موضع آخر ان وفاته كانت عام 1015 والله اعلم .

أبو العباس احمد البريبري 1020

هذا السيد ترجم له ابو زيد الفاسي ايضا في ابتهاج القلوب بقوله «ومنهم السيد الجليل المشهور السر بواردات الفوائد، الفارغ القلب من شواغل العوائد،ابو العباس احمد

1) ص . 181 .
2) ج . 1 ص . 45 .
3) ص . 78 .
4) ج. 1 ص. 108.

البريبري من اهل الاحوال العجيبة والكشوفات الغريبة، والبصيرة النافذة،والهمة العالية الخ.

وترجم له ايضا صاحب ممتع الاسماع [1] وذكر أنه من أعيان اصحاب سيدي يوسف الفاسي وذوي القدم الراسخ في الطريق وكان صاحب كشف وفراسة نافذة الخ. وترجم له في الصفوة[2] ايضا بنحو ذلك. وكانت وفاته رحمه الله بتطوان سنة 1020 .

الشيخ قاسم الحاج

ذكره الشيخ البركة سيدي الحسن ابن الشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون في كتابه «فتح التاييد» ووصفه بالولي الصالح العابد سيدي قاسم الحاج التطاوني الدار الاندلسي الاصل وذكر انه كان معظما عند الخاصة والعامة من مدينة تطاون وان ولاة الامر كانوا لا يردون شفاعته الخ وقد توفي رحمه الله بتطوان ودفن في القبة التي بناها قرب باب السعيدة الى جانب القبر الذي يقال انه لسيدي السعيدي الذي يوصف بانه صالح تطوان وصاحبها مثل ما يقال في مولاي ادريس بفاس وسيدي علي بن راشد في شفشاون، الا اني لم أقف على معلومات صحيحة عن هذا السيد، فلا اعرف على التحقيق لا اسمه ولا لقبه ولا نسبه. بل ولا القرن الذي كان فيه موجودا بتطوان ان صح ان له وجودا ، اذ لم نر التعريف به على سبيل التحقيق فى اي كتاب من الكتب التاريخية، وانما ذكره بعض المتأخرين تارة باسم السعيدي بالسين وتارة باسم الصعيدي بالصاد . وتنسب اليه كرامات والله اعلم بحقيقته . ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ قاسم بالتدقيق وقد قدر شيخنا الرهوني انها كانت عام 1020 واظن والله اعلم انها كانت قبل ذلك .

أبو الحسن علي البجائى الاندلسي 1020

هذا السيد من اصحاب الشيخ ابي المحاسن الفاسي في تطوان وقد ترجم له في ابتهاج القلوب ووصفه بالفاضل الصالح ووصفه بالاندلسي ثم التطاوني وذكر أنه توفي بتطوان في حدود العشرين والالف .

أبو علي الحسن الحايك

كان هذا السيد من اصحاب الشيخ يوسف الفاسي بتطوان وقد ترجم له ابوزيد الفاسي بقوله «ومنهم السيد الناسك الصالح ابو علي الحسن الحايك من اهل الحزب

1) ص . 182 .

2) ص 80

التطاوني ومن اهل الجد والاجتهاد وصدق الخدمة والمحبة وخلوص النية الخ . ولم يذكر تاريخ وفاته ، وهو من رفقاء الشيخ محمد انوار ومن في طبقته . وقد اثبتنا في الاصل نص رسالة مطولة كتبها له الشيخ عبد الرحمن الفاسي العارف وارسلها الى رفقائه فقراء تطوان في رحلة قام بها من تطوان لزيارة شيخهم الشيخ ابي المحاسن الفاسي رحم الله الجميع .

ابو الحجاج يوسف بن يامون التيال 1024

ترجم له ابو زيد الفاسي ووصفه بانه السيد الجليل المنور ابو الحجاج يوسف بن يامون التليدي المعروف بالتيال من اهل الاحوال والتصريف والفقه والمعرفة الخ .. وذكر انه صحب الشيخ ابا المحاسن الفاسي وانه كان صاحب حال وحكى له بعض الكرامات وذكر انه توفي بتطاون يوم الخميس سابع ربيع الاول عام 1024 . ودفن يوم الجمعة بجوار سيدي السعيدي . وترجم له ايضا صاحب الصفوة [1] ووصفه بالشيخ العابد وذكر انه ممن شارك في العلم وذكر له كرامات .

كما ترجم له في نشر المثاني [2] وفي التقاط الدرر، ووصفه بالفقيه الصالح الخ..

ابو الحسن المصيمدي 1031

ترجم له القادري في نشر المثاني [3] ووصفه بالولي الصالح.وترجم له ايضا صاحب الصفوة [4] وذكر انه اخذ عن الشيخ ابي الحسن الجعيدي وانه توفي قبله سنة 1031 وكانت وفاته بتطوان. وهو صاحب الجامع المعروف باسمه في النيارين.

الشيخ ابو الحسن علي بن مسعود الجعيدي 1032

الشيخ سيدي علي بن مسعود الجعيدي هو صاحب الضريح الشهير بحومة العيون وقد ترجم له الشيخ ابو العباس ابن عجيبة ووصفه بانه الشيخ الصالح الفاضل الكامل الورع الزاهد القطب الرباني مربي السالكين وقدوة المحققين الخ . وقال فيه انه كان ورعا زاهدا سالكا للطريقة جامعا بين الشريعة والحقيقة حاملا لواء الولاية في زمانه ، وحائزاً لرتبة القطبانية في اوانه ، له مناقب عديدة ومآثر شهيرة وشهرته

1) ص 16
2) ج ا ص 127
3) ج ا ص 140
4) ص 78

اعظم من ان تذكر ، واشهر من ان تشهر الخ. «قلت» والشيخ الجعيدي هذا هو الذي بنى المسجد الجامع الكبير الذى بازاء ضريحه في حومة العيون .

وله رحمه الله منظومة تائية سلك فيها مسلك كبار الشيوخ الذين يتحدثون عن علو مقامهم وما يشعرون به من منن الله عليهم ، وابياتها خمسة وخمسون ، وقد اثبت نصها الكامل في الاصل ، وقد شرحها الشيخ العلامة ابو العباس احمد بن عجيبة شرحا وقفت عليه. وقد ترجم له ايضا ابو زيد الفاسي في ابتهاج القلوب ووصفه بالولي الصالح الخ. وترجم له اليفراني في الصفوة. وذكر ابو محمد السكيرج ان صاحب الترجمة عاش مائة وعشرين سنة ، وانه توفي بعد اكمال بناء جامعه المشهور بعامين . ووجدت في كناش الفقيه سيدي التهامي بن رحمون انه توفي ليلة الجمعة 12 ربيع الاول عام 1032 . وفي ابتهاج القلوب ان وفاته كانت سنة 1033 والله اعلم.

وقد اثبت في الاصل قصيدة رثاه بها العلامة سيدي العربي الفاسي، كما اثبت فيه ما طعن به صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية في صاحب الترجمة وتعليقا عليه لشيخنا الرهوني رحمه الله .

ابو الحسن علي بن الزبير السجلماسي 1035

كان هذا السيد مقيما بتطوان مدرسا للعلم بها ، وقد ترجم له صاحب نشر المثاني ووصفه بانه فقيه مشارك علامة فهامة، وانه امام النحاة، وهو من شيوخ الشيخ عبد القادر الفاسي . وكانت وفاته سنة 1035 . وقد اثبت في الاصل ابياتا نقلها بعض معاصريه من خطه وقد قالها حينما وقع له ما وقع بكرسي اقرائه بتطوان .

الشيخ ابو حامد العربي الفاسي 1052

هو العلامة المشارك المحقق سيدي العربي ابن الشيخ ابي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وهو مؤلف كتاب مرآة المحاسن، وقد ترجم له في الصفوة [1] ووصفه بانه آخر علماء المغرب في تحرير المسائل الغامضة وايضاح الابحاث المشكلة الخ وترجم له الكتاني في السلوة [2] ووصفه بانه بحر العلم الزاخر شيخ الاسلام الخ وترجم له في عناية اولي المجد [3] وفي نشر المثاني [4] وكانت ولادته بفاس سنة 988 وبها نشأ ودرس العلوم

1) ص 71
2) ج 2 ص 313
3) ص 29
4) ج 1 ص 180

ثم تركها بسبب ما كان بها من الفتن والاهوال،وجال في المغرب الى ان استقر بتطوان التي يظهر انه وجد بها ما يرضيه وما كان يبحث عنه من الامن والاطمئنان فاختار الاقامة بها مشتغلا بالعلم والتاليف، وقد ذكر في كتابه مرآة المحاسن [1] ان سكناه بتطوان كانت في الدار المجاورة للزاوية الفاسية المشهورة بحومة العيون ، وهي الدار التي بها الآن سكنى الشيخ الصالح الفقيه العدل الوطني الغيور ابي العباس احمد بن عبد القادر الفاسي عميد العائلة الفاسية الفهرية الآن بتطوان حفظه الله.

وكانت وفاة صاحب الترجمة بتطوان ضحوة يوم السبت 14 ربيع الثاني عام 1052 وقد دفن بها اولا ثم بعد عامين نقل الى فاس ودفن بروضة والده سيدي يوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

وقد اثبت في الاصل ابياتا شاركه في نظمها رفيقاه في الوفادة على تطوان وهما الفقيه القاضي ابو القاسم الفشتالي والعلامة ابو الحسن علي بن الزبير ، وقد انشدوها حينما اقتربوا من تطوان ولاحت لهم ديارها.

كما أثبت له ابياتا قالها بتطوان يمدح فيها فاسا ويحن اليها.

ابو فارس عبد العزيز الزياتي 1055

هو الفقيه الاستاذ ابو فارس عبد العزيز بن الحسن الزياتي من علماء تطوان وبها توفي سنة 1055. وقد ترجم له صاحب الصفوة [2] وذكر انه من تلاميذ خاله سيدي العربي الفاسي وانه قرأ بمراكش وارتحل الى الشرق فأخذ عن كبار الشيوخ بمصر، وان له تاليفا في القراءات، وشرح منظومة خاله المذكور في الزكاة، وذكر انه كان عظيم الزهد والورع، وان وفاته كانت بتطوان عام 1055. وان قبره شهير يزار، ونقل ابن عجيبة ذلك في طبقاته وزاد ان قبره المذكور قريب من ضريح الولي الشهير سيدي طلحة «قلت» وهذا القبر غير معروف الآن.

وترجم له القادري في نشر المثاني [3] ووصفه بالاستاذ العالم المشارك. المجود المقرئ المحصل الخ . وذكر ان له كتابا في النوازل والاحكام ، وذكر استاذنا الرهوني انه كان اماما بجامع القصبة وان له كتابا في النوازل والاحكام .

« قلت » هذا الكتاب مخطوط ، وتوجد منه نسخة جليلة في خزانتي «الداودية»

---

1) ص 44

2) ص . 81 .

3) ج . 1 ص . 185 .

في نحو اربعمائة صفحة كبيرة وقد ذكر في اوله ان اسمه عبد العزيز بن الطيب مهدي الزياتي، وان اسم كتابه هو « الجواهر المختارة، مما وقفت عليه من النوازل بجبل غمارة » .

وقد اثبت في الاصل نص رسالة مهمة كتبها صاحب الترجمة في النصح والارشاد الى اخيه ابي عبد الله محمد ، ومنها يعرف الاتجاه الفكري لهذا الشيخ ولمن في طبقته رحم الله الجميع .

الاديب محمد الموذن 1073

ذكر القادري في التقاط الدرر انه في سنة 1073 . توفي بتطوان الاديب سيدي محمد الموذن . ولا اعرف عن هذا الاديب اكثر من ذلك .

الفقيه عبد الله الرثوث 1087

ذكره الفاسي في « الاعلام بمن غبر » ووصفه بالفقيه ابي محمد عبد الله بن يوسف الرثوث التطاوني وذكر انه كان من تلاميذ الشيخ عبد القادر الفاسي وانه قرأ عليه التفسير والحديث وغير ذلك . وانه توفي بالطاعون عام 1087 .

الفقيه محمد بن يحيى الشريف المذبوحي 1094

ذكره صاحب الاعلام بمن غبر ، ووصفه بالفقيه المدرس ابي عبد الله محمد بن يحيى الشريف المذبوحي الجزائري ، وذكر انه ولد بالجزائر وقرأ بها ثم استوطن تطاون الخ. ثم ذكر انه كان عالما اصوليا وكانت له معرفة بعلم الكلام، وانه هو اول من قدم بالجوهرة وشرحها، وان وفاته كانت سنة 1094 .

الفقيه ابو الحسن علي الشودري

هو الفقيه الاديب الشاعر ابو الحسن علي بن محمد الشودري من عدول تطوان في العقدين الثامن والتاسع من القرن الحادي عشر . وقد اثبت له في الاصل رجزا فكاهيا يشكو فيه حال عدول عصره الى قاضيهم ابي عبد الله محمد بن قريش ، ومطلعها :

« من مبلغ عني الفقيه المرتضى * من قد غدا مقلداً أمر القضا »

وقصيدة مدح بها الفقيه ابا العباس احمد الفاسي وقد ورد من فاس على تطوان ومطلعها :

هنيئا حبا الرحمن من سكن الثغرا * بحبر يضاهي في تفيضه البحرا

وقطعة غزلية مطلعها :

ذهب الظبي الذي تيمني * فمضى القلب بإثر ظعنه

وقطعة اخرى كذلك مطلعها :

يا آل تطوان هنيئا لكم * بمقدم الخشف الكحيل العيون

ولم اقف على تاريخ وفاته رحمه الله وغفر له .

في القرن الثاني عشر

القاضي محمد بن سعيد بن قريش 1103

كان القاضي محمد بن سعيد بن قريش من علماء تطوان وادبائها وقد تولى قضاءها مدة طويلة وكانت وفاته بتطوان عام 1103. ومن شعره عند ما سمع قول بعضهم:

وما لذة الدنيا سوى ظهر سابق * نهاراً وبالليل بطون الكواعب

هذه الابيات :

وما لذة الدنيا سوى حل مقفل * عويص ثوى في مغلقات الغياهب

فهذا الذي يبقى نعيما مؤبدا * ومستمتعا مسترسلا غير ذاهب

وذلك فان من تلاهى به فقد * تباهى بثوب من نسيج العناكب

وقد اثبت في الاصل أبياتا كتب بها اليه الشيخ محمد القسنطيني الكماد حين وفد على تطوان ووقعت بينهما وحشة الخ.

كما أثبت ايضا محاورة شعرية علمية وقعت بينه وبين القاضي عبد الملك التاجموعتي رحم الله الجميع.

الفقيه محمد بن قاسم بن قريش عام 1103

ترجم له صاحب نشر المثاني[1] ووصفه بالشيخ الامام عالم تطوان الخ ونقل عن الشيخ عبد القادر الفاسي وصفه بالفقيه العلامة النحرير الخ وله اجازة من الشيخ عبد القادر المذكور. وكانت وفاته بتطوان عن سن عالية سنة 1103. ودفن قرب سيدي طلحة. وذكره ايضا في التقاط الدرر، وترجم له ابن عجيبة في ازهار البستان.

العلامة الصالح سيدي الحاج علي بركة 1120

سيدي الحاج علي بن محمد بركة الاندلسي التطواني هو عالم تطوان واديبها

1) ج . 2 ص . 155 .

وشيخها وصالحها. وترجمته قد استغرقت من أصل هذا الكتاب ما يزيد على خمسين صفحة نشير هنا الى أهم ما فيها من فصول: ذكرنا اولا من اوصافه الحميدة ما حلاه به تلميذه علامة فاس الشيخ محمد بن عبد السلام بناني شارح الاكتفاء من انه العلامة الناسك العابد المنقطع الزاهد المنفرد بكثرة العبادة، المتصف بصفات الورع والزهادة، الشيخ العظيم البركة الحاج الابر الاتقى الخ.

وما وصفه به القادري في نشر المثاني [1] من انه العلامة المشارك الصالح البركة، وانه كان من العلماء العاملين الصلحاء الكاملين الخ. ووصف السلطان المولى سليمان له بالشيخ العلامة الصالح، ووصف ابن الطيب العلمي له بعالم تطوان وامامها وبركتها الخ.

ثم ذكرنا شيوخه ومنهم الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ أبو علي اليوسي والشيخ ابو سالم العياشي والقاضي العربي بردلة الخ وصحبته للشيخ سيدي احمد بن عبد الله معن الاندلسي الفاسي . واخذه للطريفة الناصرية عن مؤسسها الشيخ سيدي محمد بن ناصر ، وانه درس مختلف العلوم بفاس وغيرها الخ .

ثم ذكرنا تلاميذه ومنهم الشيخ محمد بن عبد السلام بناني شيخ الشيوخ بفاس وقد ذكرنا الكتب التي قرأها عليه، ومنهم العلامة الاديب محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي صاحب التآليف العديدة، واثبتنا نص اجازته المطولة له وهي في نحو ثمان صفحات وقد ذكرنا ما قرأه عليه في مختلف العلوم من حديث واصول وفقه ونحو الخ .

وذكرنا تآليفه ووصفنا ما وقفنا عليه منها ونقلنا نماذج من بعضها ليعرف من ذلك نفسه وقلمه رحمه الله .

وعقدنا فصلا في حرصه على نشر العلم والفضيلة بالتدريس والوعظ والخطابة واتصاله بالمكاتبة المستمرة مع علماء فاس وتونس ومصر وغيرهم ، وتكلمنا على جامعه الذي بالسوق الفوقي وكان يعرف بجامع سيدي بركة الخ . ثم اتينا ببعض منظوماته ومنها منظومة في التوسل والدعاء مطلعها .

يـاربـنـا يـاخـالـق الـعـبـاد * جـل بيـنـنـا وبين ذي فساد

وهي في واحد واربعين بيتا . ومنها منظومة اخرى يطلب فيها من الله رفع الوباء ومطلعها .

يـاربـنـا يـاكـاشـف البـلـواء * يـارافـع الـغـمـاء واللأواء

وابياتها تسعة وثلاثون ، ومنها رسالة شعرية كتبها من مكناسة الى اخيه السيد

---

1) ج . 2 ص . 104 .

احمد بتطوان .

واثبتنا ايضا نص تقريظه نثرا ونظما لديوان تلميذه الاديب محمد بن علي الرافعي التطواني نقلا عن خطه، مع قصيدة له في الحض على الجهاد ، وابيات قالها في ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش، مع ارجوزات في قواعد علمية مختلفة، وابيات في بيان سمت القبلة الخ .

ثم اثبتنا نص رسالة علمية مطولة كتبها للعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الفاسي نقلا عن اصلها المحفوظ في الخزانة الكتانية بفاس .

ثم ذكرنا أن وفاته كانت بتطوان في تاسع وعشري شوال عام 1120. وأن ضريحه هو المشهور في زاويته بالسوق الفوقي .

واثبتنا ما مدح به وما قيل فيه من المراثي من نظم ابن زاكور ومنضوصة وابن الطيب العلمي الخ. ثم نقلنا ما وصفه به ابن الحاج في تاريخه الدر المنتخب الخ. ورحم الله سيدى الحاج علي بركة ورضى عنه .

الاديب الحاج علي منضوصة

هذا الاديب احد المترجم لهم في كتاب الانيس المطرب، وقد وصف فيه بالشاعر المفلق الخ. وقد نقلنا ما قال فيه الاديب ابن الطيب واثبتنا نص قصيدة له في مدح صديقه الاديب ابن زاكور ومدح ابن زاكور له بقصيدتين مع مساجلات شعرية بينهما، ومما وصفه به ابن زاكور، الشاعر المصقع، وبحر الادب الذي اربى على كل منقع الخ.

ولم اقف على تاريخ وفاته، وهو كما علمت من تلاميذ سيدي علي بركة المتوفى عام 1120، ومن رفقاء ابن الطيب المتوفى عام 1135.

الاديب محمد بن علي الرافعي

هو الفقيه الاديب الشاعر الكاتب السيد محمد بن علي الرافعي الاندلسي التطواني من تلاميذ الشيخ سيدي الحاج علي بركة . وقد وقفت على مجموع خطي فيه نحو خمسمائة صفحة كبيرة ويحتوي على ثلاثة كتب من تاليفه.

اولها رحلته المشرقية وقد قام بها عام 1196. وثانيها ديوانه الشعري ، وثالثها تاليف له في الرسائل.

اما رحلته فاسمها المعارج المرقية ، في الرحلة المشرقية ، وقد وصفناها في الاصل، وفي خزانتي «الداودية» نسخة منها.

واما ديوان شعره فيقع في 126 صفحة كبيرة وقد فرغ من جمعه عام 1108 وعمره اذ ذاك 68 سنة وعلى هذا الديوان تقاريظ بخطوط اصحابها ومنهم سيدي علي بركة والشيخ احمد بن عبد الحي الحلبي، والاديب محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني سفير السلطان المولى اسماعيل، والاديب محمد بن زاكور الفاسي. وقد أثبتنا في الاصل فقرات مما وصفوا به المترجم ولم نقف على تاريخ وفاته رحمه الله.

الفقيه الصالح سيدي محمد الدريج 1126

هذا السيد من ذرية الشيخ سيدي طلحة الدريج صاحب الضريح المشهور خارج باب النوادر من تطوان، وقد انتقل من تطوان الى فاس وبها توفي فترجم له الكتاني في السلوة [1] ووصفه بالولي الصالح الخ وترجم له القادري في نشر المثاني [2] والتقاط الدرر، وذكر أنه نشأ بتطوان وبها حفظ القرءان بالروايات ثم انتقل الى فاس وأخذ عن شيخيه سيدي احمد بن عبد الله وسيدي احمد اليمنى وأثبت بعض نظمه وذكر انه توفي عام 1126. ودفن خارج باب الفتوح من فاس.

المجذوب سيدي بوجيدة أمحلي 1138

سيدي بوجيدة هذا هو صاحب الضريح المشهور بين الغرسة الكبيرة والخرازين من تطوان، وقد ترجم له القادري في نشر المثاني [3] ووصفه بالولي الشهير المجذوب الكبير الخ. وقد اثبتنا النص الكامل لكلامه في الاصل. وترجم له ايضا في التقاط الدرر، كما ترجم له ابن الحاج في الدر المنتخب، وذكر بعض كرامات وقعت له بتطوان. وكانت وفاته بهذه المدينة يوم الجمعة 17 شوال عام 1138.

العلامة القائد الحاج عمر لوقش 1149

كان الحاج عمر بن عبد السلام لوقش من أشهر رجال تطوان وجاهة وعلما وأدبا وشجاعة، وقد درس بتطوان ومصر وكان مشاركا في العلوم والآداب، وله رواية واسناد، ويذكره بعضهم باسم لوكس وقد أخذ عنه كثير من شيوخ العلم والاسناد. وقد نقلنا في الاصل ما يتعلق بهذا الموضوع واثبتنا نص اجازة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي له عام 1127 وقد وصفه فيها بالفقيه العلامة الاصيل الحسيب الخ كما أثبتنا نص

1) ج 2 ص 298
2) ج 2 ص 110
3) ج 2 ص 129

اجازة الشيخ احمد بن العربي بن سليمان الفاسي له ايضا في نفس العام. وقد وصفه فيها بالفقيه النبيه العلامة الفهامة الخ وذكر انه قرأ عليه الكتب العشرة في الحديث ، يعني صحيحي البخاري ومسلم الخ وأثبتنا ايضا نص اجازة المترجم للشيخ علي السقاط الفاسي المصري عام 1137.وقد ذكرنا في الفصل الثالث ولاية المترجم لحكم تطوان وما وقع له فيها من الحرب مع الباشا احمد بن علي، وأثبتنا في الاصل نقلا عن فهرسة القاضي العميري المكناسي ما وقع للمترجم بمكناسة الزيتون من تدريسه للتفسير في جامعها الكبير عام 1145 واكباب طلبة مكناس عليه وقيام علمائها ضده ومناظرته بامر السلطان الخ واثبتنا بعض ما قاله من الشعر في الفخر ومن ذلك قطعة يقول فيها:

وكنت ولو شئت الثريا لحقتها * وما كان لي في الجد والمجد لاحق

ورد ابى جهله (وهو محمد بن بجة) عليه بقطعة اخرى من اثنين وثلاثين بيتا من نفس البحر والقافية.

واثبتنا للمترجم ايضا ابياتا قالها على لسان السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل حين انصرافه معه من مكناسة الى سوس ، ثم قطعة غزلية اولها :

اظنها لو بحالتي علمت * ما منعت ظلمها وما ظلمت

ثم اثبتنا نص رسالة طويلة كتبها السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الشيخ التاودي بن سودة وفيها تفاصيل وافية عن المترجم وما وقع له في اواخر حياته بمكناس وتدخل والدة السلطان في امره وثنائها عليه حتى صار من اخص الملازمين للسلطان المولى عبد الله وانتقاله معه الى سوس حيث صار يدرس العلم بالجامع الاعظم من تارودانت فنفع الله به خلقا كثيرا الى ان توفي هناك الخ. وهي رسالة عجيبة مؤرخة بـ 27 ربيع الثاني عام 1200 . ويوجد نصها الكامل في كناش عتيق بالخزانة السودية بفاس . ويستفاد منها ان وفاة المترجم كانت عام 1149 . والله اعلم .

الدوكي دي ريبيردا 1150

كان الدوكي دي ريبيردا الاوربي المسيحي سفيرا لهولندا ثم وزيرا لاسبانيا، وكان غنيا سياسيا داهية ، وقد عاش بتطوان وتوفي ودفن بها وخلف بها ذكرا واحباسا. ونظرا لكون حياته لها علاقة بتطوان والمغرب عقدنا له في الاصل ترجمة ضافية اقتبسناها مما لخصه لنا صديقنا العلامة المشارك سيدي التهامي الوزاني من الكتاب الذي ألفه الكاتب الاسباني لوثيانو دي طاكسونيرا بعنوان « الدوكي دي ريبيردا » وقد استغرقت تلك الترجمة من الاصل نحو عشر صفحات ومما جاء فيها انه طلب من السلطان ان يسمح له بالاقامة في تطوان . وذكر المؤلف المذكور ان تطوان كانت في ذلك العهد

من أجمل مدن المغرب وقد زادها رونقا اعتناء حاكمها بها، ذلك الحاكم الذي كان من خير رجالات المغرب ذكاء وعلما وحزما، وقد اعد للدوكي دارا واسعة مؤثثة احسن تأثيث والى جانبها روض بهيج منسق على الطريقة الاوربية الخ ما أثبتناه فى الاصل من اعمال الدوكي بتطوان الى وفاته بها في خامس نوفمبر 1737. (رجب 150) وعقدنا فصلا بحثنا فيه هل اعتنق الدوكي الاسلام ام لا وذكرنا ان الصحيح انه بقي على دينه المسيحي الى ان مات عليه، وصححنا خطأ بعض المؤرخين الاوربيين في ذلك وأثبتنا نصوص بعض الرسوم بشراء الدوكي المذكور لبعض الاملاك بتطوان وتحبيسها على زاوية سيدي السعيدي بها.

كما أثبتنا ان وفاته كانت بتطوان وانه لم يخلف بها ذرية الخ.

الفقيه احمد السرايري 1156

كان الفقيه الخير المدرس السيد احمد بن محمد السرايري التطواني من علماء هذه المدينة وخطبائها ومدرسي العلم بها، وقد ترجم له القادري في نشر المثاني[1] ونقلنا نص كلامه في الاصل، وقد كان من تلاميذ سيدي الحاج علي بركة.

وقد تكلم عليه تلميذه الشيخ عبد الرزاق الجزائري في رحلته المغربية ووصفه بالشيخ المسن العلامة المتفنن، وذكر انه قرأ عليه ألفية العراقي وانه لم ير من يحسن قراءتها وفهمها مثله الخ وكانت وفاته بتطوان في شوال عام 1156. كما وجدته بخط الفقيه سيدي محمد بن احمد الفاسي. وقبره خارج باب المقابر.

الاديب محمد بن سليمان ؟

كان الفقيه الكاتب الشاعر محمد بن سليمان من أشهر الادباء الوجهاء بتطوان وقد ترجم له ترجمة حافلة صديقه صاحب الانيس المطرب ووصفه بانه رجل الدنيا وواحدها مطبوع على الاحسان، محبب الى كل انسان، وانه أديب همام وشاعر مطبوع الخ وذكر انه درس بفاس ثم اتصل بآل القائد علي بن عبد الله فزهت به الدولة، وغدت له فيها صولة الخ وقد استغرقت ترجمته من الاصل نحو عشر صفحات اثبتنا فيها قصيدة قالها في الترحيب بصديقه ابن الطيب صاحب الانيس، ومطلعها:

خليلي رأيت الجو مكتسبا طلقا * وهذا اريج المسك قد عطر الافقا

وأثبتنا قطعا شعرية مدح بها ابن الطيب المذكور صاحب الترجمة، كما أثبتنا للمترجم قطعا شعرية اخرى في التغزل، ومنها قصيدته التي مطلعها :

1) ج 2 ص 168

عذيري من هوى غصن رطيب * أرانى البدر من فوق القضيب

مع شعر له حروفه كلها معجمة، وآخر حروفه كلها مهملة، وآخر تعجم منه كلمة وتهمل اخرى، وآخر يعجم منه حرف ويهمل آخر، وآخر لا يتصل فيه حرف بآخر الخ مما يدل على علو كعبه في اللغة والادب.

وقد ذكر الشريف العلمي صاحب الانيس ان المترجم هو الذي كان السبب في تاليف كتابه المذكور وانه هو الذي اشار عليه به ووعده بالجائزة عليه الخ.

وكان المترجم حيا بتطوان في عهدي القائد علي بن عبد الله وابنه الباشا احمد اي في العقدين الثاني والثالث من القرن الثاني عشر. ولم اقف على تاريخ وفاته ومكانها ولعله لم يتأخر عن العقد الخامس والله اعلم.

وفي حومة الصياغين من تطوان مسجد يعرف بجامع بن سليمان وهو في درب كان يعرف باسمه ايضا، لان سكناه كانت به رحمه الله.

الاديب محمد العربي ابريل ؟

كان الفقيه العدل الاديب محمد العربي بن قاسم ابريل الاندلسي التطواني من الكتاب الادباء بهذه المدينة، وقد وصفه صاحب الانيس المطرب بالكاتب المجيد البارع، امام البلاغة الخ.

وقد اثبتنا في الاصل قطعا شعرية مدحه بها صديقه الاديب محمد بن سليمان السابق الذكر ، ولم اقف على تاريخ وفاته، واظن انها كانت عام ستة وخمسين ومائة والف.

وقد كان من عدول تطوان، ووقفت له على شهادات من عام 1143 الى عام 1156.

القاضي الطالب البوعناني ؟

هذا السيد ترجم له ابن زيدان في تاريخ مكناس[1] ووصفه بالفقيه الجليل العلامة النبيل المدرس النفاع الخ. وذكر انه تولى القضاء بمكناس والرباط، وتوفي بتطوان اواسط المائة الثانية بعد الالف .

الاديب محمد بن يعقوب

هذا الاديب هو آخر الادباء الاثني عشر الذين ترجم لهم ابن الطيب العلمي في كتابه « الانيس المطرب » وقد وصفه فيه بقوله :

1) ج . 3 ص . 101 .

مديد الباع ، كثير الانطباع ، رحيب الاندية في الكلام والرباع ، له ابيات سهلة العبارة ، لطيفة الاشارة ، اخذت بمجامع القلوب ، وجاءت على أحسن منوال وابدع اسلوب الخ .

« قلت » وقد وقفت على ديوان المترجم[1] ونقلت منه عشر قطع اثبت نصوصها في الاصل ، وبعضها في مدح الباشا احمد بن علي حاكم تطوان ، وبعضها في مدح ما بناه الباشا المذكور بتطوان وكيتان ، وبعضها في مدح الشيخ علي بن مسعود الجعيدي دفين هذه المدينة، وبعضها في التغزل وغير ذلك.

ولم اقف على تاريخ وفاته، ولعلها كانت في اواسط هذا القرن والله اعلم .

الفقيه الاديب محمد مفضل ؟

كان الفقيه محمد بن عبد السلام مفضل الاندلسي التطواني من الادباء والفقهاء العدول بتطوان في اواسط القرن الثاني عشر. وقد وقفت على جزء من شرحه لمقصورة المكودي بخطه وهو في غاية التحقيق والاتقان وقد اثبتنا في الاصل نص مقدمته ونموذجا منه وهو مكتوب بنفس عال، وفيه ابحاث علمية دقيقة مما يدل على طول باع المترجم في اللغة والادب رحمه الله .

وكان من المتعاطين للعدالة، وقد وقفت على شهادة له عام 1156 . وكان حيا بتطوان في العقد السابع من القرن الثاني عشر، وفي خزانتي«الداودية» تقريظ بخطه على بديعية معاصره الشيخ عيسى الجزيري وقد كتبه عام 1169 .

الاديب مولاي عيسى الجزيري 1169

كان الفقيه الاديب الكاتب البارع السيد عيسى الجزيري من سكان تطوان في اواسط القرن الثاني عشر، وقد ذكر ابو محمد سكيرج فى تاريخه ان هذا السيد (وهو يذكره باسم مولاي عيسى الجزيري الحسني) كان بتطوان في عهد حاكمها الباشا احمد بن علي، وانه كان فقيها عالما حكيما، وقد كتب القرءان كله في صفحة واحدة[2] بخط رائق الخ . وذكر ان من خطه جميع الكتابات الموجودة في دار الباشا احمد (يعنى

---

1) اصل هذا الديوان موجود بخط صاحبه في خزانة صديقنا الاستاذ محمد المنوني بمكناس .

2) لا تستغرب كتابة القرءان كله في صفحة واحدة ، وقد طبع كاملا في ورقة واحدة بمصر في عصرنا هذا وقد رأيتها وقرأت منها.

الدار الكبرى التي بالمشور في تطوان) وعلى ابواب البلد ، وانه الف كتابا عجيبا في القراءات السبع الخ .

«قلت» وقد عاش مولاي عيسى المذكور الى زمن قائد تطوان الحاج محمد لوقش ومدحه ببديعية لطيفة مطلعها:

لي في ابتدا مدح الحبيب براعة * فيه استهلت بالثناء الاحمد

وختامها قوله :

ألقت عصاها واستقرت في حمى * روض المنى الزاهي النعيم السرمدي

وأبياتها ثمانية وخمسون (وقد اثبتنا نصها الكامل في الاصل) وقد كتب عليها شرحين احدهما مطول والآخر مختصر (والجميع بخطه في خزانتي الداودية) وشرحه الكبير يقع في مائة واربعين صفحة، وقد اثبتنا في الاصل نص بعض مقدمته. واما الصغير فيقع في ثمان عشرة صفحة .

وقد اثبتنا في الاصل ايضاً ما قرظ به هذين الشرحين، الفقيه السيد محمد مفضل والفقيه القاضي محمد بن طريقة ،

وكانت وفاة مولاي عيسى المذكور بتطوان في اواخر ربيع الثاني عام 1169. رحمه الله .

القاضي محمد بن قريش عام 1172

كان الفقيه محمد بن محمد بن قريش من علماء تطوان، وقد تولى القضاء بها، وذكره القادري في التقاط الدرر، وذكر انه توفي عام 1172 . ودفن قرب سيدي علي بن مسعود. ومثله في ازهار البستان لابن عجيبة .

الفقيه السيد العربي بن طريقة 1178

هو الفقيه الصالح الناسك السيد العربي بن طريقة، وقد ترجم له ابن عجيبة في ازهار البستان، وذكر انه كان مدرسا في الزاوية الوزانية بتطوان، وانه كان حسن الاخلاق لين الجانب كثير النفع مشاركا في فنون من العلم مع المهارة في علمي الحساب والفرائض الخ . وكانت وفاته سنة 1178 .

الفقيه الاديب المهدي بن طاهر الفاسي 1178

هو الفقيه العلامة المشارك ابو عيسى المهدي بن طاهر الفاسي التطواني من ذرية

الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي، وقد ترجم له صاحب عناية اولى المجد[1] وذكر انه ولدبالقصر ودرس بفاس واستقر بتطوان واشتغل فيها بالتدريس والفتوى مع الامامة بالزاوية الفاسية الخ . وذكره القادري في منظومته ايضا .

وله رحمه الله رجز سماه « جواهر الاصداف ، في جمع مناقب الاسلاف » واوله:

(يقول فاسي اللقب الفهري * اصلا عبيد ربه المهدي)

وقد أتحفني صديقنا العلامة القاضي سيدي عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي بنسخة من جل الرجز المذكور .

وقد وصف صاحب تذكرة المحسنين المترجم بالفقيه العلامة المشارك الحجة الحافظ، وذكر ان وفاته كانت ظهر يوم الاحد عاشر ربيع الثاني عام 1178 . وأنه دفن عن يمين المصلي بمحراب زاوية جده بجومة العيون من تطوان .

« قلت » وقد اسهبت في وصف المترجم رسالة كتبها السلطان المولى المستضيء الى الباشا احمد والي تطوان وطنجة ، وقد اثبتنا نصها الكامل في الفصل الاول من الباب الرابع من اصل هذه الكتاب .

وقد ترجم له ايضا ابو محمد سكيرج وذكر انه كان عالما بفن الموسيقى وكان يعرف انشاد الاربعة والعشرين طبعا ، وكان يعزف على العود والرباب الخ .

العلامة احمد الورزيزى 1179

هو الفقيه العلامة المشارك المدرس الورع ابو العباس احمد بن محمد الورزازى « وفي تطوان يعرف بالورزيزى » وقد عقدنا له في الاصل ترجمة وافية في نحو عشر صفحات نقلنا فيها ما جاء من وصفه في كتاب فهرس الفهارس وحاشية الرهوني على الزرقاني ، وما وصفه به نقيب الاشراف سيدي سليمان الحوات وتلميذه مفتى الجزائر الاديب احمد بن عمار ، واثبتنا نص ما ترجم له به الشيخ احمد بن عجيبة، ومما ذكر عنه انه كان عالما كبيرا يحقق المسائل ويدققها ولا يرضى بالتقليد في حلها، وانه كان يميل الى تحكيم العقل حتى اتهم بالاعتزال وسجن لاجل ذلك ، وذكر انه كان شديدا على الولاة وعلى اهل البدع، يامر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد سأل السلطان سيدى محمد بن عبد الله الشيخ ابا حفص الفاسي عن اعلم الناس واعملهم فقال، الاحمدون، يعنى ثلاثة من علماء المغرب وأحدهم الشيخ احمد الورزازي « المترجم »

ومن تلاميذه، الشيخ محمد بن الحسن بناني « محشي الزرقاني » والعلامة محمد

---

1) ص . 55 .

ابن الحسن الجنوي، والعلامة محمد بن عبد السلام الناصرى الخ. وكان له ولوع بالرحلة، وقد حج مرتين وزار مصر والشام، كما تكررت زيارته للجزائر.

وقد نقلنا في الاصل عن كتاب «النور القوي» لابي عيسى المهدي ابن القاضي الفاسي ما وقع للمترجم مع الشيخ علي الجمل شيخ مولاي العربي الدرقاوي، وانه اذعن له وكان من تلاميذه الخ. وكذلك ما وقع له مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين زار تطوان وصلى الجمعة في المسجد الذي يخطب به المترجم، فقال في خطبته، اللهم انصر عبدك هذا (واشار اليه بالعصا) ان كان على الحق.

ونقلنا ايضا عن المؤرخ الضعيف الرباطي ما وقع له مع السلطان المذكور حين زاره بمراكش وعدم اكله من طعام السلطان ورفضه لهداياه الخ.

وذكر ابن زيدان انه لما انحبس المطر عن اهل فاس وكان المترجم بها، صلى بهم صلاة الاستسقاء الخ.

وكان رحمه الله هو الامام الراتب والخطيب بجامع لوقش، وهو اول من أم فيه. وكانت وفاته ضحى يوم الاثنين ثامن وعشري ذي القعدة الحرام عام 1179. كما وجدته بخط بعض المحققين من علماء تطوان. وقبره في المسجد الذي عن يسار الداخل لمصلى باب المقابر متصلا بالجدار الغربي المواجه للبحر رحمه الله.

الفقيه الحاج محمد اللبادي عام 1179

كان الفقيه اللبادي من اكبر وجهاء تطوان وعلمائها، وقد وصفه ابو محمد السكيرج بالفقيه العالم العلامة، ووصفه الفقيه العدل السيد عبد الله شطير في كناشه بالعلامة الفقيه وذكر ان وفاته كانت ليلة الاربعاء خامس عشر محرم سنة 1179.

الفقيه الصالح محمد غيلان عام 1188

ترجم له ابو العباس ابن عجيبة في ازهار البستان ووصفه بالفقيه الصالح الولى الناصح الناسك الخ. وذكر انه كان عالما عابدا مدرسا بمسجده المشهور بالمطمر. وانه اخذ عنه جماعة من الاعيان الخ. ووصفه ابو محمد السكيرج بالولي الصالح الخ. والمسجد المذكور هو الذي يدعى الآن جامع غرسية.

وكانت وفاة المترجم في شعبان عام 1188. ومدفنه خارج باب المقابر رحمه الله.

الفقيهة الصالحة لالا غيلانة 1189

هي الفقيهة الصالحة العالمة العاملة الزاهدة السيدة آمنة ابنة الفقيه الصالح سيدي محمد غيلان. وقد علمها والدها القرآن والعربية والفقه والحديث فكانت عالمة نساء

البلد وصالحتهن، تعلمهن امور دينهن وتعبد الله منقطعة عن العلاقات الزوجية، وكانت وفاتها سنة 1189 . وقبرها معروف بحومة المطمر .

القائد الحاج محمد لوقش ؟

هو الوجيه الحاج محمد ابن الوجيه الحاج عمر لوقش الشهير. كان من اكابر اعيان تطوان وولاتها مشهورا بالشجاعة والكرم والحزم، وهو الذي بنى جامع لوقش ومدرسة لوقش المشهورين باسمه، كما بنى كثيرا من اسوار المدينة وابراجها وسقاياتها.

وقد صاهر الولي الصالح سيدي علي بن ريسون بابنته وهي والدة ابنيه سيدي احمد وسيدي الحسين وقد سبق لنا في ترجمة مولاي عيسى الجزيري انه مدحه اثناء ولايته لتطوان ببديعية اثبتنا نصها الكامل في الاصل . وكانت وفاته بجبل العلم ولم اقف على تاريخ وفاته بالتحقيق وذكر بعضهم انها كانت حوالي سنة 1190. والله اعلم. وقد تقدم الكلام عليه في فصل الولاة رحمه الله .

الفقيه البركة سيدي علي شطير 1191

هذا السيد ترجم له تلميذه ابو العباس ابن عجيبة في ازهار البستان بقوله: ومنهم شيخنا الفقيه الامام المحدث العالم النحرير ابو الحسن سيدي علي بن طاهر بن احمد بن محمد شطير السماتي الحسني الخ. وذكر انه كان ورعا عالي الهمة وانه قرأ عليه عددا من العلوم وكان يدرس صحيح البخاري في جامع الرابطة، وانه الف كتابه المسمى « الحديقة الحسنة ، في خطب الشهور والسنة » وانه احسن فيه ماشاء وابدأ واعاد ، فنفع الله به العباد الخ .

وترجم له ايضا الفقيه الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون ووصفه بالعالم المحدث الخ . ووصفه الفقيه سيدي محمد لوقش بالفقيه العلامة المتبرك به، وذكر انه كان اماما بجامع الرابطة وان له كتابات على عدد من الكتب المشهورة الخ .

ووجدت بخط ولده الفقيه العدل الاديب سيدي عبد الله انهم شرفاء عمرانيون وان وفاة والده (المترجم) كانت في سادس وعشري ذي الحجة الحرام عام 1191 . رحمه الله .

الفقيه السيد محمد التلمساني 1192

هذا السيد ترجم له ابو محمد سكيرج وعده من جملة اشياخه ، وذكر انه قرأ عليه مختصر خليل بشرح الزرقاني وصحيح البخاري وكتبا اخرى ، وانه كان اماما بالزاوية الوزانية، وان وفاته كانت عام 1192 .

الفقيه السيـد طاهر الطنجي 1195

ترجم له ابو محمد السكيرج ووصفه بالشيخ المقرئ الفقيه العالم العلامة الخ . وذكر انه كانت له معرفه بالقراءات السبع وان وفاته كانت سنة 1195 .

القاضي عبد الكريم بن قريش 1196

هو الفقيه العدل المدرس المفتي القاضي عبد الكريم بن احمد بن قريش، ترجم له تلميذه ابو العباس ابن عجيبة ووصفه بالامام العالم المدرس الخطيب الخ . وذكر انه كان مشاركا في كثير من الفنون دارت عليه الفتوى في زمانه بتطوان الخ . وذكر انه قرأ عليه كتبا كثيرة في مختلف العلوم ومن جملتها صحيح البخاري مرارا والتفسير ومختصر خليل الخ . وترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالعقل والفضل والذكاء والشجاعة ومعرفة الضرب بالسيف والمدفع الخ ، وانه كان هو الامام والخطيب والمدرس بجامع العيون الخ .

وهو احد افراد البعثة التي ارسلها السلطان سيدي محمد بن عبد الله لافتداء الاسارى من جزيرة مالطة وايطاليا الخ . عام 1196 وقد حج بعد الفراغ من عمله في البعثة المذكورة وتوفي في الحجاز رحمه الله .

مولاي عبد الله الوزاني 1199

صاحب الضريح المشهور بزاوية مولاي محمد الوزاني بالطرنكات قرب باب التوت، وهو الشريف الجليل العالم الصالح سيدي عبد الله ابن مولاي العربي ابن مولاي التهامي ابن مولاي محمد ابن مولاي عبد الله الشريف الوزاني، ترجم له الشيخ محمد بن علي الزبادي الفاسي في كتاب « سلوك الطريق الوارية » ووصفه بالعلامة الافضل الزاهد الورع الصوفي ، وذكر انه كان من اهل الخير والصلاح حافظا للسنة جامعا بين الشريعة والحقيقة ، وانه زاره بتطوان الخ . وترجم له استاذنا الرهوني ونقل عن الفقيه سيدي محمد غيلان وصفه بالولي الصالح العالم العامل الناسك، وانه توفي في ثاني عشر ذي القعدة الحرام عام 1199. ودفن بزاوية جده مولاي محمد الوزاني قرب باب التوت.

وذكره ايضا الشريف سيدي عبد الله بن الطيب الوزاني في كتابه « الروض المنيف »

« قلت » ومولاي عبد الله «المترجم» هو جد جل الشرفاء الوزانيين التطوانيين حفظهم الله . وضريحه هو الواقع عن يسار الداخل للزاوية المذكورة .

العلامة محمد بن الحسن الجنـوي 1200

هو الامام العلامة المحقق الصالح الورع . وكانت اقامته بتطوان وبها تعلم العلم

وعلمه ودرس مختلف العلوم وتخرج عليه عدد من كبار العلماء والشيوخ ، وقد عقد له تلميذه العلامة الرهوني في حاشيته علي الزرقاني ترجمة مطولة في نحو ثمان صفحات وذكر انه قرأ بتطوان على الشيخ احمد الورزازي وغيره وانه كان كثير المطالعة والتحقيق والاتقان مشاركا في علوم التفسير والحديث والكلام والفقه والاصول والنحو والبيان والمنطق الخ .

وترجم له تلميذه ابن عجيبة في ازهار البستان ووصفه بانه خاتمة المحققين واحد ائمة الاسلام ، وذكر انه قرأ عليه صحيح البخاري مرتين وغير ذلك .

ووصفه تلميذه ابن الصادق بن ريسون بالزاهد الورع الشريف الحسني العمراني الخ.

وترجم له ايضا تلميذه ابو محمد سكيرج وذكر انه كان قائما بشؤون جامع العيون، يعنى بالامامة والخطبة والتدريس الخ . وقد دعاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى حضرته بمراكش وطلب منه الموافقة على فتوى في جواز استخلاص بعض الاموال من الرعية فقال له ان اموال الناس كأعراضهم حرام الخ . فحصل بينما سوء تفاهم ادى الى ذهاب المترجم الى ضريح سيدي عبد الله الغزواني وطلب من الله ان لا يلقى السلطان المذكور بعد ذلك فاستجاب الله دعاءه وقبضه اليه يوم الاثنين 13 رمضان عام 1200 ، وقد تولى دفنه ، الشريف سيدى محمد بن الصادق بن ريسون التطوانى رحم الله الجميع .

الفقيه محمد العباس

هو الفقيه المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد العباس التطواني، كان من شيوخ تطوان وعلمائها . وقد نقل العلامة ابن الصادق بن ريسون ان استاذه الشيخ احمد الورزازي كان يقول في المترجم انه سيبويه تطوان، وكفى بشهادة الشيخ الورزازي العالم الصريح تعريفا .

وفي خزانتي «الداودية» تويلف للمترجم في البسملة واعرابها في نحو خمس صفحات وكان المترجم حيا عام 1190 وأظن أن وفاته كانت حوالي سنة 1200 . والله اعلم .

الفقيه العدل عبد السلام بن رحمون

هو الفقيه العدل الموثق الشريف سيدي عبد السلام بن محمد التهامي بن رحمون الحسني العلمي، وقد ترجم له معاصره أبو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الامام السني الخير وذكر انه كانت له اليد الطولى في صناعة التوثيق ولم يذكر تاريخ وفاته ، ولعلها كانت في اواخر هذا القرن والله اعلم. وقد وقفت على شهادة له عام 1190.

تكميل

وقد اثبتنا في الاصل تراجم مختصرة ايضاً لاشخاص لم نقف على تاريخ وفاتهم بالتدقيق ونظن ان وفاتهم كانت في اواخر هذا القرن وهم : القائد الحاج محمد عاشر الرجل الخير الذي تولى حكم تطوان وخلف بها بعض الاثار .

والوجيه الحاج عبد الكريم راغون الذي ارسله السلطان سيدي محمد بن عبد الله سفيرا الى تركيا عام 1180 .

والوجيه السيد عبد الكريم العوني الذي ارسله السلطان المذكور سفيرا الى تركيا ايضا في ذلك العهد .

والفقيه ابو عبد الله محمد بن سعيد سكيرج وقد ترجم له تلميذه وقريبه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم الولي الصالح الخ .

في القرن الثالث عشر

الولي الصالح سيدي عبد الله الحاج 1207

سيدي عبد الله الحاج «البقال» صاحب الضريح المشهور بساحة الفدان بين المشور وزنقة القائد احمد ، من الشرفاء البقاليين ، وكان رحمه الله من أهل الولاية والصلاح مع الجذب ، وقد وفد على تطوان فاكرمه قائدها الحاج محمد عاشر ووهب له دارا وارضا فأقام بهذه المدينة الى ان توفي بها عام 1207 . وكان الناس يزورونه ويتبركون به حيا وميتا ، وكان صاحب احوال ومكاشفات وكرامات رحمه الله.

الفقيه القاضي عبد السلام بن قريش 1207

هو العلامة المدرس قاضي تطوان عبد السلام بن محمد بن محمد بن قاسم بن سعيد بن قريش. وقد ترجم له ابن عجيبة والسكيرج والرهوني، ولد سنة 1132 ولبث قاضيا بتطوان نحو ثلاثين سنة وتوفي سنة 1207 وكان كثير التدريس ، ومن تلاميذه الفقيه السكيرج المؤرخ التطواني ، وهو آخر قاض من عائلة ابن قريش رحمه الله .

الفقيه ابو العباس احمد الرشي 1210

هو الفقيه الوجيه المدرس ابو العباس احمد بن عبد الرحمن الرشي، وقد ترجم له تلميذه العلامة ابن عجيبة ووصفه بالعالم الفهامة الدراكة الخ . . وترجم له ابو محمد سكيرج ووصفه بالوجاهة وجمال الوجه والاخلاق وذكر انه كان محبوباً عند جميع الناس وانه قرأ عليه التفسير الخ وترجم له ايضاً شيخنا الرهوني وذكر انه كان اماما بجامع الرابطة مدرسا به معروفا بالعلم والتحقيق والتحصيل ، وانه رحل الى المشرق وكان

يعرف اللغة التركية ، وقد توفى بتطوان في 24 رجب عام 1210 . وقد أثبت في الاصل أبياتا قالها الفقيه عبد القادر المنون في رثائه وتاريخ وفاته وهو مجموع حروف اسمه (رشي) اي سنة 1210 وذلك من الغرابة بمكان . ورثاه الفقيه المذكور بقصيدة اثبتها في ترجمته . وقد خلف المترجم أوقافاً على اهل العلم وغيرهم رحمه الله .

الفقيه أبو عبد الله محمد الصردو

هو الفقيه الخير المدرس ابو عبد الله الحاج محمد الصردو الاندلسي التطواني ، وقد ترجم له ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الخير وذكر أنه كان ملازماً لتدريس صحيح البخاري ومختصر الشيخ خليل والفية ابن مالك الخ وانه كان اماما بالزاوية الناصرية ولعل وفاته كانت في العقد الاول من القرن الثالث عشر والله اعلم .

الفقيه الطيب بن زاكور

لم اقف على ترجمة هذا السيد وانما وجدت اسمه كمروي عنه في ترجمة العالم الاديب السيد التهامي بن عمرو الرباطي ففي فهرس الفهارس [1] ان ابن عمرو المذكور المتوفى سنة 1244. يروى عن الفقيه السيد الطيب بن عبد الكريم ابن زاكور التطواني عن شيخه ابي محمد عبد الوهاب التازي .

«قلت» ولعل السيد المذكور هو ابن الاديب السيد عبد الكريم ابن زاكور الذي تولى حكم تطوان عام نيف وسبعين ومائة والف والله اعلم .

الفقيه الرياضي الحاج علي مدينة 1212

هو الفقيه الموقت التاجر الوجيه الحاج علي ابن الحاج علي مدينة الاندلسي التطواني ، وهو جد جل اولاد مدينة الموجودين الان بتطوان . وقد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الحسيب والتاجر الابر ، الخ . . وذكر انه كانت له مهارة في علمي الحساب والتوقيت وأنه قرأ عليه كتابي القلصادي والمقنع وغيرهما. وترجم له أيضاً شيخنا الرهوني ووصفه بالعلامة الفلكي وذكر أنه قرأ بمصر واشتغل بالتجارة الواسعة مع التدريس الخ . . ووجدت في بعض التقاييد ان وفاته كانت بتطوان عام 1212 . والله اعلم .

سيدي بوسلهام 1212

هو الشيخ الصالح ابو العباس احمد بوسلهام وهو صاحب الضريح المشهور بحومة

1) ج . 1 ص . 204 .

العيون امام باب جامعها الكبير ، وقد تكلم عليه معاصره ابو محمد سكيرج وترجم له شيخنا الرهوني وذكر ان اسمه احمد وان اصله من قبيلة بني توزين الريفية ، وانه معدود من صلحاء تطوان واصحاب الكرامات بها ، وقد ذكره ايضا الفقيه الزبادي الفاسي مؤلف كتاب «سلوك الطريق الوارية» من بين الصلحاء الذين زارهم وتبرك بهم في تطوان. و كانت وفاته عام 1212 رحمه الله .

الفقيه ابو عبد الله محمد الورزيزي 1214

هو الفقيه العلامة المشارك ابو عبد الله محمد بن علي الورزازي (المعروف في تطوان بالورزيزى) التطواني دارا ووفاة . وقد ترجم له تلميذه ابو العباس ابن عجيبة ووصفه بالعالم المتفنن وذكر انه كان مشاركا في كثير من العلوم الخ .

«قلت» وقد وقفت على مجموع ثلاثة تآليف للمترجم رحمه الله واولها فهرسته وعدد صفحاتها سبع وسبعون ، وقد اثبت في الاصل مضمنها .

وثانيها شرحه لمنظومة الشيخ سيدي محمد بن ناصر وهي التي مطلعها :

«الحمد لله حمدا طيبا عطرا ثم الصلاة على المختار من مضرا

وهو في نحو ستين صفحة .

وثالثها كتاب فيما يجب على المكلف من قواعد الاسلام الخ وصفحاته اربع وستون .

وقد كان المترجم رحمه الله اماما وخطيبا بجامع لوقش و كانت وفاته بتطوان في وباء عام 1214 ، وقبره خارج باب المقابر جنب قبر قريبه وشيخه العلامة ابي العباس احمد الورزازي رحمه الله ، ومن تلاميذ المترجم رحمه الله من العلماء المشاهير، الشيخ ابو العباس ابن عجيبة والشيخ الرهوني الكبير محشي الزرقاني وبناني والعلامة الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون وغيرهم .

الفقيه المفتي محمد الجنوي 1214

هو الفقيه العلامة المفتي ابو عبد الله محمد ابن العلامة الكبير سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وقد ترجم له معاصره الشيخ ابن عجيبة ووصفه بالعلامة المحصل وذكر انه حاز رئاسة الفقه في زمانه ودارت عليه الفتوى بمدينة تطوان ، وأنه كان خطيبا ومدرسا بجامع العيون الخ .

وترجم له شيخنا الرهوني وذكر ان وفاته كانت عام 1214 . وترجم له ايضا ابو

محمد سكيرج وحكى عنه كلمته المشهورة التي قالها في درقاوة ، وقد نقلنا ذلك في الاصل .

الفقيه الاديب عبد القادر المنون 1214

هذا السيد وصفه تلميذه الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي افيلال في كناشه الكبير بانه هو الفقيه الاديب البليغ الاريب سيدي عبد القادر المنون التطواني ، وذكر انه كان من المدرسين للعلم بتطوان وانه كان يحضر دروسه المفيدة . وان له قصائد وموشحات وازجالا ، ومن ذلك منظومة مشهورة سماها، «مجلى النفوس ومضحك العبوس»، في التهكم والاستهزاء بالجيوش التي جمعها المولى سلامة الذي ثار على عمه السلطان المولى سليمان وحاصر بها مدينة تطوان ثم عجز عن فتحها ورجع عنها خاسئا الخ .

وهذه المنظومة عدد ابياتها نحو المائتين ، وقد اثبت نصها الكامل في اصل هذا الكتاب ، كما اثبت في ترجمته بعض شعره، ومن ذلك مرثيته للفقيه الرشي، وقد كانت وفاة المترجم في وباء سنة 1214. رحمه الله .

الفقيه الاديب عبد الله شطير 1214

هو الفقيه العدل الشاب الاديب سيدي عبد الله ابن الفقيه المدرس البركة سيدي علي بن طاهر شطير الشريف العمراني . كان رحمه الله من ادباء تطوان وعدولها، وقد عقدت له في الاصل ترجمة واسعة في ست عشرة صفحة تكلمت فيها على ولادته ونشأته بتطوان ودراسته فيها وفي فاس ، وذكرت شيوخه والكتب التي درسها . ثم توسعت في الكلام على تأليفه الكبير « نضار الاصيل » الذي هو محفوظ بخطه في خزانتي « الداودية » بتطوان ، وهو مجلد ادبي كبير في نحو اربعمائة صفحة كبيرة ، وهو مجموع لانعرف له نظيرا من بين الكتب التي الفها علماء تطوان وادباؤها ، وقد وصفته في الاصل وصفا دقيقا ونقلت منه نماذج مختارة ، كما اثبت بعض شعر المترجم الذي كان رحمه الله جميل الخط خفيف الروح ، وقد توفي في الثلاثين من عمره واظن ان وفاته كانت اما في وباء عام 1214. واما بعده بقليل والله اعلم .

الفقيه عبد الجليل البقال 1219

هذا السيد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العدل المفتي العالم المدرس وذكر انه حضر دروسه وقرأ عليه عدة كتب. وترجم له ايضا شيخنا الرهوني .

« قلت » وهو احد الفقهاء الذين حملوا راية المعارضة للشيخ الصوفي ابي العباس ابن عجيبة رحم الله الجميع . ووجدت في بعض التقاييد ان وفاته كانت عام 1219 . والله اعلم .

الفقيه محمد محرش 1220

ذكر تلميذه الفقيه الشريف سيدي محمد بن الهاشمي افيلال انه هو العلامة المحقق المشارك الصوفي ابو عبد الله محمد بن الهاشمي محرش الخ . وذكر ان وفاته كانت عام 1220 .

وترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الخير الدين، وذكر انه جمع بين الحسب والنسب والعلم والدين الخ .

الفقيه محمد بن عبد الهادي مدينة

هو الفقيه المسند السيد محمد بن عبد الهادي ابن الحاج علي مدينة، وقد وقفت في فهرس الفهارس[1] لدى ترجمة الشيخ ابي العباس احمد الصباغ الاسكندري على ان علامة تونس الشيخ ابراهيم الرياحي يروي ثبت الشيخ الصباغ المذكور عن الشيخ محمد الطاهر ابن المير السلوي عن ابي عبد الله محمد بن الهادي مدينة به عرف التطواني عن الشيخين عبد الوهاب عفيفي ومحمد بن عيسى الزهار عن مؤلفه الخ. ومثل ذلك في رياض الجنة 2). ولعل وفاة المترجم رحمه الله كانت في العقد الاول او الثاني من هذا القرن والله اعلم .

الفقيه المدرس عبد العزيز التبين

هذا السيد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العالم الخير السري الخ. وذكر انه من سلالة الولي العالم سيدي عبد القادر التبين المشهور . ثم ذكر انه قرأ عليه ألفية ابن مالك والمقنع والقلصادي وغير ذلك .

واظن أن وفاته كانت في العقد الثاني من هذا القرن والله اعلم .

الشيخ ابو العباس احمد ابن عجيبة 1224

هو العلامة المدرس المؤلف الشيخ الصالح ابو العباس احمد بن محمد ابن عجيبة ،

1) ج . 2 ص . 108.

2) ج . 1 ص . 98 .

وقد عقدت له في الاصل ترجمة واسعة في نحو عشرين صفحة ونقلت ما ترجم له به تلميذه ابو محمد سكيرج وقد وصفه بالعلامة الفهامة ولي الله تعلى الخ . وذكر انه كان صدرا من صدور ائمة الدين ، وكبيرا من كبراء الاولياء المهتدين ، وقدوة بين افراد العلماء الزاهدين الخ. وانه كان حافظا للكتاب والسنة الخ. ثم نقلت ما وصفه به العلامة عبد القادر الكوهن الفاسي في فهرسته ، وما ترجم له به شيخنا الرهوني والشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس. ثم ذكرت مولده (عام 1160) ونشأته وحفظه للقرءان الكريم والمتون العلمية ثم دراسته للعلم وشيوخه بتطوان وما قرأ عليهم من العلوم والكتب ثم قراءته للعلم بفاس واسانيده واجازاته. ثم تكلمت على اقامته بتطوان وتدريسه للعلم بها في مختلف مساجدها وزواياها الخ .

ثم تكلمت على تآليفه التي يزيد عددها على الثلاثين وقد ذكرت اسماءها ووصفت من تلك التآليف خمسة عشر وقفت عليها بنفسي وهي:

1 ـ تفسير القرءان الكريم، وهو الذي سماه (البحر المديد) وقد نقلت نموذجا منه.

2 ـ أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان. وقد نقلت منه كثيرا.

3 ـ شرح الحكم العطائية .

4 ـ شرح الحزب الكبير للشاذلي .

5 ـ اللوائح القدوسية ، في شرح الوظيفة الزروقية .

6 ـ شرح الصلاة المشيشية .

7 ـ شرح بردة البوصيري .

8 ـ شرح همزية البوصيري .

9 ـ تفسير الفاتحة .

10 ـ شرح منظومة الشيخ البوزيدي في السلوك .

11 ـ تاليف في القضاء والقدر .

12 ـ كشف النقاب ، عن سر لب اللباب .

13 ـ شرح تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي التطواني .

14 ـ تاليف في الغيبة ومدح العزلة والصمت.

15 ـ فهرسته .

ثم تكلمت على علومه ونظره فيها، ثم على عبادته وتصوفه، ثم على سياحته، ثم على خرقه للعوائد وامتحانه بتطوان عام 1209. ثم على قصائده ومنظوماته، ثم على وفاته ومدفنه الخ. وكانت وفاته في دار شيخه البوزيدي بغمارة يوم الاربعاء سابع شوال عام 1224. وقبره في مدشر الزميج من قبيلة انجرة قرب تطوان رحمه الله ورضى عنه.

سيدي بن كيران 1222

هذا السيد هو صاحب القبة المشهورة في مقابر تطوان جنب الطريق الذاهب الى سبتة قرب خندق المرس ، وقد تكلم عليه معاصره ابو محمد سكيرج وذكر له بعض الكرامات والمكاشفات . وترجم له استاذنا الرهوني ووصفه بالولي الصالح المجذوب ، وذكر ان اصله من فاس ، وان الذي بنى قبته هو خديمه الحاج محمد بجة العرائشي . وقد وجدت في بعض التقاييد ان وفاته كانت في سابع ربيع الثاني عام 1222. رحمه الله .

القاضي عبد الرحمن بن طريقة 1227

هو الفقيه المدرس القاضي عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة وقد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ، ووصفه بالفقيه العلامة الجامع بين المعقول والمنقول والفروع والاصول، وذكر انه قرأ عليه التفسير والفقه والنحو الخ. وان له تآليف ذكرنا اسماءها في الاصل. وقد وقفت له على شرح مطول عجيب لبردة البوصيري وهو شرح رجل عالم كثير الاطلاع مشارك في مختلف العلوم وقد فرغ من تاليفه سنة 1212. وتوفي سنة 1227 رحمه الله .

الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون 1229

هو الشيخ الصالح العارف بالله الشريف البركة ابو الحسن سيدي علي بن محمد بن علي بن ريسون ، وقد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالولاية والمعرفة مع المشاركة في علوم مختلفة منها علم الموسيقى واستعمال آلات الطرب الخ . وترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالقطب الواضح ذي الكرامات العديدة والمناقب المديدة، وذكر ان الولي الصالح سيدي عبد الله الحاج البقال ، لما شعر بدنو أجله ، استدعى المترجم رحمه الله للقدوم عليه من تازروت الى تطوان فلبى طلبه وجاء الى تطوان واستقر بها ونفذ له السلطان المولى سليمان الدار الكبرى المشهورة بباب السفلي مع روضها فسكن فيها الى ان توفي رحمه الله ، كما نفذ له ايضا الفندق الذي كان للوقش في الصياغين فبنى به زاويته المشهورة. وكانت ولادته سنة 1158 ، ووفاته بتطوان في رابع جمدى الاخيرة عام 1229. وهو صاحب الضريح المشهور بزاويته الريسونية بالصياغين. وقد نقلت في الاصل ابياتا قالها فيه سيدي سليمان الحوات نقيب الاشراف بفاس، وأولها :

اذا الخطوب توالت ليس يدفعها * سوى ابي الحسن الغوث ابن ريسون

مع ابيات قالها فيه ايضا الفقيه ابو الحسن ابن سودة الفاسي واولها :

من بعد تقبيل اعتاب الكرام ومن * لهم بقلبي وداد غير ممنون

القاضي الطيب بن رحمون 1229

هو الفقيه المدرس العدل القاضي الشريف سيدي الطيب بن محمد بن رحمون الحسني العلمي ، وقد ترجم له ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العلامة الناسك ، وذكر انه كان حسن العبارة ، كثير الرواية الخ . وترجم له شيخنا الرهوني وذكر انه توفي عام 1220 ، ووجدت في بعض التقاييد انه توفي في رمضان عام 1229 . وفي تقييد آخر انه توفي عام 1231 . ومن الممكن انه كان بتطوان فقيه آخر يشاركه في الاسم والنسب فليحقق ذلك والله اعلم .

الفقيه التهامي البناي

ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الاديب الشاعر المؤدب الخ وذكر انه كان ذاهمة عالية وسمت حسن وانه كان عالما بالتوثيق ، وان السلطان بعثه الى بلاد الروم لفداء الاسارى صحبة الفقيه عبد الكريم بن قريش الخ .

« قلت » كان سفره في البعثة التي ارسلها السلطان محمد بن عبد الله الى جزيرة مالطة لفداء اسارى المسلمين برئاسة السفير محمد بن عثمان المكناسي عام 1196. واظن ان وفاة المترجم كانت في العقد الاول او الثاني من هذا القرن. والله اعلم.

الفقيه محمد الطاهر زنيبر

ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العلامة ، وذكر انه كان مدرسا عالما بالتوثيق والنوازل، وانه قرأ عليه بعض الكتب واخذ عنه صناعة التوثيق ولم يذكر تاريخ وفاته ولعلها كانت في العقد الاول او الثاني من هذا القرن والله اعلم.

الفقيه احمد بن حسين

هو الفقيه العدل السيد احمد بن محمد بن حسين، وقد ترجم له تلميذه ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة وذكر انه قرأ عليه فرائض مختصر خليل، وانه كان موصوفا بالعدالة والنزاهة الخ . ولم يذكر تاريخ وفاته ولعلها كانت في العقد الثاني او الثالث من هذا القرن والله اعلم .

« قلت » وقد تولى المترجم قضاء مدينة طنجة وهو والد الفقيه السيد عبد الكريم بن حسين الذي كان من اشهر عدول تطوان .

الفقيه محمد بن قريش

هو الفقيه المدرس السيد محمد ابن القاضي السيد عبد السلام بن قريش، وقد ترجم

له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه النحرير العالم الكبير ، وذكر انه كان ذا معرفة بعلوم الحديث والفقه والنوازل والتاريخ ، وكان مشتغلا بالتدريس الى ان توفي ، ولعل وفاته كانت في العقد الثاني او الثالث من هذا القرن .

الفقيه عبد الرحمن الصردو

هو الفقيه الاستاذ المقرئ السيد عبد الرحمن ابن الفقيه السيد الحاج محمد الصردو وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الاستاذ وذكر انه كان يقرأ القرءان بالروايات العشر وانه كانت له معرفة باحكام القرءان وبالتفسير الخ . وانه كان اماما بالزاوية الناصرية ولم يذكر تاريخ وفاته، ونظن انها كانت في العقد الثالث من هذا القرن والله اعلم ،

العلامة محمد بن الصادق بن ريسون 1234

هذا السيد قد عقدت له في الاصل ترجمة واسعة في نحو عشر صفحات نقلت فيها ما وصفه به تلميذه السلطان مولاي سليمان في كتابه « عناية اولي المجد » ثم ما وصفه به العلامة الشيخ الطالب ابن الحاج والعلامة سيدي جعفر الكتاني في كتابه «الشرب المحتضر» والفقيه سيدي التهامي بن رحمون الخ.

ثم نقلت ما ترجم له به شيخنا الرهوني ثم ما ذكر عنه تلميذه ابو محمد سكيرج في تاريخه ثم ما ترجم له به الشيخ عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ثم ما مدحه به سيدي سليمان الحوات نقيب الاشراف بفاس من ابيات مطلعها :

ما للعلا كفؤ سوى ابن الصادق * لا زال فخرا للزمان اللاحق

ثم اثبت فذلكة في وصفه بما يستفاد مما وصفه به السادات المذكورون ثم تكلمت على شيوخه ومقروءاته وعلى تلاميذه، ثم ذكرت انه كان من افذاذ الرجال الذين كان لهم الاعتناء بعلم الرواية والاسناد ، وتعرضت لفهرسته ووصفها ، وذكرت العلماء الذين اجازوه وما وصفوه به من النعوت ، ثم تكلمت على تآليفه وكتاباته، ثم تكلمت على حياته العامة ومواقفه السياسية ثم على دياره وزوجاته الخ . ثم ذكرت ان ولادته كانت بقرية تازروت من قبيلة بني عروس عام 1155 . وكانت له دار واهل بتطوان وتوفي بوزان ودفن بها عام 1234 . وذكر بعضهم ان وفاته تأخرت لسنة 1236 . والله اعلم .

الفقيه القاضي عبد الرحمن الحايك 1237

هو الفقيه العلامة المشارك المدرس المؤلف المفتي القاضي عبد الرحمن بن محمد

الحايك ، وقد وصفه شيخنا المرير بانه شيخ الجماعة في اوانه وامام عصره وابن عرفة زمانه الخ. وترجم له ابو العباس ابن عجيبة وابو محمد سكيرج وشيخنا الرهوني وذكروا انه كان كثير التاليف، وقد بينت تآليفه في الاصل وعددها أحد عشر، منها اعراب مختصر خليل في اربعة اسفار كبار، ومنها حاشية على تفسير الجلالين وحاشية على شرح المواق للمختصر وحاشيتان على ألفية ابن مالك الخ. وذكروا انه كان كثير التدريس للتفسير والحديث والفقه وآلنحو وغير ذلك من العلوم، وانه ولي قضاء تطوان. وقد بينا في فصل القضاة انه ولي قضاء هذه المدينة ثلاث مرات بين عامي 1207. و 1231.

وقد تكلمت في الاصل على اصله ونسبه وعلى شيوخه وتلاميذه من مشاهير العلماء ، واثبت نص اجازته للفقيه ابن كيران الفاسي عام 1229 . ثم ذكرت انه توفي في عاشر جمدى الاخيرة عام 1237 . وعمره نحو سبعة وثمانين عاما . وانه دفن في الزاوية الريسونية بتطوان. وقد اثبت ابياتا رثاه بها الفقيه الاديب السيد عبد الكريم الحضري رحم الله الجميع .

الفقيه القاضي المامون افيلال 1245

هو الفقيه القاضي العلامة الشريف سيدي المامون بن النادي بن محمد افيلال الحسني العلمي، وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالعلم والرسوخ والعدل والصلاح الخ . وذكر ان السلطان المولى سليمان ولاه قضاء تطوان، وترجم له ايضا شيخنا الرهوني وذكر ان ولايته للقضاء بهذه المدينة ، كانت في رمضان عام 1231.

وقد بينت في الاصل سعي قائد تطوان في عزل المترجم من وظيف القضاء ، وأن تأخره عن ذلك كان عام 1236 . والله اعلم ، وتوفي عام 1245 رحمه الله .

الفقيه القاضي عبد الله المصمودي 1248

هو الفقيه العدل المفتي القاضي سيدي عبد الله بن احمد المصمودي.وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة الخ . وذكر انه كانت له معرفة بالفقه والنحو الخ . وترجم له ايضا شيخنا الرهوني وزاد انه كان من علماء تطوان وأوتادها في عصره وانه كان اماما وخطيبا بجامع السوق الفوقي الخ. وقد تقدم لنا انه كان متوليا لقضاء تطوان عام 1220 . وانه أخر عن ذلك واستمر عدلا الى ان توفي ليلة الاربعاء عاشر شوال عام 1248 رحمه الله .

الفقيه المؤرخ ابو محمد سكيرج 1250

هو الفقيه العدل المؤرخ ابو محمد عبد السلام بن احمد سكيرج التطواني مؤلف اقدم كتاب الف في تاريخ تطوان ، وقد ترجم له استاذنا الرهوني، ونقلت في الاصل ما قاله فيه .

وكان المترجم رحمه الله يتعاطى حرفة العدالة في تطوان، وكان كثير الشهادات جميل الخط جيد التوثيق، وقد عمر طويلا وكانت فيه دعابة واستهزاء بالدنيا وما فيها.

وقد تقدم لنا ان اسم تاريخه هو «نزهة الاخوان، وسلوة الاحزان، في الاخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها وتقرر من الاعيان » وقد تكلمت على كتابه هذا في المقدمة وفي ترجمته من الاصل .

وكانت وفاته ودفنه بتطوان سنة 1250 . رحمه الله .

الفقيه القاضي محمد كرازو 1253

هو الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن محمد كرازو ، وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ، وذكر انه كانت له اليد الطولى في الفقه والنحو والنوازل والقضاء الخ . وترجم له شيخنا الرهوني وذكر انه رافق السلطان المولى سليمان في الدراسة وانه ولاه قضاء تطوان عام 1236 .

ويظهر انه استمر قاضيا الى ان أخر وولي مكانه القاضي التسولي عام 1250. والله اعلم .

وكانت وفاته عام 1253 . رحمه الله .

الفقيه سيدي الطيب البقالي 1253

ترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بانه العالم العلامة الدراكة الفهامة المفتي المدرس سيدي الطيب بن عبد السلام البقالي الخ . وقد بينت في الاصل ما عمله حينما عزم اهل تطوان على بيعة المولى سعيد بن اليزيد الخ . وإلقاء القبض عليه وسجنه الخ .

وكانت وفاته عام 1253. وقبره في الزاوية البقالية بتطوان . رحمه الله .

الشيخ سيدي محمد الحراق 1261

هو الشيخ العلامة العارف بالله ابو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحراق رحمه الله ورضى عنه .

وقد توسعت في ترجمته حتى بلغت صفحاتها في الاصل نحو المائة فهي يحق

ان تعتبر تاليفا خاصا فيه، وسأحاول هنا ان ألخص العناصر التي تكونت منها تلك الترجمة في بضع صفحات .

لقد قلت في اول الترجمة هذه العبارات :

كان رحمه الله بحرا زاخرا في العلم ، وجبلا راسخا في المعرفة ، وكان اماما في ثلاثة علوم قلما اجتمعت في رجل واحد في الشرق والغرب، علوم الشريعة، وعلم الادب، وعلم التصوف، كان في مقدمة العلماء الفقهاء، فقد درس مختلف العلوم العقلية والنقلية، وشهد وأفتى وخطب وعمل جميع ما يعمله كبار العلماء والفقهاء، وكان نابغة من نوابغ الادب ، وأشعاره الكثيرة مطبوعة يتغنى بها كثير من الطبقات ، ويعجز عن الاتيان بمثلها كثير من الادباء ، ويعتز بها صوفية المغرب ويفخرون بها على المتأخرين من صوفية المشرق ، وكان من اكابر شيوخ التصوف ورجال التربية ، وهذه رسائله العامرة بالحقائق والرقائق متداولة بين الناس يسترشد بها المهتدون ، ويهتدي بها الغافلون.

لقد جمع الله له بين الحقيقه والشريعة فغاص في بحار المعارف ، وكان الشيخ العارف ، وتلمذ له كبار العلماء ، وتكلم في الحقائق الربانية فطئطئت له الرؤوس ، وانصتت اليه الاذان واطمأنت اليه القلوب .

ثم تكلمت على عائلته ونسبه الشريف ونقلت كلام الفضيلي في الدرر البهية، وقارنت بينه وبين ما وجدته في رسم صداق والد المترجم من مخالفة ، ورجحت ما جاء في رسوم الاصدقة على ما في الدرر البهية الخ .

ثم بينت ان الجد الرابع للمترجم كان ساكنا بتطوان وانه توفي بها وخلف بها اولاده الخ .

ثم تكلمت على ولادة المترجم ونشأته وقراءته بفاس ونقلت كلام العلامة ابن سودة في كتابه « تحفة الاحباب » ثم بينت كيف كانت حالته بفاس الخ .

ثم ذكرت انتقاله الى تطوان وسكناه بها واشتغاله بالتدريس والعدالة والفتوى والخطبة الخ .

ثم شرحت ما وقع له من النكبة والمرض ، ثم انحياشه الى جانب التصوف ثم اجتماعه بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي الخ وكيف كان ذلك، ثم تكلمت على تصوفه ومشيخته بتطوان وموقفه من حركة رفض اهل هذه المدينة لبيعة السلطان المولى سليمان وبيعتهم لابني اخيه ابراهيم وسعيد الخ .

ثم اثبت نص رسالة مطولة بعثها المترجم الى السلطان المولى عبد الرحمن، ثم نص ظهير من السلطان المذكور بالانعام على المترجم بحانوت في تطوان ، ثم نص

ظهير من السلطان المذكور بالانعام عليه بدار في تطوان عام 1240. ثم بينت كيف صارت حالته وكيف كانت سياسته مع مطلق الناس ومع خصوص الولاة .

ثم ذكرت سنده في طريق التصوف ، ثم تكلمت على كبار تلاميذه بمدينتي تطوان وفاس وغيرهما، وعرفت بمشاهيرهم، ثم اثبت نص وصيته الرسمية التي اوصى بها قبيل وفاته رحمه الله، وهي مؤرخة بثامن عشر رجب عام 1261. وقد امضاها باسمه هكذا (محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي لطف الله به)

ثم تكلمت على وفاته ومدفنه، وحققت ان وفاته كانت في داره المشهورة قرب الجامع الاعظم من تطوان يوم الثلاثاء حادي وعشري شعبان عام 1261. وفي ذلك اصلاح للخطأ الذي جاء في كتاب الاستقصا عن تاريخ وفاته الخ .

ثم تكلمت على العلماء والمؤلفين الذين ترجموا له ونقلت كلام تلميذه العلامة سيدي المهدي ابن سودة المري في كتابه « تحفة الاحباب ، بما لنا من الاشياخ والاصحاب » ثم كلام تلميذه العلامة الخطيب عبد الحفيظ الفاسي في كتابه « تذكرة المحسنين » ثم كلام المؤرخ الفضيلي في كتابه «الدرر البهية » ثم كلام العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه « سلوة الانفاس » ثم كلام تلميذه ابي عبد الله محمد بن العربي الدلائي الرباطي في كتابه « النور اللامع البراق» ونقلت منه رسالتين كنموذج لرسائل المترجم رحمه الله.

ثم اثبت نماذج من حكمه وكلماته، واخرى من شعره وموشحاته ما بين موزون وملحون،ثم تعرضت لكتاب «بغية المشتاق»،تأليف الفقيه عبد القادر الورديغي الشفشاوني، ثم اثبت نصوص اربع رسائل نقلتها من اصولها وقد كتبت ثلاثة منها بخط المترجم ، وقد ارسلها الى اصحابه وتلاميذه بفاس عمرها الله ، وهذه الرسائل لا تزال اصولها محفوظة بفاس لدى عائلة بني سودة الكريمة النبيلة حيى الله كرامها . واولى تلك الرسائل الاربع كتبها الى الفقيه الوزير ابي عبد الله محمد بن ادريس ، وثانيتها الى اصحابه فقراء فاس ، وقد ارسلها باسم الفقيه الفاضل الخيرسيدي محمد بن الطالب ابن سودة، والثالثة اليهم ايضاً وهي بتاريخ 13 رجب عام 1246. والرابعة اليهم ايضاً .

ثم تكلمت على تأسيس زاويته بتطوان والاطوار التي مرت على ذلك ، وقد اثبت نص تحبيس الفقيه السيد عبد الرحمن بن الطاهر تكرت لداره التي بنيت عليها الزاوية الحراقية القائمة الى الآن امام باب المقابر، وتاريخ ذلك التحبيس هو عام 1244. ثم اثبت نصوص تحبيسات ووصايا اخرى ومنها تحبيس الوزير السيد احمد الركينة . ثم تكلمت على الزاوية الحراقية بفاس، وهي مبنية على انقاض دار لعائلة ابن سودة

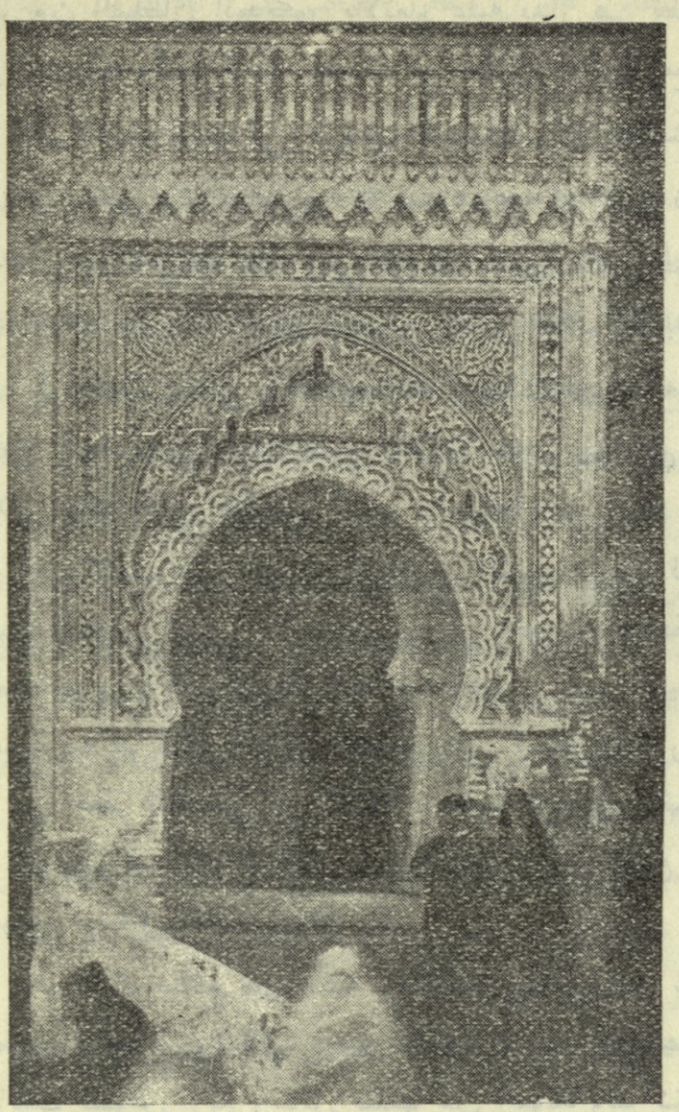

باب الزاوية الحراقية الدرقاويه الواقعة امام باب المقابر من تطوان وفيها ضريح الشيخ سيدي محمد الحراق المتوفى بتطوان في 21 شعبان عام 1261. رحمه الله .

واثبت نص تحبيسها الشرعي وقد بنيت في حياة المترجم عام 1246 .

ثم تكلمت على زاويته بطنجة وقد بنيت في حياته، واثبت نص تحبيسها ايضاً.

ثم ختمت ترجمته باثبات نص رسالة كتبها اليه المجاهد الشهير الشيخ عبد القادر محيي الدين الجزائري رحمه الله .

الفقيه محمد بن المهدي البقال 1261

هذا السيد ترجم له شيخنا الرهوني وذكر انه كان عالما فاضلا مشاركا في علوم الحديث والفقه والنحو والحساب وغير ذلك ، وانه درس على الفقيهين ، القاضي عبد السلام ابن قريش والحاج علي مدينة وغيرهما ، وأنه انتقل من تطوان الى الشرق فتوفي بتركيا عام 1261 . والله اعلم .

الفقيه احمد البياري 1261

هذا السيد من شيوخ الفقيه سيدي مفضل افيلال، وقد وصفه بالعلامة المحقق، وذكر أنه قرأ عليه النحو والتوحيد والفقه والمنطق الخ . .

وكان الفقيه البياري يتعاطى الشهادة في تطوان. وقد وقفت له على عدة شهادات، وكانت وفاته بتطوان عام 1261 رحمه الله .

الفقيه العدل سيدي محمد افيلال 1264

هو الفقيه الموثق نائب القاضي الشريف سيدي محمد بن الهاشمي افيلال . وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه البارع العالم المشارك النحرير الخ . وترجم له ايضا شيخنا الرهوني ووصفه بالعلامة الشريف النزيه الخ.

ولد بتطوان عام 1194 وبها نشأ ودرس ثم انتقل الى فاس ودرس بها ثم عاد الى تطوان واستقر بها مشتغلا بالعدالة والتدريس مع الامامة والخطبة ، وكان ينوب عن بعض القضاة كما وقفت على ذلك في عدة رسوم ، وقد وقفت على كناش كبير كتبه كله بخطه المرونق الجميل وهو كشكول علم وادب وتاريخ ، وقد نقلت مقدمته في الاصل، وكانت وفاة المترجم بتطوان ودفنه خارج باب المقابر منها عام 1264 رحمه الله .

الفقيه عبد الله البوزراتي

هذا السيد ترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالرجل الصالح البركة ، وذكر ان اسمه عبد الله بن محمد البوزراتي ، وانه كان من اكابر اصحاب الشيخ سيدي محمد الحراق ، وانه اخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ، وانه كان يعلم كتاب الله العزيز في المسيد الذي بشارع الساقية الفوقية الخ . .

«قلت» وقد ذكره الشيخ سيدي جعفر الكتاني من جملة اشياخ شيخه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني في الطريقة الشاذلية، ووصفه بالاستاذ العارف، وذكر انه توفي بمصر عام 1268، عن نيف وتسعين عاما رحمه الله .

الفقيه القاضي محمد الجنوي 1271

هو الفقيه القاضي سيدي محمد ابن الفقيه المفتي سيدي محمد ابن الفقيه العلامة الكبير سيدي محمد بن الحسن الجنوي. وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج وذكر انه كان حاملا لراية النوازل قائما بالفتوى وانه ولى قضاء وزان الخ .

وترجم له استاذنا الرهوني وزاد على ما ذكره السكيرج انه ولي قضاء تطوان عام نيف وخمسين ومائتين والف الخ. وكانت وفاته في 11 جمدى الاخيرة عام 1271 رحمه الله .

الفقيه عبد الكريم غيلان 1273

هذا السيد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه الاوحد الخير الاسعد السيد الحاج عبد الكريم بن عبد اللطيف غيلان الخ. وذكر انه كان عارفا بالنوازل والتوثيق وانه كانت له اليد الطولى في ذلك الخ.

وترجم له شيخنا الرهوني وزاد على ذلك انه كان من مشاهير علماء تطوان المعظمين عند الخاصة والعامة، وانه كان على جانب عظيم من التقوى والاستقامة ، وكان يتعاطى حرفة العدالة والفتوى ويؤم ويدرس بجامع القصبة، وكانت وفاته في 24 ربيع النبوي عام 1273 رحمه الله.

الفقيه القاضي محمد الحايك 1273

هو الفقيه القاضي سيدي محمد ابن الفقيه القاضي سيدي عبد الرحمن الحايك ، وقد وصفه معاصره ابو محمد سكيرج بالفقيه العالم العامل الامجد، وذكر انه كان ماهرا في علم التوثيق الخ. وترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالفقيه العلامة النوازلي وذكر انه برع في جميع العلوم وحرر منها المنطوق والمفهوم الخ وانه اشتغل بالعدالة والفتوى والتدريس وتولى القضاء الخ وقد سبق لنا في فصل القضاة انه كان قاضيا بتطوان عام نيف وخمسين ومائتين والف، ثم اخر عن ذلك، ثم تولى مرة ثانية في 12 رجب عام 1271 . وتوفي قاضيا بتاريخ 22 ربيع الاول عام 1273 رحمه الله .

الفقيه محمد غيلان 1276

هو الفقيه العدل المفتي السيد محمد (فتحا) بن احمد غيلان وقد ترجم له معاصره ابو محمد سكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة النحرير المشارك الخ وذكر انه كانت له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية الخ .

وترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالمفتي القاضي وذكر انه كان من اهل الخير والصلاح الخ وكان يتعاطى الفتوى، وقد تولى خطة القضاء بتطوان في 27 جمدى الاخيرة عام 1276 الا ان ولايته لم تطل الا اياما معدودة. وذكر شيخنا الرهوني ان وفاته كانت في نفس العام اي سنة 1276 . والله اعلم .

الفقيه الموقت محمد بريدة 1285

هذا السيد ترجم له استاذنا الرهوني وتكلم عليه في عدة مناسبات ووصفه بانه هو الفقيه الاديب الحيسوبي الميقاتي الرياضي الموسيقي الخ . ابو عبد الله محمد بن الفقيه الاندلسي الملقب بريدة الخ. وذكر ان داره كانت مفتوحة دائماً لالقاء الدروس العلمية، وانه كان موقتا بالجامع الكبير، وانه هو الذي وضع حصة تطوان التي نقحها الفقيه لوقش وبقي العمل بها مدة طويلة .

وكانت وفاته عام نيف وثمانين ومائتين والف، ولعلها سنة 1285. والله اعلم.

الفقيه الورع الطيب اليعقوبي 1287

كان الفقيه الورع سيدي الطيب اليعقوبي من عباد الله الصالحين بتطوان ، وقد ترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالورع الزاهد الناسك العابد العلامة الجامع بين العلم والعمل الخ .

درس بفاس ثم استقر بتطوان وتولى الامامة والخطبة بجامع السويقة الذي أكب فيه على العبادة وتدريس العلم، وقد كان مثالا للرجل العالم الصالح الى ان توفي ليلة السبت 25 شعبان عام 1287. ودفن خارج باب المقابر رحمه الله .

نائب السلطان السيد محمد الخطيب 1288

كان التاجر الوجيه السيد محمد بن عبد الله الخطيب من اعيان تطوان ، وقد اسند اليه السلطان المولى عبد الرحمن وظيف النيابة عنه في مباشرة الشؤون الخارجية للدولة المغربية مع سفراء الاجانب وقناصلهم الذين كانوا يقيمون بمدينة طنجة ، فكان بذلك قائما مقام وزير الخارجية لدولة المغرب . وقد انتهزت فرصة ترجمته في الاصل فكتبت فذلكة عما كانت عليه عادة دولة المغرب في ولاة تطوان وطنجة، وفي مباشرة الشؤون الخارجية للدولة ومقر نواب الدول الاجنبية الخ .

ثم تعرضت للناحية الشخصية للمترجم وبينت انه من عائلة الخطيب التي تعد من انبل واوجه العائلات الشهيرة بتطوان ، وانه كان اولا تاجرا بهذه المدينة وبغيرها وانه عين نائبا للسلطان في طنجة فلبث في وظيفه نحو عشرين سنة ثم اعفي وعاد الى تطوان فاستقر بها مشتغلا بالعبادة والاحسان الى ان توفي ودفن بالزاوية الريسونية في 24 شوال عام 1288 . وكان من خواص اصحاب الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون رحم الله الجميع .

ثم تعرضت لناحيته الرسمية فنقلت ما كتبه عنه معاصره الراهب الفرنسي « ليون كودار » في كتاب له عن المغرب عام 1859م وقد وصفه فيه وصف السياسيين، ثم اثبت نصوص عدد مهم من الوثائق والمستندات الدبلوماسية التي كتبت اليه ولها تعلق بالعلاقات الخارجية بين دولة المغرب والدول الاجنبية ، وبعضها من سلطان المغرب الى المترجم، والبعض الآخر من وزراء الدول الاجنبية او من قناصلها اليه ايضا، وكل واحدة من تلك الوثائق مهمة في موضوعها ، ويطول بنا الحال لو تكلمنا على كل واحدة منها على حدة ، ولمن شاء ان يعرف الكثير عن المترجم ، ان يرجع الى اخبار حرب سنة 1860 م. 1276 هـ.

الفقيه الشريف سيدي المكي ابن عبد الوهاب 1297

هو الفقيه المدرس الشريف البركة سيدي محمد المكي بن المهدي ابن عبد الوهاب الحسني العلمي . وقد ترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالعلامة الدراكة الزاهد الورع الذاكر الخاشع الخ . وذكر انه درس العلوم بتطوان وفاس ، ثم استقر ببلده تطوان وكان ملازما للصلاة والخطبة والتدريس والعبادة بجامع القصبة من هذه المدينة الى ان توفي بها في ثامن ذي القعدة الحرام عام 1297 . ودفن عند ضريح جده الشيخ عبد السلام ابن مشيش في جبل العلم رحمه الله .

« قلت » وقد وقفت على نصوص الاجازات التي كتبها له علماء فاس بخطوطهم عام 1270. وهم الشيوخ البررة ابو العباس احمد المرنيسي ، وابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفيلالي والشيخ الداودي التلمساني، وابو عيسى المهدي بن الطالب بن سودة، وابو حفص عمر بن سودة وقد اثبت في ترجمته بالاصل نصوص اجازاتهم المذكورة له رحمه الله .

الفقيه الوزير محمد الصفار 1298

هو الفقيه المدرس العدل المفتي الوزير السيد محمد بن عبد الله الصفار التطواني، وهو التطواني الوحيد الذي تولى الوزارة مع ثلاثة من سلاطين المغرب ، وهم المولى عبد الرحمن، وابنه سيدي محمد، وابنه مولاي الحسن. وتوفي وهو متقلد وظيف الوزارة رحمه الله .

وقد توسعت في ترجمته التي بلغت صفحاتها في الاصل نحو الخمس عشرة صفحة نقلت فيها ما كتبه عنه شيخنا الرهوني، ثم تكلمت على اشتغاله بالعدالة والتدريس في تطوان، ونقلت ما كتبه عن ذلك معاصره سيدي مفضل افيلال، ثم تكلمت على

قيامه بوظيف الكتابة مع القائد اشعاش حاكم تطوان في ذلك العهد .

ثم تكلمت على التحاقه بخدمة السلطان بفاس بعد نكبة قائده اشعاش، ونقلت عن الاديب محمد غريط وعن القاضي عبد الحفيظ الفاسي، ثم تكلمت على ولايته للوزارة مع ثلاثة سلاطين، ونقلت في هذا الموضوع كلام الناصري في الاستقصا وكلام صاحب الجيش وكلام المدني الصفار واخيه عبد الله ابني المترجم، ثم كلام شيخنا الرهوني.

ثم تكلمت على مشاركته في العلوم ونقلت كلام القاضي عبد الله بن خضراء السلوي في الموضوع .

ثم اثبت من شعره او نظمه قصيدة له في رثاء ابن له، ثم تكلمت على وفاته ومدفنه وانه توفي في تاسع ذي القعدة الحرام عام 1298. ودفن داخل قبة سيدي يوسف بن علي خارج باب اغمات من مدينة مراكش ، وقد وقفت على قبره واثبت في الاصل نص الكتابة المنقوشة فوق ذلك القبر ، ثم اثبت نص ما كتبه عنه الاديب محمد ابن الوزير المفضل غريط في كتابه « فواصل الجمان » ثم اثبت عقبه ما كتبه الفقيه الكاتب السيد عبد الله الصفار (ابن المترجم) تعليقا ونقدا لما كتبه غريط المذكور رحم الله الجميع وبذلك ينتهي الجزء السادس من الاصل .

الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون 1299

هو الشيخ الجليل الشريف النبيل الولي الصالح ، المرشد الناصح ابو محمد سيدي عبد السلام ابن الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون رضى الله عنه .

كان رحمه الله مفخرة تطوان في عصره معرفة بالله تعالى وارشادا لخلقه وتربية لاصحابه بالحال والمقال ، الى علو همة ، وشرف مكانة ، وعلم مفيد ، ورأى سديد ، وحسب ونسب ، واخلاق وادب .

ولد رحمه الله بتطوان، وذكر بعضهم ان ولادته كانت عام 1215. وتربى في حجر والده الشيخ الكبير الذي توفي عام 1229. وتركه في كفالة صديقه وتلميذه المخلص السيد عبد السلام الخمسي .

ودرس رحمه الله القرآن وبعض العلوم في صغره ثم تجرد للعبادة والخلوة بتطوان وغيرها فكان يقطع علاقاته بجميع الخلق فلا يتصل به احد من الناس ليتم انقطاعه لعبادة الله عز وجل حتى كان الناس يقولون انه في حالة جذب ، وقد قام بعدة رحلات الى نواحي مختلفة من بلاد المغرب .

ثم استقر ببلده تطوان سالكا طريق الكتاب والسنة قائما بالهداية والارشاد ، فاجتمع عليه عدد من افاضل الناس لما كانوا يعرفون في والده وفي بيتهم الشريف

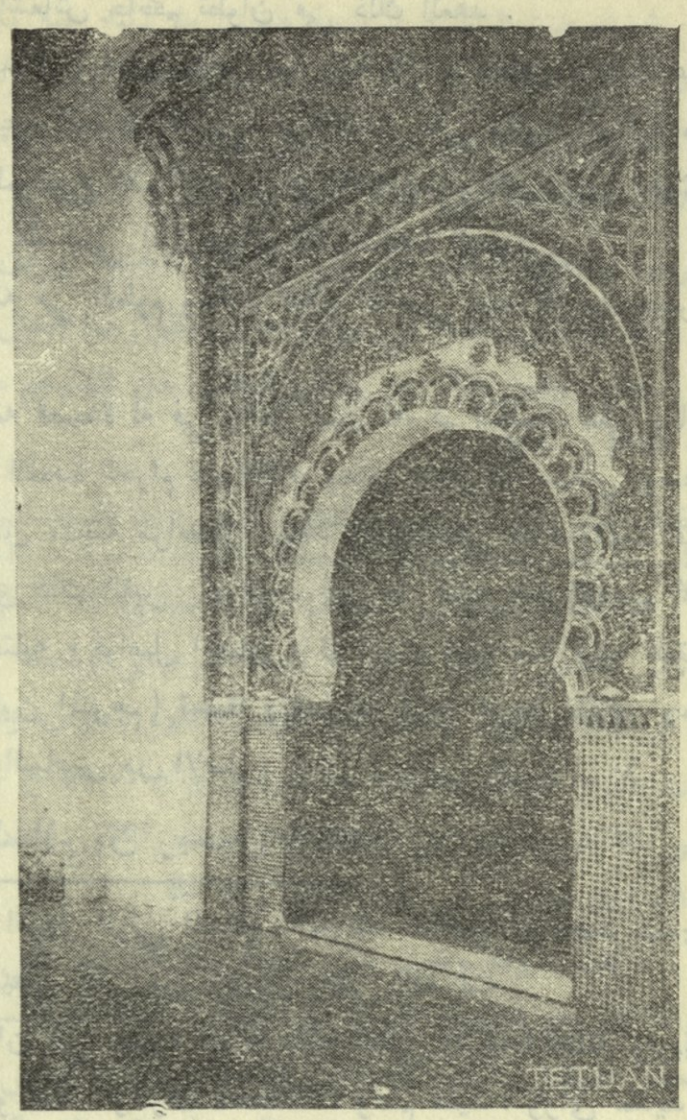

أحد الابواب الثلاثة للزاوية الريسونية بتطوان وهو اقدمها وقد كتب فوقه ما نصه .
كملت هذه الزاوية المباركة عام 1239

من الفضل والولاية ، ولما رأوا فيه هو نفسه من امارات الخير والصلاح، فكان رحمه الله يقابل مختلف الطبقات بالجميل،ويعامل كل فرد بما يناسبه، فهذا يريد العبادة والتوبة الى الله والتقرب اليه سبحانه، فيرشده الى تلاوة القرآن وقراءة الاوراد والصلاة على النبي المختار ، وذاك يريد الدواء الجسماني او الروحاني فيمده بما يريد ويرشده الى ما فيه دواؤه حسا او معنى، وآخر يسترشده في شؤون دنياه فيشير عليه بالرأي الصحيح ويرشده للعمل الصالح ، لا يطلب على عمله اجرا ولا يريد على ارشاده جزاء ولا شكورا ، ويتردد على مجلسه كبار علماء تطوان فيجدون من اقواله واعماله ما يزيده اكبارا في عيونهم، واحتراما في قلوبهم ، ويزوره كبار علماء فاس عند زيارتهم للضريح المشيشي المنور ، فيتبركون به ويتلمذون له ويرون من اخلاقه ومعاملته ما يزداد به لديهم مهابة وجلالا.

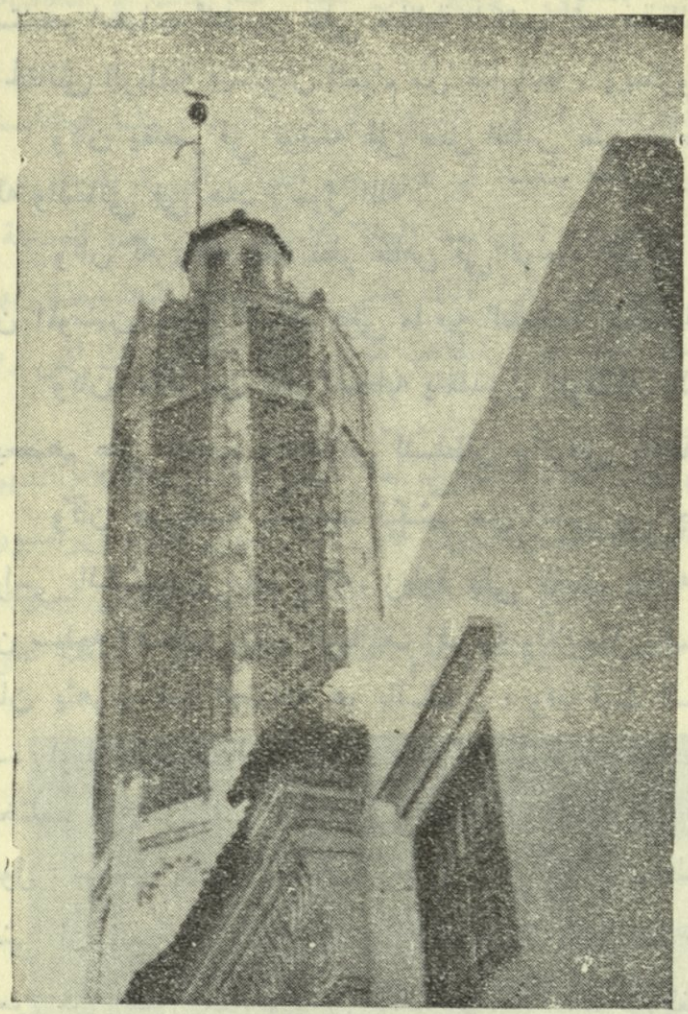

صومعة الزاوية الريسونية بتطوان ، وقد بنيت في القرن الثالث عشر للهجرة .

وقد منحه الله من جمال الذات والصفات ، ومن علو الهمة والزهد فيما في ايدي الناس ، ما جعل الناس على اختلاف طبقاتهم يحبونه ويطبقون على اجلاله كامل الاجلال، ولم تكن له رحمه الله مظاهر بعض شيوخ الطرق الصوفية من اجتماع التلاميذ كلهم لقراءة الاوراد علانية مجتمعين صباحا او مساء ، او اقامة حفلات للذكر والرقص ، او استعمال الطبول والمزامير اثناء الذكر او العبادة ، بل كانت اعماله كلها موافقة للسنة النبوية ، واقفة عند حدودها، فلا ادعاءات ولا تصريحات، ولا اشارات ولا شطحات، وانما كان يلقن الناس افرادا وجماعات، ورد جده سيدي محمد بن علي، وهو مكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله ، فيذكر كل واحد منهم ورده سرا منفردا اينما تيسر له، في دار او مسجد او زاوية .

وكان ينكر على بعض الناس تواكلهم وتركهم لتعاطي اسباب الحياة ، كما كان

يستنكر اكباب ءاخرين على مطالعة الكتب الصوفية التي تتكلم في المعاني السامية والحقائق الربانية فيتشوش العوام من عباراتها ، ويحارون في فهم معانيها واشاراتها.

وكان يقتصر في تربيته على حض الناس على تعاطي اسباب الحياة ، والقيام بعبادة الله والتفاني في حب رسول الله .

وكان له رحمه الله نظر خاص في توحيد قلوب المسلمين على احترام اولي الامر من المومنين، وجمع كلمتهم على ما فيه المصلحة العامة للامة وتعاونهم على البر والتقوى.

وكان عدد من كبار اصحابه يتقلدون الوظائف العالية،فكان يرشدهم لطريق الخير ويحضهم على النصح والاخلاص للسلطان والرفق بالامة وقضاء مصالح المسلمين .

وكان هو نفسه يتوسط لكثير من الناس في جلب الكثير من الخير ، بل كان يواسي الكثيرين منهم بماله، زيادة على نفعهم بجاهه ونفوذه الروحي، الا انه بالرغم من سماحه لاصحابه بتقلد الوظائف المخزنية والاتصال بالسلطان ودائرته للافادة والاستفادة، كان يتهرب من اجتماعه هو بالسلطان ، وقد لبث السلطان مولاي الحسن بن محمد مدة طويلة يرغب في وفادته عليه للاجتماع به، ولكنه كان يعتذر دائما ويتهرب بمختلف الوسائل المشروعة حتى قبضه الله اليه دون ان يجتمع به او يراه ، وكان يقول : سلطان ، من لا شاف سلطان . اي ان السلطان هو الذي لا يرى السلطان، يعني ان الذي لا يتصل بذوي السلطة ولا تكون له بهم علاقة ، هو الذي يكون في مأمن من اكل اموالهم ومن تحكماتهم ، او التعرض لغضبهم واذايتهم . وكانت له رحمه الله يد طولى في علم الطب ، فكان يدرس كتبه العالية ويعرف المفردات وخواصها وفوائدها ويستعملها في مداواة كثير من الامراض استعمالا مبنيا على القواعد العلمية والتجارب العملية .

وكان كثير المطالعة لكتب السيرة النبوية، وتفسير القرءان وقراءة احكامه وعلومه، وكانت له مجالس يعقدها لذلك مع علماء تطوان وفقهائها .

وكان مع ذلك من أئمة علماء الموسيقى فكان يتقن ادوار الموسيقى الاندلسية ويتذوق ألحانها ويجد في انغامها من اللذة الروحية والمتعة الفنية ما لا يدركه كثير من الناس ، وقد حول الكثير من اشعارها العادية الى امداح نبوية شريفة ، وكانت له مجالس موسيقية فنية يندمج في ثأثيراتها ويستغرق في روحانيتها .

وكان له اعتناء بكثير من العلوم والفنون قديمها وحديثها، وتتبع لحوادث العالم الاسلامي، وغيرة كبيرة على الامة الاسلامية ودولها الشرعية،وخصوصا دولة الخلافة الاسلامية.

وكان بعيدا كل البعد عن الدعوى ، ويتبرأ من نسبة الكرامات او المقامات لنفسه .

ولم يغادر رحمه الله بلاد المغرب ، لا الى الشرق ولا الى اوربا ، ولما كانت حرب سنة 1276 هـ. 1860 م. شارك فيها بنفسه ثم هاجر من تطوان الى قرية تازروت من قبيلة بني عروس مقر آبائه واجداده ، ثم بعد الجلاء الاجنبي عن هذه المدينة ، طلب منه السلطان ان يعود اليها وألح عليه في ذلك، فلبى طلبه وعاد اليها وعاش بها في عز وهناء ورفاهية وتمتع بما احل الله، عزيز الجانب موفور الكرامة الى ان لقي ربه راضيا مرضيا .

وبالجملة فانه رحمه الله كان من اكابر الشيوخ، أهل العلم والعمل والصلاح،الذين يقفون مع السنة النبوية في اقوالهم وافعالهم ويسيرون على قدم رسول الله ، ويرشدون الخلق لعبادة الله ، ولعمل الخير ونفع جميع عباد الله ، اولئك الشيوخ الذين لو وجد في كل ناحية واحد منهم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض على المحافظة على

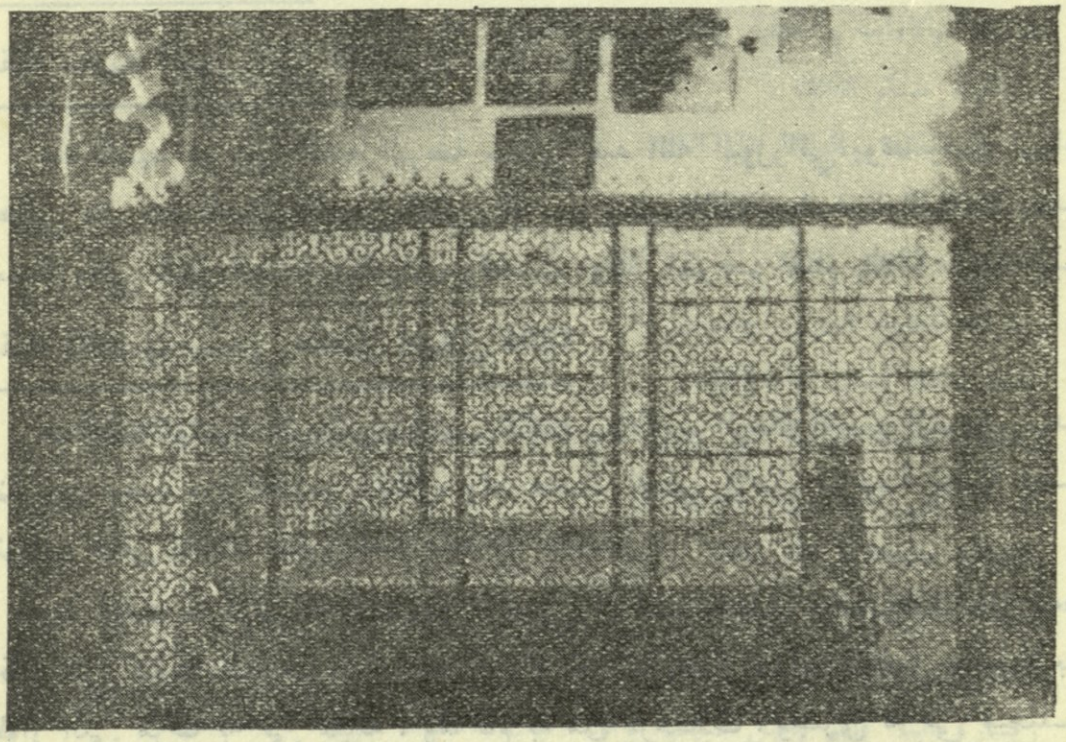

ضريح الشيخ الصالح الشريف الجليل سيدي عبد السلام بن ريسون في الزاوية الريسونية بتطوان. وكانت وفاته بهذه المدينة في 16 شوال عام 1299 رحمه الله.

الدين بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، ويجمع القلوب على محبة اولي الامر من المومنين ، ويبذل النصح لسائر المسلمين ، ويعمل لسعادة الدول الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، لو كان ذلك لكانت الامة الاسلامية بخير وعلى خير .

هذه نبذة حول حياة هذا السيد الجليل ، اما ترجمته الوافية فقد تركت مختلف فصولها ، والاطناب في محتوياتها لاصل هذا الكتاب الذي فيه المجال الواسع للكلام على مختلف اوصافه واحواله ومظاهره ومجالسه وارشاده وتربيته وسياسته العامة والخاصة، مع نصوص بعض مراسلاته والمستندات التاريخية المتعلقة به ، وذكر مشاهير اصحابه وبيان مكانته لدى كبار الامة ووصفهم له ومعاملتهم معه وغير ذلك من متعلقاته رحمه الله ، واما وفاته فكانت بمدينة تطوان ، يوم الخميس سادس عشر شوال الابرك عام 1299. ودفن بعد ظهر يوم الجمعة بضريحه المشهور في الزاوية الريسونية بحومة الصياغين من هذه المدينة حرسها الله .

في القرن الرابع عشر

الفقيه محمد البوزراتي 1303

هذا السيد هو ابن الفقيه البركة سيدي عبد الله البوزراتي، وقد وصفه استاذنا الرهوني بالبركة الصالح الصوفي المنور الخ . . ومن تلاميذه شيخنا العلامة سيدي احمد الزواقي شيخ الجماعة بتطوان، وكانت وفاة المترجم عام 1303 رحمه الله.

الفقيه الاديب سيدي مفضل افيلال 1304

هو الفقيه المشارك المدرس الخطيب الكاتب الاديب الرحالة اللبيب الشريف سيدي مفضل بن محمد بن الهاشمي افيلال، وقد عقدت له في الاصل ترجمة مطولة تعتبر كتويلف خاص به، اذ تجاوز عدد صفحاتها الخمسين .

وقد نقلت ما ترجم له به شيخنا الرهوني ثم قلت ما يلي: «وقد وقفت على بعض الدفاتر التي كتبها المترجم بخطه الحسن واودع فيها بعض انتاجه الادبي وسجل بها الاطوار التي مرت به في حياته ، وما قام به من الرحلات ، وجرى له في مختلف الاعمال والحركات ، مع معلومات وطرائف ، وادبيات ولطائف . وقد استفدت من ذلك فوائد جليلة اثبتها في المحلات المناسبة لها من هذا الكتاب وغيره،ومنها ألخص تاريخ حياته الممتلئة حركة ونشاطا.وقد سلكت فيها مسلك الاطناب ، لانها كنموذج لاطوار طالب العلم بتطوان في حياته العلمية والاجتماعية في ذلك العهد وما يقرب منه ،

وهي لا تخلو من فوائد ونوادر ، زيادة على ما فيها من معرفة للرجال وتصوير لمختلف المشاهد والاحوال، ودراستنا لحياة الافراد، هي في الحقيقة دراسة لحياة الشعب، وهل الشعب الا مجموعة من الافراد .

ويرحم الله سيدي مفضل رحمة واسعة ، فلقد كان نشيطا معتنيا بالكتابة والتاريخ، ولقد ترك لنا بما كتبه في دفاتره ، ما عرفنا منه عن تاريخ حياته وعن احوال عصره وحوادثه ما لم نقف عليه عند غيره ، ولو كان كل طالب علم مثله قد فعل فعله ، لكان تاريخنا حافلا بالاخبار والفوائد، والادبيات والفرائد ، ولكن قبح الله الكسل والاهمال ، فهما آفة رجال العلم والادب والامر لله ».

ثم كتبت عن المترجم فصولا هذه عناوينها :

مولده (عام 1239)

قراءته للعلم بتطوان من عام 1257 «وفيه بيان شيوخه ومقروءاته».

بين تطوان وفاس عام 1260 ـ 1262 .

اشتغاله بالامامة والخطبة والتدريس بتطوان عام 1262 .

سياحته عام 1263 .

بين الفقيه والباشا عام 1263 .

اشتغاله بالتجارة عام 1264 .

وفاة والده عام 1264 .

زيارته للشيخ ابن مشيش .

ختمه لعدة كتب عام 1265 .

رحلته العلمية الثانية الى فاس عام 1266 «وقد بينت شيوخه ومقروءاته بها».

عودته الى تطوان عام 1267 .

اشتغاله بالتجارة عام 1267 .

انتقاله الى وزان عام 1270 .

التدريس والمطالعة مع التجارة .

زيارة ابناء العم بجبل حبيب، وهنا اثبت منظومة هزلية له مطلعها:

خرجت يوم السبت رابع عشر * من المحرم وبت في الدشر

ومنها يصف فندقا في القصر :

وبت فيه والزمان يغدر * في فندق من الكنيف اقذر

والبق والبرغوث فيه اكثر * من النجوم عضها لا يفتر

وقد ختم المنظومة بقوله :

والحمد لله على السلامة * اذ ما على العاشق من ملامة

ثم اثبت نص رسالة بعثها الى صديقه الشريف الاديب سيدي الهادي الصقلي الفاسي عام 1271. مع نص جواب الشريف المذكور الخ .

العدالة والخطبة بالزاوية الريسونية عام 1273 .

سياحته مع السيد عام 1274 .

شعبانة مع السيد عام 1274 .

زيارة سيدي مبارك بسبتة عام 1274 .

نزهة مع السيد على شاطيء البحر عام 1275 .

نزهة في غرسة السيد بكيتان عام 1275 .

من دروسه بالزاوية الريسونية عام 1274 ـ 1275 .

الرحلة الى مكناس لبيعة السلطان عام 1276 .

وقد اثبت في الاصل نص منظومة له في وصف هذه الرحلة من تطوان الى مكناس، وقد وصف فيها رفقاءه ومشاهداتهم ومراحلهم واجتماعهم بالسلطان وحالة المغرب والطريق في ذلك العهد ، مع نكت ودعابة ونقد وسخرية . . .

واول هذه المنظومة قوله :

حمدا لمن قوانا بالاكل على * عدونا الجوع اذا الخبز غلا

وعدد ابياتها نحو مائة وعشرين ، وقد ختمها بقوله :

ومدة الغيبة رمزها كدب * وقد بدا يختال في ثوب الادب

ثم تعرضت لوصفه للحرب بين المغرب واسبانيا عام 1276 ـ 1860 .

هجرته من تطوان الى شفشاون .

رحلاته الكثيرة اثناء سكناه بشفشاون .

الرحلة المراكشية ، وقد وصف من لقيهم واتصل بهم او سمع عنهم اثناء رحلته من رجال العلم والادب والمشيخة، وقرظ بعضهم تقريظا، ونقد بعضهم نقداً تصريحا او تلميحا .

انتقاله من شفشاون للقصر الكبير .

عودته الى بلده تطوان .

شعره ونظمه .

ثم تكلمت على نسبه وزوجاته واولاده الذين لم يبق منهم الآن الا سيدي

الحسن وسيدي مصطفى حفظهما الله . وكانت وفاة سيدي مفضل ودفنه بتطوان خارج باب المقابر منها في ثاني رجب عام 1304 . رحمه الله .

الفقيه القاضي محمد عزيمان 1313

هو الفقيه العلامة المشارك السيد محمد بن علي عزيمان ، وقد نقلت في الاصل ما ترجم له به شيخنا الرهوني ، ثم تكلمت على شيوخه بتطوان وفاس ، وعلى كبار تلاميذه بتطوان، وكانت وفاته ودفنه بها في زاوية سيدي الحاج علي بركة في فاتح رجب عام 1313 . رحمه الله .

الفقيه عبد الكريم المصمودي 1314

هو الفقيه الخير السيد عبد الكريم بن محمد المصمودي ، وقد ترجم له شيخنا الرهوني ووصفه بالفقيه العلامة الولي الصالح الملامتي ، وذكر انه كان من علماء تطوان وعدولها ، وكان من المتعاطين للفتوى والتدريس، وكان ايضا ينوب عن بعض القضاة ، كما تولى حسبة تطوان مدة ، وكانت وفاته في 24 رمضان عام 1314. ودفن بزاوية سيدي علي بركة رحمه الله .

الامين السفير الحاج عبد الكريم بريشة 1315

هو الوجيه الكبير الامين السياسي المحنك الحاج عبد الكريم الحميدي المدعو بريشة. وقد كان من اكابر اعيان تطوان وافاضل رجالها في ميدان الحركة والنشاط والوظائف المخزنية والاضطلاع بالاعمال النافعة والمشروعات المهمة .

ولد رحمه الله بتطوان سنة 1246 . وبها نشأ ودرس ثم تعاطى التجارة بتطوان وفاس وفي الشرق واوربا، ثم انقطع للوظائف المخزنية المهمة من الامانة والسفارات السلطانية وغير ذلك .

وقد توسعت في ترجمته بالاصل توسعا جعل تلك الترجمة تحتوي على نحو مائتي صفحة جلها وثائق صحيحة تصور لنا حياة المترجم ومكانته الاجتماعية وما قام به من اعمال خاصة وعامة، مما يدل على مقدرته وكفاءته، وذكائه ومرونته، وديانته ومروءته، وفيها عدد من الظهائر السلطانية والرسائل الوزيرية وكثير من الرسائل الرسمية المتعلقة بسياسة الدولة المغربية وعلاقاتها ببعض الدول الاوربية ، وبالعلاقات الخاصة للسلطان وكبار رجال الدولة في ذلك العهد ، اي اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، اعني : الرابع عشر للهجرة .

صورة الامين الوجيه السفير السيد الحاج عبد الكريم بريشة التطوانى المتوفى بتطوان في 16 محرم الحرام عام 1315

ومما تعرضت له في هذه الترجمة ، مشاركة المترجم في سفارة السويسي قائد الرباط الى اسبانيا عام 1294. مع بيان مصاريف هذه السفارة وهداياها الخ. ثم تعيينه لفصل الدعاوي الاجنبية بطنجة عام 1295 ، ثم سفارته الى مدريد ومفاوضته مع ساسة اسبانيا ورؤسائها في قضية ارض سانطا كروز وافني بجنوب المغرب الخ.

ثم قضية اختطاف بعض الاسبانين في ناحية تارودانت الخ .

ثم توسعت في الكلام على مؤتمر مدريد للحمايات والامتيازات الاجنبية بالمغرب عام 1297 هـ 1880 م. ذلك المؤتمر الذي مثل الحكومة المغربية فيه النائب السلطاني بطنجة في ذلك العهد، وهو السيد محمد برگاش معززا بالمترجم، كما حضره ممثلو ثلاث عشرة دولة ، وقد اثبت عددا من الوثائق والرسائل المتبادلة في هذا الموضوع بين بريشة والوزير محمد بن العربي بن المختار والحاجب احمد بن موسى والنائب برگاش مع مذكرات تفصيلية عن جلسات هذا المؤتمر ودقائقه والمناقشات الحادة التي دارت

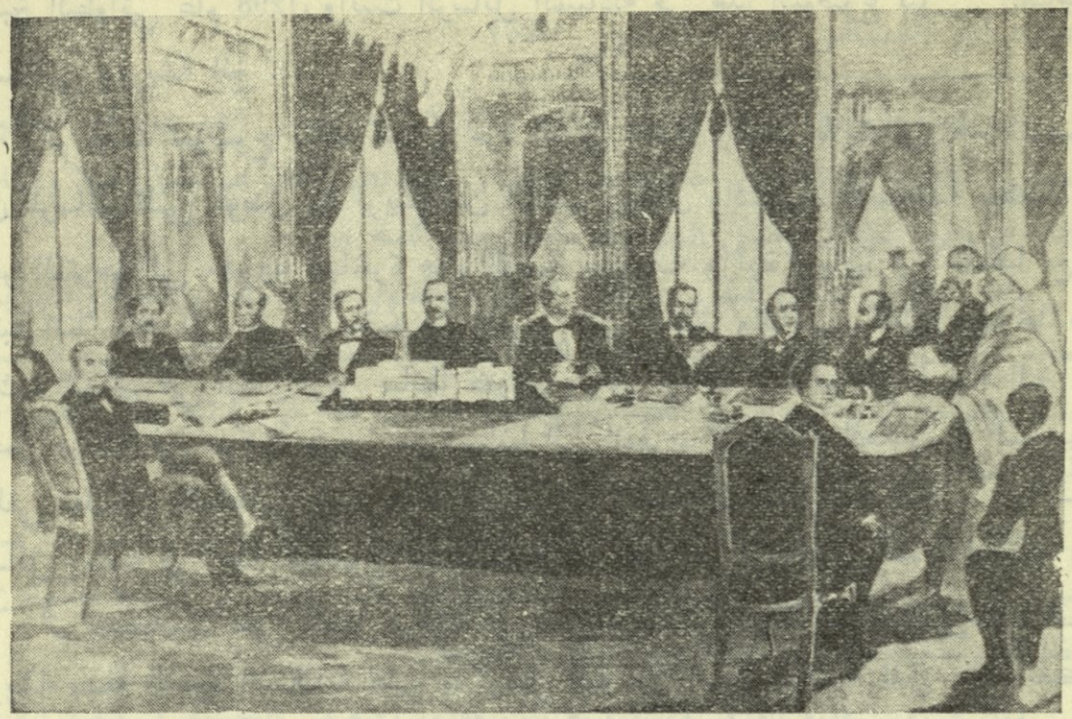

في احدى جلسات مؤتمر مدريد للحمايات الاجنبية بالمغرب عام 1297 هـ 1880 م

وقد مثل المغرب فيه ، النائب السلطاني السيد محمد برگاش الرباطي (ويرى واقفا يخطب لجهة اليمين) وكان معززاً رسمياً بالسفير الامين الحاج عبد الكريم بريشة التطواني .

بين ممثل المغرب وفرنسا وغير ذلك مما لم يعرف جله في اللغة العربية حتى الآن، كما اثبت ايضا النص الرسمي لاتفاق مدريد ، اي العقد الذي امضته الدول المشاركة في هذا المؤتمر. وقد جرى العمل على مقتضى هذا العقد بين الدولة المغربية وتلك الدول منذ ذلك التاريخ . وختمت هذا الموضوع باثبات لائحة مصاريف الوفد المغربي في هذا المؤتمر، ومنها ما دفع على سبيل الرشوة لبعض الاجانب الخ .

ثم تكلمت على قضية ارض سانطا كروز مرة اخرى مع مادار في شأنها عام 1298 ، واثبت نصوص ما يتعلق بها من الرسائل المتبادلة بين السلطان والحاجب وبريشة،ومفاوضة بريشة للسفير الاسباني بطنجة في مبلغ المال الذي يدفعه المغرب لاسبانيا في مقابل تنازلها عن الحق الذي لها في ارض سانطا كروز مع رسائل رسمية متعددة في هذا الموضوع.

ثم تكلمت عن الاماء اللاتي كان السلطان يرسلهن الى تطوان ليتعلمن بها

الطبخ التطواني عام 1298، واثبت الرسائل المتبادلة فى هذا الموضوع بين الحاجب السلطاني وبريشة الخ . .

ثم عدت لموضوع سانطا كروز مرة اخرى 1299. واثبت ما يتعلق بهذا الموضوع من الرسائل التي توصل بها بريشة من النائب بركاش والسفارة الاسبانية بطنجة، ثم سفر المترجم الى مدريد لمباشرة هذه القضية ومفاوضة وزارة اسبانيا في شأنها مع ما كتبه اثناء ذلك الى الوزير محمد بن العربي بن المختار والنائب بركاش، ومما جاء في ذلك : التفكير في ابدال ارض سانطا كروز بارض كبدانه « كابو دي أكوا» الخ . . وحمل بريشة في مركب حربي من اسبانيا الى المغرب لاستشارة الحكومة المغربية وتلقي تعليمات السلطان، ثم ارجاعه الى اسبانيا لاستيناف المفاوضة الخ . . واثبت رسائل رسمية في هذا الموضوع كما اثبت لائحة مصاريف بريشة في هذه الرحلة . .

ثم تكلمت على اتصال بريشة في مدريد بسفير الدولة العثمانية، وإطلاع هذا لبريشة بصفة الاخوة الاسلامية على ما توصل اليه من اسرار سياسية تدل على تفكير بعض الدول الاجنبية في احتلال المغرب وتفاصيل غريبة في الموضوع .

ثم تعرضت للعلاقات بين المغرب وفرنسا وارسال بريشة الى باريس اثناء معرضها العام مصحوبا برسائل رسمية الى وزارتها واتصاله بوزير الخارجية الفرنسية وتصريحاته لبريشة الخ ثم ما يتعلق بالضباط الفرنسيين الذين كانوا بالمغرب وكانت الحكومة المغربية تسعى في التخلص منهم والاستغناء عنهم ، وقد بذلت في سبيل ذلك جهود ، واموال ووعود ، وتبودلت حول ذلك رسائل مختلفة منها رسالة مطولة كتبها سفير فرنسا بالمغرب الى السلطان، وهي رسالة عجيبة اغدق فيها السفير على السلطان من النعوت والالقاب، وابدى من الادب والتواضع والنصيحة والاستعداد حتى لتقديم خدمات غريبة للمغرب الخ شيئا عجيبا.

ثم تكلمت على سفارة المترجم لمدريد عام 1312 . (1895) واثبت عن هذه السفارة رسائل عديدة من السلطان ووزيره الصدر احمد بن موسى ووزير الخارجية مفضل غريط والنائب الطريس والامين التازي، زيادة على رسائل المترجم نفسه . وفي كل ذلك بيانات شافية عن نتائج هذه السفارة وعن العلاقات بين المغرب واسبانيا في ذلك العهد الخ . .

ثم تعرضت لاعمال المترجم في الميدان الاقتصادي، ثم تكلمت على انتهاء حياته واثبت نص وصيته بثلثه المشهور ، وكانت وفاته بتطوان يوم الجمعة 16 محرم عام 1315. رحمه الله .

الفقيه ابو العباس احمد السلاوي 1320

هو الفقيه الوجيه الشيخ الجليل العلامة المشارك ابو العباس احمد بن محمد السلاوي التطواني، كان رحمه الله من اكابر علماء تطوان وافضلهم واكثرهم علما وعملا ونشاطا، فكان هو شيخ تطوان وممثل العلم والوجاهة وعلو الهمة فيها .

وكان يدرس مختلف العلوم ويتعاطى الشهادة والفتوى مع الامامة والخطبة والتدريس بالجامع الاعظم، الى فصاحة لسان، وقوة جنان، وحسن مظهر، وطيب مخبر، وعزة نفس، وحفظ لكرامة العلم بين جميع الطبقات، وكانت له مشاركة في كثير من العلوم، مع امتياز خاص في الفقه ونوازله .

وفي اواسط عمره اسند اليه السلطان قضاء مدينة طنجة فباشر الحكم بها مدة قصيرة ثم رءا وسمع ما لا يرضيه فاعفى نفسه وركب دابته وعاد الى بلده تطوان حفظا لكرامته وكرامة ما يمثله من العلم والشريعة .

وبالرغم من علمه الغزير ومشاركته الواسعة وبراعته في الكتابة، لم يتصد لتاليف كتاب خاص ، الا ان له حواشي وتحقيقات على عدة كتب ، كما ان له فتاوي كثيرة لو جمعت لكانت تاليفا ممتازا ، اذ كان هو المفتي الاول المبرز في مدينة تطوان. وقد ترجم له تلميذه شيخنا الرهوني ووصفه باوصاف جليلة منها انه خاتمة المحققين وتاج المدققين وحامل راية التحقيق وحائز قصب مضمار التدقيق ، والمبرز في علمي الفتوى والتوثيق ، علم الاعلام ، ورئيس حملة الاقلام ، . . . جامع اشتات العلوم ، مبتكر عرائس الفهوم الخ . وذكر انه ولد بتطوان عام 1238. وقرأ القرءان والعلوم بتطوان ثم درس بفاس مدة عاد بعدها الى بلده واشتغل فيها بالتدريس وغيره ثم لما كانت هجرة اهل تطوان في حرب عام 1276 - 1860 . انتقل مع عائلته الى فاس واشتغل فيها بالتدريس ايضا، ثم بعد انفراج الازمة وعودة الحكم الاسلامي الى تطوان، عاد اليها واكب فيها على العبادة ونشر العلم الى ان توفاه الله يوم الجمعة حادي عشر رمضان عام 1320، ودفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة في القوس الوسطي المقابل للداخل الى الزاوية المذكورة من الباب الذي لجهة باب المقابر رحمه الله .

الفقيه ابو عبد الله محمد النجار 1322

هو الفقيه العدل المفتي العالم الفاضل ابو عبد الله محمد بن احمد النجار التطواني، كان رحمه الله من كبار العلماء الاخيار بتطوان، وقد ترجم له تلميذه استاذنا الرهوني ووصفه بانه العلامة المحقق المحصل الدراكة الفهامة الورع الزاهد الناسك العابد الصارف

لعمره فيما يعنيه ، الطيب الاصل والنجار . . . الخ. وذكر انه ولد عام 1236. وانه كان على جانب عظيم من متانة الدين وتحصيل العلوم خصوصا علمي الفقه والحديث الخ. وقد درس بتطوان وفاس ثم استقر ببلده تطوان واشتغل فيها بالتدريس والعدالة والفتوى، كما اشتغل بالتجارة في اثياب الصوفية الوطنية مدة،مع الامامة والخطبة والتدريس بجامع السويقة، فكان رحمه الله احد العلماء الثلاثة الكبار الذين ملأوا تطوان علما وعبادة نحو نصف قرن ، وقد استمر على حالته المرضية من الانقطاع للعلم والعبادة الى ان توفاه الله ليلة فاتح محرم الحرام عام 1322. وعمره ست وثمانون سنة ، ودفن بالزاوية الريسونية خلف ضريح الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون رحم الله الجميع.

النائب السلطاني الحاج محمد الطريس 1326

لقد قلت في مناسبات عدة ما معناه ، ان مقصودنا من كتابة تاريخ تطوان ، هو القيام ببعض ما نشعر به من الواجبات علينا لوطننا المغربي العزيز عموما لا لخصوص مدينة تطوان التي هي مسقط رأسنا، فلذلك مهما وجدنا فرصة لاثبات شيء مهم عن اية ناحية من نواحي التاريخ المغربي وخصوصا مالم ينشر حتى الان ، الا اثبتناه في هذا التاريخ لادنى مناسبة ، إما لفائدته العامة ، واما للموعظة به والاعتبار ، واما اعانة للباحثين في مختلف نواحي الحياة لامتنا المغربية الكريمة .

ومن هذا القبيل، كثير مما اثبتناه بالاصل في ترجمة السياسي المغربي الاداري الحازم السيد الحاج محمد ابن الحاج العربي الطريس الاندلسي التطواني الذي ظل نحو ربع قرن نائبا عن سلطان المغرب في مباشرة الشؤون الخارجية للدولة المغربية، ومقابلة الاشغال السياسية والادارية، وحل المشاكل المتوالية مع نواب الدول الاجنبية، في مدينة طنجة التي كانت مقرا لاولئك النواب . فقد اثبت في هذه الترجمة من الوثائق والمستندات ما يعرف منه كثير من المعلومات عن سياسة الدولة المغربية في الربع الاول من هذا القرن «الرابع عشر للهجرة» وخصوصا عن العلاقات بين المغرب والدول الاجنبية، وكيف كانت معاملة كل من الطرفين للآخر، وفي ذلك مجال واسع للبحث والاستنتاج، وما ظنك بنحو مائتي صفحة تحتوى على نحو مائة وثلاثين وثيقة كلها رسائل وبيانات رسمية نقلا عن اصولها المخطوطة مع مقدماتنا لها او تعليقاتنا عليها الخ.

لقد ابتدأت هذه الترجمة بالكلام على عائلة الطريس الاندلسية النبيلة، وعلى الحاج العربى ثم ابنه الحاج محمد «المترجم» وعلى تعيينه اولا أمينا للمستفاد بمدينة الدار البيضاء، ثم توليته باشوية المدينة المذكورة عام 1296 . ثم تحويله في اوائل سنة 1301 . الى

صورة النائب السلطانى
الامين الوجيه السيد
الحاج محمد بن العربى
الطريس التطواني المتوفى
بطنجة ليلة 16 شعبان
عام 1326

مدينة طنجة لمباشرة شؤون الدولة الخارجية الى جانب النائب الوجيه السياسي المحنك السيد محمد بركاش الرباطى الذى كان فى ذلك العهد محتاجا الى شيء من الراحة لتقدمه في السن. ثم تكلمت على اسناد وظيف النيابة السلطانية الى الطريس نهائيا، وانه ظل قائما بذلك الوظيف الى ان توفاه الله.

وقد اثبت اثناء هذه الترجمة عشرات من الرسائل الرسمية الصادرة الى الطريس من السلطان مولاى الحسن، ومن نجله السلطان المولى عبد العزيز، ومن عدد من الوزراء والحجاب والامناء واعيان الدولة ووجهاء الامة، ومن قواد مختلف مدن المغرب وقبائله، مع مراسلات عدد من وزراء الدول الاجنبية وقناصلها ما بين اوربيين واميركيين، ومن كثير من تلك الرسائل يعرف ما كان بين دولة المغرب ومختلف الدول الاجنبية من صداقة ووداد، ومعاكسة وخلاف، كما يعرف عدد من المشاكل التي كانت تحدث بين المغرب والاجانب ومن في حمايتهم من اهل المغرب، وكيف كانت تعرض

تلك المشاكل وكيف تحل طوعا او كرها ، حقا او باطلا ، ومن ذلك ما كان للامتيازات الاجنبية في المغرب من تحكم في الدولة المغربية وحكامها الخ .

ومن ذلك رسائل رسمية من مغاربة مصر الى سلطان المغرب ، ورسائل عن مجلس النيابة السلطانية بطنجة ونظام عمله واسماء اعضائه ومرتباتهم الخ .

وعن المسائل التي يتفاوض فيها بعض سفراء الدولة المغربية لدى بعض الدول الاجنبية مع بيان وجهة النظر المغربي في كيفية حلها الخ .

وعن حركات القوات المخزنية لقبائل الريف الخ . وعن مشاركة المغرب في نفقات السكة الحديدية الحجازية، وعن المعاهدة المتعلقة بالمغرب ومصر بين فرنسا وانجلترا سنة 1904 الخ. والاتفاق المبرم بين فرنسا والمانيا حول المغرب سنة 1911 الخ.

وعن بعض لوائح المحميين بالاجانب في المغرب الخ .

وعن سفارة النائب الطريس الى الفاتيكان الخ.

وسفارة ابنه الحاج احمد الى اسبانيا لتتويج ملكها الفونسو الثالث عشر الخ .

ولم اتمكن من جمع محتويات هذه الترجمة الا بعد ان لبثت بضعة اشهر اتصفح مجموعة الوثائق الطريسية الرسمية المحتوية على ما يزيد على مائة وخمسين محفظة ذكروا ان فيها ما يزيد على عشرين الف وثيقة،فيها طبعا ما هو غث وما هو سمين، زيادة على ما اتحفني به صديقنا ورفيقنا المجاهد المخلص نابغة تطوان الاستاذ عبد الخالق الطريس « حفيد المترجم » حفظه الله .

لقد خدم الحاج محمد الطريس رحمه الله دولة المغرب وامته باخلاص تام ونزاهة نادرة المثال، في وقت هو اصعب فترة مرت على المغرب في تاريخه السياسي من حيث العلاقات الدولية وتكالب الاستعماريين واصحاب المصالح الخاصة على الدولة المغربية المنهوكة القوى، المشرفة على الاحتضار بسبب العوامل المختلفة، والمعاول الهدامة التي كانت تهد كيانها من الداخل والخارج والامر لله ، ولكن الطريس قد استطاع ان يسير اعمال دولته بترتيب ونظام واخلاص ومرونة جعلت جل القضايا التي باشرها تنتهي بأمان وسلام.

كانت وفاة المرحوم الحاج محمد الطريس قدس الله روحه بمدينة طنجة،ليلة سادس عشر شعبان عام 1326. ودفن بزاوية صالحها الشهير سيدي محمد الحاج رحمه الله.

تنبيه : هذا وان عددا من الرجال الذين كانت لهم مكانة بتطوان، لم اثبت تراجمهم هنا، لاني الى الآن لم تتوفر لدي المعلومات الصحيحة الكافية التي تبنى عليها تراجمهم، وان يسر الله تلك المعلومات فاني اثبت تراجمهم في الاصل بحول الله. وبهذه المناسبة اثبت هنا ان كتاب « تاريخ تطوان » الذي هو اصل هذا المختصر ، وان كان جله تام التاليف لان ما كتب منه حتى الآن كما قلت في اوله، يبلغ ثمان مجلدات في نحو اربعة آلاف صفحة ، الا ان فيه عدة فصول وتراجم ما تزال تحت البحث او التأليف قابلة للزيادة او التنقيح ، والكمال انما هو لله وحده سبحانه .

الفصل السابع

عائلات تطوان

كان هذا الموضوع في اول الامر « وما زال » فصلا من الفصول العادية في اصل هذا الكتاب ، ثم بدا لي ان اتوسع فيه فجعلته تأليفا مستقلا مطولا اخرجت منه حتى الآن نحو ستمائة صفحة، واقدر انه سيخرج في نحو الف وخمسمائة صفحة والله اعلم .

وسأقتصر في هذا المختصر على اثبات لائحة فيها اسماء ما يزيد على الف ومائتي عائلة من العائلات التطوانية ، هي التي تكلمت عليها باختصار في اصل هذا الكتاب ، وباسهاب في التاليف الخاص بها وهو الذي سميته «عائلات تطوان» ارجو الله ان يعينني على اكماله . ودونك اللائحة المذكورة :

الالف

الاسماء المبدوءة بابو او ابي او ابن - سواء كانت بالف او بدون الف « كلها جعلت في حرف الباء - (بو) او (بن)

ابطيو	اهباط	احمام	امطوط
ابعير	اهرار	احراث	امطماط
ابقيو	ازكّط	الاحرش	امقشر
ابريل	الازرق	اطوبي	امسنو
ابري	احجاو	ايوب	امغار
اجايز	احدادو	الايسر	امغارة
اجانه	احديد	اكدور	امغني
اجبار	احيار	اكومي	الاندلسي
اجزول	احكام	اكندوز	انوار
اجزناي	احكّان	امزاع	انكّاي
اجليان	احنصال	امحلي	انقار
الادريسي	احماد	اميال	اصط محمد

اصريح	اقلعي	اسماعيل	اغدار
افزاز	اقنين	اسنوس	اغطاس
افيلال	اقصير	اخديم	اغربي
افلاق	اقريش	اخطاب	اشماخ
افلاذ	اقشار	اخماج	اشعاش
افراط	اركاز	اخروف	الاشقر
افروخ	اسويق	اخريف	اشرقي

الباء

الكلمات المبدوءة بابن ، كلها جعلناها في هذا الحرف ، لا فرق في ذلك بين ما يكتب بالالف - ابن - وبين ما يكتب منها بدون الف (بن) وكذلك الكلمات المبدوءة بأبي او ابو

الباجي	البجوقي	بوحرمة	بوعنان
باجدي	بجة	البوطي	البوعناني
البادسي	البهجة	بويزم	بوعروق
الباهي	بوجبيرة	بوينو	بوعسل
البازي	بوجمعة	البويرطو	بوفراح
بازينة	بوجنة	بوكوارع	بوضربة
بايص	بودرهم	بوكر	بوقلين
البابنية	بودرة	بولبن	بوراس
بايسف	بوهاني	البولو	بوردان
الباكوري	بوهلال	بوللليف	بورط
البانزي	بوزبع	بولعيش	بورڭيعة
باعيسى	البوزراتي	بولعيد	بوسجادة (بوسداجة)
باسعيد	بوزيد	بومعزة	بوسلهام
باغوز	بوزكري	بوعزيز	بوسنان
البجاوي	بوحافه	بوعياد	بوتبان
البداودي	بوحديد	بوعلي	بوتفاح
البدرى	بوحراث	بوعمامة	بوخبزة

بوخرص	بنونة	بن زلوط	بن يعيش
بوخن	بنيس	بن الحاج	بن يوسف(بن يسف)
بوغالب	بنص	بن حبيب	بن كيكي
بوشمايم	بنضوصة	بن الحبيب	بن كيران
بوشتة	بن الابار	بن الحبشي	بن كعيرو
البحر	بن ابراهيم	بن الحداد	بن كسوبة
البحري	بن ابى بكر	بن حيون	بن لامين
البطاوري	بن ادريس	بن حليمة	بن مهدي
البطيوي	بن الازرق	بن حمامة	بن موسى
البياري	بن الاحمر	بن حمو	بن المليح
بيوط	بن الاحدب	بن حمزة	بن مصباح
البيطار	بن الاخضر	بن حنينة	بن مفضل
بيلين	بن الاشهب	بن حقة	بن مفتي
بيصة	بن جامع	بن حرازم	بن منصور
بيرة	بن جلون	بن حراث	بن مرزوق
البكرى	بن جليقة	بن حساين	بن مخوت
بكور	بن جعفر	بن الحسين	بن ناجي
البكورى	بن البشير	بن الحسن	بن الناس
بلاشكو	بن داود	بن الطالب	بن نعيم
البلهوان	بن الدايز	بن طاهر	بن الصادق
البلوري	بن دباغ	بن طلحة	بن صالح
بليون	بن دهاق	بن طمبور	بن صبيح
بنبيدس	بن دبية	بن طريقة	بن الصديق
بليوة	بن ديهاج	بن يامون	بن صويلة
البلنسيانو	بن الهاشمى	بن ياسين	بن صيام
بلنجينة	بن هيمة	بن يونس	بن العالي
البناي	بن زريق	بن يدر	بن عامر
البناينو	بن زاير	بن يحيى	بن عبد الله
بنية	بن زاكور	بن يعلى	بن عبد الوهاب
بنانى	بن زكري	بن يعقوب	بن عبد اللطلف

بن عبد السلام	بن فضيل	بن تدة	البرد
بن عبود	بن فريحة	بن تمه	البردعي
بن عبد الرحيم	بن ضنادو	بن ثابت	برهون
بن عبد الحق	بن قاسم	بن خلو	البروة
بن عبد البر	بن القات	بن خلخال	البروبي
بن عبد المومن	بن قطيب(بن قضيب)	بن الغازي	بروحو
بن عجيبة	بن قلو	بن الغالي	البروك
بن عبو	بن قل	بن ظنو	برطيل
بن عجالة	بن قريش	بن شاشة	البريبري
بن عدي	بن راحة	بن شطاب	بريدة
بن عودة	بن رابح	بن شطاح	بريهمو
بن عزوز	بن الرايس	بن شقرون	بريطل
بن عطية	بن رحمون	بن شخطير	بريرو
بن عياد	بن رحو	البعزة	بريرش
بن عيسى	بن ريسون	البقالي	بريشة
بن علال	بن ركيطة	بقاق	بركة
بن علي	بن رقاد	البقاش	بركيطة
بن عليل	بن رعدي	البقولي	برگاش
بن عمر	بن سالم	البقيقي	البرميجو
بن عمرو	بن سلام	برادة	البرني
بن عنگاص	بن سلطان	براطيل	برنجينة
بن العربي	بن سليمان	البراني	برغوث
بن عرضون	بن سلمون	البراق	البرنوسي
بن عثمان	بن سعيد	البربرو	بخات
بن فارس	بن سفاج	بربيلية	البغدادي
بن فاضل	بن تاويت	البرجي	البشاري

الجيم

الاسماء التي تبدأ بحرف الجيم وينطق بجيمها معقودة كالجيم المصرية، كلها جعلناها في حرف الكاف المعقودة ، وهي مذكورة بعد الكاف العادية

جابر	الجباري	الجبلي	جبينو
الجاسوس	جبور	الجبيلي	جويد

الجزولي
الجزيري
الجحرة
الجطي
الجيار
الجيلاني
الجمال
الجمي
الجمعي
الجندي
الجنوي
الجَنّوني
جنينو
الجعباق
الجعيدي
جقلي (جقليل)
الجربي
الجشري

الدال

دادون
الداهية
داود
الدايز
الدايري (الديري)
الدباغ
الدبدوبي
الدهبى (الذهبي)
الدهري
الدوالي
الدواس
الدودار
الدوشة
الديب (الذيب)
الديماني
الدحمان
الدحروش
الدويب (الذويب)
الدكالي
الدليرو
الدمنى
الدنهاجي
الدنيا
الدنكوري
الدعل
دعنون
الدفوف
الدراوي
الدربون
درجاج
الدردابي (الدردب)
الدريدب
الدريج
الدسولي
الدغالي
دغداغ

الهاء

الهاني
الهبطي
الهجام
الهداجي
الهواري
الهوى
هويدر
الهياط
هيدور
هيسور
الهيشو
هيشور
هلال
الهلوبي
الهليلي
الهنداز
الهراوي
الهراس
الهروال
هرون
الهرموش
هرندو

الواو

وانه
الوافي
الوارث
الواته
الودايي
الودراسي
الوزاني
الوزير
ويدان
الولانتي
الوليدي
الوراد
الوراكلي
الورديغي
ورزوق
الورياغلي
الورزيزي
ورتطيد

الزاي

الزابط
زبيدة
الزبير
الزواوي
الزواق
الزواغي
الزوجال
زوزيو
الزوير
زيان
الزياتي
زيدان
الزيدي
زيوان
الزيلاشي
الزيراري
الزيمون
زيتون
الزكاري
الزكموط
الزكامي
الزكاري
الزكيك

زكري
الزكري
الزلال
الزموري
زميزم
الزناكي
الزنيدي
زنيبر
الزفري
زقيق
الزراد
الزرايقي
الزرهوني
الزروالي
زروق
زريدة
الزرقو
زرقيق
الزغاري

الحاء

الحاج
الحايك
حبيبي
حجاج
الحجازي
الحجام
حجي
الحداد
حدادو
الحداوي
الحوات
الحوزي
حويك (بركيطة)
الحزيمري
الحطاب
حيوح
حيون
الحيزولي
الحيش
الحلاج
الحلبي
الحلو
الحلوي
حلحول
حلتوت
الحلفاوي
حمادي
حمالة
حمالتو
الحمامي
حمامو
حماموش
الحمار
حمدون
الحمود
حمودة
حميدة
حميمد
حنانا
الحنديسي
حنيفة
حنصال (الحنصالي)
الحنفي
الحصار
الحفاف
الحفحاف
الحضري
حرادة
الحرايقي
الحراق
الحرار
الحراري
الحرطيطي
حريق
الحركي
الحرشي
الحرشني
الحرفوش
الحساني
حسون
حسين
حسينو
الحسيسن
الحسكي
حسن
الحشلاف

الطاء

الطاوس
طاكوك
الطالب
طانية
الطبيسب
الطبايرى
طبجينة
الطوب
الطوبي
الطويل
الطويلب
الطحطاح
الطيفورى
طلى
الطنان
طمطومه
طنانه
الطنجي
الطنيبر
الطنيطن
الطقطاق
الطرابلسي
الطرجمان
الطريس
الطرمو

الياء

اليازغى
يدر
اليدري
يونس
اليوسفي (اليسفي)
يزم
اليزميري
يوسف
اليحمدي
اليماني
يعلى
اليعقوبي
يعقوب
يرفس

الكاف

الكامل
الكواش
الكحاك
الكحيلي (الكحايلي)
الكحلون
كحليس
الكيتاني
الكمالي
الكميلي
كميشة
كموشه
الكراسي
كرازو
كريش
كريكش
كركيش
كركماضا
الكرسي
الكتامي
كريمص

الثاف

الكارح
الكويرح
الكطاطي
الكميلي
كنون
الكنياري
الكرفطي
كسوس
الكرماز

اللام

لسب
اللبادي
اللباط
لبارش
لوباريز
اللبوع
اللبوري
اللهواج
اللواجري
اللواح
اللوه
اللوزي
لوقش
اللوشي
اللحياني
اللحلاح
ليون
الليريني
ليسر
الليتي
اللماغي
اللمين
اللقنتي
اللقوطي
اللرشي
اللغزاري
اللخلاخ
اللخيلاخ
اللغميش
لشقر

الميم

ماوان
مايو
مازوز
مامي
مارين (مرين)
ماشان
مبيركو
المجاجي
المجاهد
المجاوي
المجعوف
المجذوب
المجذوبي
المدوري
المدور
مدينة
مديرة
المدني
مهدي
المهلالي (الغنمية)
المواج
الموحدي
مومن
مولود
الموفق
المؤذن
المزالي
مزازو
المزيون
مزواق
مزواغ
المزيان
المزياتي
المزيلي
مزكط
المزميزي
مزراع
مزروع
المحجور
المحافي
المحرك
محيي الدين
محفوظ
محرش
مطريش
مطراش
المطرون
ميارة
مكوار
المكناسي
المكروز
ملاطو (مولاطو)
الملالي
ملوك
المليح
المليحي
ملينة
ملضنادو
منديس
المنون
المنزه
منطورو
منطميور
منطميو
المنك
المنيالي

المنكالي
المنصوري
المنصور
المنير
منضوصة
المنظري
مصباح
المصباحي
المصوري
مصطفى
المصمودي
المصيمدي
المعوق
معلي
معمر
مفضل
مفتاح
المضيغري
المقدار
المقفلجي
مقشر
مقوق
المرابط
مراريش
مربلية
المرون
المروش
مرزبيل
المريبطو
المريني
المريبح
المرير
المرنيسي

مرسو
مرسيه
مرتيل
مرشينة
مرشك
مساهل
المسال
المساري
المسوس
المسطاسي
المسيندي
المسفيوي
مسقال (مصقال)
مسقلال (مصقلال)
المستغانمي
المتيجي
المتيوي
المثني
مخيلص
المذبوحي
المذكوري
مغارة (امغارة)
المغنج
المغربي
المشاش
مشاشو
مشوح (اللبادي)
مشكاكر
المشقري
مشكطو
مشحيدان
مشلاح

النون

ناجي
النادي
ناصح
الناصر
النبخوت (بن مخوت)
النجار
النوينو
النحور
النيار (مديرة)
النفار
النقسيس
النشار
النشناش

الصاد

الصابري
صالح
الصالحي
صالص
الصباولجي
الصبايحي
الصبان
الصباغ
صويلح
الصحاف
صيور
الصطاش (السطاش)
الصيد
الصلعي
صيدون
صلدور

الصمار (السمار)
صمعان
الصنهاجي
الصعيدي
الصفار
الصفريوي
الصردو
الصروخ
الصغير

العين

عايشة
عالية
العاقل
عامر
العامري
عاشر
عاشور
عباد
العباس
عبد النبي
عبو
العبودي
عبيس
العبري
العجان
عجولو
العدي
عدة
العدوي
العوني
العوفي
العز

عزيمان
عزوز
العزوني
العزيفي
العزيري
العزري
العطار
العطاش
العطيطر
عطية
عطمون
عطرو
عياد
العياط
العياشي
عيسى
العلج
العلوي (بفتح اللام)
العلوي (بسكون اللام)
العلمي
علول
علوش
عمور
عمير
عمران
العمراني
العمري
العميري
العمرتي (العمارتى)
العنابي
العنب
عنيظز
العنتري
العصافري

العفاني
العفاق
العفاقي
العقباني
العرايشي
العربي
العرود
العروسي
عريبو
عسيلة
العسراوي
عثمان
عذر
العشاب

الفاء

الفاسي
فارس
فدريكو
فونطش
الفويسي
الفزاري
الفزكاري
الفحام
الفحل
الفحصي
الفيلالي
الفلو
فلول
فلون
الفناسي
الفصاد
الفضلي

الفقاي
فرج
الفردال
الفرطاخ
فرطوط
فريحة
فريفر
فريخ
فرنشو
فرتلة
فتيتح
الفرشم
الفتوح
فتيح
الفخار
فشور

الضاد

الضغضاغ (الدغداغ)

القاف

القادري
القارب
قارة
القاسمي
القبري
قبريرة
قجاوج
قجان
القجاني
قجيجو
القواس
القويطي

قزمان
القزميري
القطان
القيطبون
القيقلان
القيروواني
القيسي
قليلو
قلينه
القلين
القلفاط
قمرين
قمريل
القناوي
القنايشي
القناقي
قنديلة
القنقار
قنشة
القصري
القصيبي
القصيري
القمر
قروق
قريبان
قردناش
القرطبي
قرير
قريون
القرفي
القسادري
قسوطه
القسنطيني
القسطال

قشوشو
قشطليو
القش
القشنير
القشقاش

الراء

الرايس
الرامون
الراعي
الرافعي
راغون
الرباج
الرباح
الرباحي
الربودي
الربيع
الردام
الرهوني
الرواس (ص)
الرويز
الرويفي
الروكش
الروصي
رزوق
الرزيني
الرحموني
الرطل
الرينة
رحو
الريسوني (ابن ريسون)
الرك
الركينة
الركيك
الركراكي
الرماز
رمضان (رمطان)
الرموز
الرميز
الراميرس
الرند
الرندي
الرندة
الرفاس
الرضندو
الرقيواق
الرثوث
الرخامي
الروسي
الرشاي
الروشو

السين

السالمي
سباطه
السبيع
السبتي
سويحل
سوسان
السطاش
السوسي
السوري
السحراوي
السكيرج
السكوري
السكندراني
السلاوي
سلامة
السلاسي
السلماني
سلمون
السمعاني
السمار
السنوسي
السعالي
السعود
سعود
السعيدي
السفاج
السفياني
السقا
السراج
السرايري
سرانو
السردور
سرحان
السخيري

التاء

التازي
التبين
التواتي
التومي
التوزاني
التوزيني
التونسي
التيال
تكرت
التليدي
التلمساني
تليو
تميم
التملي
التمسماني
تناسه (تانسة)
التقال
التريوس
الترغي
التسولي
التغصي

الثاء

الثعالبي

الخاء

الخالدي
الخاوة
الخباز
خديم
خويـة
الخبيزي
الخزناجي
خطاب
الخطيب
الخياط
خيرون
الخلطي
الخيروني
الخلادي
الخلاص
الخليعي

خليفة
الخمال
خمليش
خمصان
الخمري
الخمسي
الخندقجي
الخنوس
الخنفري
خنسوس
الخنشوف
الخراز
الخراشف
الخرباش
الخروبي
خروف
الخريم
خريف
الخريرز
خرخور
الخشين

الذال

الذهبى
الذويب
الذيب
ذيبو

الظاء

الظريف
ولا نعرف فى تطوان عائلة اخرى يبتدئ اسمها بحرف الظاء

الغين

الغازى
غانم
غبالو
غباشه
الغبرة
غجو
غدان
غدو
الغوات
الغزاوي
الغزواني
غطيس
الغياثي
غيلان
الغيضة
غليب
غلايب
الغماد
الغماط
الغماري
غنام
غنبازو
الغندور
الغنمية
الغفياني
الغرب
غرسية
الغرسة
الغرناطي
الغرندي
الغريش
الغروش
الغريب
غريسو

الشين

شابو
شابس
الشاوش
الشايب
الشاط
الشاعر
شارية
الشارف
شاقور
الشبلي
الشبنيالو
شهبون
الشواطي
الشودري
الشويطي
الشويخ
شويقر
الشويشر
شورية
الشولو
الشحمي
الشحيت
الشوري
شحرود
شطير
الشيبو
الشيني
الشيخ
شكورة
شلال
الشلاف
شلباطه
الشلي
شليش
الشليشي
شملـه
شمرة
الشمشام
الشنادي
الشناك
شنـدير
شنـه
الشعايري
الشعشوع
الشفي
الشفشاوني
شقارة
شقور
الشقور
الشراوي
شرانو
الشربي
الشرقاوي
الشرقي
شريان
الشريب
الشريف
الشركي
الشريط
الشرتي
الشخشون
ششو

هذا ما وقفت عليه حتى الآن من اسماء العائلات التى سكنت تطوان قديما او تسكنها في عصرنا هذا ، ومنها عائلات كثيرة قد انقرضت والبقاء لله .

ويلاحظ ان هذه اللائحة غير مستوعبة لجميع العائلات التى سكنت او تسكن هذه المدينة ، اذ اننى ما زلت اعثر من حين لآخر على اسماء عائلات كنت اجهل وجودها هنا فى القديم او الحديث ، وقلما يمر شهر دون ان اعثر على شيء من ذلك . والمرجع هو اصل هذا الكتاب ، هيأ الله الاسباب لطبعه بمنه وكرمه سبحانه.

الختام

وبهذا ينتهي هذا المختصر الذي اختمه بما جاء في اول مختصر الشيخ خليل الفقيه المصرى حيث قال : « وأسأل بلسان التضرع والخشوع ، وخطاب التذلل والخضوع، - ولكن لخصوص اهل العلم الصحيح والمعرفة والانصاف - ان ينظر بعين الرضى والصواب ، فما كان من نقص كملوه ، ومن خطإ اصلحوه ، فقلما يخلص منصف من الهفوات ، أو ينجو مؤلف من العثرات » .

وكان الفراغ من اختصاره في شهر الله المحرم الحرام عام 1373 . موافق اكتوبر سنة 1953 .

وكتبه مؤلفه عبيد الله تعلى محمد بن احمد داود الاندلسي الغرناطي، المغربي التطواني ، وفقه الله لصالح الاعمال ، وختم له بخير الاقوال ، آمين.

والحمد لله رب العلمين .

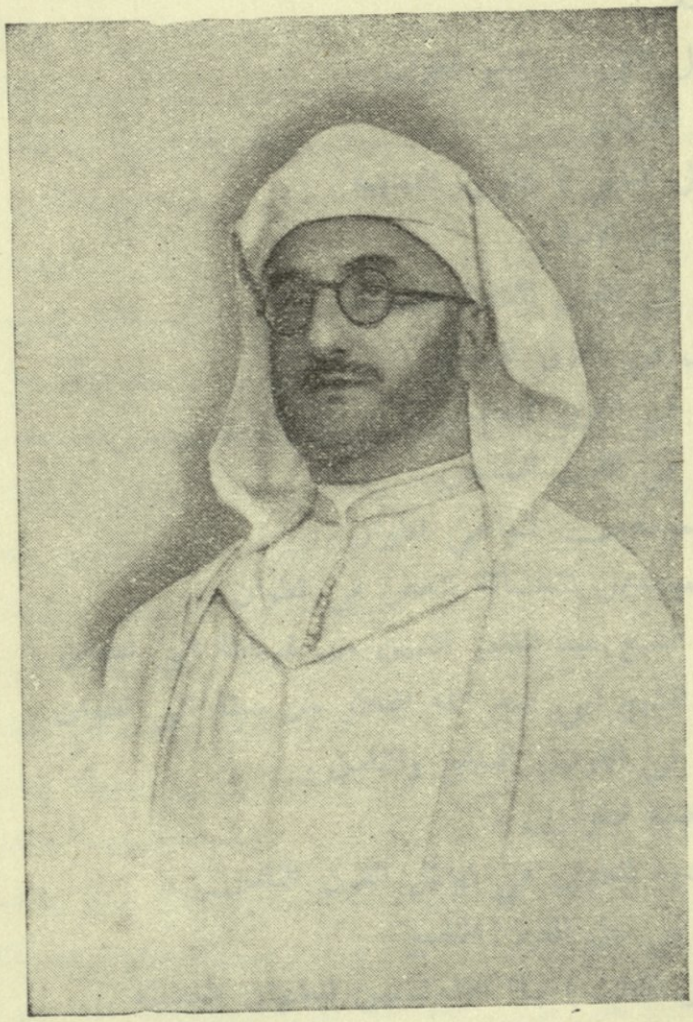

صورة مؤلف هذا الكتاب محمد بن احمد داود
المولود بمدينة تطوان ليلة يوم الاثنين 12
حجة عام 1318 موافق فاتح ابريل سنة 1901.

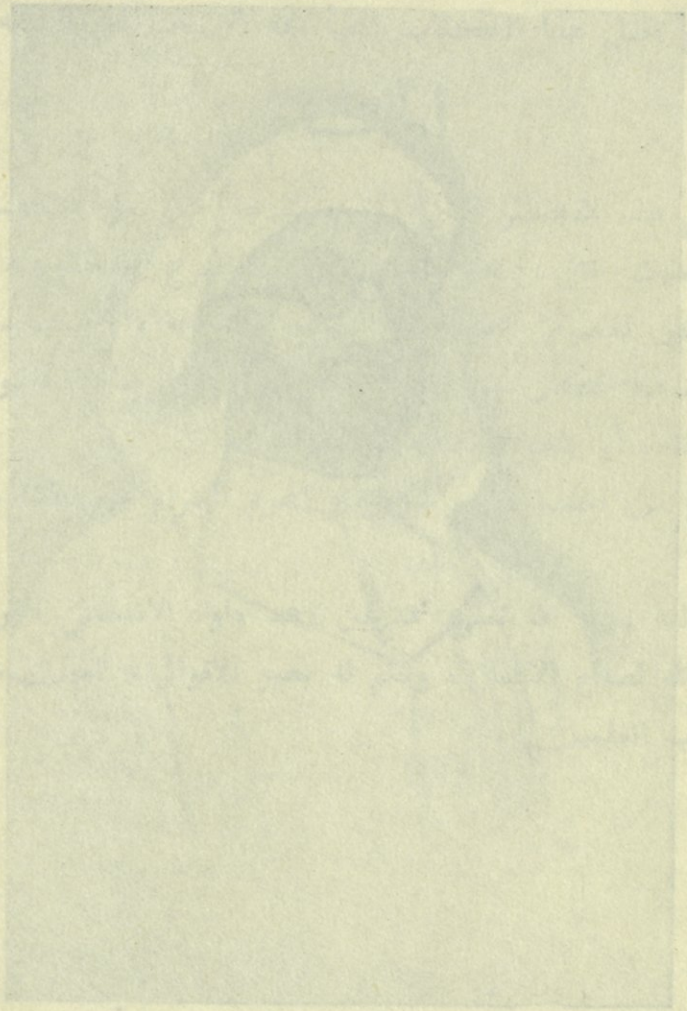

فهرس تفصيلي لمختصر تاريخ تطوان

صفحة

اهداء الكتاب .
« كلمة تعريف » للاستاذ كنون مدير معهد مولاي الحسن .
المقدمة .
1 (الفصل الاول) - اسم تطوان .
3 وضعية تطوان .
6 (الفصل الثاني) تطوان القديمة .
6 تطوان قبل الاسلام .
6 تطوان في القرن الثالث للهجرة .
7 تطوان في القرن الرابع .
8 تطوان في القرن الخامس .
8 تطوان في القرن السادس .
9 غزو الموحدين لنواحي تطوان .
10 قتل الموحدين لثمانمائة شخص في تطوان .
10 انتقال الشيخ عبد القادر التبين من غرناطة الى تطوان .
10 انتقال الشيخ ابي عبد الله الفخار من سبتة الى تطوان .
10 تطوان في القرنين السابع والثامن .
10 بناء قصبة تطوان .
11 بناء جديد لتطوان في اوائل القرن الثامن .
12 تطوان في جل القرن التاسع .
13 (الفصل الثالث) بناء الاندلسيين لتطوان الحديثة .
14 عدد الاندلسيين الذين بنوا تطوان .
15 رئيس الاندلسيين الذين بنوا تطوان .
15 الاجراءات التي اتخذها الاندلسيون قبل بناء تطوان .
16 تاريخ بناء تطوان الحديثة .
18 صفة تطوان الحديثة في اول امرها .
24 موقف سكان القبائل من المجددين لبناء تطوان .
27 (الفصل الرابع) ولاة تطوان وحوادثها .

27 في القرنين التاسع والعاشر .
27 القائد ابو الحسن المنظري الغرناطي التطواني .
29 القائد المنظري الحفيد .
30 اهمية عمل المنظري واصحابه .
31 الست الحرة حاكمة تطوان .
32 القائد الحاج علي الذيب .
34 اربعة قواد .
34 حوادث تطوان في اواخر القرن العاشر .
35 في القرن الحادي عشر .
36 اولاد النقسيس .
36 المقدم عيسى النقسيس .
37 المقدم محمد النقسيس .
37 المقدم احمد الاول بن عيسى النقسيس .
37 احتلال الشيخ المامون السعدي لتطوان .
38 القائد حمو بودبيرة حاكم بتطوان .
38 تسليم العرائش للاسبانيين .
39 قتل الشيخ السعدي في نواحي تطوان .
40 حصار عبد الله بن الشيخ لتطوان .
40 من احوال تطوان في هذا العهد .
41 وفاة المقدم احمد النقسيس .
41 ابناء المقدم احمد النقسيس .
42 قتل ثلاثة من اولاد النقسيس .
42 المقدم عبد الله النقسيس .
42 استيلاء اصحاب المجاهد العياشي على تطوان .
43 فرار عبد الله النقسيس الى غمارة .
43 النقسيس ملتجيء عند اسبان سبتة .
43 مهاجرو الاندلس والمسيحية .
45 بين حاكم تطوان وملك انجلترا .
45 المقدم محمد بن عيسى النقسيس .
45 المقدم عبد الكريم بن عيسى النقسيس .

46 الغزواني صاحب الخضر غيلان يحكم تطوان .
46 احمد بن عبد الكريم النقسيس .
46 بين الخضر غيلان وابناء النقسيس .
47 المقدم احمد الثاني بن عيسى النقسيس .
48 تطوان في عهد الدولة العلوية .
48 مولاي رشيد يقبض على المقدم النقسيس .
49 مفضل النقسيس حاكم تطوان .
50 قتل الخضر غيلان وفرار أولاد النقسيس الى سبتة .
50 مهمة اولاد النقسيس وعلاقاتهم الخارجية .
51 الطور الاول - مع اسبانيا .
52 مع انجلترا .
53 مع هولندا .
53 الطور الثاني - في عهد المقدم عبد الله النقسيس .
53 مع انجلترا .
53 مع اسبانيا ضد العياشي .
54 الطور الثالث - في عهد محمد وعبد الكريم النقسيس.
54 مع انجلترا ضد اسبانيا .
56 الطور الرابع - في عهد المقدم احمد الثاني بن عيسى النقسيس .
56 محاربة انجلترا وصداقة اسبانيا .
57 ولاية القائد احمد على تطوان .
58 السلطان يقطع رؤوس مساجين تطوان بفاس .
58 الوباء بتطوان .
58 ولاية القائد علي بن عبد الله على تطوان ،
59 من السياسة الوطنية في هذا العهد .
60 مقاتلة الوطنيين لانجليز طنجة .
60 حاكم تطوان يرسل سفيرا الى ملك فرنسا .
62 فتح المجاهدين لطنجة .
62 نهاية اولاد النقسيس .
63 من اخبار تطوان في اواخر هذا القرن .
64 في القرن الثاني عشر - فتح مدينة العرائش .

65 فتح مدينة اصيلا .
65 رسالتان من المغرب الى ملك فرنسا .
66 حصار المسلمين لسبتة .
66 فتح حصن بادس بالريف .
67 تطوان وجيش عبيد البخاري .
67 وفاة القائد علي بن عبد الله .
68 ولاية الباشا احمد على تطوان .
69 بناء برج مرتيل .
69 مواصلة الرباط على سبتة وقتال اهلها .
70 سفارة انجليزية بتطوان .
73 ثورة الجبليين ضد الباشا احمد .
75 سفارتان بين المغرب وانجلترا .
77 استعداد تطوان لمقاومة الباشا احمد .
78 الباشا احمد يقصد تطوان بجيوشه غازيا .
79 مقتلة « عيطة السبت » بتطوان .
84 ولاية الحاج عمر لوقش على تطوان .
86 عزل الحاج عمر لوقش .
87 ولاية الباشا احمد على تطوان مرة ثانية .
87 بين الباشا احمد والمولى المستضيء .
88 زحف الباشا احمد على فاس وهزيمته .
88 قتل الباشا احمد وقطع رأسه .
89 ولاية القائد محمد تميم على تطوان .
90 حصار المستضيء لتطوان .
90 قتل القائد تميم.
90 وفد تطواني يعتذر للسلطان .
91 ولاية الحاج محمد لوقش على تطوان .
93 عزل القائد محمد لوقش .
93 ولاية القائد عبد الكريم بن زاكور .
94 زيارة السلطان لتطوان وامره ببناء برج مرتيل .
95 بناء القائد ابن زاكور لزاوية الوسعة .

95 عزل القائد بن زاكور ونكبته .
96 ولاية الحاج محمد عاشر على تطوان .
97 سفير من تطوان الى آل عثمان .
97 أتراك يصنعون القنابل بتطوان .
98 السلطان يحبس الكتب على جامع تطوان .
98 حصار السلطان لمليلية .
98 سفير من تطوان الى تركيا .
99 انعام على الانجليز من سلطان المغرب .
99 السلطان يودع ماله بتطوان .
99 امين من تطوان يحمل هدايا الى تركيا .
99 من اخبار تطوان في اواخر هذا القرن .
100 ديوان الاديب عبد الكريم بن زاكور .
101 من مشاهير الزائرين لتطوان في القرن الثاني عشر .
104 في القرن الثالث عشر .
104 القائد عبد الكريم لوقش .
104 القائد عبد الرحمن قردناش .
105 السلطان المولى اليزيد في تطوان .
105 ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش .
105 حصار سبتة وقطع رأس حاكمها.
106 موت المولى يزيد وبيعة تطوان للمولى سليمان .
106 انتصار المولى سليمان وعزل القائد اشعاش .
107 ولاية القائد محمد بن عثمان المكناسي على تطوان .
107 ولاية القائد حمان الصريدي .
107 نكبة الشيخ احمد بن عجيبة بتطوان .
109 المولى مسلمة يحارب تطوان .
110 ولاية القائد محمد الحكموي على تطوان .
110 ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش على تطوان .
111 الوباء بتطوان .
112 بناء الجامع الاعظم بتطوان .
114 بناء الملاح الجديد ليهود تطوان .

114 عزل الحاج عبد الرحمن اشعاش .
114 ولاية القائد محمد السلوي على تطوان .
115 الخليفة العربي بن يوسف .
115 الخليفة احمد تميم .
115 الخليفة الحاج محمد مامي .
115 اربعة خلفاء .
115 زيارة السلطان لتطوان .
116 ولاية الحاج عبد الرحمن اشعاش .
116 الوباء بتطوان .
116 بيعة المولى ابراهيم بفاس وموته بتطوان .
117 بيعة المولى سعيد بتطوان .
117 عزل القائد اشعاش وولاية العربي بن يوسف .
117 القتال بين المولى سعيد والمولى سليمان .
118 انتهاء امر المولى سعيد وحصار تطوان .
118 السلطان يعفو عن اهل تطوان .
119 وفد تطواني يهني المولى عبد الرحمن .
119 عزل القائد العربي بن يوسف .
120 ولاية القائد محمد اشعاش .
120 القاء القبض على اعيان من تطوان .
120 زيارة السلطان لتطوان .
121 ولاية الحاج عبد القادر اشعاش على تطوان .
122 عزل القائد اشعاش ونكبة عائلته .
123 ولاية القائد الحاج احمد الحداد .
124 معاهدة بين المغرب وانجلترا .
124 وفاة القائد احمد الحداد .
125 ولاية القائد محمد الحاج .
125 الحرب الاسبانية المغربية عام 1276 هـ. 1860 م.
139 الاسطول الفرنسي يهدم برج مرتيل بتطوان .
144 اخلاء برج مرتيل .
148 الاسبانيون يعرضون الصلح على المغرب .

148 معركة تطوان .
150 احتلال الاسبانيين لمدينة تطوان .
154 بين احتلال تطوان وعقد الصلح .
154 محاولة الصلح .
155 المخابرة الاولى في الصلح وفشلها .
157 اجتماع الرئيسين وفشل المفاوضات .
157 ضرب الاسطول للموانيء المغربية .
159 معركة سمسة .
159 محاولة الصلح مرة ثانية .
160 المعركة الفاصلة بوادراس .
160 انتهاء الحرب وانعقاد الصلح .
162 وثائق الهدنة والصلح .
165 بين عقد الصلح والجلاء عن تطوان .
167 الانجليز يستوصون خيرا بيهود تطوان .
168 المال - المال .
173 استفتاء من السلطان للعلماء في شأن المال .
174 السلطان يطلب الاعانة ويأمر بالاستعداد .
174 قتل مسافرين بين طنجة وتطوان .
175 طلب سلف من الانجليز .
176 معاهدة بين المغرب واسبانيا .
177 انجلترا تنصح السلطان بالعمل لتعجيل الجلاء عن تطوان ،
178 ابحاث وتعليقات حول هذه الحرب .
178 دفتر الصائر .
179 اثناء مكث الاسبانيين بتطوان .
179 هل كان الناس يريدون الحرب .
180 هل كان المغرب مستعداً للحرب.
181 سكان تطوان والحرب والاحتلال .
183 المهاجرون والمتخلفون .
184 كيف كانت العلاقات بين الولاة المغربيين اثناء الحرب .
184 بين مولاي العباس والشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون .

184 من افكار الاسبانيين عن اسباب هذه الحرب ونتائجها .
186 ما هي الروح التي كانت تسيطر على المحتليين لتطوان .
188 ما قاله اهل تطوان في واقعتهم من المنظومات والاشعار .
190 ما ذا كتب المغربيون عن هذه الحرب .
191 الاسبانيون واعمالهم بتطوان اثناء الاحتلال .
191 المحلات الرسمية والمصالح العمومية .
192 الابراج والتحصينات .
192 زاوية تحول الى كنيسة كاثوليكية .
193 حالة المساجد والزوايا اثناء الاحتلال .
193 تهديم المباني للتحسين والتحصين .
194 تحويل الاسماء العربية الى اسبانية .
194 الصحف والمطابع بتطوان اثناء الاحتلال .
197 تطوان بعد حرب الستين .
197 ولاية القائد الحاج عبد القادر اشعاش على تطوان مرة ثانية .
204 عزل القائد اشعاش وسجنه .
205 ولاية القائد بن منصور المهدوي على تطوان .
206 فتنة عيسى الريفي قاتل اليهود بتطوان .
206 عزل القائد بن منصور وولاية القائد السلاوي .
208 وفاة القائد احمد الخضر السلوي .
209 ولاية القائد محمد السلوي ،
210 حول التصوف والشيوخ بتطوان في القرن الثالث عشر .
212 في القرن الرابع عشر .
212 القائد السلوي وخليفته الغفياني .
218 اعفاء القائد السلوي .
219 ولاية القائد ادريس ابن يعيش .
220 ولاية القائد قدور ابن الغازي .
220 حصار تطوان وقتال الجبليين .
222 استيفاء يمين الخدمة من الامناء .
223 اعفاء القائد ابن الغازي وتولية القائد اللبادي .
224 عزل السلطان عبد العزيز ونصر اخيه عبد الحفيظ .

226 عزل القائد اللبادي وتولية القائد ابن الحسين .
230 اعفاء القائد ابن الحسين وتولية القائد مصطفى بن يعيش .
230 احتجاب عهد عهد الوحدة والاستقلال ، وحماية اسبانيا لتطوان .
238 زيارة السلطان لتطوان .
240 زيارة صحافي اميركي لتطوان .
243 (الفصل الخامس) قضاة تطوان وعدولها .
243 في القرن العاشر .
243 القاضي محمد الرزيني .
243 القاضي محمد الكراسي .
244 في القرن الحادي عشر .
244 نائب القاضي محمد يعقوب .
244 القاضي محمد بن سعيد بن قريش .
244 القاضي موسى الخطيب .
244 القاضي محمد بن سعيد بن قريش «ثانيا» .
244 القاضي احمد طانية .
245 القاضي عبد المجيد بن طريقة .
245 القاضي محمد بن طريقة .
245 القاضي عبد القادر طانية .
245 القاضي عبد المجيد بن طريقة ثانيا .
245 القاضي عبد الوهاب الفاسي .
246 القاضي محمد بن سعيد بن قريش.
246 من عدول تطوان في القرن الحادي عشر .
247 في القرن الثاني عشر .
247 نائب القاضي علي القر .
247 القاضي محمد بن ابي العافية الزجني .
248 القاضي عبد الرحمن الزلال .
248 القاضي محمد بن عبد الوهاب .
248 خليفة القاضي محمد الزلال .
248 القاضي عبد الرحمن الزلال «ثانيا» .
248 انقاضي محمد بن محمد بن قريش .

248 القاضي محمد بن قاسم مكو .
249 القاضي محمد بن محمد بن قريش «ثانيا» .
249 نائب القاضي محمد بن طريقة .
249 القاضي محمد بن الطاهر بن عبد الوهاب.
249 نائب القاضي محمد العربي بن طريقة .
249 القاضي محمد العربي بن طريقة
249 نائب القاضي عبد السلام بن قريش.
249 القاضيان عبد السلام بن قريش، وعبد الكريم بن قريش .
250 القاضي عبد القادر طانية .
250 من عدول تطوان في القرن الثاني عشر.
254 في القرن الثالث عشر .
254 القاضي عبد الرحمن الحايك .
254 القاضي عبد الرحمن بن طريقة .
254 نائب القاضي عبد الله بن طريقة .
255 القاضي الطيب بن رحمون .
255 القاضي محمد الطاهر بن عبد الوهاب .
255 نائب القاضي الطيب بن رحمون .
255 القاضي محمد الطيب بن رحمون .
256 القاضي عبد الله المصمودي .
256 القاضي عبد الرحمن البرنسي .
256 نائب القاضي محمد بن العربي بن فارس .
256 القاضي عبد الرحمن الحايك «ثانيا» .
256 نائب القاضي عبد الرحمن العباس .
257 القاضي المامون افيلال .
257 نائب القاضي محمد بن الهاشمي افيلال .
257 القاضي محمد كرازو .
257 القاضي علي التسولي .
257 نائب القاضي محمد افيلال .
257 القاضي محمد الحايك .
258 القاضي محمد الجنوي .

258 نائب القاضي محمد افيلال
258 نائب القاضي محمد الصفار
258 نائب القاضي محمد عزيمان
258 نائب القاضي عبد الكريم المصمودي
258 القاضي محمد الحايك
259 نائب القاضي احمد الشاهد العلمي
259 القاضي محمد عزيمان
259 نائب القاضي احمد الشاهد العلمي
259 القاضي محمد غيلان
259 نائب القاضي احمد ماشان
259 القاضي محمد عزيمان
260 الفقيه الرايس نائب القاضي
260 من عدول تطوان في القرن الثالث عشر
266 في القرن الرابع عشر - القاضي محمد عزيمان
266 افيلال نائب القاضي
266 نائب القاضي محمد اسنوس
266 القاضي التهامي افيلال
267 نائب القاضي احمد الرهوني
267 اعفاء القاضي افيلال وتولية القاضي البقالي
267 اعفاء القاضي البقالي وتولية القاضي افيلال
268 من عدول تطوان في اوائل القرن الرابع عشر
272 (الفصل السادس) من تراجم رجال تطوان
272 في القرن العاشر
272 الشيخ علي الفحل
272 الفقيه محمد الكراسي
273 الشيخ احمد الشاعر
273 الشيخ الجاسوس
273 الفقيه ابو القاسم بن سلطان
274 في القرن الحادي عشر - الفقيه احمد الزياتي
274 الشيخ محمد انوار

275 ابو عبد الله محمد السمعاني
275 ابو العباس احمد البريبري
276 الشيخ قاسم الحاج
276 ابو الحسن علي البجاني
276 أبو علي الحسن الحايك
277 الشيج يوسف بن يامون التيال
277 ابو الحسن علي المصيمدي
277 الشيخ علي بن مسعود الجعيدي
278 ابو الحسن علي بن الزبير
278 ابو حامد العربي الفاسي
279 ابو فارس عبد العزيز الزياتي
280 الاديب محمد الموذن
280 الفقيه عبد الله الرثوث
280 الفقيه محمد بن يحيى الشريف المذبوحي
280 الفقيه ابو الحسن علي الشودري
281 فى القرن الثاني عشر - القاضي محمد بن سعيد بن قريش
281 الفقيه محمد بن قاسم بن قريش
281 الشيخ سيدي علي بركة
283 الاديب الحاج علي منضوصة .
283 الاديب محمد بن علي الرافعي .
284 الفقيه محمد الدريج .
284 المجذوب سيدي بوجيدة امحلي .
284 الحاج عمر لوقش .
285 الدوكي دي ريبردا .
286 الفقيه احمد السرايري .
286 الاديب محمد بن سليمان .
287 الاديب محمد العربي ابريل .
287 القاضي الطالب البوعناني .
287 الاديب محمد بن يعقوب .
288 الاديب محمد مفضل .

288 الا يب مولاي عيسى الجزيري ،
289 القاضي محمد بن قريش .
289 الفقيه العربي بن طريقة .
289 الاديب المهدي بن طاهر الفاسي .
290 العلامة احمد الورزيزي .
291 الفقيه الحاج محمد اللبادي .
291 الفقيه محمد غيلان .
291 الفقيهة لالا غيلانة .
292 القائد الحاج محمد لوقش .
292 الفقيه علي شطير .
292 الفقيه محمد التلمساني .
293 الفقيه طاهر الطنجي .
293 القاضي عبد الكريم بن قريش .
293 مولاي عبد الله الوزاني .
293 العلامة محمد بن الحسن الجنوي .
294 الفقيه محمد العباس .
294 الفقيه عبد السلام بن رحمون .
295 تكميل .
295 في القرن الثالث عشر .
295 الشيخ سيدي عبد الله الحاج .
295 القاضي عبد السلام بن قريش .
295 الفقيه احمد الرشي .
296 الفقيه محمد الصردو .
296 الفقيه الطيب بن زاكور .
296 الحاج علي مدينة .
296 سيدي بوسلهام .
297 الفقيه محمد الورزيزي .
297 الفقيه محمد الجنوي .
298 الفقيه عبد القادر المنون .
298 الفقيه عبد الله شطير .

298 الفقيه عبد الجليل البقال .
299 الفقيه محمد محرش .
299 الفقيه محمد مدينة .
299 الفقيه عبد العزيز التبين .
299 الشيخ احمد ابن عجيبة .
301 سيدي بن كيران .
301 القاضي عبد الرحمن بن طريقة .
301 الشيخ سيدي علي بن ريسون .
302 القاضي الطيب بن رحمون .
302 الفقيه التهامي البناي .
302 الفقيه محمد الطاهر زنيبر .
302 الفقيه احمد بن حسين .
302 الفقيه محمد بن قريش .
303 الفقيه عبد الرحمن الصردو .
303 سيدي محمد بن الصادق بن ريسون .
303 القاضي عبد الرحمن الحايك .
304 القاضي المامون افيلال .
304 الفقيه عبد الله المصمودي .
305 الفقيه عبد السلام سكيرج « المؤرخ »
305 القاضي محمد كرازو .
305 الفقيه الطيب البقالي .
305 الشيخ سيدي محمد الحراق .
308 الفقيه محمد البقال .
309 الفقيه احمد البياري .
309 الفقيه محمد افيلال .
309 الفقيه عبد الله البوزراتي .
309 القاضي محمد الجنوي
310 الفقيه عبد الكريم غيلان
310 القاضي محمد الحايك
310 الفقيه محمد غيلان

311 الفقيه محمد بريدة .
311 الفقيه الطيب اليعقوبى .
311 النائب السلطاني محمد الخطيب .
312 الفقيه سيدي المكي بن عبد الوهاب .
312 الوزير محمد الصفار .
313 الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون .
318 في القرن الرابع عشر .
318 الفقيه محمد البوزراتي .
318 الفقيه سيدي المفضل افيلال .
321 القاضي محمد عزيمان .
321 الفقيه عبد الكريم المصمودي .
321 الامين السفير الحاج عبد الكريم بريشة .
325 الفقيه احمد السلاوي .
325 الفقيه محمد النجار .
326 النائب السلطاني الحاج محمد الطريس .
329 الفصل السابع - عائلات تطوان.
340 الختام .

خريطة بلاد المغرب والاندلس ومنها يعرف ان مدينة تطوان واقعة في شمال المغرب بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي، كما يعرف موقع مدينة غرناطة التي كان المهاجرون المسلمون منها، هم المجددين لبناء مدينة تطوان وعمارتها عام 888 هجرية (1484 ميلادية).

MOHAMED DAUD

SINTESIS
DE LA
HISTORIA DE TETUAN

PREMIO MULEY EL HASAN 1953

INSTITUTO
MULEY EL HASAN
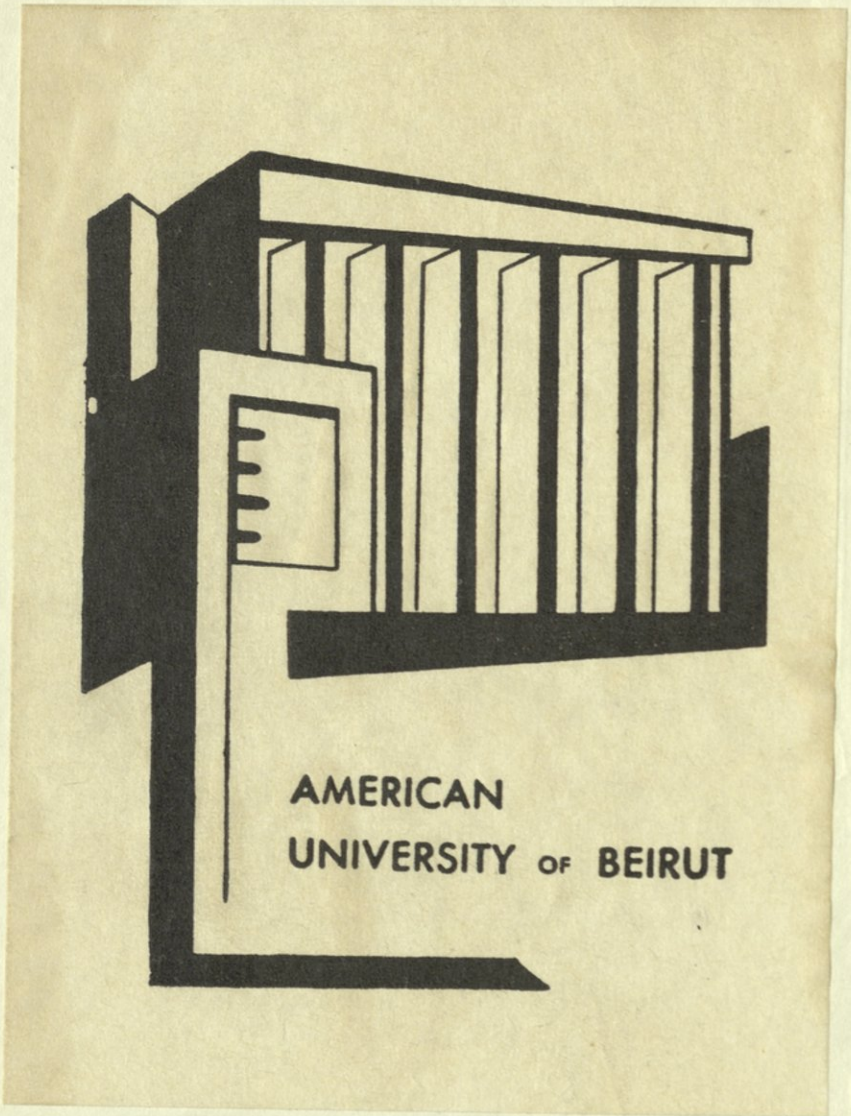
964.2:D23A:c.1
داود، محمد
مختصر تاريخ تطوان
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01080283